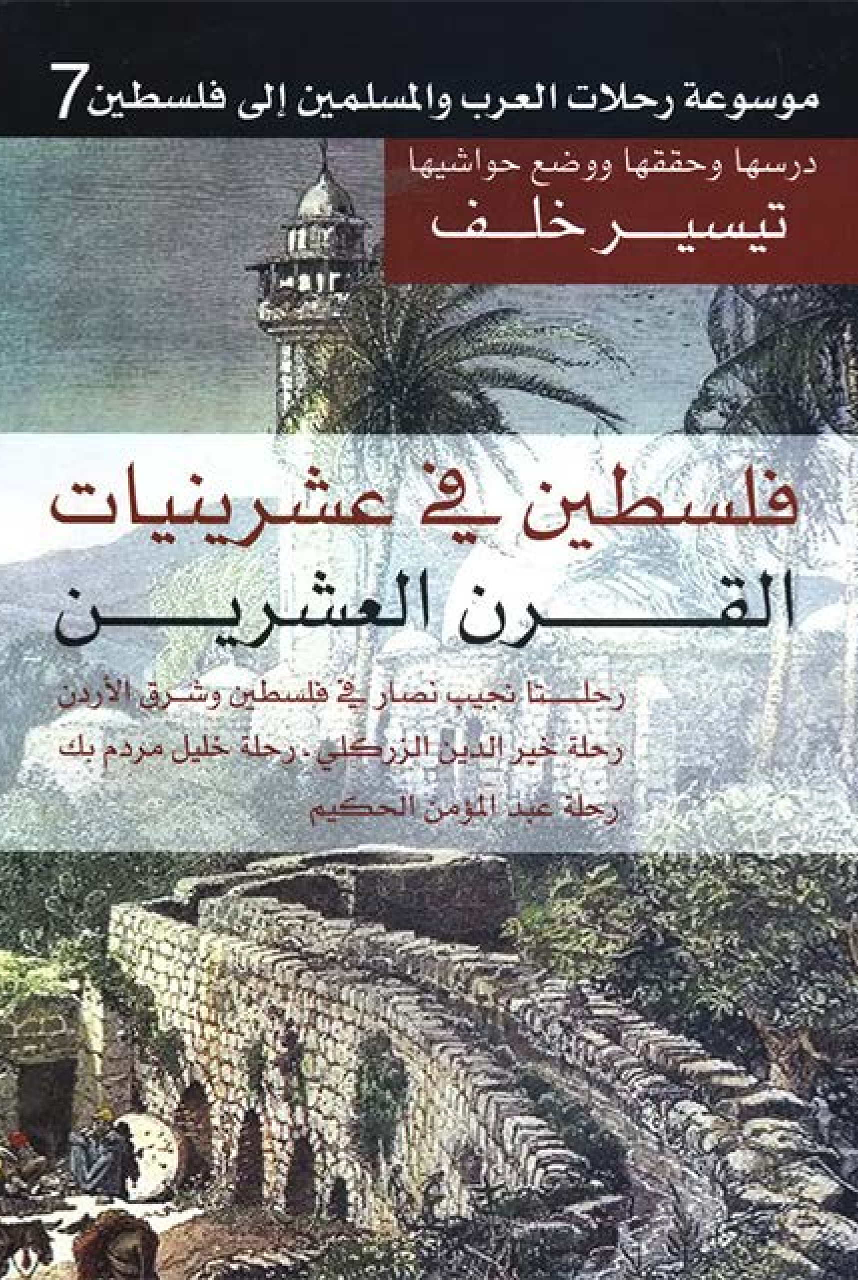


موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين 7

درسها وحققها ووضع حواشيها

تيسير خلف

فلسطين في عشرينيات القرن العشرين

رحلتا نجيب نصار في فلسطين وشرق الأردن

رحلة خير الدين الزركلي . رحلة خليل مردم بك

رحلة عبد المؤمن الحكيم

فلسطين في
عشرينيات القرن العشرين

فلسطين في عشرينيات القرن العشرين

درسها وحققها ووضع حواشيها : تيسير خلف

الناشر : دار كنعان

للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية

دمشق – ص.ب 443 تلفاكس: 2134433 (11 - 963 +)

E-mail 1: said.b@scs-net.org

E-mail 2: kanaanbook@yahoo.com

بالتعاون مع

دائرة الثقافة والإعلام بعجمان

دولة الإمارات العربية المتحدة – تلفاكس: 0097167423189

E-mail 1: mafarag_2005@yahoo.com

E-mail 1: m_harbi3@yahoo.com

الطبعة الأولى ، 2010 / عدد النسخ 1000

إخراج: لبنى حمد

التدقيق اللغوي: سامي عبد المجيد

الإشراف العام: سعيد البرغوثي

يمكن الاطلاع على كتب الدار ومنشوراتها

على صفحة الشبكة التالية:

http://www.darkanaan.com

http://www.neelwafurat.com

فلسطين
في عشرينيات القرن العشرين

رحلتا نجيب نصار في فلسطين وشرقي الأردن
1925-1922

رحلة خير الدين الزركلي
1920

رحلة خليل مردم بك
1923

رحلة عبد المؤمن الحكيم
1923

درسها وحققها ووضع حواشيها

تيسير خلف

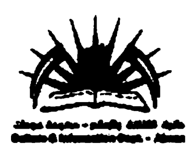
صدرت هذه الموسوعة بمناسبة

احتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية 2009

بالتعاون مع دائرة الثقافة والإعلام بعجمان / دولة الإمارات العربية المتحدة







لنا كلمة

إن أهم إسهام يمكن أن نقدمه للقدس في احتفاليتها عاصمة للثقافة العربية لعام 2009 هو أن تبقى حية في الأذهان، في وقت يحاول المحتلون الصهاينة محو وجهها العربي والإسلامي، واستبداله بوجه غريب عنها، ولكي تبقى حية في الأذهان بصورتها العربية الإسلامية هي وأخواتها مدن فلسطين المحتلة الأخرى، لابد من تقديم الوجه الحقيقي لها من خلال الكتب والمؤلفات التي تناولتها من وجهة نظر عربية إسلامية.

ولذلك تحمسنا لمشروع موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين، لأننا أدركنا أهمية نشر هذا الأثر، وتعميمه في هذه الاحتفالية، لأنه يسد نقصاً كبيراً في المكتبة العربية، ومن شأنه أن يسهم بشكل مباشر في خدمة قضية القدس وفلسطين، بشكل حضاري يرد على الدعاية الصهيونية بالحجة والمنطق التاريخي.

ولذلك فنحن نرى أن الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام 2009م هو احتفاء بتاريخها وأعلامها، عبر جعل هذا التاريخ في متناول الجميع، لأن من شأن هذا الأمر أن يسهم في تعميق الوعي بضرورة تحريرها من رجس الاحتلال، وإعادتها مدينة عربية إسلامية، تُشد الرحال إليها كما اعتاد أجدادنا أن يفعلوا طوال القرون الخمس عشرة الهجرية الماضية.

والاحتفاء بالقدس يختلف عن الاحتفاء بأي مدينة عربية أخرى، فهو ليس ترفاً أو استعراضاً شكلياً بقدر ما هو ممارسة عملية واجبة على كل عربي ومسلم، والتزاماً فكرياً وإيماناً راسخاً بعروبة هذه المدينة، ولن يتم كل ذلك إلا بتكريس هذه القيم عبر الوسائل الثقافية والمعرفية، ومنها نشر الكتب وإنتاج الأفلام والبرامج والمسلسلات التي تؤكد على الوجه الحقيقي لهذه المدينة التي شهدت أعظم الأحداث في تاريخنا العربي والإسلامي.

دائرة الثقافة والإعلام – حكومة عجمان

هذه الموسوعة

إسهاماً منها في احتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية لعام 2009م ارتأت دار كنعان للدراسات والنشر أن تُقدم لقراء العربية موسوعة شاملة لرحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين خلال أكثر من احد عشر قرناً، شهدت فلسطين خلالها عدداً كبيراً من الرحلات التي قام بها عرب ومسلمون، بعضها تم تحقيقه خلال فترات زمنية مختلفة، ومنها ما بقي حبيس المخطوطات، لم يتيسر لعموم القراء مطالعته.

ولأدب الرحلات أهمية خاصة بالنسبة لفلسطين، فهي الأرض المقدسة التي زارها ملايين الحجاج ونقلوا لأحبتهم أخبار مشاهداتهم لهذه الديار المباركة. غير أن عدداً قليلاً منهم قام بتدوين مشاهداته، التي تمثل الزمن الذي عاش فيه هذا الرحالة أو ذاك، ولذلك فالرحلات وثائق تاريخية وجغرافية، من شأنها أن تعمق الوعي التاريخي وتوسع الآفاق والمعارف والرؤى.

ولقد عرفت فلسطين طوال هذه القرون تطورات وتحولات كثيرة، لم يكن بالإمكان الاطلاع عليها من خلال كتب التاريخ التقليدي المتداولة، نظراً لحصر اهتمام هذه الكتب في أخبار الحروب والتحركات السياسية والعسكرية لهذا القائد أو ذاك، بعيداً عن التاريخ الذي يخص الأرض والبشر، ولذلك نأمل أن نُسهم بقدر الاستطاعة في نفض الغبار عن هذا التاريخ المجهول الذي يميط اللثام عن الكثير من الحقائق الغائبة.

وتكمن أهمية هذه الموسوعة، في أنها تمثل الجانب الآخر من صورة الرحلات التي قام بها الرحالون الغربيون إلى فلسطين خلال قرون طويلة، أسهموا من خلالها في تكوين وعي معين تجاه فلسطين، مستقى بشكل أو بآخر من الوعي الديني المسيحي واليهودي الذي يُمثل فيما يُمثله جانباً واحداً من الصورة، غير أن الأمر بات أكثر خطورة بعد حملة نابليون على فلسطين آخر القرن الثامن عشر، حيث بدا نوع جديد من الرحلات مرتبط بشكل أو بآخر بالمشاريع الاستعمارية التي كانت تُعد في دوائر القوى العظمى، مستهدفة إنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين في مغالطة لحقائق التاريخ والجغرافيا والمنطق. ولذلك ساد خلال قرنين من الزمن نوع من الرحلات الاستكشافية إلى فلسطين

وما يحيط بها، أسهم بشكل مباشر في تكوين وعي زائف لتاريخ فلسطين خصوصاً وبلاد الشام بشكل عام، ما نزال نعاني من تبعاته حتى هذه اللحظة، إذ ركزت معظم رحلات الغربيين على إدعاءات كاذبة تحيل على جهل وتخلّف سكان فلسطين من العرب الذين يعيشون في خيام ويمتهنون السرقة والسلب والخروج على القوانين، تاركين هذه الأرض الخصبة معطلة، فكان لابد من إعمار هذه الأرض المقدسة بشعب متحضر يبلغ بها مراقي التقدم، معيداً لها مجدها القديم الذي توقف مع قدوم العرب المسلمين إليها. وهذا هو الوعي الذي سوغ للصهيونية كل جرائمها بحق فلسطين وأهلها حتى يومنا هذا.. فما أحوجنا إذاً لتصويب الصورة، وتوضيح الأمور ووضعها في نصابها، ونقل الجانب الآخر من الصورة الذي تمثله رحلات العرب والمسلمين التي ننشرها في موسوعتنا هذه.

ومن الملاحظ أن الوعي العربي للخطر الصهيوني بدأ بالظهور في مطلع القرن العشرين، والرحلات التي نقدمها خلال هذه الفترة؛ تُبين بشكل واضح وجلي أن الكثير من العرب كانوا على بينة من أبعاد المشروع الاستعماري الصهيوني لفلسطين، ولذلك ظهرت في ذلك الوقت أشكال متعددة لمقاومة هذا المشروع، منها أدب الرحلات الذي كان يهدف إلى تقديم حقيقة الأوضاع وتوعية الناس لما يجري حولهم، وهذا ما تصدى له كلٌ من نجيب نصار ونجيب عازوري وعارف العارف وبشير كعدان وغيرهم..

موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين، إذاً هي إسهامٌ هامٌ في احتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية وهي إسهامٌ نطمح أن نثري به المكتبة العربية، فتكون هذه الموسوعة إضافةً هامةً إلى المراجع الأخرى التي تناولت الحديث عن فلسطين أرضاً وشعباً وتاريخاً عبر العصور الغابرة.

دار كنعان للدراسات والنشر



دخلت فلسطين حقبة العشرينيات باحتلال بريطاني مباشر، وخطر صهيوني يتعاظم، وانقسام سياسي واضح بين التيارين العروبي والعثماني.

وعلى الرغم من أن ملامح الكيان الفلسطيني، وخصوصاً القسم الشمالي منه، لم تكن واضحة في ذلك الوقت نتيجة التناحر بين الانتدابين البريطاني والفرنسي ومحاولات كل طرف منهما إرضاء الحركة الصهيونية على طريقته، إلا أن معاهدة بولييه- نيوكومب لعام 1923م بين فرنسا وبريطانيا رسمت حدود الكيان الجديد الذي رسمت حدوده الشمالية والشمالية الغربية، الحركة الصهيونية بناء على حاجات إسرائيل «المستقبلية» المائية. ولذلك اكتملت خريطة إسرائيل «المستقبلية» من الناحية القانونية، ولم يبق هناك إلا الإجراءات العملية على الأرض، والتي ستساعد بريطانيا (العظمى) خلال وجودها بصفتها سلطة انتداب في فلسطين على إنجازها. ولذلك كان العمل يجري على قدم وساق لشراء الأراضي، وتهريب المهاجرين، وبناء المستوطنات والمدن الاستيطانية، وفرض سياسة الأمر الواقع قبل إعلان تأسيس دولة إسرائيل التي كان يفترض أن تعلن خلال ربع قرن من الانتداب. وهو ما حصل فعلاً فيما بعد.

في العشرينيات بدأ الفلسطينيون المتعلقون بفكرة العروبة، والمؤمنين بأن فلسطين هي سوريا الجنوبية ولابد من أن تتحد مع سوريا الشمالية (سوريا ولبنان)، بدؤوا باستشعار الخطر الصهيوني مبكراً، فظهرت بينهم نخبة آمنت بالنضال السياسي لمواجهة الخطر الصهيوني المتربص، ونخبة أخرى لم تكن تؤمن بالسياسة والكلام بل بالإجراءات العملية، كقيادة الحملات ضد بيع الأراضي وتثبيت الفلاحين في قراهم ودعوتهم للعمل في الأرض لأن العمل واستثمار الأراضي الخالية الجرداء هو الذي يضع حداً للخطر الصهيوني، نظراً لأن الكثير من مساحات الأرض في فلسطين كانت أوقافاً ومنها أراض أميرية، ومن السهل بيع هذه الأراضي بعمليات احتيال لم تكن خافية على الكثيرين.

وهكذا، وبعد أن أيد بعض (العروبيين) الفلسطينيين، الانتداب البريطاني بشكل

صريح، ونظر آخرون إليه بعين الرضا، على اعتبار أنه سيأخذ بيد العرب لولوج الحداثة، بدؤوا منذ أواسط العشرينيات يرون أن أحلامهم كانت مجرد أوهام، وأن بريطانيا العظمى تسير وفق مخطط مرسوم سلفاً وهو تسليم فلسطين لليهود لإقامة (الوطن القومي) الذي وعد بلفور قبل سنوات بإقامته على أرض فلسطين. ولذلك نرى أن الكثير من أفراد النخبة الفلسطينية في ذلك الوقت بدأت تجاهر بعدائها للبريطانيين، وبدأت تسعى لمقاومته بكل السبل المتاحة، ولم يمض عقد العشرينيات من القرن العشرين حتى اتضحت الصورة بشكل كامل لدى الفلسطينيين لأبعاد الدور البريطاني، فبدأت الإرهاصات الأولى للثورة الفلسطينية التي اشتعلت طوال عقد الثلاثينيات.

لقد قدمت لنا نصوص الرحلات التي قام بها عرب ومسلمون في فلسطين وإليها خلال عشرينيات القرن العشرين، تصوراً معقولاً للأوضاع في ذلك الزمن، على جميع الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

ولعل أكمل النصوص على هذا الصعيد نصا الرحلتين اللتين قام بها الصحفي الفلسطيني نجيب نصار عامي 1922 و1925م، ونشرهما في جريدته الكرمل تحت عنوان (رسائل صاحب الكرمل) وشملتا شمال فلسطين وشرق الأردن، ونقلتا بأمانة كبيرة حقيقة الأوضاع التي كانت تعيشها فلسطين آنذاك.

أما الرحلات الأخرى التي رصدناها في هذه الحقبة فهي رحلة خير الدين الزركلي المعنونة بـ(ما رأيت وماسمعت) وفيها يرصد الأجواء التي أحاطت بانهيار الدولة العربية الفيصلية في سوريا وهروبه إلى حيفا، مقدماً صورة مختزلة للأوضاع في هذه المدينة الفلسطينية التي سبقه إليها الملك فيصل نفسه قبل أن يغادر الشام نهائياً وهو يطالب بعرش آخر.

وقد نقل الزركلي أجواء الخيبة التي سيطرت على العرب الحالمين بكيان مستقل. أما الرحلة الثانية التي رصدناها فهي رحلة الكاتب خليل مردم بك الذي زار القدس في أواسط العشرينيات وقدم بعض الصور القائمة للأوضاع فيها، كما زار فلسطين أيضاً في العشرينيات حاج هندي مسلم يدعى محمد الياس برني ووضع كتاباً باسم (صراط الحميد) دوّن فيه وقائع زيارته لبلاد الشام والعراق والحجاز، ولم نعثر على جديد في هذه الرحلة التي كان الهدف منها سياحياً دينياً، فأعرضنا عن نشر ترجمتها، لأننا نشرنا أيضاً وقائع رحلة لحاج مصري يدعى عبد المؤمن الحكيم عام 1924م بعنوان (رحلة مصري إلى فلسطين ولبنان وسورية ومناظر المسجد الأقصى وجميع المشاهد

الدينية والأثرية والعمرانية) وصف فيها وقائع رحلته بشكل أشمل وأوضح من رحلة برني.

فهذه هي النصوص التي توفرت لدينا ونأمل أن تشكل مصدراً غير تقليدي من مصادر كتابة تاريخ فلسطين السليبة، يساعد بشكل أو بآخر، على تكوين وعي تاريخي حول فلسطين وقضيتها أقرب إلى الحقيقة في ظل نصوص تاريخية تقليدية غلبت عليها الأهواء السياسية.

تيسير خلف

دمشق 20 شباط 2009م

رحلتا نجيب نصار في فلسطين وشرق الأردن

أتاحت لنا مكتبة الأسد الوطنية، مشكورة، الاطلاع على أرشيف جريدة (الكرمل) الحيفاوية التي كان يصدرها شيخ الصحافة الفلسطينية نجيب نصار الشهير بأبي فلسطين. والحقيقة أن امتلاك مكتبة الأسد الوطنية لهذا الأرشيف مصوراً على (ميكرو فيلم) وفّر علينا جهداً كبيراً في ملاحقة أعداد هذه الجريدة الهامة، بين مكتبات لبنان والأردن، فهذا الجهد خبرته في الثمانينيات، في أثناء الدراسة الجامعية، عندما كنت طالب إعلام في جامعة دمشق وقررت أن أنجز بحثاً جامعياً عن نجيب نصار وجريدة الكرمل، فحالت الظروف بيني وبين إتمام المشروع بسبب عدم توفر أعداد الكرمل كاملة، وصعوبة الاطلاع عليها. ويومها لفتت نظري رحلة نجيب نصار التي أسماها (رسائل صاحب الكرمل) وقررت أن أنتظر الظروف المناسبة للعمل على هذه الرحلة المهمة في مسار الصحافة الفلسطينية والعربية، وفي مسار كتابة التاريخ الفلسطيني المعاصر.

وقد شكلت رحلتا نجيب نصار حلقة من سلسلة الرحلات التي كنت أجمعها طوال السنوات الماضية، بغية إعداد موسوعة لرحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين، تهيأت الظروف الآن لإصدارها.

ومما أسهم في تسهيل مهمتي أيضاً حصولي مؤخراً على نسخة من كتاب صدر في مطلع التسعينيات تضمن نصوص رسائل صاحب الكرمل قام بجمعها المحامي الفلسطيني المرحوم وليد خليف. وعلى الرغم من أهمية هذا العمل إلاّ أنه لم يشكل لي أي إضافة نظراً لأن النصوص كانت لدي، ولأن الأستاذ خليف لم يعلق عليها ولم يضبطها أو يشرح الكثير من مستغلقات النص المتعلقة ببعض الأسماء والأحداث والمواقع.

وفي الحقيقة فقد أفدتُ من كتاب الأستاذ خليف بتدقيق النصوص ومقارنتها مع النسخة التي بحوزتي، وقد اهتديت من خلالها إلى بعض المفردات المبهمة وغير الواضحة في النسخة المصورة عندي، وهي مفردات قليلة على كل حال.

صاحب الكرمل

ولد نجيب نصار في عين عنوب في لبنان من عائلة أصلها من مدينة الناصرة عام 1873م. درس في الجامعة الأمريكية في بيروت، فرع الصيدلية والعلوم السياسية. وبعد تخرجه عمل صيدلياً في المستشفى الاسكتلندي في مدينة طبريا ومنها انتقل للعيش في مدينة حيفا التي بدأت حينها تتذوق طعم الازدهار وتركض مع عجلة التطور وطور البناء.

وقد أتاحت الظروف لنجيب نصار في أثناء عمله في مدينة طبريا والقدس الاختلاط المباشر بالمهاجرين اليهود الذين سكنوا في مناطق الجليل والقدس، وتعرف من خلالهم على المخطط الصهيوني، و فكرة إقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين بحسب جدول زمني منظم، فكان هذا الأمر دافعاً أساسياً إلى تأسيسه جريدة (الكرمل) في حيفا . التي صدرت في 27 كانون الأول عام 1908م، بعد إعلان الدستور العثماني.

بدأت الصحيفة أسبوعية ثم مرتين في الأسبوع، وقد نجح نصار في شراء (مطبعة الكرمل) عام 1909 وكانت الثانية في حيفا بعد (المطبعة الوطنية) لصاحبها باسيلا جدع.

أثار ما كتبه نجيب نصار غضب الحكام الأتراك حيث صدر الأمر باعتقاله، وفي مساء يوم في أوائل شباط/فبراير1915 ، سمع نصار قرعاً خفيفاً على باب بيته فهرع إلى الباب وعندما تيقن من هم وماذا يريدون منه تمكن من الهرب، وكان عليه أن يختفي في رحلة طويلة تمتد لثلاث سنوات وتبدأ من حيفا لتمر في الأغوار وحوران، فدمشق. ويختفي اسم نجيب نصار خلال هذه الرحلة وخصوصا أثناء عيشه بين البدو ليحل محله اسم (مفلح الغساني). وكانت الدعوى الموجهة ضده من الأتراك أنه (متمسك بعروبته ومعاد للأتراك) حيناً، (ويعمل لصالح الإنجليز حيناً آخر).

استمر نصار في هروبه وتخفيه لمدة 3 سنوات إلى أن سلم نفسه للسلطة وسجن في (السجن العرفي) بدمشق. وقد وصلت الكثير من الاحتجاجات الموقعة من الوجهاء المحليين ومن محرري الصحف تشرح أن معارضة نصار لسياسة السلطة العثمانية في موضوع (الهجرة اليهودية) هي نهج عقيدة يؤمن بها أغلبية الفلسطينيين سكان البلاد. وبعد أشهر من العذاب، أفرج عن نجيب نصار بعد اقتناع أنور باشا بعدم جدية التهمة المنسوبة إليه وأن نصار لا يشكل أي خطر كان.

بعد ذلك توجه إلى القاهرة وسعى لإصدار (الكرمل) مرة أخرى وبعد فترة من الوعود التي تلقاها بمساعدته في إصدار الجريدة، تمكن من إصدارها مجدداً. عام 1920م. وفي عام 1934 تغير اسمها إلى (الكرمل الجديد)، وظلت تصدر حتى عام 1942م.

أما نصار فقد استمر في مناهضته للمشروع الصهيوني في فلسطين إلى أن وافته المنية في مطلع العام 1948م.

رحلة نجيب نصار الأولى

ما يلفت النظر في رحلة نجيب نصار الأولى، التي بدأ نشر حلقاتها في (الكرمل) يوم 27 أيلول عام 1922م، واستمرت حتى يوم 23 كانون الأول من العام نفسه، أي أنها استمرت ما يقارب ثلاثة الأشهر، أنه كان حسن النية تجاه الانكليز، وهو ما عبر عنه صراحة في أكثر من موضع من الرحلة، وكان يعتقد أن الانكليز رسل حضارة، ولم يكن مقتنعاً بدور إنكليزي في المشروع الصهيوني، على الرغم من صدور وعد بلفور، إذ كان يعتقد بأن بريطانيا العظمى سوف تساعد الفلسطينيين على ولوج بوابة التقدم، ولذلك امتازت ملاحظاته بالعتب حيناً وبالتنبيه حيناً آخر، وكانت الآمال تحدوه لأن يؤسس جميعة اقتصادية في حيفا للنهوض بواقع الفلاحين الفلسطينيين، وتشجيعهم على استثمار الأرض وعدم التفريط بها بوصفه حلاً عملياً لمواجهة التنظيم الصهيوني الذي جمع اليهود تحت قيادته.

وقد وصف نصار دقائق الأوضاع في القرى والمدن التي زارها في شمالي فلسطين والضفة الغربية، وهو ما يشكل وثيقة حية عن الأوضاع في تلك الفترة، لا نجدها في أي كتاب آخر.

رحلة نجيب نصار الثانية

أما رحلة نجيب نصار الثانية، والتي بدأ نشر وقائعها في 10 كانون الثاني، واختتمها في 31 تشرين الأول عام 1925م فهي تمثل بشكل صادق انهيار جميع أوهامه حول الانكليز، ويأسه من السياسيين الفلسطينيين المنشغلين بالنزاعات الحزبية والحسابات الضيقة في وقت يتعاظم فيه الخطر الصهيوني وتتسرب الأرض إلى الصهاينة بأشكال شتى.

وقد اكتشف نصار، وعبر عن ذلك صراحة، أن الحكم العثماني على الرغم من سيئاته الكثيرة كان أفضل من الحكم الانكليزي، وقد انتقد الإعدامات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الانكليزية والتي فاقت في عام واحد ما قام السلطان عبد الحميد به طوال مدة حكمه في جميع أصقاع مملكته المترامية الأطراف.

وقد اكتشف نصار أن الانكليز كانوا يلجؤون إلى سياسات ضريبية تفقر الفلاح

وتجعله يتخلى عن أرضه ببيعها أو رهنها، وعد هذه السياسات منظمة وليست بريئة على الإطلاق.

وفي رحلته الثانية علت نبرته الانتقادية للسياسيين الفلسطينيين وراجع المرحلة الفيصلية من الحكم، كما أنه وضع ملاحظات جوهرية على طريقة إدارة الأمور في شرقي الأردن الذي كان يتأسس بصفة إمارة مستقلة في ذلك الوقت.

قمنا بضبط النص وتصحيح بعض الأخطاء المطبعية التي لا تغيب عن لبيب، وعلقنا على الكلمات الغامضة والأحداث والوقائع والأسماء الواردة عرضاً في متن النص، والتي تضيء جانباً من أبعاد ما كتبه نصار، وخصوصاً الشخصيات الفلسطينية والعربية واليهودية والعالمية التي كانت مؤثرة في سير الأحداث. وقد استعنا على ذلك بمجموعة من المصادر المتنوعة تراوحت بين الموسوعات وكتب التاريخ والجغرافيا والمذكرات.

رحلة نجيب نصار الأولى
رسائل صاحب الكرمل عام 1922

عكا النائمة

وراء هذه المدينة القديمة تاريخ مجيد، ولن أحاول إجماله اليوم لأن هذا من وظائف المجلات، ولكن يكفي القول إنه عن أسوارها ارتد نابليون بونابارت القائد العظيم مقهوراً[1]، ولا تزال تلك الأسوار والخنادق التي شهدت كثيراً من المواقع الحربية شاهداً على مكانة عكا التاريخية.

كانت عكا حيناً من الدهر عاصمة سوريا ومقر حكومتها[2] ثم ما لبثت أن صارت مركز صادراتها فكانت مدخولات البلاد تأتي عن طريقها.

جعلتها الحكومة العثمانية معقلاً لأكابر السياسيين ومعتقلاً للمجرمين، ونفت إليها سيد البهائيين[3]، وخلاصة القول إنه مضى على عكا زمن كانت فيه مركز الحركة

---

[1] - حدث ذلك عام 1799م

[2] - المقصود عندما اتخذها والي صيدا احمد باشا الجزار (1735- 1804م) عاصمة لحكمه عام 1770م بعد ان قضى على حاكمها الشيخ ظاهر العمر الزيداني، وكانت إيالة صيدا تضم في ذلك الوقت نصف سوريا، ولكن الجزار وسع نطاق نفوذه فيما بعد واصبح امير الحاج، اي والي سوريا بأسرها، وبقي في منصبه حتى وفاته عام 1804.

[3] - ولد حسين علي بن عباس بزرك الملقب بالبهاء مؤسس البهائية في مازندران بإيران سنة 1817 م كان ابوه موظفاً كبيرا في وزارة المالية، ومن اسرة يشغل ابناؤها المناصب المهمة في المصالح والوزارات الحكومية 1844م انضم إلى دعوة الميرزا علي محمد الشيرازي المعروف بـ(الباب) ولما شاع امر (البابية) قبضت الحكومة الإيرانية على الميرزا علي محمد الشيرازي، وأودعته قلعة (ماه كو) في (اذربيجان) في مارس 1847م اشترك البهاء حسين في عملية اغتيال الملك «ناصر الدين» شاه إيران، ولما فشلت العملية فر إلى السفارة الروسية التي حمته ولم تسلمه إلى السلطات الإيرانية إلا بعدما اطمأنت انه لن يُعدم، وبعد ان اعتقل فترة نفته حكومة الشاة إلى بغداد في إبريل 1853م مع اخيه الميرزا يحيى، المعروف بصبح الأزل الذي تجمعت حوله البابية بعد مقتل الميرزا علي محمد الشيرازي بوصية منه وطلبت الحكومة الإيرانية من العثمانيين نقل البابيين إلى مكان بعيد عن الحدود الإيرانية لخطورتهم على اهالي إيران، فنُقلوا جميعا

الاقتصادية الحية، ومصدر فكرة دينية اجتماعية شرقية، ومجتمع رجال الحركة الفكرية السياسية.

ولما أراد الدهر أن يقلب لها ظهر المجن، قدر لحيفا أن تصير ميناء سكك الحديد الحجازية[4] فأخذت من ذلك الحين أهمية عكا تتناقص، إلى أن كان الاحتلال البريطاني، إذ نقلت منها السلطة العسكرية الإنكليزية حكومة اللواء إلى حيفا. ففقدت عكا البقية الباقية من أهميتها، وهي تكاد تكون اليوم في حالة احتضار اقتصادي.

ليس هذا التبدل بالأمر الغريب ولكن ما يدعو إلى العجب كيف أن أهل هذا البلد العربي الطيب، الذين تعودوا على الحياة العلمية الاقتصادية، يصمتون أمام التقلبات ويستسلمون للأقدار ودم العظمة الحقيقية يجري في عروقهم.

والأغرب من ذلك أنك ترى بعض زعمائهم ينصرفون عن الجديات إلى الأمور الوهمية، فينقسمون إلى أحزاب، ويتزاحمون على أمور نظرية لا شأن لها في الحياة العملية.

كان الأمل معقوداً بأهالي عكا، إذ رأوا الظروف عاكستهم والأحول أثرت على اقتصادياتهم أن تستيقظ فوراً القوى العظيمة الكامنة في نفوسهم الكبيرة، ويجتمع العقلاء منهم ويدرسوا الحالة بدقة، ويهتموا في الابتعاد عن الأضرار وتعويض الخسارة اللاحقة بهم. من جهة أخرى فالفرد أو الجماعة من ذوي الهمم العالية الذين تعودوا أن يكونوا دائماً في الطليعة إذا رأوا الطبيعة تصارعهم يضاعفون مساعيهم ومجوداتهم، ويحتالون لها ليغلبوها ويخرجوا من المعترك الاقتصادي ظافرين، فعكا وإن كانت قد فقدت تجارتها بالحبوب تستطيع أن تجد موارد أخرى من الزراعة، فالأراضي المحيطة بها رملية خصبة، وفيها مياه كثيرة صالحة للبساتين والقرى التابعة لها، صالحة لشجر الزيتون واللوز، ويمكن ترقية هذه الفروع الزراعية لتعوض على المدينة جانباً مما خسرته من التجارة.

الي إستانبول في إبريل 1863م، وهناك قام البهاء بنشر دعوته بين عامة الناس، فالتف حوله مجموعة من الأتباع سموا بالبهائية فررت السلطنة العثمانية نفي البهاء حسين إلى عكا ومعه بعض اتباعه فنزل بها سنة 1868م، واصبحت عكا منذ هذا التاريخ مقرا دائمًا للبهائية، ومكانا مقدسا لهم وفي عكا بذل البهاء جهدا كبيرا في نشر دعوته وكسب الأنصار والأتباع، فاعلن حقيقة شخصه، وأبطل ما كان يدعيه «الباب» حتى انسلخ هو واتباعه من شريعة الباب، ولم يبق من كلامه إلا ما كان فيه إشارة أو إيماءة تبشر بمقدم البهاء، توفي البهاء 1892م وخلفه ابنه عباس عبد البهاء في رئاسة البهائية

[4] - افتتح الخط الحديدي ما بين درعا وميناء حيفا في عام 1902 بطول 161 كم

البهجة

زرنا البهجة[*] ملك السادة بيضون الكرام، وهي أشهر بستان في لواء عكا لنرى نموذج هذا النوع من الزراعة، فرأيناها مهملة غاية الإهمال، وقد كنا نتوقع أن نراها عروسة بساتين سوريا، وخصوصاً لأن أحد أصحابها من خريجي المدارس الزراعة فحشيش (الأنجيل) مثلاً يكسو الأراضي ويمتص غذاء التربة، ولو اعتني بهذا البستان عناية فنية كافية لأمكن زيادة وارداته إلى ثلاثة أضعاف ما هي عليه الآن على أقل تعديل، ونتمنى أن يكون المهندسون الزراعيون مثالاً حسناً للناس.

يمكن تحويل عكا إلى بلدة صناعية وجلب مئات من (الأنوال) إليها لنسج المنسوجات الوطنية أسوة بحمص والشام.

الطريق بين عكا وصفد

يسرنا جداً ما قام به وجهاء الأهالي وإلحاحهم على السرديدس[5] السكرتير العام بضرورة تعبيد الطريق بين عكا وصفد لأن قضاء صفد كبير واسع الأطراف، وتجارته وتجارة ما حوله على الرغم من كونه مرتبطاً مع عكا بلواء فينيقية بسبب وعورة الطريق بين عكا وصفد، فعسى أن تستجيب الحكومة التماس الأهالي وتساعد هذا البلد العربي على استرداد بعض ما خسر من اقتصادياته.

نجل البهاء

إلى جانب البهجة قصر يقيم فيه الميرزا محمد علي نجل البهاء المطالب بحق زعامة الطائفة البهائية، من بعد انتقال أخيه السر عبد البهاء عباس.

كل ما يعلم عن هذا الرجل أنه مر عليه أكثر من ثلاثين سنة منزوياً في هذا القصر المنيف، وقد كان ينتظر منه كابن صاحب الدعوة البهائية أن يتحف العالم بكنوز علمية أو أخلاقية أو دينية أو اجتماعية أو فلسفية أو اقتصادية بعد هذا الانزواء الطويل، ولو فعل شيئاً من ذلك لوجد من الناس مساندة أدبية قوية له في دعوته، وكان يتوقع منه أيضاً أن يكون عاملاً فعالاً يعاون على نهضة محيطه، على أننا نأمل أن يكون قد قام ببعض

---

[*] البهجة بستان انشاه الوالي عبد الله باشا وبنى فيه قصره مطلع القرن التاسع عشر.

[5] - السير ويندهام ديدس (sir Windham deeds) السكرتير الأول لإدارة الانتداب البريطاني في فلسطين، كان من الشخصيات الصهيونية المعروفة

الأعمال النافعة وأن تظهر هذه الأعمال في القريب للناس، لأن أعمال دعاة الإصلاح يجب أن لا تكون في الخفاء. وإلى جانب هذا القصر مقام البهاء الذي ربما عدنا إلى الكلام عن أسباب الخلاف القائم عليه في رسالة أخرى.

الجمعية الاقتصادية

نحن نعتقد أن خير علاج لحالة عكا الاقتصادية أن يقوم مفكروها وزعماؤها الغيورون لتأليف هيئة لجمعية النهضة الاقتصادية، فمتى اجتمعت كلمتهم وانصرفت هممهم العالية ومداركهم الواسعة إلى مشاريع اقتصادية، فإنهم لا ريب ينتشلون بلدتهم من الحالة التي وصلت إليها.

ولو فكر العقلاء منهم في الأوقات الثمينة التي تنفق في المقاهي وعلى كراسي البطالة وقدروا أثمانها لهالهم عظم الخسارة فيها وشرعوا حالاً في تأليف هذه الجمعية ليستثمروا هذه الأوقات[6].

عكا المستيقظة

المعارف في عكا - المدارس العلمية

زرنا في عكا المدرسة العلمية برئاسة حضرة العالم الديني الفاضل الشيخ عبد الله الجزار مفتي عكا فوجدناها تضم 50 تلميذاً في جامع الجزار التاريخي المشهور، كلهم بالعمائم البيضاء تيجان العرب، فسررنا بهذا المشهد الجميل، وقد تفضل فضيلة المفتي وألقى على التلامذة بضعة أسئلة في اللغة العربية، فأجابوا عليها بما دل على تضلعهم فيها وعلى عناية المدرسة بها. وقد أفادنا فضيلة الرئيس أنهم أدخلوا إلى المدرسة زيادة على العلوم الدينية علوم الحساب والجغرافيا واللغة الإنكليزية، فسررنا بهذه الإضافة جداً، على أننا نتمنى أن يضاف إلى هذه العلوم علم التاريخ، وخصوصاً تاريخ العرب، وعلم أصول الزراعة مشفوعاً بالتجارب العملية، لأنه ثبت أن العلوم النظرية لا تأتي بالفائدة التي تأتي بها العلوم العملية.

قلنا بضرورة إدخال علم التاريخ في هذه المدرسة لأننا نعلم أن هؤلاء التلامذة القادمين من مختلف أنحاء فلسطين، بعد أن يملؤوا صدورهم علماً، ويتحلوا بالأخلاق

---

[6] - الكرمل . السنة التاسعة . العدد 846 . 27 أيلول عام 1922.

الفاضلة، سينتشرون في البلاد ويكونون فيها بمثابة الأساتذة والمرشدين، فإذا كانوا على بينة بتاريخ الأمم وبأسباب نهضتها وانحطاطها وخصوصاً بأسباب نهضة العرب وسير أبطالهم العظماء، لا ريب يلقون هذه الدروس على الشعب ويغذون نفوسه بمبادئ أعظم الرجال وكبار المصلحين.

وإننا نستحسن إدخال مبادئ علم الزراعة الأساسية لهذه المدرسة، لاعتقادنا أن القسم الأكبر من الطلبة سيكونون أساتذة القرى وأئمتها في المستقبل، وبما أن القرى فقيرة فهؤلاء الأئمة والأساتذة يمكنهم تعاطي الزراعة لتعاونهم على المعيشة بهذه الواسطة إذا كانوا ذوي إلمام ينهضون بالزراعة نهضة علمية، إذ يكونون قدوة ومعلمين للمزارعين.

نحن نؤيد وجود هذه المدرسة تحت رئاسة فضيلة مفتي عكا، ونظراً إلى ما رأيناه من شدة عنايته بها أصبحنا نتوقع خيراً كبيراً للبلاد، ولأننا على ثقة من أن فضيلته يمتي عناية خاصة بالأخلاق، ويزرع في نفوس الطلبة حب العمل، ويبعدهم عن فكرة العلم الجامد الذي هو من أسباب تأخر البلاد الاقتصادي.

ولذلك نأمل من المجلس الإسلامي أن يوجه عناية خاصة إلى هذه المدرسة ويمدها بالمساعدات المادية اللازمة وبكل ما يزيد رئيسها وأساتذتها وتلامذتها نشاطاً.

مدرسة الصبيان الثانوية

زرنا أيضاً مدرسة الصبيان الثانوية في عكا فألفينا حضرة المفتش الفاضل إبراهيم أفندي الشمس منكباً على عمله بنشاطه المعروف، ورأينا مديرها السابق العالم النشيط السيد قنازع، والمدير الجديد السيد كركور منهمكين في أشغال المدرسة والتلامذة في الصفوف المختلفة في غرف نظيفة وانتظام تام، فشاهدنا كيفية التعليم في الصفوف، فإذا هو مما يستوجب شكر المفتش والمدير والأساتذة، وشاهدنا قاعة الألعاب التمرينية فإذا هي فسيحة رحبة.

وهنا يليق بنا أن نقدم ملاحظة هي: هل بالإمكان تخصيص قطعة من الأراضي تكون مشتركة بين هذه المدرسة والمدرسة العلمية، ويكلف أحد مهندسي الزراعة في عكا لإعطاء درس زراعي فيها ولو مرتين في الأسبوع، فتقوم هذه الحركة مقام الألعاب التمرينية من جهة، ومن جهة أخرى تخلق في التلامذة رغبة في زراعة الشجر والحبوب الصيفية والشتوية والدخان، وهذا ميسور في عكا لتواجد ثلاثة أو أربعة مهندسين زراعيين، نعرف منهم السيد حبيب الجراح، وهو شديد الرغبة في خدمة الوطن بكل ما في وسعه.

ونعتقد أنه يمكن استعمال هذه الطريقة في كل مدارس الحكومة التي يمكن وجود مهندس زراعي بقربها.

مدرسة البنات

خرجنا مع حضرة المفتش الفاضل لزيارة مدرسة البنات في عكا بإدارة الآنسة الفاضلة كارترود نصار وشقيقتها الآنسة هيلدا. والمدرسة منقسمة إلى قسمين تحضيرية وفيها 180 طالبة، وابتدائية وعدد طالباتها 130. عند دخولنا إلى دار المدرسة رأيناها في غاية النظافة، ثم تفقدنا صفوف المدرستين ورأينا أشغالهن اليدوية من خياطة وإعداد أشياء منزلية بصورة مصغرة لتعليم البنات تدبير المنزل والخياطة البسيطة المتقنة والأشغال اليدوية. ومما أدهشنا ترتيب البنات في ملابسهن البسيطة والنظيفة، ولاحظنا أسلوب التعليم الحديث. وخلاصة القول كل ما رأيناه في هذه المدرسة يدل على أن العناية منصرفة إلى تهذيب الأخلاق والترتيب والنظافة والتعليم اللازم للبنات والاقتصاد والاعتماد على النفس في تدبير الأمور المنزلية، فتمنينا أن تحذو جميع المدارس حذو هذه المدرسة التي نأمل أن تخرج لعكا جيلاً من البنات اللواتي يحدثن تأثيراً حسناً في الحالة الاجتماعية في المستقبل إن شاء الله.

الشبيبة

في عكا شبيبة طيبة بينها نفر ممن درسوا فن الزراعة وعدد غير يسير ممن أحرزوا جانباً من العلوم وكثيرون منهم أخلاقهم عربية بكل معنى الكلمة. وقد لاحظنا أن هذه العصبة المباركة حسنة الإرادة تريد أن تنظم شؤونها وتشتغل في أمور وطنية نافعة، ولكننا وجدنا أنه ينقصها مع الأسف حسن القيادة. وأكثرية الشبان لا يعتمدون على أنفسهم كفاية، ولم تتربَّ نفوسهم منذ الصغر على الجرأة الأدبية ليرسموا لأنفسهم خطة معقولة نافعة، ويشتغلوا فيها مستقلين عن الزعماء المنصرفين إلى خصوصياتهم.

هذا هو مرض الشرق وسبب تقهقره، فإنك ترى الشيوخ والزعماء، إلا ما ندر، لا يهمهم سوى نفوذهم الشخصي ومصالحهم الخصوصية، ويجتهدون لقتل روح الشباب الناهض إذا لم تنقد لخدمة أغراضهم، وقلما نجد في الشباب جرأة أدبية تتمرد على إرادة هؤلاء الشيوخ وتحطم قيودهم، وتعمل مستقلة للمصلحة العامة. ونعتقد أن فقدان هذه الجرأة يعود إلى التربية منذ الصغر، بحيث يعوِّدون الولد على الطاعة العمياء ولا

ينمون استقلالية إرادته، فيشب عبداً جباناً يرى حقه ومصلحته ولا يجرؤ على العمل لهما.

الشاب والشابة المتنوران يجب أن يرسما لنفسيهما خطة حكيمة ويسيرا في طريق العلم بجرأة غير مبالين، لأن التردد والانقياد للرجعيين يقتل الحياة ويضيع المواهب. من يبتسم له المستقبل فلن يقوده الجهل إلى ظلمة السجون.

الجمعية الاقتصادية

وجهنا أفكار بعض الشبيبة إلى جمعية النهضة الاقتصادية العربية، لأنها تجمع كلمتهم وتفتح أمامهم السبيل لخدمة محيطهم وإعادة شيء إلى عكا من نضارتها الاقتصادية السابقة، فألفينا في كثير منهم رغبة للعمل.

الحاكم الإداري

لم يسعفنا الحظ لزيارة الحاكم الإداري مع أننا سمعنا عنه ما ولد فينا رغبة زائدة لزيارته، فقد قيل لنا عنه إنه عامل مجد يطوف كل أنحاء قضائه ويدرس أحوال الأهالي الاجتماعية والاقتصادية، ويرغب في نهضتهم الحقيقية حتى صرنا نتمنى زيارة عكا مرة ثانية في أول فرصة للبحث معه في هذه الشؤون ولتأليف فرع للجمعية الاقتصادية.

الشيخ المتقاعد

في عكا شيخ كبير، ومن لا يعرف سماحة الأستاذ أسعد الشقيري[7] الخطيب المفوه

---

[7] - ولد اسعد الشقيري في مدينة عكا بفلسطين عام 1860، وفي عام 1875 رحل إلى الأزهر وواظب على حلقات دروس الشيخ جمال الدين الأفغاني ثم الشيخ محمد عبده، وبعد إنهاء دراسته في الأزهر عاد إلى عكا والتحق بالقضاء الشرعي، وفي سنة 1905 انتقل الشقيري إلى الأستانة وهنالك تعرف إلى الشيخ السوري المتصوف ابو الهدى الصيادي واصبح من مقربيه فعينه اميناً من امناء مكتبة السلطان عبد الحميد ونتيجة لنشاطه السياسي وصلاته ببعض زعماء الإصلاح، امثال عبد الحميد الزهراوي، اوجس السلطان عبد الحميد خيفة منه فأمر باعتقاله وإبعاده إلى قلعة تبنين في جنوب لبنان وبعد إعلان الدستور العثماني سنة 1908، افرج عنه فعاد بعائلته إلى عكا، ورشح نفسه لعضوية مجلس المبعوثان العثماني فانتخب واصبح ممثل عكا في المجلس، وفي استانبول جدد علاقاته برجال حزب الاتحاد والترقي امثال احمد جمال باشا وانور باشا وطلعت باشا، فانضم اليهم واصبح من اركان هذا الحزب، وبعد إعلان الحرب العالمية الأولى عام 1914 عُين الشيخ اسعد الشقيري مفتياً للجيش الرابع واصبح احد المقربين من قائده جمال باشا، وراس في تلك الفترة البعثة الإسلامية العربية التي خرجت من دمشق عام 1915 لتعلن ولاء اهالي الشام للدولة العثمانية، وقد ارتبط اسم الشيخ اسعد ايام الحرب العالمية الأولى بقضية إعدام احرار العرب الناشطين في الجمعيات القومية والوطنية، حيث اتهم بانه وشى إلى جمال السفاح ببعض هؤلاء واوغر صدره عليهم فكان من الطبيعي ان يذكر له هذا الدور وان تهاجمه

والرجل المحنك. زرناه أكثر من مرة وبحثنا معه أنه لا يليق بمثله من أصحاب الأدمغة الكبيرة إلا أن يصرف بقية حياته في خدمة وطنه، وأنه ينفع الوطن كثيراً إذا كرس نفسه لخدمته، فبين لنا أسباب تقاعده ولعلنا نعود إلى الكتابة عنه إذا أذن لنا أن نتكلم بملء الحرية، فنقول كل ما نعرف عن حسناته وننتقد ما نظن أن المصلحة الوطنية تقضي علينا بانتقاده، ونظنه لا يضن علينا بهذه الحرية التي تقتضيها الصحافة الوطنية.

السجون

لم نتفقد حالة السجون، مع أن هذا كان في مقدمة واجباتنا كصحفيين ولكننا سألنا عنها فعلمنا أن الحكومة الحالية أحدثت فيها تحسيناً يستحق الذكر، وسنزورها إن شاء الله في زيارتنا الثانية لعكا[8].

عكا المعطلة

اقرؤوها كلكم

في عكا كما في حيفا وسائر المدن السورية والعربية، كثير من المقاهي أو دور المقامرة بصورة مصغرة أو نوادي الكسل والبطالة والمراسح[9]، التي تقتل فيها المواهب

الصحافة الفلسطينية فيما بعد وقد تبرأ من تلك التهمة وداقع عن نفسه، وكذلك فعل نجله أحمد الشقيري ومجموعة من علماء دمشق استشهدت بمذكرات جمال باشا نفسه لإثبات البراءة ولما انسحب الجيش العثماني من فلسطين لجأ أسعد الشقيري إلى مدينة أضنة في تركيا وأقام بضعة شهور لدى أهل زوجته إلى أن هدأت الحال، فانتقل إلى حيفا وهناك بادرت السلطات البريطانية إلى اعتقاله بحكم صلاته الودية بالمسؤولين الأتراك، فنقلته إلى معتقل (أبي قير) بالقرب من الإسكندرية حيث بقي أربعة عشر شهراً، فعاد إلى عكا عام 1921، وبقي بضعة شهور يثبت وجوده لدى الحاكم العسكري البريطاني حتى إنشاء حكم الانتداب المدني كان الشيخ أسعد الشقيري في بداية حكم الانتداب من أجدر الناس علماً وثقافة، فلما تسلم الحاج أمين الحسيني رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى لم يعطه مكاناً في الحركة الوطنية، فانضم إلى صفوف المعارضة وبقي حتى سقوط الإمبراطورية العثمانية مؤمناً بالفكرة الإسلامية العثمانية مدافعاً عنها ومعادياً لحركة القومية العربية، وكان لانضمام الشقيري إلى صفوف المعارضة أثر كبير في الجليل وشمال فلسطين، فقد أصبح هذا الجزء من فلسطين من أقوى معاقل المعارضة للمجلسيين، ودعم الشقيري (الحزب الوطني العربي) وتنظيمات (الجمعيات الإسلامية الوطنية) المعارضة للجنة التنفيذية وللمجلس الإسلامي برئاسة آل الحسيني [أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800 ـ 1918)) عادل مناع مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثانية، 1997، بيروت، ص225 ـ 228 أعلام الفكر والأدب في فلسطين) يعقوب العودات الطبعة الثانية، 1987، ص318 319]

[8] - الكرمل ـ السنة التاسعة ـ العدد 848 ـ 30 أيلول عام 1922.

[9] – المراسح هي المسارح، وكانت هذه التسمية شائعة في نهايات القرن التاسع ومطلع القرن العشرين

العقلية وتهلك القوى العملية. إنك تكاد لا تمشي بضعة أمتار حتى تجد واحداً من هذه الملاجئ، ملاجئ البطالة والبلادة، ومن المستهجن أنك كثيراً ما تجدها في الشارع وعلى قارعات الطرق، وفي محلات أقل ما يقال فيها إنها غير صحية. يدخل إليها الناس كبيرهم وصغيرهم بكل جرأة ويجلسون على كراسيها غير مبالين، كأن العادة أنستهم ما في ذلك من خسائر مادية وأدبية، وضياع القيم وقتل أفكارهم وحياتهم والتعود على البطالة، وكأنهم تناسوا عن أنهم أبناء أمة كريمة ذات مجد وتاريخ، وقد خلقوا ليعملوا في الدنيا ويتركوها لمن يأتي بعدهم خيراً مما تركها لهم من تقدمهم؛ خلقوا ليعيشوا وليؤمنوا سعادة عائلاتهم، خلقوا ليكونوا في هيئتهم الاجتماعية شيئاً مذكوراً لا كمية خاملة تأكل وتشرب وتنام وتقوم وتتصرف بما لا تعرف، فتموت كما خلقت، فينطفئ ذكرها من الوجود.

لو فكر «مرضى المقاهي» وزبائن الحانات قليلاً قبل أن يدخلوها فيما يضيع من أوقاتهم، وفيما يقتلون من هممهم، وفيما يخسرون من ثمرات أعمالهم فيها، ولو تأملوا فيما كانوا يربحون، لو صرفوا هذه الأوقات في مطالعات الكتب النافعة ودرس العلوم العملية وفي الأعمال والألعاب التمرينية بعد التعب من الأمور الفكرية، لأدركوا أنهم يرتكبون في المداومة على المقاهي أعظم الجنايات على عقولهم ومواهبهم وابدانهم وآدابهم وذويهم وأوطانهم، وعلى الإنسانية والدين.

ولو قارن كل واحد من زبائن المقهى بينه وبين من كان يماثله في صغره من العاملين المجتهدين، سواء كان عاملاً أو مزارعاً أو صانعاً أو تاجراً أو عالماً، وتأمل في أن ما حصل بينه وبين ذلك المُجد من التفاوت إنما هو كسله واجتهاد المُجد، لهاله الأمر واختط لنفسه سبيلاً وانصرف حالاً إلى العمل بنشاط ليصلح ما فرط من عمره، ويسترد ما خسر من عمله.

الأعذار

قد يدعي البطالون عن الأعمال لأنفسهم عذراً، يقولون: إن الأعمال تحتاج إلى الأموال ولو وجدناها لعملنا، من غير أن ينصحنا صاحب الكرمل، فنحن لا نلجأ إلى المقاهي إلا مضطرين. كلا إن الأموال لا تحصل بغير الأعمال، ولو توفر منها ما يصرف كل يوم في المقاهي وعلى الألعاب والثياب الناعمة لتألف منه رأسمال كبير، ولكن هذا يحتاج إلى منظمين عقلاء أمناء سنتكلم عنهم، فضلاً عن أنه يوجد أصحاب أراضٍ وبساتين في عكا أهملوها لأنهم لا يجدون رأسمال كبيراً، فلو أن هؤلاء وفروا ما ينفقون

بسبب البطالة وذهبوا هم ومن استطاع من عائلاتهم كل يوم، واشتغلوا في بساتينهم لصارت بعد سنتين تعوض عليهم، إذا أضيف إلى ذلك ما يقتصد من النفقات غير الضرورية، ما يمكنهم من تعميرها كلها، كما أنه يوجد كثيرون من ذوي العلم الناقص يستطيعون أن يتخصصوا في أحد الفنون، فيستفيدون منه ويفيدون المجتمع. وخلاصة القول: إن الراغب في العمل لا يعدم وسيلة تمكنه منه، ولكننا نحن الشرقيين تعودنا أن نطلب السعادة والمادة عفواً وهما لا يبتسمان لغير العاملين المجدين.

المثال الناطق

في قصر البهجة إلى جانب العكيين مثال ناطق. أقام في ذلك القصر حضرة البهاء الذي قام بفكرة دينية جديدة لقي في سبيل إعلانها صعوبات واضطهادات، ولكنه كان عالماً عاملاً حصل على مكانة رفيعة، وبما أن نجله السر عبد البهاء عباس كان عاملاً مجداً، احتفظ بمكانة والده ووسع نطاق دعوته، أما شقيقه المطالب بالزعامة اليوم فلو أنه استطاع في غضون هذه المدة الطويلة أن يسمع العالم صوته بنشريات مملوءة علماً وفلسفة ومنطقاً هو ثمرة جد واجتهاد لا قعود وجمود، لما استطاع، على ما نظن، خصومه أن ينازعوه. ولما كان دون والده وأخيه مقاماً، لا الناس ولا السعادة ولا الشهرة ولا المال ينقادون للمتقاعد الذي يطالب أن يحترم لأن أباه كان فذاً، فالمرء أعماله ترفعه وتهبط به، ومن يحاول قتل أرواح الناهضين وإخفات الأصوات التي تريد أن تتعالى، فنتيجة عمله تعود عليه.

من المسؤول

في عكا شيوخ أفاضل بلا شك، هناك الشيخ الشقيري، وهو رجل كبير الدماغ قوي الإرادة واسع الخبرة والتدريب، ولكنه يحتاج إلى جعل الناس يثقون به وإلى الخروج من التقاعد إلى العمل.

وفيها مفتيها العالم الديني، وقد أدهشني ما رأيت من إقبال عموم الناس على تقبيل يده، وإني أمقت هذه العادة لأنها على ما أظن تصغر النفوس، ولست أعلم إذا كانت مألوفة في صدر الإسلام، لكنها تدل على احترام الناس للرجل وهي دلالة طيبة.

وفيها الشيخ العكي، وهو من كبار علماء الدين ورجال الاقتصاد والخبيرين، وفيها رئيس بلديتها السيد عبد الفتاح السعدي، رجل عامل ومحبوب، وفيها غيرهم من رجال الشأن، وفيها شبيبة نشيطة، فهؤلاء مسؤولون في نظر الدين والإنسانية والمصلحة عن

مقاومة البطالة، والاجتهاد لرد نضارة عكا إليها باستثمار قوى أهلها العلمية ومواهبهم، وأهل عكا فيهم قابلية كأفضل سائر المدن السورية للعمل، لأنهم لم يعاشروا سوى النفوس الكبيرة وهم أبناء تجار طبيعيين.

استبدلوا

فليقم هؤلاء، وليساعدوا على تنظيم الجمعيات الاقتصادية والأدبية والعلمية، ويستبدلوا المقاهي بالنوادي، فلا تلبث حالة عكا أن تتبدل، وإذا لم ينهض الشيخ للعمل فلينهض الشاب، فالمستقبل يبتسم لهم فلا يقابلوه هم بوجه عبوس. تحتاج النهضات إلى إرادات قوية تقاوم العقبات وتدوس العراقيل التي يضعها الرجعيون بأقدام الجرأة الأدبية، ولا تقوم هذه العراقيل غالباً إلا في بدء الشروع بالأعمال، فإذا غُلبَتْ[10] لأول مرة اضمحلت وإذا غلبت قتلت أرواح الناهضين واستبدت فيها، إن الجمود الأكبر برهان على سكون النفوس وفتور الهمم وضعف العزائم[11].

إلى بيسان

في الساعة السابعة من صباح الخميس الماضي [5 تشرين الأول 1922م] صفر البخار فسار بنا القطار ينساب كالأفعى في طرق سهل فينيقيا[12] ذات الشهرة التجارية التاريخية الواسعة، وإلى جانب جبل الكرمل الجميل.

بين بقايا غابات النخيل الذي يذكر بمجد فينيقيا التليد وبين الكرمل الشامخ، الذي يسخر بأمواج البحار ويرد سفحه هجماتها فترتد طلائعها على الساقة فتحكم بعضها تحطيماً فترغي وتزيد مقهورة، وعلى قمته أشجار الصنوبر تتلاعب الرياح بأغصانها فتتلاثم وتبتسم كأنها عالمة أنها في مأمن من عاديات الخطوب، فلا تبالي ببحر يحدجها بعينه الزرقاء وتتلاطم أمواجه وترغي وتزيد عند أقدام حصنها المنيع، فكأنها تقول إن كيدها في نحرها وغضبها يضمحل تحت أقدام الكرمل الذي يهزأ بالعصور ويطويها طياً. وبين بقايا غابات

---

[10] - في النص: انغلبت

[11] - الكرمل . السنة التاسعة . العدد 849 . 4 تشرين اول

[12] - حسب التقسيمات البيزنطية كان جزء من شمال فلسطين اي الجليل الأعلى يقع ضمن ولاية فينيقيا اللبنانية

النخيل التي تحمل في طياتها صفحات تاريخية مطوية لو تصفحها العربي الحساس لوجد فيها دروساً وعبراً لوجدان بلاده؛ أم العجائب أم المدنية، أم التجارة، أم العلوم، أم الشعر الخالد، ومهد الأديان، ولاستخرج من هذه العبر قوة نفسية تدفعه إلى الأمام بقوة تولد العظمة في صدره، فيرى نفسه غير ما هو، أو بالأحرى يرى أنه يجب أن يكون غير ما هو، فيتأهب ليجعل نفسه خليقاً ببلاده وبأمته، جديراً ليخط بأعماله صفحة مجيدة في تاريخها.

استيقظي أيتها النفوس الحية، ولا تجبني أيتها القلوب الكبيرة، فالجبان والجريء مصيرهما إلى القبر، ولكن هذا تخلده أعماله فتمجده الأجيال؛ وذاك رائحة حياته كرائحة جثته في القبر منتنة.

مرج ابن عامر

اجتاز القطار وادي الملح، حيث كان مضرب ياعيل امرأة جابر القيني[13] التي دعت سيسرا رئيس جيش يابين الذي كان فاراً من وجه أعدائه وسقته لبناً، ولما اطمأن لها حسب عادات البلاد نام من التعب، فجاءت بمخّاط[14] الخيمة وبمطرقة، وضربت المخاط في صدغه فمات ودفعته لأعدائه. فمهما كانت أخلاق الأمم راقية وتقاليدهم طيبة فهي لا تخلو في دور من الأدوار من أناس كامرأة جابر القيني، والأمة العربية لا تخلو من نفر هذا شأنهم اليوم.

اجتاز القطار الوادي إلى مرج ابن عامر الخصيب. لا نود الآن ذكر تاريخه وطوره وحرمونه ويزرعيله[15] ووقائعه الحربية المشهورة، ولكننا نقول والأسف ملء صدورنا، إنه مر على احتلال الإنكليز أكثر من ثلاث سنين ولم نر أثراً من التقدم العمراني في هذا المرج، فالأراضي لا تزال كما كانت، وحالة القرى على عهدها إن لم يكن ظهر عليها الفقر أكثر من قبل، فضلاً عن أن الحركة التجارية مفقودة في المحطات مع أنها كانت حية قبل

---

[13] - ياعيل: اسم ساميٌ معناه (وعل او ايّل) امراة جابر القيني (قض 4: 17)، وكان قد هرب سيسرا، قائد جيش يابين الى خيمتها بعد انهزام جيشه، معتمداً على الصلح والصداقة، التي كانت بين جابر ويابين ويظهر ان خيمتها كانت منعزلة عن خيمة زوجها فالتجأ إليها سيسرا املاً بالأ يدخلها احد، فرحبت به ياعيل، وقدمت له لبناً ليطفئ عطشه وعندما اخذ الكرى بمعاقد جفنيه هوت بوتد على صدغه وقتلته (قض 4، 21)، إن عملاً كهذا كان تعدياً على قوانين الضيافة، التي عرفها القدماء، وانتهاكها لحرمتها، ولكن الذين ذاقوا الأمرين من يابين وسيسرا رحبوا بعملها وامتدحوه (قض 5، 6 و 24- 27)، [قاموس الكتاب المقدس]

[14] - المخّاط بتشديد الخاء: المسلّة الكبيرة التي تستخدم لخياطة الأقمشة السميكة

[15] - اي جبل الطور او كما يسمى جبل طابور وجبل حرمون وسهل يزرعيل، وهي اسماء مواضع مشهورة في التاريخ القديم

الحرب في مثل هذا الفصل، وإنما الذي استوقف نظرنا أن القطار صار يقف أمام الجالود إحدى القرى التي اشتراها الصهيونيون من نجيب بك سرسق[15] قبل أن يعمر اليهود فيها حجراً ومدُّ إليها الخط الحديدي.

اجتزنا كل هذا السهل الذي يجب أن يكون ينبوع ثروة فلسطين، وإذا هو مع الأسف متشح بوشاح الذل والفقر، وليس عليه علامة أو مظهر من مظاهر العمران والمدنية.

تذكرنا حديثاً جرى بيننا وبين أحد علماء الإنكليز الدكتور بوين من قبل نحو عشرين سنة، إذ مررنا وإياه بهذا السهل، فقد قال لنا يومئذ لو كانت هذه الأراضي تحت إدارة إنكليزية لكنت تراها جنات، قلنا مهلاً يا سيدي فعندنا مثل يقول (يا رب شيلنا يا رب حطنا يا رب خلينا كما نحن).

فقال ماذا تعني أتكره العمران وأنت متعلم ومتنور؟ قلت كلا لو جاءنا الغربي وفلاحنا على ما هو عليه لا يعرف قيمة أراضيه وما فيها من الكنوز المخبأة، فإن الغربي يخدعه ويشتري أراضيه بأثمان بخسة ويعمرها لنفسه ويستخدمه فيها أجيراً أو عبداً. قال كلا إن الإنكليز يرقونكم ويعلمونكم كيف تعمرون بلادكم.

قلت أخشى مع حسن اعتقادي بالإنكليز أن يكون الغربي على العموم مادياً أكثر منه عطوفاً فلا يهتم بغير جني المادة لنفسه.

فقال إن هذا القول لا يخلو من الحقيقة. وها نحن أولاء نرى نرى نبوءتنا تطابق الواقع[16]، فقد فاجأنا الغربي بمدنيته، فانخدعنا بها وشرعنا نقلد مظاهرها الخارجية في المأكل واللباس وتعاطي المشروبات الروحية، فزادت نفقاتنا على دخلنا كثيراً لأننا لم نتعلم منه شيئاً جوهرياً لترقية الزراعة، وهذا سبب من أسباب أزمتنا الاقتصادية التي تحمل الناس على بيع أراضيهم بأثمان بخسة ليصيروا غرباء في أوطانهم.

اتمنى أن يطَّلِعَ المنصفون من البريطانيين على ملاحظاتي هذه، ويعملوا على إزالة الشبهات إذا رأوني محقاً وكان ذلك في إمكانهم.

---

[15] - احد الملاكين اللبنانيين الذين كانوا يملكون اراضي في فلسطين حصلوا عليها في اثناء عملهم امناء خزينة لدى الولاة العثمانيين وقد طوب هؤلاء مساحات كبيرة من الأراضي الأميرية خلال العقود الأخيرة من العهد العثماني وقد كتب نجيب نصار في عدد الكرمل الصادر في يوم 16 تشرين الثاني (نوفمبر) 1920م حول بيع نجيب سرسق الأراضي للصهاينة: (كنا نتوقع من بعد الاحتلال ان يتمثل سرسق وغيره من اغنيائنا المحترمين باغنياء اليهود ويناصروا الوطنية والوطنيين كما يناصر زعماء اليهود الصهيونية كنا نتوقع أن يشرع سرسق من بعد الاحتلال بعمليات زراعية فنية في مزارعه، وان يفتح لها مدرسة زراعية ليرقي الفلاح فناً ومادة ويستفيد هو فوائد كبرى من زراعته، وإذا هو يهتم بكل قواه ليبيع هذه القرايا للذين ينازعون قومه البقاء في وطنهم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً)

[16] - في النص: وها اننا نرى نبوءتنا تتطبق

نـزل بنـا القطـار مـن مـرج ابـن عـامر إلى وادي الأردن أو الغـور الخـصيب، الـذي هـو أعجوبة من عجائـب الزمـان، لـيس فقـط بخـصب أراضـيه، بـل بكونـه منخفـضاً مـن سـطح البحر كثيراً، فأوطأ نقطة فيه هـي بحـر لـوط أو البحـر الميت، وهـي أوطـأ نقطـة في العـالم يعلو سطح البحر عنها نحو ألف وثلاثمائة قدم.

وصـلنا إلى بيـسان وهـي عاصـمة الـديكابوليس أو المـدن اليونانيـة العـشر، وسـنكتب عنها وعن الغور في مقال آخر[17].

عاصمة الديكابوليس

يظهر أن بيسان كانت عاصمة قديمة جداً فلقد جاء في التـوراة أن جثـة شـاؤول أول ملـك مـن ملـوك بـني إسـرائيل وأولاده سمـرت علـى أسـوار بيـسان بعـد أن سـقطوا قـتلى في معركـة كـبرى جـرت بينـهم وبـين الفلـسطينيين في الأراضـي الواقعـة بـين زرعـين وبيـسان وجنين، وذكرت التوراة أن شـاؤول بعـدما جـرح جرحـاً بليغـاً سـقط علـى سـيفه فمـات علـى جبال جلبوع مخافة أن يقتله الفلسطينيون.

وقد كانت بيسان[18] عاصمة الديكابوليس[19] وقد كانت كلها ما عدا بيسان واقعة في شـرقي الأردن، ومنـها أم كـيس [أم قـيس أو مكـيس] الـتي جعلـتها حكومـة شـرقي الأردن مركز قائمقامية بني كنانـة الجديـدة، وجـرش، وعمـان، اللتـان يـسكنهما الجـركس[20]، وقـد اتخذت حكومة الشرق العربية مدينة عمان قاعدة لها.

---

[17] . الكرمل . السنة التاسعة . العدد 851 . 11 تشرين اول

[18] - ورد ذكر بيسان في المصادر القديمة مثل رسائل تل العمارنة والعهد القديم، وفي العصر الهلنستي اصبحت عاصمة اتحاد يضم عشرة مدن دعيت باسم الديكا بوليس وكان اسم بيسان وقتها قد اصبح سكيثوبوليس وقد أقر الزعيم الروماني بومبي ما كان بين هذه المدن من تحالف وظلت كذلك إلى العصر البيزنطي وكشفت الحفريات الأثرية المعالم المركزية للمدينة الكلاسيكية في بيسان :المسرح، الهيبودروم وال(كاردو) اي: الشارع الرئيسي

[19] - كان حلف الديكابوليس في أيام اليونان والرومان، يضم عشرة مدن هي سكيثوبوليس (بيسان) وهي العاصمة وجيراسيا (جرش) وبيلا (طبقة فحل) وجدارا (أم قيس) وهيبوس (سوسيا) وأبيلا(القويلبه) وديون (ذيبان) وديون (تل الأشعري) وفيلادلفيا (عمان) وقنانا (القنوات) وهناك مدن اخرى انضمت لهذا التحالف حتى بلغت العشرين مدينة ويقال إن دمشق دخلت هذا الحلف في فترة من الفترات

[20] - أسكن العثمانيون الجركس المهاجرين من شرقي اوروبا بعد هجرتهم قبل ذلك بسنوات من شمالي القفقاس، اسكنوهم في شرق الأردن والجولان وقريتان في فلسطين هما كفر كما والريحانية عام 1878م

ومن رأى أم كيس وجرش وعمان وتأمل في آثارها وأسواقها الطويلة المرصوفة والتي لا يزال أثر سير العجلات ظاهراً على بلاطها، والتي لا تزال الأعمدة الكثيرة قائمة على جوانبها ورأى بقايا الهياكل العظمية والملاعب الفسيحة يعلم أن بيسان كانت من أعظم المدن القديمة ذات العظمة والمدنية.

وربما اختارها اليونان من دون المدن التسع الأخرى عاصمة لهم؛ بالنظر إلى مركزها المتوسط في وادي الأردن الخصيب الذي كان يستثمر في ذلك الحين، ونظراً إلى كثرة مياهها ولتكون مركز الاتصال بين البلاد الواقعة شرقي الأردن والبلاد الواقعة إلى الغرب منه.

لا يوجد من آثار عظمة بيسان اليونانية ما هو ظاهر على سطح الأرض كما في جرش وأم كيس وطبقة فحل، ولعل السبب في ذلك أن المتأخرين استخدموا ما كان باقياً من المباني ونقلوه إلى أماكن أخرى، أو لعله مدفون في باطن الأرض، وإنما يوجد من تلك الآثار بقايا الأكريوليس أو الحصن على التل القائم إلى جهة الشمال من المدينة الحالية، وقد بدأت جمعية أثرية بالحفر على ذلك التل، فاكتشفت طبقة من الأبنية العادية، وربما يرجع تاريخها إلى عهد الدولة الإسلامية، وربما كانت قائمة فوق المباني اليونانية القديمة.

ليس من هدفنا التوسع في تاريخ بيسان وآثارها لأن ذلك من خصائص المجلات العلمية والتاريخية.

بدأت اهمية بيسان الحالية من تاريخ استيلاء السلطان عبد الحميد، الذي استولى على أراضي الغور فقد أقام فيها علي منصور بك أحد مديري الجفالك [المزارع] السلطانية بعض المباني، وأخذت بيسان تنمو من بعد مد الخط الحديدي الحجازي. ولقد بنى سوقها الحالي وبعض الأبنية الكبيرة نوري بك أحد المديرين الذي جاؤوا من بعد علي منصور بك، وكان نوري بك رجلاً عمرانياً فجعلها بندراً لتجارة الحبوب، وسوقاً لتجارة أهالي الغور الذين كانوا يشترون لوازمهم من عكا والناصرة وطبريا، فقصدها التجار من الناصرة وطبريا ونابلس والشام وعمروها، فصارت بندراً يزاحم الناصرة وطبريا وعكا.

عمران بيسان

يبلغ عدد سكانها اليوم نحو ثلاثة آلاف نسمة، وفيها مدرستان أنشأتهما الإدارة المحتلة واحدة للصبيان عدد تلامذتها ستون تلميذاً، وأخرى للبنات فيها نحو 35 تلميذة، ولعل سبب قلة الطالبات هو لأن أحد معلمي مدرسة الصبيان يعطي درساً بالعربية في

مدرسة البنات، وهذا مما يجعل كثيرين من المسلمين يمتنعون عن إرسال بناتهم إلى المدرسة، فليت الحكومة تنتبه إلى إصلاح هذا الخلل مراعاة للشعور.

مررنا أكثر من مرة في السوق فرأينا المخازن والدكاكين في حالة غير مرضية، ويمكننا القول إن حالتها العمرانية كانت في عهد الحكومة العثمانية أفضل كثيراً مما هي عليه الآن، وذلك لأن دائرة الأشغال العمومية لا تأذن بإنفاق شيء مما تتقاضاه الخزينة من أجرة المنازل والمخازن حتى تصرفه على الترميم، فإذا بقي الحال على هذا النمط فمصير هذه الأبنية إلى الخراب.

المواصلات

يربط الخط الحديدي الحجازي بيسان بحيفا والشام، ولا واسطة أخرى غيره للمواصلات لأنه لا يوجد طرق معبدة تصل بيسان بالناصرة، أو بشرقي الأردن، أو بنابلس، أو بالقرى المجاورة، ففي فصل الشتاء إذا كثرت الوحول تنقطع المواصلات بين بيسان وما حولها إلى أن تجف الوحول.

ومن الغريب أن نوري بك كان قد شرع بتسوية الطريق الترابية بين بيسان وطبريا وقد اندثرت هذه التسوية اليوم.

قضاء بيسان

يتبع قضاء بيسان 23 قرية للفلاحين و19 قناة لعشائر الصقر والغزاوية والبشاتوة، وأربع مستعمرات جديدة لليهود نشأت بفضل بيع نجيب بك سرسق أراضيه للصهيونيين.

تبلغ واردات الخزينة من بيسان وقضاها نحو عشرين ألف ليرا سنوياً، تنفق منها الإدارة نحو ستة آلاف ليرا على معاشات موظفي الإدارة والبوليس. وفي القرى أربعة مدارس، صغيرة للذكور، في قرى سيرين والطيبة وقومية والرصض، فيها كلها نحو 80 تلميذاً أما عدد سكان القضاء فيبلغ نحو 13 ألف نسمة، فالمدارس بالنسبة لعدد السكان قليلة جداً.

الأمن العام والحاكم

تحسنت حالة الأمن العام تحسناً ملموساً بعد أن عهدت الإدارة بشؤون بيسان إلى حاكمها الإداري الحالي نجيب بك الماضي، فهو رجل عالم فاضل حسن الإدارة له خبرة

بتقاليد العشائر وعادات الأهالي، ويحسن التوفيق بين هذه التقاليد والعادات والقوانين الموضوعة، ولذلك فقد انخفضت في بيسان السرقات والتعديات والغارات والجنايات، وذلك لوجوده هناك، ونأمل بعد أن يستتب الأمن تماماً على يده أن ينصرف إلى ترقية بيسان وقضائها[21] أخلاقياً وعمرانياً وزراعياً، ولا سيما بمناسبة وجود مهندسين زراعيين غيورين وهما السيدان جبران كزما ويوسف زمريق.

بينما نحن نكتب هذه القطعة عن الأمن أخبرنا السيد جبران كزما أن اللصوص قد هجموا على مزرعته قبل بضعة أيام وضربوا الحراثين الذين استيقظوا فجأة فطاردهم السيد جبران مع أهل المزرعة وهم عزل من السلاح، وإن يكن هذا ليس غريباً في الغور؛ ولكننا نأمل من السيد الماضي الساهر على الأمن أن يدقق في البحث عن مثل هذه الحوادث لمعرفة اللصوص ومعاقبتهم تأديباً لهم وإرهاباً لغيرهم.

مستقبل بيسان

ينعت المؤرخون القدماء غور الأردن بأنه كان مطحنة سوريا، ويصف يوسيفوس[22] غابات النخيل بأنها كانت من أعظم الغابات وأكثرها ويقول إن شجر الحناء كان يزرع بكثرة فيه، ومن يتفقد الغور يرى أن الرومانيين كانوا يعتنون عناية كبرى بأنظمة الري التي لا تزال آثارها شاهدة على تلك العناية العظيمة وعلى ما كانت عليه أراضي البلاد من العمران.

أما في عهد الصليبيين والإسلام فقد كان قصب السكر يزرع بكثرة في الغور، ولا تزال طواحينه ومعاصره هنا، وهناك شواهد على ذلك.

خلاصة القول: كل ما هنالك من الشواهد التاريخية والأثرية والحسية تدل على أن الغور أخصب بقعة من بقاع العالم، ومن يشاهد الأشجار الباسقة الموجودة ويسأل عن عمرها يعجب لمقدرة التربة والمناخ على إنماء الأشجار والمزروعات بهذه السرعة الغريبة، فعندنا أن بيسان يجب أن تكون بمركزها هذا قاعدة تجارية عظيمة الأهمية، ولا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا صارت مدرسة زراعية علمية، وفي وسع الحاكم الإداري نجيب بك الماضي بمعاونة جمعية النهضة الاقتصادية العربية التي تألفت حديثاً في بيسان، وشركة كزما وزمريق الزراعية الفنية أن يحدثوا انقلاباً عظيماً في حالة بيسان الزراعية، ويكونوا

---

[21] - في الأصل: قضاها.

[22] - مؤرخ يهودي معروف اسره الرومان بعد احتلالهم القدس وكتب كتاباً اسماه حروب اليهودية

سبباً لنهضة الزراعة في الغور وما حواليه، وأن ينفوا عن الأمة العربية التهمة بالكسل وبعدم الرغبة في التجديد والعمل للعمران وسنكتب في هذا الموضوع فيما بعد[23].

ليلة في بيت الشعر

ما كاد القطار يقف بنا في محطة بيسان حتى استيقظ حنيننا إلى بيت الشعر، وكيف لا يحن العربي إلى مضارب أسلافه بالأمس وأخوانه اليوم، مضارب تهب الرياح فيها، بيوت فيها بقية من الحرية الطبيعية التي تأنف ذلة الحضارة التقليدية وعبودية المدنية المصطنعة. مضارب لا يزال سكانها الأكارم يقرون الضيف ويحمون الدخيل. مضارب يلوذ بها الطريد ويلجأ إلى حماها الضعيف. أهلها يتوارثون الشمم والإباء عن أب وجد، فيهم حفظة التقاليد العربية بل هم صفحات تاريخية مفتوحة يقرأ فيها المجرب بعض بقايا المكارم العربية.

صرفنا يومين في بيسان ونحن على أحر من الجمر شوقاً لزيارة البيوت التي أوتنا في أحرج الأوقات وأشدها خطراً، ثم زرنا بيوت البشاتوة، فحيتنا الوجوه (الصبوحة) التي من عادتها أن تلاقي الضيف باسمة، والعدو عباسة، فنزلنا فيها ضيوفاً واجتمعنا بالشيوخ علي الشمالي وضاهر وفايز المثقال، وصرفنا ليلة تذكرنا فيها المروءة والوفاء المتوارثة عن الأقدمين والمحتفظ بها في تلك المضارب التي صار يحسبها مقلدو المدنية الحديثة مضارب الهمجية والتقهقر، مع أنها في الحقيقة بيوت تحفظ التقاليد الطيبة، التي لو صقلناها لبانت منها مدنية حقيقية تتمثل فيها مكارم الأخلاق والسذاجة الطبيعية التي يجب أن نفاخر بها المدنية الغربية المادية، تلك التي جعلت أصحابها كما قال روزفلت وحوش مال وعبيد شهوات.

لا بد من ذكر حادثة صغيرة للقراء كشاهد على عظمة الشهامة العربية. لما شدد جمال باشا الكبير في طلبنا لآخر مرة في زمن الحرب وأرسلت الولاية قائمقام حيفا ليتعقبنا ثم أتبعه بمتصرف عكا، خرجنا من الناصرة ولما وصلنا إلى خيمة الشيخ علي الشمالي أخبرناه بالتشديد في طلبنا، وقلنا له إن بقاءنا عنده خطر علينا وعليه، وخصوصاً لأنه شيخ طاعن في السن، وسألناه أن يمدنا برأيه إلى أي جهة نذهب ونتوارى بشرط أن لا نخرج من البلاد مخافة إلحاق الأذى بأصدقائنا وذوينا، فرأينا من هذا الرجل غيرة شديدة لأنه ألح على بقائنا عنده وأظهر مخاوفه علينا من ذهابنا إلى

---

[23] - الكرمل - السنة التاسعة - العدد 853 - 18 تشرين اول

أي جهة أخرى واستعداده لتلقي كل ما يلحقه من الأذى بسببنا، وعبثاً كنا نراجعه في كل يوم ونحاول إقناعه بلزوم تغيير المكان فبقينا عنده فترة من الزمن، وبهذه المناسبة نذكر أننا لاقينا مثل هذه الشهامة من كثيرين من العرب الحضريين ولكن ليس هذا محل ذكرها.

طلب منا الشيخ علي أن نقص عليه ما أصابنا بعد ذهابنا من عنده ففعلنا، وبينا له حسن معاملة جمال باشا الصغير ومتصرف عكا وقائمقام الناصرة يومئذ والديوان العرفي مما يحتاج ذكره إلى كراس كبير، وربما وضعناه على حدة إذا وجدنا متسعاً من الوقت، لنبين ما عند أفاضل العرب من النخوة وأكابر الأتراك من حسن التقدير.

ركبنا في الصباح فمررنا بفريق آخر من البشاتوة (كلفونا) لشرب القهوة عندهم ثم «مسكونا» لتناول الغذاء، وكان هناك الشيخ علوان الحنين أحد مشائخ الجبور من بني صخر، وحدثنا العرب بمخاوفهم من مجاورة اليهود العاملين على مشترى أراضي جسر المجامع، فأصغينا لنقف على أحوال سكان بيت الشعر الروحية، وبعد أن أكثر الحاضرون من القول تناول الشيخ علوان الحنين الكلام فقال بلهجة البادية وبساطتها: لا لزوم إلى كثرة الكلام فاليهود لا ينالون منكم منالاً لا ترغبون به، ولا يستولون على أراضيكم على الرغم منكم، بل أنتم الذين تبيعونهم وتعاملونهم وترشدونهم على عوراتكم وشيوخكم، «ونعتقد أنه عنى بهؤلاء الشيوخ عيال ملاك من شيوخ عرب الصقر، ثم قال أليس الشريف هو الذي جلب الإنكليز إلى بلادنا بعقده محالفة معهم، وقد استشارنا لمحاربة الأتراك وسلمونا كميات كبيرة من «دنا الموت» الديناميت، كنا نهدد بها مواصلات الأتراك فقد نسفنا به الخط الحديدي مراراً. فنحن الذين نجلب الغير إلى دارنا. لا تبيعوا بلادكم لليهود ولا تبيعوا أنفسكم لهم فلا يملكون بلادكم، فخيل إلينا أن هذه الكلمات من أبلغ المواعظ.

خلاصة القول: في بيوت الشعر المهملة قوة عربية فطرية، وذكاء طبيعي لا يُستهان به، واستعداد غير يسير لقبول المبادئ الوطنية والاجتماعية والاقتصادية. يجب أن لا يفهم من قولي هذا أن الفساد لم يتسرب إلى أخلاق العشائر التي تسكن في بيت الشعر كلا، ولكنني أقول إن العشائر لا تزال تحتفظ بكثير من الأخلاق العربية الطيبة ويمكن اتخاذ هذه الأخلاق أساساً لإقامة البناء الاقتصادي والاجتماعي الصحيح ولكن هذا يحتاج إلى مجهودات قوية تبذلها الهيئات الإصلاحية العملية. والعمل الإصلاحي بين العشائر التي لا

تـزال علـى الفطـرة العربيـة أيـسر منـه في المـدن الـتي تـسربت إليهـا المـدنيات الأوروبيـة كالإيطالية والإنكليزية والفرنساوية والتركيـة والألمانيـة، فأصـبحت حالها متبلبلـة ولا بلبلـة الناس في حكاية برج بابل المشهورة.

يمكن للهيئات الإصلاحية إذا عملت بجد وإخلاص أن تجمع كلمـة العشائر بسهولة وتحولهـا عـن الانقـسامات والمخاصـمات والعـداوات والـسرقات والغـزوات إلى العمـل في الأراضي بجد ونشاط، وإدخال علم الزراعـة الفني العملـي عليهـا بـصورة تدريجيـة، وهـذه العشائر الـتي لا تـزال بعيـدة عـن الترفـه والتعـرف وقانعـة بالمعيشة البـسيطة إذا اجتمعـت كلمتها وانصرفت قواها إلى العمل، تعيش عيشة وطنيـة اقتصادية صـحيحة، وتكون كتلة وطنية منيعة في وجه المطامع الغربية، فواجبات اللجنـة الاقتصادية التي تألفت حديثاً في بيسان وسائر الجمعيات الوطنية عظيمة، فإذا قامت بها خدمت البلاد خدمة جليلـة، وإذا أهملتها ارتكبت جناية وطنية كبرى.

مدارس العشائر

مـن الأمـور المحزنـة عـدم وجـود مدرسـة واحـدة للعـشائر تعلـم الأولاد القـراءة والكتابة وبعض أصول الزراعة والقواعد الاقتصادية الأساسية، لهذا نوجه نظرة الإدارة المحتلة وأنظـار الأمـة إلى أن البنـت البدويـة فيهـا اسـتعداد فطـري للتعلم، وعنـدها مـن الجرأة الأدبية الطبيعية ما يميزها عن البنت في المدينـة، فـإذا اعـتني ولـو بـعض العنايـة بتهذيب وتعليم البنـت البدويـة فـلا تلبـث حالـة بيـت الـشعر أن تتبـدل وتتقـوى معنويـات الرجال أيضاً، وتتجلي مواهبهم، لأن تأثير المرأة البدوية علـى الرجل أكثر بكثير من تأثير المرأة الحضرية في الشرق، وليست حادثـة عقيلـة علـي بـن ذيـاب العـدوان الـتي ذكرناهـا شاهداً في أحد أعدادنا السابقة ببعيدة، فـضلاً عـن أن مثـل هـذه الحادثـة ليست نـادرة الوقوع بين العشائر، فالمرأة عند سكان بيت الشعر على الرغم من جهلها مقامها عظيم في نظر الرجال وهـي في بيت الشعر كما في المدن والقرى أساس النهضة، فـإذا لم تـتعلم وتتمتع بقسطها من الحقوق يبقى الشرق حضره وبدوه متـأخرين متقهقرين.

ثم إنه يجب أن لا يبرح مـن ذهـن الحكومـة أن الواجـب يقـضي عليهـا لمراعـاة عوائـد [عـادات] وأخـلاق العربـان كـثيراً في إدارة شـؤونهم وإلا اختـل نظـام معيـشتهم واضـطربت أحوالهم[24].

---

[24] - الكرمل . السنة التاسعة . العدد 854 . 21 تشرين اول

بيسان

اقرؤوا هذه المقالة بإمعان لأنها أنفع لكم من المقالات السياسية المهيجة.

كانت بيسان كما قلنا من أعظم المدن وهي في موقف يؤهلها لأن تصبح مركزاً تجارياً كبيراً غير أن ذلك يحتاج إلى توطيد الأمن توطيداً تاماً بصورة دائمة وهذا على ما يبدو لنا الآن صعب في هذه الظروف السياسية الحالية لأن بيسان واقعة في نقطة قريبة من حدود ثلاث حكومات مختلفة الفرنساوية والعربية والفلسطينية.

ويحتاج أيضاً إلى نهضة زراعية كبرى ويتطلب هذا تغيير الحالة الزراعية من جذورها، وتغييرها يحتاج إلى رؤوس مملوءة بالمعارف وهمم لا تعرف الملل حتى تكون قدوة علمية للأهالي تبدل خمولهم نشاطاً وجهلهم معرفة. تتوفر هذه الشروط في السيدين كزما وزمريق المهندسين الزراعيين ولكن الغور يحتاج إلى أكثر منهما ولكي يتسنى لهما التفرغ للعمل ينبغي[25] الحكومة أن تمد لهما يد المعونة وتسهل لهما الوسائط والسبل وتحافظ على مزروعاتهما كل المحافظة.

قصب السكر

قلنا أنهم جربوا زرع قصب السكر فنجح نجاحاً باهراً في الغور والشواهد التاريخية تغني عن التجربة، فقد كانوا يزرعونه في عهد الرومان والصليبيين والإسلام بكثرة زائدة، ولا تزال مطاحنه وأنظمة الري شهوداً عينية على ذلك. إن زرع قصب السكر إذا كان قليلاً يمكن بيعه بسهولة في الأسواق ولكن متى كثر يقل بلا ريب الاستهلاك، وزرع القليل منه لا يحدث تأثيراً في اقتصاديات البلاد، ولذلك يجب أن يزرع بكثرة ويستخرج السكر منه ويصدر إلى الأسواق الخارجية.

معمل السكر

بعد أن عرفنا أن البلاد تستورد ثمانية أضعاف ما تصدر، وأدركنا من هذه المقابلة أننا سائرون سيراً حثيثاً في طريق الإفلاس، وبعد أن عرفنا أن زراعة الحبوب في أوروبا وأميركا واستراليا تتقدم تقدماً مطرداً، وزراعتنا تتأخر لعدم عنايتنا بها؛ صار من الواجب على

---

(25) - في الأصل: يقتضي على.

المفكرين أن يصيحوا بهذه الأمة النائمة صيحة تذعرها فتنبهها إلى الخطر المحدق بها، ومن الواجب على الجمعيات الاقتصادية أن تبذل كل ما في وسعها لتحمل الأمة على الأعمال النافعة، وتتفاهم مع الإدارة لتحصل منها على التسهيلات والمساعدات التي تكفل نجاح المشاريع التي تنهض باقتصاديات البلاد، ومن الواجب على الصحف أن تؤدي واجباتها وتقديم النصيحة للأمة، وكشف الحقائق وإرشادها إلى طرق دفع الخطر وجلب المنافع.

فالغور كان من معادن ثروة البلاد ولا يزال كذلك، وقد عرفت الأمم المتقدمة كيف تستثمره[26]، أما قومنا اليوم فقد أهملوه كل الإهمال، وخليق بنا أن ننتبه إلى استثمار هذا الكنز ونتعاون على دفع الخطر الاقتصادي عن البلاد، ومن أيسر الطرق وأقربها إلى ذلك زرع قصب السكر بكثرة في الغور، ولكي تحصل الفائدة المطلوبة من هذا الزرع يجب إنشاء معمل لاستخراج السكر من القصب ومن البنجر أو الشمندر الذي يغل كثيراً في الغور، ولكن هذا المعمل يجب أن لا تكون إدارته ملك أيد غريبة لئلا تتحكم بالمزارعين، بل يجب أن يكون تحت إدارة لجنة من مزارعي القصب أنفسهم.

الطريقة الناجعة التي نراها للحصول على هذه المنفعة وضمانتها، أن تتألف شركة مساهمة يكون السيدان كزما وزمريق من أركانها، ويدخل فيها عدد كبير من مزارعي الغور، تتعاطى زرع القصب والشمندر وتجلب معملاً للسكر وتشغله على حسابها، وهذه الشركة يجب أن يكون بينها وبين الحكومة اتفاق على رفع ضريبة الجمرك على السكر الذي يستورد من الخارج لترويج السكر الوطني، وعندنا أن الجمعية الاقتصادية يجب أن تبذل العناية المكثفة لإخراج هذا المشروع إلى حيز العمل، بدرس الموضوع مع الاختصاصيين وإيجاد رأس المال بعد التأكد من نجاعة المشروع وتأمين مساعدة الإدارة له.

تطويب الأراضي

تستمر لجنة تطويب الأراضي على عملها بمسح أراضي الغور لتطويبها لأهلها، غير أن العيب قد ظهر في الأهالي بسبب جهلهم قيمة الأرض وبسبب ضعف أخلاقهم الوطنية، وبسبب الضائقة المالية، فقد انتشرت الإشاعات عن شروع بعضهم بعقد الاتفاقات مع اليهود لبيعهم حصتهم في الأراضي، ويقال إن مصطفى الخطيب شيخ طيرة بلاد حارثة هو في مقدمة البائعين، هذا الذي كان قبل الحرب قد كتب لنا مع أحد أبنائه مقالات الدفاع عن أراضي الغور، أما الآن فيكتب مقالات عنيفة على بعض الصحف التي لم تنشر

---

(26) - في الأصل: ان تستثمره

له مقالاته وتدعم وتؤيد مزارعي الغور. غريب كيف تتقلب أخلاق الناس وتتقلب مبادئهم. وممن يشاع عنهم أنهم باعوا أو ينوون بعض من أهالي قرية جسر المجامع الذين يناضل البستاني[27] نضال الأسود عن حقوقهم ببيع أراضيهم، يهولنا الفرق الذي نشاهده بين إخلاص البستاني في دفاعه، وبين أعمال بعض الأهالي، حتى انه كثيراً ما يخطر لنا في مثل هذه المواقف أن أمثال هؤلاء الناس لا يستحقون الخدمة التي يخدمهم بها الوطنيون المخلصون، ويشاع عن بعض القرى الأخرى أنها تنوي البيع أيضاً فإن صحت هذه الإشاعات فهي مما تستوجب الأسف الشديد.

اللجنة التنفيذية

نلفت انتباه اللجنة التنفيذية والجمعية الاقتصادية لترسل وفوداً إلى هذه القرى، تلقي على أهلها النصائح وترشدهم إلى قيمة الأرض وإلى الاجتهاد في الزراعة والصبر، لجني المنافع حتى لا يبيعوا أراضيهم ويتشتتوا لا حول لهم ولا قوة ولا أرض.

الإدارة

لا نرغب في شرح استنتاجاتنا العمومية قبل الفراغ من سياحتنا هذه واستيفاء الكتابة الخصوصية عن جميع المحلات التي نزورها، ولكننا مضطرون للاعتراف بأننا بسبب جهل الفلاح وضعف الأخلاق، والمبادئ بحاجة ماسة إلى عطف الإدارة ومعاونتها. إن الإدارة التي منحت أراضي الغور لمزارعيها برهنت عن إنصافها وحسن نيتها نحو الأهالي، ومن هذا القبيل فالأهالي الذين لا يدركون منفعتهم ويجهلون المستقبل بحاجة إلى سهر الإدارة عليهم سهر الأم على ولدها العليل، فلو أن الإدارة وضعت قانوناً يماثل قانون اللورد كتشنر[28] في مصر ومنعت كل فلاح عن بيع 150 دونماً من أراضيه كما كانت قد وضعت قانوناً يمنع شراء أكثر من ثلاثمائة دونم أو لو أنها تضع قانوناً يمنع أهالي الغور عن بيع أراضيهم التي تطوب عليهم، فهي تخدم العرب والعدل خدمة يحفظها لها العرب حسنة في قلوبهم. أقل ما نرجو من الإدارة أن تبحث بحثاً دقيقاً عن جميع الذين يسعون للبيع وأن تضبط الأراضي التي ينوون

[27] - المقصود وديع البستاني (1888-1954) وهو أول من ترجم روائع عمر الخيام وطاغور، اشتهر بالأبحاث التاريخية والقانونية المتعددة ولا سيما موضوع فلسطين، فأسهمت دراساته القانونية الدقيقة عن أراضي «الجفتلك» بغور بيسان في حماية الأرض وحقوق أصحابها، وترك لنا مرجعاً في القانون الدولي بعنوان «الانتداب الفلسطيني باطل ومحال» صدر سنة 1936.

[28] - Horatio Herbert Kitchener.

بيعها، وتمنحها للأهالي المستحقين الذين ليس لهم أراضٍ، والذين يرغبون أن يتعاطوا فن الزراعة، لأننا نعتقد أن النواميس الطبيعية تقضي الاحتفاظ بالأراضي للأهالي، الذين يرغبون في استثمارها بأيديهم وتمنع صيرورتها كالسلع يتاجر بها المقامرون.

عرب الصقر

راجت إشاعة في بيسان أن (عيال ملاك) شيوخ الصقر يسعون لبيع أراضيها الحمرة، وهي تشد أكثر من مائة فدان، فنحن لا نحب أن نصدق هذه الإشاعة لأننا نحترم (عائلة ملاك) التي حصلت شهرتها قديماً بدفاعها المجيد عن عشيرة الصقر، وببذل رجالها دماءهم في الأيام العصيبة في الدفاع عن شرف العشيرة والذود عنها، ولذلك صار أولئك الأبطال شيوخاً بحق هذه العشيرة الطيبة، ولذلك يسوؤنا جداً نحن وكل وطني مخلص إذا ظهر أن أحفاد أولئك الأسلاف الأماجد يستهينون بذلك الشرف المشترى بأغلى الأثمان، ويبيعون أراضي العشيرة ويشتتونها أيدي سبأ.

نعتقد أن من واجبات عيال ملاك، أن يكونوا خير قدوة لأبناء عشيرتهم ولسائر سكان الغور في المحافظة على الأراضي والسعي لاستثمارها بتحسين زراعة الحبوب وغرس الأشجار، وإذا فعلوا ذلك ينسجون على منوال أسلافهم لاكتساب المجد والسؤدد.

الأثمار والخضار

قبل أن أختم هذه المقالة أود أن أقول كلمة اقتصادية هامة، وأوجه إليها نظر المزارعين، إن مناخ الغور الحار وجودة أراضيه، وكثرة المياه فيه تخول المزارعين خير فرصة لزرع الخضار وأشجار الفواكه التي تنضج قبل كل البقاع الأخرى، ويمكن بيعها في أسواق بيروت والشام بأسعار عالية، فضلاً عن أنه يمكن شحن المحاصيل إلى الموانئ القريبة من أوروبا، وبهذه المناسبة لا يسعني إلا أن أشكر نجيب بك الماضي حاكم بيسان الإداري، الذي يساعد على إجراء التجارب الزراعية في بيسان، ويظهر رغبة في تنشيط كل مشروع اقتصادي.

بيسان[29]

فاتنا أن نذكر في مقالنا عن بيسان أننا استأنا جداً من رؤية عدة حانات (خمارات) في بيسان، وهي بلد عربية بدوية بحتة، ووجود الحانات فيها مضر جداً بالأخلاق

---

[29] - هذا المقطع كتبه نجيب نصار مستدركاً في ذيل حديثه عن مدينة صفد.

ومخالف للتقاليد العربية البدوية، وللتعاليم الدينية، ونظن أن الإذن بفتح الخمارات في بلد كبيسان يساعد على تدهور الأخلاق والإخلال بالأمن، أملنا من بلدية بيسان أن تأمر بقفل هذه الحانات وأن لا تعود تأذن بفتح واحدة منها، وخصوصاً بعد أن أخذت الدول المتمدنة ترى أن شريعة محمد بن عبد الله [ﷺ] التي حرمت المسكر والميسر منذ أكثر من ألف سنة هي الشريعة المثلى فاتبعتها[30].

سمخ

سمخ بلدة واقعة في طرف الغور الشمالي وعلى شاطئ بحيرة طبريا الجنوبي وهي محطة من محطات سكة الحديد الحجازي، واقعة في الكيلو 87 من حيفا و201[31] من الشام.

أهلها من العرب المغاربة الذين هاجروا إلى هذه البلاد مع المغفور له المرحوم الأمير عبد القادر الجزائري، وقد منحتهم الحكومة سمخ ليعمروها ويعيشوا فيها ويستثمروا أراضيها، وقد عانوا متاعب ومشاق عظيمة في ذلك الوقت من اعتداء وغارات العربان، ولما استقروا واستراحوا قام أحد مأموري الجفالك وضم أراضيهم إلى أراضي الجفالك خدمة للسلطان عبد الحميد لكي يكون حد جفالكه بحيرة طبريا، ولما خلع السلطان عبد الحميد قام أهالي سمخ بالمطالبة بأراضيهم وظلوا يطالبون بها إلى زمن الحرب، وأخيراً حصلوا عليها كسائر أهل الغور.

يسرنا أن نعلن على رؤوس الأشهاد أن أهالي هذه القرية من خيرة الناس، ويجوز أن يكونوا مثالاً للقرى الأخرى فإنك تجدهم منكبين على زراعتهم مجتهدين فيها، غير أنهم لم يجروا إلى الآن تحسيناً فيها، ولكنهم يظهرون استعداداً لزرع الأشجار واتباع الطرق الفنية حالما تطوب أراضيهم عليهم، ويعرف كل واحد منهم حصته منها.

ومن الغريب أنهم لم يمدوا أيديهم إلى القروض لا من الحكومة ولا من التجار، فليس عليهم دين لأحد، ولا يوجد بينهم مشاكل، وعلاقاتهم مع جيرانهم طيبة، ولذلك نأمل متى تطوبت أراضيهم عليهم أن ينهضوا نهضة طيبة لتحسين زراعتهم وغرس الأشجار في بلدهم، وبناء بيوت مرتبة ليكونوا خير دليل على كفاءة الوطني.

---

[30] - الكرمل . السنة التاسعة . العدد 855 . 25 تشرين اول عام 1922م

[31] - هذا الرقم غير صحيح لأن المسافة بين مدينة دمشق وسمخ لا تتعدى 120 كم، ونظن ان الخطا مطبعي

المعارف في سمخ

في سمخ مدرسة للصبيان فيها ستون تلميذاً، وهم يطالبون لمدرستهم معلماً آخر من الدرجة الأولى، ويلتمسون من إدارة المعارف أن تتفضل عليهم بفتح مدرسة للبنات في السنة المقبلة، فعسى أن يأخذ حضرة مدير المعارف هذا الطلب بعين الاعتبار.

خير مثال

الواجب الملقى على أهالي الغور، وخصوصاً الذين بدأوا يبيعون أراضيهم قبل أن يطوبوها، أن يتمثلوا بأهالي سمخ ويحذوا حذوهم، ويطلبوا الرزق من تحسين الزراعة ومن الكد والاجتهاد، لا أن يسطروا على الأمة العربية الخزي والعار بما يعملون، فمنذ 13 سنة كنا نطالب الحكومة الاتحادية العثمانية بعدم بيع هذه الأراضي للغير وبتطويبها على أهلها، وبعد الاحتلال صرنا نطالب الإدارة البريطانية مع المطالبين بهذا الحق رحمة بأهالي الغور ليعيشوا في أراضيهم، ولما استجابت الإدارة البريطانية لهذا الطلب عملاً بسياستها التي صرح بها المندوب السامي في خطابه الرسمي «لا سلب ولا إخراج»، قام بعض الذين يجهلون قيمة الأراضي وقيمة المبادئ والحقوق الوطنية يسعون لبيع هذه الأراضي، ليظهروا للملأ أنهم لا يستحقون أن تعاملهم الإدارة بالرحمة، بل ليسودوا صحيفة الوطنيين الذين كانوا يناضلون لهم عن حقوقهم من عهد بعيد، بل ليسودوا صحيفة الأمة كلها. بل ليجعلوا الإدارة تفكر كثيراً قبل أن تجيب الأهالي إلى أي طلب يطلبونه.

جاء في القرآن الكريم ما معناه أن الأرض لله يورثها عباده الصالحين[32] فإن ظهر أن من منحتهم الحكومة هذه الأراضي غير صالحين لاستثمارها؛ فنحن نرجو من الحكومة أن تأخذ من غير الصالحين وتمنحها لمن هو أحق منها من الأهالي، أو أن تقوم وصية عليهم وتحتفظ بها لأولادهم الذين لا يصلحون هم أن يكونوا أوصياء عليهم لجهلهم، وأن تسوقهم بالعصا إلى استثمارها، لأن الجاهل عدو نفسه.

التفاهم مع الإدارة

لاحظنا أن بعض رجال الحكومة الإنكليزية أرأف بكثير من بعض الشيوخ والزعماء الذين خُدِعْنا بمظاهرهم من بعد الاحتلال، واعتقدنا أنهم تركوا سيرتهم الأولى وصاروا وطنيين حقيقيين، وإذا هم كما كانوا يدهورون الأمة من أجل منافعهم الخاصة.

---

(32) - ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ [الأعراف: 128]

نكتب الآن هذه الكلمة بصورة إجمالية، ولكننا سنشبع الموضوع بحثاً إن شاء الله بعد الفراغ من الكتابة عن كل بلد على حدة، فنوصي اللجنة التنفيذية والجمعيات الإسلامية المسيحية، مهما كان الخلاف بينها وبين الإدارة على المبادئ السياسية، والجمعية الاقتصادية بصورة خاصة، لأنها بعيدة عن الاشتغال بالسياسة، أن تتفاهم مع المنصفين من رجال الإدارة، وتسعى معهم على صيانة الفلاح من تلاعب كثيرين من الشيوخ والزعماء المنافقين، ومحافظة لحقوق منتوجاته الزراعية، وإرشاده إلى ترقيتها، وإلا إذا بقي المزارع تحت رحمة من لا يعرف الرحمة بعيداً عن الاتصال برجال الإدارة المنصفين، وبرجال الجمعيات واللجنة التنفيذية الفيورين، فهو عرضة لخطر الانقراض، ويجب على الجمعيات أن تعلم أن خير سياسة هي المحافظة على الأراضي والعمل لترقية الاقتصاد والرخاء للمزارع العربي[33].

طبريا

بلدة تاريخية قديمة بناها هيرودس الثاني على ما نظن[34]، وسماها طبريا نسبة إلى مولاه طيباريوس قيصر ملك الروم في ذلك الزمن، وقد استولى عليها المسلمون واتخذوها قاعدة لكتيبة من جنودهم، ولم يكن اليهود يسكنونها من قبل لأنها كانت في نظرهم على ما يروي بعض المؤرخين دنسة، ثم جرى تطهيرها فيما بعد. معظم سكانها اليوم من اليهود، أما العرب المسلمون والنصارى فهم أقل من نصف السكان، ولذلك نجح الاستعمار اليهودي في شراء الأراضي من عهد قديم، قبل أن يكون الناس يعرفون شيئاً عن الصهيونية ومقاصدها.

البلدة آخذة في التقدم، ويزداد البناء فيها من شهر إلى آخر خارج السور، وهي واقعة على شاطئ البحيرة المنسوبة إليها تحت سطح البحر بنحو ستمائة وثمانين قدماً، ولذلك يشتد فيها الحر في الصيف، غير أن مناخها جيد جداً وهواءها ناشف، يوافق الأمراض الصدرية كثيراً.

---

[33] - الكرمل. السنة التاسعة. العدد 856. 28 تشرين أول عام 1922م

[34] - بنيت مدينة طبرية في عهد هيرودس انتيباس عام 22م

حماماتها المعدنية

فيها حمامات معدنية حلل الدكتور داوود طرنس الجراح المشهور والمحبوب من جميع الأهالي مياهها مرتين وتحليلها موجود عنده، وقد نشرناه مرتين في الكرمل، ومرة في المقتطف من عهد قديم، وهو يقول إنها تشفي من الأمراض العصبية شفاء تاماً، وتنفع أمراضاً أخرى، فمناخ طبريا الجيد وهواؤها الجاف ومناظرها الطبيعية الجميلة وحماماتها المعدنية، تؤهلها لأن تكون مشتى من أحسن مشاتي الدنيا لأصحاب الأمراض العصبية والجلدية والصدرية، إنما تحتاج إلى هيئة بلدية ورئيس من ذوي العقول النيرة المتعلمة، ويقدمون على القيام بالمشاريع الكبرى النافعة، فيبنون حماماتها على الطراز الفني الصحي، ويشيدون فيها نزلاً كبيراً، ويضعون خرائط للأهالي ليبنوا بيوتاً صغيرة صحية مرتبة، وتحيطها الحدائق الصغيرة ويقومون ببروبوغاندا واسعة، فيجلبون إليها الزوار والمستشفين من جميع أقطار العالم، ويجعلونها مورد ثروة للأهالي والبلدان المجاورة بعد إجراء تسهيلات النقل والمواصلات مع الموانئ البحرية ومصر، ويجلبون إليها أخبار العالم بواسطة الشركات التلغرافية، وقد أسهبنا في هذا الموضوع حقه من البحث قبل الحرب، ونشطنا المرحوم أمين أفندي عبد النور[35] لطلب امتياز بناء الحمامات وقد سعى بذلك.

المعارف في طبريا

في طبريا مدرستان للحكومة؛ واحدة للبنات وأخرى للصبيان، لم يتيسر لنا زيارتهما لأن المعلمين كانوا يشتغلون لتحرير النفوس ولم نتوفق في مقابلة حضرة الحاكم، لأنه كان غائباً عن دار الحكومة يوم زرناه لأشغال تتعلق في قضايا البلدية والسكان على ما بلغنا، وقد زرنا مدرسة يومية أسسها الخواجا كلفريسكي تعلم العربية والعبرية، وقيل لنا إن فيها خمسين طالباً من المسلمين.

شركة البواخر والأوتومبيلات

قام السيد يوسف العاقل العامل النشيط، بالاشتراك مع شركاء آخرين بتأليف شركة للبواخر يسيرها على بحيرة طبريا لنقل الركاب والشحن من جميع جوانب البحيرة

---

[35] - مهندس معروف أيام الدولة العثمانية اشترك مع إسحاق لوي مفتش الزراعة في ولاية سوريا سنة 1895م في تخطيط موقع الرمل غربي بيروت

إلى سمخ محطة السكة الحجازية على طرف الغور الشمالي، أو بالأحرى ميناء أقضية طبريا وصفد وبني كنانة، ومن هذا الميناء إلى أطراف الأقضية المذكورة الواقعة على شواطئ البحيرة، وإحدى هذه البواخر متقنة جداً وأسباب الراحة فيها مستكملة للمسافرين.

أجور النقل بالسكة

غير أن أجور النقل بالسكة الحديدية غالية إلى درجة جعلت الجمال تضاربها في نقل المشحونات، والأوتومبيلات في نقل الركاب، فقد شاهدنا في طريقنا من لوبية إلى طبريا ثلاث قاطرات جمال تنقل البضائع، ولم نشاهد شيئاً يشحن في المحطات بين سمخ وحيفا لا في ذهابنا ولا في إيابنا، بينما كنا نرى في عهد الحكومة العثمانية المحطات ملأى بالحبوب وبالبضائع المختلفة، ولا سيما في هذا الفصل من السنة. أما الأوتوموبيلات بين طبريا والناصرة وحيفا ونابلس والقدس فحدث عن كثرتها ولا حرج، وقد قيل لنا إن المسافر في الأتومبيل يدفع أجرة أقل من السكة الحديدية في الدرجة الأولى والثانية، فضلاً عن السرعة والتخلص من عناء قطع التذاكر وغير ذلك، فعسى أن تتنبه إدارة السكة الحديدية إلى هذا الأمر وتخفض أجورها، وتقوم بالتسهيلات اللازمة للركاب والتجار لئلا تتحمل خسارة وتصبح عالة على البلاد، وتمتنع عن إجراء التحسينات بسبب عدم الأرباح.

ولشركة العاقل في طبريا أيضاً نظام من الأوتوموبيلات الجديدة القوية، التي تسير بين طبريا وصفد والناصرة وحيفا وجنين ونابلس والقدس وبيروت، وهي تكفل للركاب جميع أسباب الراحة ومعاملاتها معهم على غاية ما يرام، فنحن نشكر السيد يوسف العاقل على نشاطه ونتمنى له النجاح في أعماله، في وسط يكثر فيه المزاحمون، وما نجاحه إلا دليل على كفاءة الوطني إذا اجتهد وانصرف كلياً للعمل.

المواصلات

المواصلات بين طبريا والغور ميسورة بالسكة الحديدية، وبينها وبين صفد طريق معبدة، بنتها الحكومة العثمانية وأصلحتها حكومة الاحتلال إصلاحاً يفتقر إلى الإصلاح، وكذلك المواصلات بين طبريا والناصرة وحيفا وجنين ونابلس والقدس وطولكرم ميسورة بواسطة الطريق العمومية المعبدة التي بنتها الحكومة العثمانية وأصلحتها وأكملتها في

بعض الأقسام الإدارة المحتلة، ولذلك فطبريا مركز تجاري هام بالإضافة إلى[36] مركزاً صحياً ومشتى لأصحاب الأمراض العصبية والجلدية والصدرية، وقد تزاحمها سمخ من الوجهة التجارية بعد أن تطوب الأراضي على [اسم] أهلها وتعدل أجور النقل في السكك الحديدية.

لوبية

أكبر بلدة تابعة في قضاء طبريا، وهي واقعة على مسافة 12 كيلو متراً إلى الغرب منها، إلى جانب الطريق المتوجهة من طبريا إلى الناصرة.

أراضي هذه القرية فسيحة وخصبة جداً، وأهلها كانوا في عهد الحكومة العثمانية يعتبرون ركن الوطنية في قضاء طبريا، وقد كانت في كثير من الأحيان كلمتهم مجتمعة، أما الآن فمتفرقة، وهم منقسمون على بعضهم يصرفون أو يصرف الشيوخ منهم أكثر أوقاتهم في المضافات، يشربون القهوة ويدخنون ويشتغلون بعضهم ضد بعض بدلاً من اشتغالهم بتحسين أراضيهم وتنظيفها من الأعشاب والنباتات القريبة التي تمتص بقايا الرطوبة منها في الصيف، وبتزبيلها من المزابل القائمة كالتلال إلى جوانب بيوت المخاتير، والتي تنشر الرياح غبارها فتعمي الأبصار وتملأ الصدور وتولد الهوام الضارة والقارصة، فتحرم الأهالي لذة النوم.

زرع الأشجار

ومن أغرب الأمور أن أهالي لوبية هوايتهم القيل والقال، ويهملون غرس الأشجار مع أنه في إمكانهم أن يفرزوا واجهة أو واجهتين من أراضيهم الفسيحة لغرس شجر الزيتون الذي يجود فيها، ولو امتهنوا ذلك بضع سنين لأصبح صاحب كل فدان يستغل من زيتونه موسماً يفوق ما يستغله من موسم الزراعة، ولأمنوا شر الحاجة في مثل هذه السنين التي تنخفض فيها الأسعار.

في لوبية علة مزمنة وهي أن اليهود اشتروا أرض نحو أربعين فداناً من عبد الغني باشا بيضون من عهد قديم حصصاً متفرقة تقع في نحو تسعمائة (كوشان)، وأراد اليهود أن يستلموها في جهة واحدة، وكان ذلك متعذراً لأسباب مشروعة، وقد اتخذ بعض المشائخ هذه الأسباب وسيلة للتدخل بين الأهالي ووكلاء اليهود، ولا تزال مسألة هذه

---

[36] - في النص: عدا عن كونها.

الأراضي سبباً للأخذ والرد والخلاف، وقد دخلت اليوم في طور جديد، فاليهود على ما بلغنا مستعدون لاستلام حصصهم أينما وقعت، ولكن يتراءى لنا أن لبعض المشائخ مآرب نخشى أن تعود بالخسارة على المزارعين، فعندنا أن الواجب يقضي على الإدارة الحالية أن تظهر بمظهر الحزم في هذه المسألة وتكف يد المشائخ عن التدخل، وتعطي اليهود أراضيهم بعد الاحتفاظ بحقوق الزراعة للفلاحين البائعين عملاً بسياسة الحكومة البريطانية (لا سلب ولا إخراج)، لأننا لاحظنا أن مداخل المشائخ ربما تحوم حول المتاجرة بهذه الحقوق، أي ربما تكون مساعيهم موجهة لحرمان المزارعين من الحقوق الزراعية ليستفيد منها المشائخ، فلو أن الحكومة عينت من قبلها لجنة خبيرة وزودتها بالتعليمات الصريحة بوجوب الاحتفاظ بحقوق الزراعة للأهالي بدون تدخل المشائخ، وسلمت لليهود باقي أراضيهم، فإنها تعطي أهالي لوبية درساً نافعاً، وهو الاكتفاء بحقوقهم والمحافظة عليها، وإعطاء الغير حقوقهم. نحن نرغب في أن يكون الوطني شريفاً بكل معنى الكلمة، يطلب حقه بجرأة ويعطي الغير حقه عن طيب خاطر، وإلا يتلاعب الكبير بحق الصغير مطلقاً.

أراضي المغاربة .. آخر ركن للوطنية في قضاء طبريا

في قضاء طبريا أربع قرى غير سمخ لمهاجري المغاربة: وهي عولم وشعاره وكفر سبت ومعذر، وهذه القرى منحتها الحكومة العثمانية لمهاجري المغاربة الذين هاجروا [من] بلادهم مع السيد الكبير المغفور له الأمير عبد القادر الجزائري، ولا نعلم كيف انتقل نصفها لنجله المرحوم الأمير علي باشا الجزائري، ولعل الأهالي طوبوا لأميرهم هذه الأراضي مقابل تعويض يسير لأجل الحماية، كما كانت العادة عند المزارعين.

واليوم ينوي الأمير سعيد الجزائري نجل الأمير علي باشا وحفيد الأمير عبد القادر المشهور، بيع نصف هذه القرى الأربع لليهود، وعمله هذا في نظرنا عبارة عن هدم آخر ركن من أركان الوطنية في قضاء طبريا، لأن هذه القرى تحد لوبية، البلدة الوطنية الكبرى الوحيدة والمنقسمة على ذاتها، وقرى المغاربة أيضاً سياج قرية كفركما الجركسية، وقرية الحدثة للهياجنة[37]، فإذا بيعت هذه القرى يضعف جانب اللوابنة والجركس والهياجنة، ولا يبقى في طبريا إلا سمخ سليمة، ومزرعتان أو ثلاث للإيرانيين الذين لا يؤمل منهم أن يحتفظوا بأراضيهم ما دام أمراء البلاد يبيعونها.

---

(37) - اي، ابناء عشيرة ابو الهيجا.

الفراغ

ومما يروى ويستدعي العجب، أن المغاربة بعد أن تصرفوا نحو عشرين سنة بأراضيهم جرى الفراغ للأمير علي باشا والد الأمير سعيد من أسماء المتصرفين الأصليين، كأنه لم يمت أحد منهم في ظرف عشرين سنة تصرفوا فيها بالأراضي مستقلين.

لماذا نلوم الأمير سعيد

ليس لأحد حق اللوم على الأمير سعيد من الوجهة التجارية إذا كان مالكاً حقيقياً وأراد بيع ما يملكه، ولكنه يلام من الوجهة القومية والوطنية، فالمغاربة رجال جده الكريم الذي يعترف له كل العرب بالسيادة نظراً إلى حسبه ونضاله المجيد عن الحقوق الوطنية، ولذلك لا ينتظر العرب منه أن يبيع أراضيهم ليشتتهم في الأرض أو ليعرضهم للخصومات والنزاع مع قوم غرباء يختلفون عنهم في العادات والأخلاق والمقاصد واللغة، وإذا كانت هذه معاملات الأمير سعيد لأبناء قومه الخصوصيين، فكيف يمكن للعرب عموماً أن يضعوا ثقتهم به ويركنوا إليه ويرضوا به مرشحاً لعرش سوريا[38]؟

إن العقلاء من العرب لا يمكن أن يسلموا بجلوس أمير على عرش من عروشهم يكون دأبه تقويض ذلك العرش قبل الجلوس عليه.

كنا ولا نزال ننتظر من حفيد السيد الكبير والأمير الخطير أن ينسج على منوال جده الأمير عبد القادر في المحاماة عن بلاده وقومه لا أن يبيعها. مدرسة زراعية عملية أيها الأمير في قرى الشفا تخلد لذلك البيت المجيد ذكراً لا يخلده بيع القرى.

أنعتب أيها الأمير، الذي نرغب أن لا نذكر اسمه إلا مقروناً بالثناء العاطر والمديح الفاخر، على وزير بريطاني كاللورد بلفور فاه بتصريح في ظروف سياسية مشبوهة[39]، ولا نعتب على أمير عربي حسيني[40] يطبق هذا الوعد في بلاده بالفعل. نلتمس من جناب

---

(38) - بعد فرار الملك فيصل بن الحسين من القوات الفرنسية إلى العراق، كان برنامج الوطنيين السوريين المناداة بملكية دستورية في سوريا رشح لها عدد من وجهاء العائلات العريقة في سوريا والجزيرة العربية منهم الأمير سعيد الجزائري، والأمير فاعور الفاعور والأمير فيصل بن عبد العزيز وغيرهم، وكان الشريف عبد الله بن الحسين يطمح في تلك الآونة للوصول على عرش سوريا.

(39) - المقصود وعد بلفور الشهير عام 1917م الذي وعدت الحكومة البريطانية بموجبه اليهود ببناء وطن قومي لهم في فلسطين

(40) - الصحيح أنه حَسَني اي من سلالة الحسن بن علي رضي الله عنهما، وليس حسينياً من سلالة الحسين بن علي رض الله عنهما.

الأمير أن يحكم على نفسه قبل أن يسجل التاريخ حكمه عليه ويسود صفحات بيّضتها أعمال جده الطيبة.

حطين

قبل أن أختم هذه المقالة لا بد لي من ذكر كلمة شكر لأهالي قرية حطين، الذين فطنوا منذ بضع سنين لزراعة الزيتون ولا يزالون مستمرين على ذلك، ولذا تراهم إذا قلت مواسم الحبوب فإن الزيت والخضار والفواكه تسد النقص، فهم لا يشعرون بالأزمات المالية التي يشعر بها سائر أصحاب القرى الأخرى.

الأعشار

في طبريا وبيسان سمعنا شكوى عامة من الزيادة في التخمين ومن تأخيره في بعض القرى، حتى أن بعض البيادر في لوبية لم تنجز إلى اليوم، ولا يخفى ما في هذا التأخير [من] الخطر عليها بسبب اختلاف الرياح والخوف من سقوط المطر.

الحركة الوطنية

يسوؤنا أن نقول إن الروح الوطنية فيما عدا سمخ نائمة في كل قضاء طبريا، والأفراد القلة الذي يعملون في القضية الداخلية يتعبون ويقاسون وموقفهم غير سهل[41].

صفد

تعلو صفد عن سطح البحر نحو 2500 قدماً، وهي واقعة في داخل البلاد على مسافة نحو 20 كيلومتراً إلى الشمال من طبريا، عدد سكانها نحو 13 ألف نسمة ثلثاهم عرب وطنيون، والثلث الأخير يهود ممن كانوا يسكنون البلاد من عهد قديم.

أما السكان العرب الوطنيون فأكثريتهم الساحقة من المسلمين، وبينهم عدد قليل من النصارى عاشوا مع إخوانهم المسلمين عيشة طيبة في جميع الأدوار، مما يدل على كرم

---

[41] - الكرمل. السنة التاسعة. العدد 857. 1 تشرين ثاني عام 1922م

أخلاق الصفديين وعلى كونهم يحافظون على تقاليدهم العربية، فيراعون حرمة الجار و[لا] يخفرون الذمة، على أن القومية عندهم لها الأولية على كل شيء آخر.

صارت صفد مدينة في البرية بفضل نشاط أهلها، وهي صفة امتاز بها أهل الجبال، والصفديون يشتغلون بالتجارة، وقد أضر بهم تقسيم البلاد ضرراً ملموساً، لأن مسألة تذاكر المرور والصعوبة في الحصول عليها وقفت حاجزاً فيما بينهم وبين الجولان وبلاد بشارة[42] وانعدم الاتصال، وذهبت بجانب كبير من تجارتهم. ومن الغريب كيف أن إدارة فلسطين لم تتدارك هذا الضرر وتمنع وقوعه.

قضاء صفد

يحتوي قضاء صفد على ستين قرية، وعدد سكانه 35 ألفاً بما فيه أهالي صفد، ومن هذه القرى سبع مستعمرات يهودية عدد سكانها ألف وخمسمائة نسمة، عدا اليهود الساكنين في صفد.

الأراضي في هذا القضاء جبلية، وهي صالحة لزرع القطاني والكرمة والزيتون، وتجود فيها زراعة الدخان، ولذلك نأمل من إدارة الزراعة أن تعتني عناية خصوصية بتحسين زراعة هذا الصنف، فتساعد على تخفيف أزمة البلاد الاقتصادية.

الروح الوطنية

في صفد روح وطنية طيبة تتناسب بالطبع مع نشاط الصفديين، ولكنها تحتاج إلى تنظيم، وتنظيمها لا يعسر على همم الشباب وحنكة الشيوخ. وقد لاحظنا في الصفديين من قديم الزمان ميلاً طبيعياً إلى العمل بنشاط والكسب بالطرق المشروعة، وهي مزية من مزايا العرب التي يحمدون عليها، ولذلك اغتنمنا فرصة اهتمام بعض أهل الغيرة منهم بإقامة حفلة تكريمية لصاحب هذه الجريدة، حضرها عدد غير يسير من الوجهاء والشبان، واقترحنا عليهم تأليف هيئة تنفيذية للجمعية الاقتصادية تنصرف إلى تنظيم الرأي العام وتوجيه غايته إلى الاهتمام بالمعارف وبتحسين الصناعة والزراعة، والتعاون على مكافحة الأزمة الاقتصادية والاهتمام برقي المدخولات وتخفيض النفقات ليحصل التوازن وتدفع غائلة الإفلاس التي تهدد البلاد. فلاقينا ارتياحاً في النفوس لقبول المشروع ونأمل أن تكون الهيئة المذكورة تألفت في هذا الوقت وأبلغ خبر تأليفها للهيئة الاقتصادية في حيفا.

---

(42) - بلاد بشارة هي اليوم جنوبي لبنان

المعارف في صفد

للمعارف في صفد مدرستان ابتدائيتان للصبيان وأخرى للبنات، وعدد الطلاب في مدرستي الصبيان ثلاثمائة والطالبات في مدرسة البنات مئة وستون، وعدد مدارس القرى 9 وعدد طلبتها مئتان.

وتحتاج صفد إلى مدرسة أخرى للصبيان ومدرسة للبنات، أما القرى فتحتاج كل واحدة منها إلى مدرسة، وأملنا من إدارة المعارف أن تتمكن من تعميم التعليم في قضاء صفد وسائر أقضية فلسطين.

لا يسعنا أن ننتقل من البحث عن المدارس قبل أن نكتب كلمة ثناء على مديري المدرستين، محي الدين أفندي الحاج [عيسى]، وأحمد أفندي خليفة، وعلى الأساتذة لأنهم كلهم عالمون بعظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم ويبذلون كل ما في وسعهم لإنجاح الطلبة في العلوم، وتعليمهم على النظام والنظافة وقوة الإرادة والجراة الأدبية.

وقد شاهدنا الإقبال على التعليم عظيماً في مدرسة الصواوين[43] فبعض الطلبة كانوا وقوفاً لعدم وجود مقاعد وأمكنة لهم، فنتمنى لو أن إدارة المعارف تهتم بأمر بناء غرفتين في قسم هذه المدرسة لإيواء الطلبة العديدين.

وفي المدرستين أربع فرق كشافة، وهذا مما يجمل التربية الأخلاقية كاملة ويعود التلاميذ على النشاط والتعاون.

مدرسة البنات

سررنا بزيارة هذه المدرسة التي يديرها كريمات الأستاذ الشهير أمين أفندي فارس، الذي تغني شهرته عن وصف كريماته واجتهادهن لتحقيق الواجب المفروض عليهن، فهن عالمات حق العلم بأنهن يربين للبلاد أمهات الجيل المقبل، وربات البيوت وقد سمعنا الطالبات يلقين بعض الأبيات والخطب مما كان له أشد وقع في النفس، ومما يدل على تأثير الفتاة والمرأة في الهيئة إذا كانت متعلمة وتعرف ما الواجب وكيف تدعو إليه؟ ولكننا استأنا استياء زائداً لما رأينا هذه المدرسة ضيقة، وسمعنا أن المديرة تضطر لرفض كثير من الطالبات لضيق المكان.

---

(43) - في الأصل الصوابني، وهو خطأ مطبعي، والصحيح ما اثبتناه لأن الصواوين حي مشهور في صفد.

مدارس المستر سمبل

أنشأ المستر سمبل في صفد مدرستين داخليتين، واحدة للصبيان وأخرى للبنات. ومدرسة الصبيان تعد التلامذة لدخول القسم العلمي في جامعة لندرا[44]. وفي هذه المدرسة تسهيلات خصوصية لطلبة الهندسة وتعدهم لها في الرياضيات والمكانيكيات والطبيعيات.

ومما زاد في ارتياحنا لهذه المدرسة أنها تعتني بتعليم اللغة العربية عناية خاصة، وتدريس الحساب أيضاً بالعربية، كما تدرس تاريخ سوريا وتاريخ العرب باللغة العربية، وقد اقترحنا على المستر سمبل أن يدرس في المدرسة سيرة أبطال العرب وعظمائهم ونوابغهم، فارتاح لهذه الملاحظة ووعدنا أن يخرجها إلى حيز التنفيذ، وقد لاحظنا في المستر سمبل اهتماماً خاصاً بمدارسه وقد قال لنا إنه يهتم بجعلها لا تضاهى.

أما مدرسة البنات الداخلية فقد علمنا أن أخواننا المسلمين يودون لو أن المستر سمبل يعين معلمة لتدريس البنات المسلمات التعليم الديني، أما هو فيقول أنه مستعد لتخصيص غرفة وتعيين وقت إذا أراد المسلمون أن يرسلوا من قبلهم معلمة تعلم بناتهم التعاليم الدينية.

خلاصة القول: إن سرورنا كان على العموم عظيماً من حالة المدارس في صفد ومن الإقبال عليها، ونأمل أن نجد مديرية المعارف متى قابلناها في القدس إن شاء الله عازمة على زيادة المدارس في صفد وقضاها، وفي قضاء بيسان ايضاً.

هي كل واد أثر

يسوؤنا جداً ما سمعناه في صفد أن الأمير سعيد الجزائري باع حصته في أراضي كراد [الخيط][45] لإحدى الجمعيات اليهودية، وأن يكون للأمير مثل هذا الأثر في قضاء صفد أيضاً، وإذا كان ما سمعناه صحيحاً عن أن رجال الإدارة رأوا أن عرب كراد الخيط يحتاجون من أجل زراعتهم إلى ثلاثة آلاف دونم من حصة الأمير، وأن الأمير وسط بعض أعيان صفد والزعماء الوطنيين ليقنعوا بعض مشائخ العرب على تقديم مضبطة بأن عشيرتهم لا تحتاج إلى أكثر من ثمانمائة دونم من أراضي الأمير. وبهذه الواسطة ضاع جانب من حقوق مزارعي العشيرة، فيكون عمل الأمير ومن ساعده مؤسفاً جداً.

---

(44) - لندرة هي لندن

(45) كراد الخيط قريتان تقعان في بلاد الخيط شرقي مدينة صفد، وهما كراد البقارة وكراد الغنامة

إن صح الخبر فنحن وإن كنا لا ننكر على كثيرين من موظفي الإدارة البريطانية استقامتهم وإنصافهم، ولكننا لا نرغب أن يكون الغريب أرأف بنا من أمير من أمرائنا ووجيه من وجهائنا.

المواصلات

عاشت هذه المدينة وتعيش على الرغم من قلة المواصلات بينها وبين سائر أقسام البلاد، فليس هناك[46] سوى طريق تربطها بطبريا بنتها الدولة العثمانية، ومن قبل الحرب كنا نطالب الحكومة العثمانية ببناء طريق تربط صفد بعكا، فتنتعش حالة المدينتين التجارية والقرى الواقعة بينهما، وخصوصاً الرامة وما حواليها، وهي قرى مشهورة بوفرة حاصلات الزيت الذي يتطلب نقله طرقاً يسهل مرور المجلات عليها تخلصاً من نقله على ظهور الجمال، وهي طريق خطرة جداً وخصوصاً في الشتاء حيث يكثر تزلق الجمال فتنشق المواعين ويضيع الزيت على أصحابه.

لنا ملء الثقة بالإدارة أن تبرهن لنا عن حسن نيتها واهتمامها بمصالح البلاد الاقتصادية، فتشرع حالاً في بناء الطريق بين صفد وعكا وبين هذه والناقورة.

خلاصة القول: لصفد مستقبل زاهر إذا اهتمت شبيبتها والوجهاء بتأليف هيئة للجمعية الاقتصادية تشتغل بتدريب الأهالي على ترقية زراعة الدخان والكرمة والزيتون، وترقية الصناعة والتعاون. وما دام ميدان العمل مفتوحاً فأقوال بلا عمل لا تغني ولا تسمن فليعمل المريدون لهذا البلد خيراً.

الحاكم ومعاونه

قابلنا حضرة حاكم صفد المستر مودي ومعاونه خليل أفندي عبد النور، فوجدناهما يريدان منفعة الأهالي وإنهاض الاقتصاديات. وإدارة القضاء على العموم حسنة غير أن صفد وطبريا تحتاجان حاجة كلية إلى محكمة ابتدائية خاصة بهما، فقد سمعنا شكاوي كثيرين من الأهالي مما يقاسونه من تأجيل الدعاوي وتعيين الجلسات والمحاكمات أحياناً في طبريا وأحياناً في الناصرة، والإدارة لا تجهل أهمية القضاء ووجوب تسهيل المحاكمات على الأهالي[47].

---

(46) - فلا يوجد.

(47) - الكرمل - السنة التاسعة - العدد 858 - 4 تشرين ثاني عام 1922م

نابلس

سفر الوفد

ودعت نابلس بالأمس أمين بك التميمي أحد أعضاء الوفد إلى لوزان[48]، وقد شيعه إلى السيارة جماعة من أعيان نابلس، وسافر معه إلى القدس حافظ بك طوقان رئيس الجمعية الإسلامية، ومن أعضائها الدكتور مصطفى بك بشناق والسيد جميل التميمي، وقد كانت مظاهر الحماسة والأمل تتجلّى في أحاديث المشيعين وحركاتهم.

أفادنا أمين بك أن الوفد يسافر يوم الاثنين من القدس إلى مصر حيث يجتمع بالوفد السوري، ويسافران معاً على الباخرة عباسية إلى أزمير، ومنها براً إلى الأستانة ومنها بحراً إلى لوزان. وقد اقترحنا عليه وعلى الجمعية الإسلامية المسيحية في نابلس أن يسافر قسم من الوفد مع شقيقه الوفد السوري إلى لوزان ويذهب القسم الآخر تواً إلى

---

[48] - انعقد مؤتمر لوزان Conference of Lausanne في لوزان، سويسرا، عام 1922-1923م بعد ان رفض كمال اتاتورك الاعتراف بمعاهدة سيفر. وجاء في نص بيان الوفد الفلسطيني الثاني عن اعماله امام المؤتمر العربي الفلسطيني السادس الذي عقد في يافا يوم 29 حزيران عام 1925 1923م، انه (لما اعلن انعقاد مؤتمر لوزان الأول ليتداول في امر تقرير الصلح مع الترك رات اللجنة التنفيذية ضرورة إيفاد وفد إلى لوزان ليكون في محيط هذا المؤتمر الذي ستتناول ابحاثه امر مصير البلاد العربية التي انسلخت عن الأتراك والتي لا تزال من الوجهة الحقوقية قبل انعقاد الصلح من ممتلكات الدولة العثمانية سيما وقد أعلن الترك الوطنيون أنهم لا يحيدون في مفاوضتهم الصلحية عن ميثاقهم الملي الذي تنص مادته الأولى على ترك مصير البلاد التي انسلخت عنها لأهلها. وكان القصد من هذا الوفد أن يبذل جهده في حمل مفوضي الترك على الثبات في ميثاقهم الملي في امر بلادنا من جهة وإسماع صوت هذه البلاد لأعضاء ذلك المؤتمر بأنها لن ترضى عن اي حل لا يتفق مع رغائبها وحقوقها المشروعة من جهة ثانية فغادر وفدنا البلاد ووجهته الأستانة لعله يجتمع بأولي الحل والعقد من الأتراك ومفوضيهم فيها فيبسط لهم قضيته بصورة خاصة وقد عرج في طريقه على القاهرة حيث اجتمع مع اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني الذي عقد في جنيف عام 1921 وكان وفدنا الأول ممثلاً فيه البلاد. وقد اقترحت اللجنة علينا أن نوحد اعمالنا مع الوفد السوري الذي سافر فريق من اعضائه إلى الأستانة للغاية التي توخيناها نحن ايضا فحبذنا الاقتراح وواصلنا السير. وكان في ودنا ان نمر بأزمير ولكن الاحتياطات العسكرية التي كانت حكومة الأناضول قد اتخذتها حالت دون ما نريد فجئنا إلى الأستانة واجتمعنا مع رافت باشا القائد العام فيها وبسطنا له آمالنا فأكد لنا ان حكومة المجلس الوطني الكبير متمسكة تمام التمسك بالميثاق الملي وقد كان عصمت باشا والوفد التركي قد سافروا قبلنا إلى لوزان فراينا ان يذهب قسم من وفدنا إلى لوزان ليلحق بعصمت باشا وان يبقى قسم آخر وهو الأستاذ المظفر في الأستانة ينتظر فرصة يذهب فيها إلى انقره وصلنا لوزان يوم افتتاح المؤتمر فراينا من المصلحة أن نوحد خطتنا مع الوفد السوري وان نشتغل معاً باسم الوفد السوري الفلسطيني ايضا. ومن ثم أخذ الوفد يجتمع بوفود الدول المشتركة في المؤتمر ويبسط لهم قضيته بحذافيرها) إلى آخر الوثيقة «ملف وثائق فلسطين من عام 637 إلى عام 1949»، وزارة الإرشاد القومي، القاهرة 1960، ج 1، ص 353 - 355.

لندرا ليستفيد من الوضع السياسي الحالي، فاليوم أصبح العمل واجباً في دوائر لندرا البرلمانية ومع الصحف والرأي العام، لأن سلاسل القيود السياسية تفككت بسقوط وزارة الاتحاد وقيام وزارة حزبية.

ونحن اقترحنا أيضاً بعد انتهاء مؤتمر لوزان أن يسافر أعضاء الوفد الفلسطيني الذي ذهب إليها إلى أميركا حيث يتعاون فيها مع إخواننا أعضاء اللجان الفلسطينية على بيان إلغاء الدعوة الصهيونية، وعلى تعذر تحقيقها فلا يصرف اليهود الأميركيون مجهوداتهم وأموالهم سدى وهم قوم اقتصاديون عمليون.

ثم يشتغل الوفد في إخراج فكرة تأسيس بنك زراعي لعرب فلسطين ويجتهد في إقناع جماعة طيبة من إخواننا هناك للعودة إلى الوطن بما ربحوه من المال والخبرة ليؤلفوا شركات تجارية وزراعية تشتغل في البلاد وتكون قدوة صالحة للأهالي، وهذه الشركات بلا ريب تستطيع أن تعول على مساعدة الجمعيات المختلفة واللجنة التنفيذية والمفكرين والأدباء بشكل قاطع لا يقبل الجدل.

المال

يقولون يحتاج الوفد إلى المال ليتمكن من القيام بهذه المهام الضرورية. نقول إن البلاد التي تحرق بقيمة خمسين ألف ليرا دخاناً في الشهر وتقطع من نوع البيرا فقط أربعة آلاف صندوق، لا تعجز عن جمع بضعة آلاف ليرا لوفد يناضل عن حقوقها في البلاد المتمدنة ولدى الأمم الحية، والأمة التي لا تقدر قيمة مهمة الوفد وتؤثر الإنفاق على الدخان والمشروبات والتأنق، مثل هذه الأمة لا تستحق الحياة.

الأمة تدفع ـ الأمة كريمة

نعلم أن الأمة سخية – الأمة توفر من طعامها ولباسها لتدفع لوفدها الذي يناضل عن قضيتها، فلتؤلف الجمعيات أو الهيئات الغيورة في كل بلد لجنة تجمع الإعانات منذ الآن، وتنشر قيمة ما يجمع على صفحات الصحف وترسله إلى الوفد بواسطة المصارف، وتعلن ذلك في الصحف ترغيباً وتنشيطاً.

والكرمل مستعدة لخدمة أي جمعية أو هيئة تشترك في هذه الخدمة المباركة[49].

---

[49] ـ الكرمل ـ السنة التاسعة ـ العدد 859 ـ 11 تشرين ثاني عام 1922م

المولد النبوي في طولكرم

أقامت لجنة الأوقاف في طولكرم حفلة شيقة لعيد المولد النبوي في إيوان مدرسة طولكرم الرحب، وترأس الحفلة حضرة مدير المدرسة سعيد بك بشناق، وافتتحها بخطاب شيق وتكلم في سيرة النبي العربي، وأتى ببعض أحاديثه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية. وألقى الأستاذ العابودي [محمود العابدي] خطاباً بليغاً بيّن فيه ما كان من الآثار والنتائج الطيبة لظهور نبي العرب في الجزيرة والعالم أيضاً. وتعاقب تلامذة المدرسة في طولكرم فألقوا عدة خطب وقصائد مبينين فضل محمد بن عبد الله [ﷺ] على العرب وعلى المدينة الإنسانية.

ثم انبرى الأستاذ الفاضل عارف العواد وألقى قصيدة عصماء في سيرة النبي، كنا نرغب لو حصلنا عليها لننشر بعض أبياتها لقراء الكرمل، ثم طلب من صاحب هذه الجريدة أن يلقي خطاباً فألقى الخطاب التالي:

اليوم العظيم

يحتفل المسلمون اليوم بذكرى مولد نبيهم الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، قد يقول قائل من بينكم وما شأنك وهذا الاحتفال وأنت نصراني من قوم عيسى، فأجيب أني عربي غساني، ولم أقترف ذنب جبلة ابن الأيهم[50]، ولو اقترفت لما أنكرت وفررت، فإن شريعة المشترع العظيم أحب إلي من شريعة كل مشترع غريب، فصلتي بكم وبمن تحتفلون به اليوم صلة العربي بالعربي، صلة القومية، صلة اللغة الفصحى لغة الآيات البينات، صلة الوطنية صلة العادات والتقاليد الطيبة.

إن أحجمت عن تناول الموضوع من الوجهة الدينية فلا تحسبوا إحجامي لنصرانيتي، إنما إحجامي لاحترامي موضوعاً جليلاً، أعتقد أنه حرام أن يطرقه غير المتعمقين في العلم، ولكن هذا لا يقضي بحرماني من التمتع بنصيبي من سيد العرب، الذي أورثني بحق المجد والفخار، كما أورثه لكل واحد منكم بقوله ﷺ: أنا عربي وليس أعرب مني.

إن كان الحق سبحانه وتعالى قد أنزل على محمد للمسلمين ديناً حنيفاً مبيناً، فقد

---

(50) - إشارة إلى ان جبلة بن الأيهم قاتل العرب المسلمين إلى جانب الروم في معركة اليرموك

أنزل عليه للعرب النصارى، بل للعالمين، شرائع أخلاقية ومدنية وقواعد سياسية وتعاليم اجتماعية وصحية واقتصادية، لا ينكرها إلا المكابرون.

لست أعلم لماذا ينفرد المسلمون في الاحتفال بهذا اليوم العظيم ولا تشاركهم فيه أمم العالم أو العرب النصارى على الأقل، وفضل محمد الذي نحتفل بذكرى مولده اليوم على الإنسانية والمدنية عظيم عميم.

ألأن المسلمين بهذا المقدار حريصون على كنوز نبيهم ويبخلون بها حتى على إخوانهم العرب النصارى، وذلك من قبيل القول الكريم ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ أم لأن الأمم الأخرى متعصبة، تنظر إلى المسلمين شزراً، وتعرض عن جميع ما في حوزتهم من الطيبات لكي لا تعترف بميزاتهم.

إن كان الأول، ولا نظنه كذلك، فهو لا ينطبق على المكارم العربية، فالعربي الذي يجود لغيره بماله وبدمه، لا يبخل على أبناء قومه وجنسه بتعاليم سيده.

وإن كان الثاني، فمن أولى من أتباع محمد [ﷺ] عموماً، والعرب منهم خصوصاً، بالسبق إلى نشر الفضائل بين أبناء البشرية وإحياء المكارم العربية، والعرب كرام عظام سواء في الجاهلية أم في الإسلام.

ما ظهر دين محمد [ﷺ] حتى حمله أصحابه الكرام بجميع تعاليمه إلى ذويهم وجيرانهم ثم حملوه والسيوف في أيديهم إلى الأمم الأخرى. لم يكن ذلك طمعاً منهم في فتح البلدان والأمصار، ولا رغبة في تكثير الأعوان والأنصار أو في كسب الثروة وجمع الأموال، كلا بل حباً بنشر ما رأوا فيه من الفضائل، حتى لا يستأثروا بها من دون غيرهم من الناس، وبإنقاذ الأمم مما كانت تعانيه من ظلم الظالمين، وإلا فلماذا احتفظ عمر بمرقعيته، وقد فاز بالغنائم التي لا تقدر من أموال الرومان، ولماذا رفض أن يستبدل ناقته بجواد مطهم أمام أسوار بيت المقدس وهو فاتحه العظيم؟ ولماذا كان يقنع علي بالكفاف من القوت، وقد جمع لبيت مال المسلمين أقراصاً من العسل جاءت هدية من عامله، ولماذا استعان الصحابة بالسيوف يومئذ لنشر دعوتهم، فهم إنما حملوها للدفاع عن أنفسهم مخافة أن تثور عليهم الأمم التي كانوا يحملون دعوتهم إليها لعلمهم بتمسك الناس بالتقاليد ونفورهم في بادئ الأمر من كل جديد. فالعرب في فتوحاتهم قصدوا أن يفتحوا قلوب الناس فقط لقبول أفضل ما كان يمكن أن يهدى إليها من تعاليم وشرائع دينية وسياسية واجتماعية وأخلاقية.

صرخنا منذ عامين صرخة قلنا فيها اجعلوا يا قوم هذا اليوم العظيم عيداً وطنياً

عربياً يشترك معكم فيه أخوانكم النصارى، فرددت صدى هذه الصرخة بعض الصحف العربية ثم عقب هذا الترديد سكوت.

مَن من العرب النصارى، متى عرف أن محمداً بن عبد الله القرشي العربي الأمي لم يكن نبياً فقط بل كان مشرعاً وحكيماً وبناء عظيماً، وضع قاعدة الجامعة العربية على أمتن الأسس وأقام مجد العرب على أقوم قواعد المدنية والعلم والنظام؟ من منهم متى عرف ذلك لا يصير ينحني إجلالاً لذكر محمد ويتيه عجباً بانتسابه لأمة أنبتت هذا البطل العظيم، الذي إذا ذكرت أعماله لا تذكر في جانبها أعمال أعظم نوابغ الأمم الأخرى، ومن إذا طالع سيرة محمد [ﷺ] وتمعن في معانيها ومقاصدها النبيلة على حب المعالي ويصير لسان حاله يقول ما قاله الشاعر [المعري].

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل [عفاف وإقدام وحزم ونائل]

أنا لا أهيم في عالم الخيال كلا، فإن المدرسة التي ربت نفوساً كنفوس أبي بكر وعمر وعلي وخالد وابن العاص، لتعجز أعظم جامعات العالم عن تخريج أمثالهم في مثل ظروفها وظروفهم، ولا تزال إلى اليوم موجودة عند المسلمين.

يقولون الدية على العاقل، نعم أنا أعتقد أن جانباً عظيماً من مسؤولية تأخر العرب بعد أن كانوا حماة الحرية ودعاة المدنية يعود على السادة العلماء الذين لا يعلمون القرآن الكريم بالروح نفسها التي علمه بها محمد [ﷺ] لصحابته ليتحلى العرب بأخلاقه.

ما بين العرب المسلمين والنصارى من الخلاف الديني سببه جهل النصارى فضل محمد [ﷺ] ومزاياه النبيلة لأنهم لو عرفوها لاحترموه وافتخروا بالانتساب إليه، إن لم يكن في الدين ففي المبادئ الأخلاقية والاجتماعية، وتقربوا من إخوانهم المسلمين، فعلى العلماء الأفاضل أن يستخرجوا لنا نحن معشر النصارى والمسلمين غير المتدينين كل ما في تعاليم محمد [ﷺ] من العلوم الاجتماعية، وإلا كانوا على ما أعتقد في نظر الإنسانية والدين يبخلون في نشر رسالته السامية.

على علماء المسلمين أن يضعوا في كتب صغيرة بأساليب صريحة تعاليم ابن عبد الله التي دفعت العرب لإقامة مجد أثيل تجدونه خالداً في بطون التاريخ وبقايا المعالم والآثار، وأنا الكفيل بأن يصير هذا العيد المبارك في عهد قريب عيداً عربياً وطنياً، كما هو عيد ديني إسلامي يقف فيه مئات من خطباء النصارى مثل موقفي اليوم أنا الذي لم أقرأ القرآن سوى مرتين، وعلى طول المدى عيداً عالمياً لأن عشاق الفضيلة والمبادئ القويمة والشرائع السامية في الدنيا كثيرون ما دام بضعة ألوف من أتباع سيد العرب استطاعوا

قديماً في بضع سنين أن يمتعوا نحو خمس العالم بعدل شرائعه وبمعنى تعاليمه السامية، فلم لا يستطيع الثلاثمائة مليون من المسلمين المنتشرين في العالم أن يعرفوا العالم بفضائله ليعظمه قومه العرب؟ رجل واحد إذا كان مخلصاً أميناً جريئاً حكيماً يستطيع القيام بالأعمال الخارقة. عربي مسلم واحد يستطيع أن يغير ما في قلوب العرب النصارى والمسلمين بعضهم نحو بعض، ومئة من المخلصين يستطيعون أن يغيروا ما في نفوس العالم ويفسدوا أحكام المضللين على العرب والمسلمين.

لا تقتصروا في مثل هذه المواقف العظيمة يا سادتي على تلاوة قصة المولد النبوي المألوفة، على الرغم مما فيها من الحلاوة والطلاوة، بل ابحثوا في سيرة محمد [ﷺ] وسيرة أصحابه وعظماء العرب لتكون نبراساً للعالمين.

نعتقد أنه كان من أغراض سيد العرب أن يجمع كلمة قومه ويجعل لهم الإسلام قوة ظهيرة، وعلى ذلك آيات وأحاديث. وعلماؤكم الأفاضل أدرى مني بها ومنها الآية الكريم ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾ لتتفرد هذه اللغة بشرف لقب لغة القرآن الكريم، ولتبقى مهما طرأ على العرب من الحوادث لغة حية تجمع جامعتهم وتجدد رابطتهم، وقد اجتمعت كلمتهم حول دعوته، ولينهضوا نهضتهم وليس يخفى عليكم ما فعل أبو بكر [ﷺ] بأهل الردة لما أرادوا الانشقاق حرصاً على الجامعة والمنعة والعزة. إذاً فكل عربي منا لا يعمل لرفعة العرب وجامعتهم، يخالف المثل الصالح الذي تركه الخلفاء الذين بنوا المدنية والأمجاد العربية على الأساس المتين، الذي وضعه لهم صاحب هذا العيد، ومن يخالف المثل الصالح فانتسابه إليه ليس بصحيح، فمن كان عربياً حقيقياً فليعمل للعرب وللمجد والفخار واضعاً منذ اليوم سيرة سيده العظيم وأصحابه الكرام نصب عينيه، وإذا نسجنا على منوالهم يرى من يعيش منا للعيد المقبل أن الأمة خطت خطوات واسعة إلى الأمام، والسلام على من اهتدى فاقتدى.

وختم الإمام بخطاب جميل وبدعاء طيب، ثم تكلم حضرة معاون الحاكم السيد محمد سعيد بك الحاج داود فهنأ الأهالي بالعيد وأعرب عن سروره العظيم باحتفال المسلمين والعرب بعيد بطلهم المجيد، شأن الأمم الغربية التي تمجد أبطالها وخصوصاً الإنكليز، وكان تلامذة المكتب ينشدون الأناشيد الوطنية بين الخطب، وأخيراً ذهب الجمهور الغفير إلى الجامع وأدوا فريضة الصلاة وتليت قصة المولد النبوي، ومما سررنا به خصوصاً أن جماعة المسيحيين في طولكرم قفلوا دكاكينهم وحوانيتهم واشتركوا مع إخوانهم المسلمين في حفلة هذا العيد، فألبسوا العيد حلة وطنية بارك الله فيهم[51].

---

[51] - الكرمل. السنة التاسعة. العدد 860 ـ 12 تشرين ثاني عام 1922م

الأمن في جنين

قتل في هذا الأسبوع قتيلان في قضاء جنين ولم يعرف القتلة إلى الآن.

قلنا لأحد الوجهاء: يظهر أن حالة الأمن ليست على ما يرام في قضائكم، فالقاتلون يقتلون الناس ولا يعرفهم أحد. أجاب كلانا سواء، غير أن القتلة عندنا يقتلون الناس في البراري أما عندكم في حيفا، فيقتلونهم في بيوتهم وعلى أسرتهم ويبقى أمرهم مكتوماً. قلنا: بالحق نطقت، فما دام رجال الإدارة والبوليس ينامون على أسرتهم مرتاحي البال والجناة يفعلون ما يشاؤون، فكل امرئ يجب أن يحتاط لنفسه وسلامة بيته. قال: حسن، ولكن الإدارة تجرد السكان الآمنين من السلاح، أما الأشقياء فيحتفظون سراً بأسلحتهم. قلنا: «كيفما تكونوا يولْ عليكم»، فسيبقى هذا حالنا إلى أن ننظم أمورنا تنظيماً حسناً، وتصير هيئاتنا الممثلة تطالب الإدارة بمحافظة حقوقنا ومحافظة الأمن كما يجب، وباستخدام القوات المسلحة في مطاردة الأشقياء لا أهل القرى[52].

طول الكرم [طولكرم]

طول الكرم [طولكرم] مركز قضاء، وهي واقعة في مركز متوسط بين حيفا ونابلس وجنين، ومواصلاتها جيدة، فالسكة الحديدية تربطها بحيفا ويافا والقدس، وتربطها الطريق المعبدة بيافا ونابلس.

عدد سكانها نحو أربعة آلاف نسمة بعد أن كانت قرية صغيرة وقبل أن جعلتها الحكومة العثمانية مركز قضاء، وعدد القرى التابعة لها 46 قرية، فيها قرى كبيرة كالطيبة وقلقيلية وغيرها، وعدد سكان القرى نحو 35 ألف نسمة، وكلهم عرب ولا يوجد أي صهيوني في هذا القضاء.

حاصلات القضاء

القمح والشعير والزيت والبطيخ، ويعدلون مدخول موسم البطيخ في هذه السنة بطولكرم بمئة وخمسين ألف ليرا، وموسم الزيت بثمانين ألف ليرا، وقد خسرت طولكرم

---

[52] - الكرمل . السنة التاسعة . العدد 861 . 15 تشرين ثاني عام 1922م

خسارة كبيرة في الزيتون أثناء الحرب لأن الإدارة الإنكليزية العسكرية قطعت جانباً عظيماً منه للحرق بجانب السكة الحديدية، ولكن هذا القضاء شرع يستعيد تلك الخسارة بفضل حاكمه النشيط المستر دونج، فإنه منذ تولى إدارة القضاء وضع نصب عينيه الاهتمام بنشر الأمن وتعميم غرس الأشجار في القضاء، فتوفق إلى تقليل الجرائم وإزالة العداوات بين الأهالي.

غرس الأشجار أو الحياة الاقتصادية

شجع الحاكم الإداري أهالي طولكرم والقضاء وحثهم على غرس الأشجار، وقد وُفق[53]، بحسن تأثيره وبفضل نشاط الأهالي وحسن إرادتهم، إلى غرس 250 ألف غرسة زيتون في ثلاث السنين الأخيرة، وهو يأمل أن يغرس الأهالي مئة ألف غرسة جديدة، فليت الحكام في سائر الأقضية (يتشبهون) بهذا الرجل الحازم النشيط، وليت الأهالي في كل فلسطين وسوريا وسائر البلاد العربية يتمثلون بأهالي طولكرم، فإننا على يقين إذا استمر الحال على هذه الوتيرة أن تزيد ثروة طولكرم في السنين الست القادمة إلى مليون ليرا، وتزيد واردات القضاء مئة ألف ليرا وتبقى الزيادة مطردة.

الكروم والبيارات

ينظر المستر دونج إلى سهل طولكرم، والأمل يملأ صدره، بأن يصير معظم هذا السهل غابة من أشجار الزيتون والكرمة، وتتحول الشواطئ الرملية إلى بيارات برتقال[54].

المزابل

لا تجد في قضاء طولكرم مزبلة قائمة في قرية من القرى، كما هو الحال في أقضية صفد وطبريا والناصرة، فقد كان أول المبادرين من الأهالي في نقل المزابل إلى الحقول السيد عبد الرحمن الحاج إبراهيم رئيس بلدية طولكرم، الذي أراد أن يطهر البلدة، فنقل المزابل إلى الحقول فأخصبت، فرأى الأهالي الخصب وصاروا يقتدون بهذا العمل، ولا ننكر أن حضرة الحاكم ومعاونه محمد سعيد بك الحاج داود، وطبيب الصحة، وأساتذة المدارس

---

(53) - في النص: توفق

(54) - كان قضاء طولكرم قبل نكبة عام 1948 يطل على البحر الأبيض المتوسط، لكن الاحتلال اقتطع اراضي القضاء الساحلية

كلهم اشتغلوا في ترغيب الأهالي لتطهير قراهم وتسميد حقولهم، حتى أن الأهالي صاروا يكنسون القمامة اليوم من الطرقات لينقلوها إلى الحقول، وزد على ذلك فإن الحاكم ومعاونه شرعا في ترغيب الأهالي في بناء الطرق بين قراهم والطرق العمومية، وقد جعل [أهل] الطيبة يبنون طريقاً من بلدهم تُوحِل في الشتاء إلى درجة يتعذر عبورها، إلى الطريق العمومية وسيباشرون في شق طرق أخرى.

الرجل العمراني خير مثال لرؤساء البلديات

كانت طولكرم قرية كسائر قرى الفلاحين، ولكن الذي يزورها اليوم يجدها تأخذ عدتها لتصير مدينة على الطراز الجديد، بشوارع واسعة وحديقة غناء ومياه توزع على البيوت.

كانت واردات بلدية طولكرم قبل 14 سنة ثلاثمائة ليرا، ولما تولى رئاستها الرجل العمراني السيد عبد الرحمن أفندي الحاج إبراهيم، أخذت الواردات تزيد حتى بلغت اليوم ستة آلاف ليرا، تنفق كلها في مواضعها وبحسب احتياجات البلدة.

الماء

وكان أهالي طولكرم (ينشلون) الماء من بئر عمقها 90 متراً، ويلاقون أشد الصعوبات في الاستقاء، فاشترى رئيس البلدية مضخة لرفع الماء إلى علو 140 متراً في منتصف البلدة، ووزع الماء عليهم بحنفيات يدفع البيت ثلاثين غرشاً شهرياً ثمن الماء.

الحديقة الغناء

جواب للمستر تشرتشل

كان إلى جانب طولكرم غابة كثيفة من الصبير في أرض (محجرة)، فخطر لرئيس البلدية أن يستأصل الصبير لتصليح المناخ ومنع أذى وبره عن العيون، ويستبدل به حديقة للبلدية[55]، فشرع في العمل، واتفق أن زار البلدة الجنرال بولز الذي كان حاكماً عسكرياً لفلسطين، فلما شاهد العمل سأل الرئيس إذا كان ينظف هذه البقعة الفسيحة التي هي عبارة عن أربعين دونماً في خمس سنين، فأجابه الرئيس على الفور: أرجو أن أدعوك بعد خمسة شهور لترأس حفلة وضع أول غرسة في الحديقة، فضحك الجنرال، ولكن لما دعاه

---

[55] - في النص: ويستبدله بحديقة

الرئيس بواسطة الحاكم لحضور الحفلة، دهش الجنرال، وقد ذكر لنا حضرة الرئيس أن المستر نوط، الذي هو اليوم حاكم قضاء نابلس، قدم له المساعدة المطلوبة والعون لإتمام العمل، حيث كان في ذلك الزمن حاكماً لقضاء طولكرم.

واليوم ترى في مكان غابة الصبير الكثيفة حديقة فسيحة غناء، صارت أشجارها الجميلة نامية، وقد أفرز حضرة الرئيس العمراني النشيط نحو 15 دونماً من هذه الحديقة للسيدات، وغرسها في هذه السنة وباشر بفتح طريقين ليمكن السيدات من الذهاب للنزهة بحرية تامة وبدون إزعاج، فهذه أيضاً ميزة تسجل لجنابه، لأنه لم يحرم السيدات من حق من حقوقهن الطبيعية، ولا ريب [في] أن عمل هذه الحديقة في هذا المكان خير جواب للمستر تشرتشل، الذي قال إنه لا يتوقع أن يعمر العرب بلادهم ويمدوا لها الكهرباء في ألف سنة.

الشوارع

يهتم الرئيس بتوسيع الشوارع، فأمام دار الحكومة إلى آخر السوق شارع واسع يمكن أن يقال إنه شارع عريض، وقد وسع بعض الشوارع التي لم يكن يمكن لأكثر من واحد أن يمر فيها، وسعها إلى ستة أمتار، وقد رسم شارعين من البلدة على جانبي الحديقة إلى المحطة، بعرض عشرين متراً للشارع الواحد.

المعارف

في طولكرم نهضة عمومية للمعارف، وعهدنا بهذه النهضة قديم، فمنذ 12 سنة اهتم الأهالي بزعامة السيد عبد الرحمن أفندي بجمع إعانة، فاشتروا أرضاً مساحتها ثمانية دونمات وعمروا فيها مكتباً صحياً مؤلفاً من ثماني غرف، وإيوان بينها فسيح عرضه ستة أمتار وطوله نحو 25 متراً، ولا يزال هذا المكتب معهداً علمياً ابتدائياً إلى اليوم، ويظهر أن إدارة المعارف وضعت يدها عليه. يرأس المكتب اليوم السيد محمد سعيد البشناق، وهو من نخبة الشبان النشيطين، ويعاونه في إدارته عصبة من المعلمين المجتهدين الغيورين، ولذلك رأينا حركة التعليم في طولكرم نشيطة جداً، غير أننا نقول بملء الأسف إن عدد الكشافة قليل جداً بنسبة عدد طلبة المكتب الذين يربو عددهم على الثلاثمائة والخمسين طالباً، فقد كنا نتوقع أن نجد في مدرسة كهذه أربعاً أو خمس فرق كشفية، ولا سيما بعد أن رأينا ما رأيناه من نشاط الطلبة وذكائهم وغيرة الأساتذة.

ومما يذكر أن هناك مهندساً زراعياً لمدرسة الزراعة في طولكرم، يلقي على الصفوف العليا في المكتب دروساً زراعية وعملية، وهذا ما نتمناه لكل مدرسة في كل مدينة وقرية، لأننا نخاف أن يتعلم أولادنا علوماً ناقصة نظرية ويكتفوا بها، وهي لا تغني فتيلاً فيحتقروا الاشتغال بالزراعة أو الصناعة، فيظلنوا انفسهم كباراً، فيلجؤوا إلى البطالة لأن معارفهم لا تؤهلهم للقيام بأشغال كبيرة، وهم يحتقرون الأشغال الزراعية الشريفة فيصيرون عالة على والديهم وعلى البلاد.

مدرسة البنات

يسرنا أن نرى الإقبال على تعليم البنات في تقدم مستمر، لأن تعليمهن هو الذي ينهض البلاد نهضتها الحقيقية، ففي حجورهن يتربى الأطفال، وعنهن يتلقى الأولاد المبادئ، فإن كانت طيبة ونيرة كان أساس تربية الرجل متيناً وإلا فلا، ونعتقد أن ما نراه من النقص في تربيتنا الأخلاقية والوطنية والعملية؛ أساسه إهمال تربية البنت وتعليمها.

في طولكرم مدرسة للبنات ترأسها الآنسة زبيدة الداود، المعروفة بحسن أخلاقها وذكائها، ويعاونها معلمات نشيطات. المدرسة ضيقة بطالباتها، وبناياتها غير صالحة، ومرتبة فالبنات لا يرسخ في عقولهن شيء من الترتيب والنظام من رؤية غرف مدرستهن وحيطانها وشبابيكها وأرضها وسلالمها، ولا نظن هذا يتفق مع إدارة يرأسها مدير معارف بريطاني. سرّنا ما رأيناه من العناية بتعليم الخياطة والأمثلة العملية على تدبير المنزل، وسررنا بسماعنا ابنة صغيرة تجيد قراءة القرآن العربي الكريم الذي يمكن لكل أم عاقلة أن تستخرج منه عدا التعاليم الدينية، تعاليم أخلاقية وأدبية واجتماعية وقومية.

مدرسة الزراعة

كان حمدي بك الجلاد ورئيس بلدية طولكرم ونخبة من الأهالي قد بنوا مكتباً زراعياً في طولكرم، ولكنه تهدم في الحرب، وقد أعيد بناء غرفتين منه وأصلحت الأراضي التابعة له إلى درجة ما، وقد رأينا المهندس الزراعي المعين له يتفجر حماساً وغيرة لإعادة بناء هذا المكتب وجعله في حال صالح وفتحه لقبول طلبة الزراعة، وتعليمهم علماً وعملاً، وإنا لنستغرب جداً كيف أن الإدارة تنفق مبالغ على معاشات الموظفين الزراعيين و(لا تفقي في أعيننا حبة حصرم)[56]، فتفتح لنا مكتباً زراعياً صالحاً بنفقة يسيرة في بلاد

---

[56] - مثل شعبي يقال لحث احد ما على فعل معين

زراعية كفلسطين. وعدنا المستر دونج أنه سيبذل جهده لفتح هذا المكتب في القريب العاجل، فنأمل من الإدارة أن تنظر إلى حاجة البلاد الضرورية وأن تعتبر طلبنا فتح مكتب زراعي طلب حق، حتى يعود علينا وعلى الإدارة بالفائدة.

إلى الأمام أم إلى الوراء. مدرسة لصنع السجاد

كان في طولكرم قبل الحرب مدرسة لصنع السجاد، ولم تلب الحكومة طلب الأهالي لإعادة فتحها بعد الاحتلال. مدرسة كهذه تنفع البلاد نفعاً مادياً جزيلاً وتدخل إلى مقاطعة فلسطين السورية صناعة جديدة، فمن الغريب أن الإدارة لم تعتن بها ولا سيما بعد أن عرفت أنها كانت مؤسسة في عهد الأتراك، وقد رأينا سجاجيد من صنعها وهي جميلة جداً، أم هل الإدارة لا تفكر إلى الآن بفتح مدرسة عملية [مهنية] في فلسطين ولا مدرسة زراعية ولا مدرسة صناعة، فهل هذا غير داخل في برنامج الانتداب وهل المدارس الصناعية غير ضرورية للرقي والتمدن اللذين يدعيهما الانتداب؟ أم المدارس العملية لا تتفق مع المادة الثانية من صك الانتداب الفلسطيني؟ نحن نود أن يرى الشعب كل الدلائل التي تؤدي إلى إزالة كل أثر للريبة في أعمال الإدارة.

وفي الختام نرجو من الهيئات الممثلة ومن المفكرين الوطنيين الذين يقدرون فضل الرجال؛ أن يكتبوا إلى حاكم طولكرم المستر دونج يشكرونه على أعماله الطيبة، ليعلم الملأ أننا نقدر الرجال العاملين المنزهين[57].

طولكرم أيضاً

اقرأوا وتشبهوا. مدارس القرى

في قضاء طولكرم 25 مدرسة، قابلنا بعض معلمي هذه المدارس ووجدناهم على جانب عظيم من الذكاء والمعرفة وأصحاب حق ومبادئ. سمعنا الأستاذ عارف العواد يتلو قصيدة من نظمه في حفلة المولد النبوي دلت على مكانته العليا في الأدب، وقد أخبرنا الأستاذ عمر محمد معلم مدرسة كفر جمال أن أهالي بعض القرى حركتهم الغيرة إلى الاقتداء بطولكرم

---

[57] - الكرمل. السنة التاسعة. العدد. 862. 18 تشرين ثاني عام 1922م

وإنشاء حدائق عمومية لقراهم، فخصصوا لها قطع أراضٍ وأخذ طلبة المدارس على عواتقهم أن يخططوها ويغرسوا الأشجار فيها، ومن هذا ولدت الرغبة عند كثير من الطلبة من ذويهم أن يخصصوا لهم قطعاً من الأراضي. وباشروا غرس الأشجار فيها وتعهدها، وهم مصممون على متابعة الغرس لأنفسهم ليكون لهم متى كبروا ملكاً خاصاً بهم انشؤوه بعمل أيديهم وعرق جباههم، فعسى أن تنتشر هذه الروح في جميع البلاد العربية، ليتعلم الصغار منذ نعومة أظفارهم الاعتماد على النفس، وعلى الحياة الاستقلالية والعمرانية.

الصحة

يدير دائرة الصحة الدكتور فريد حداد، وقد رأينا من آثار اجتهاده النظافة في البلدة على غاية ما يرام، حتى المقاهي فإنه فرض على المستخدمين أن يلبسوا المآزر البيضاء أثناء العمل وأن يغيروها بمآزر نظيفة كل 24 ساعة، وأن يغسلوا فناجين القهوة كل مرة بعد استعمالها وقاية من الأمراض السارية، ونعتقد أن هذه الاحتياطات لا توجد في غير طولكرم، أما العناية بنظافة اللحم حتى في القرى فحدث عنها ولا حرج.

المستشفى

زرنا المستشفى وهو يحتوي على عشرين سريراً وينقسم إلى قسمين، للرجال والنساء تديره الآنسة جميلة سعيد من خريجات جامعة بيروت الحائزة على شهادة التمريض. والمستشفى بناه الأهالي من مالهم واستخدمه الجيش العثماني ثكنة له، وحولته الإدارة المحتلة إلى مستشفى، وقبل ذلك شاهدنا مستشفى نابلس وتعجبنا [من] أن مستشفى طولكرم يضم عشرين سريراً فقط، ويخدم هذا المستشفى قضاء عدد سكانه أربعون ألفاً وليس فيه مستشفى آخر، واستكثرنا الأعمال المعهود بها إلى الدكتور حداد، فهو يشتغل كطبيب بلدية وطبيب للمستشفى وطبيب صحة للقضاء كله.

المحكمة الشرعية

يطالب أهالي طولكرم المجلس الإسلامي الأعلى بإقامة محكمة شرعية خاصة لقضائهم، ويفضلون نقل محل المحكمة من دار الحكومة، ذلك أن المحكمة الشرعية يدخلها النساء بكثرة ودار الحكومة يزدحم فيها الرجال، ويود الكرميون أن يكون كاتب محكمتهم الشرعية ممن يراعون الشعائر الدينية.

الخلاصة

إن قضاء طولكرم سعيد بنشاط حاكمه الإداري، ومعاونه العربي الكريم السيد محمد سعيد الحاج داود والمعروف بمثابرته وإخلاصه، ومن الجدير ذكره أنه خير صلة بين الأهالي والإدارة، وأيضاً ميزة رئيس بلديته العمرانية، ونشاط طبيب الصحة واجتهاد المعلمين والمعلمات وحيوية الأهالي واستعدادهم للرقي والعمران، يتجلى ذلك تجلياً عملياً في جميع أعمالهم، كل هذا يبرهن على نشاط الأهالي وكفاءتهم في طولكرم. ونحن نتوقع إذا قدر لنا الله سبحانه وتعالى زيارة هذا القضاء مرة ثانية أن نرى فيه تقدماً محسوساً.

بوليس الحدود

أو ما يسميه الأهالي بالبوليس الحربي

ساءنا جداً ما سمعناه من الشكاوي عن أعمال بوليس الحدود، التي عكرت صفاء ما شاهدناه من حسن الإدارة والنهضة العمرانية والعلمية في قضاء طولكرم. وإنا نسجل بعض ما سمعناه من حوادث هذا البوليس المخيم في ضواحي طولكرم، على سبيل المثال يتألف هذا البوليس من يهود وجركس ووطنيين، ما كنا لنعترض على الجركس لو أنهم اختيروا من نخبة الناس، لأنهم من المهاجرين اللاجئين إلى بلادنا والفارين من حكم الروس القديم، ولكننا نستغرب استخدام أنفار من اليهود الآتين من مختلف البلدان واستخدام غير العرب في أقضية عربية بحتة. وبهذه المناسبة نقول إننا نستغرب جداً أن نرى في جميع دوائرنا خليطاً من الأعاجم يزاحموننا على الوظائف في بلادنا الصغيرة، التي يزاحمنا عليها يهود العالم وهم يسجلون في بيانات الحكومة وكأنهم عرب، لأنها لم تذكر المستخدمين كذا ومنهم كذا يهوداً وكذا غير يهود، فكأنها تحسب كل من كان غير يهودي عربياً ولو أن بعض هؤلاء الأعاجم مدسوسون ومرسلون جواسيس علينا، فنأمل من الإدارة أن لا يحسبوا سكوتنا عن هذه المسائل جهلاً، بل كرماً وعسى أن لا نحتاج إلى أكثر من هذا التنبيه.

عود

نعود إلى ذكر بعض ما سمعناه عن أعمال بوليس الحدود وأصحاب الزنانير الحمراء، فقد قيل لنا إنهم أجبروا الأهالي إلى مد 12 كيلو متراً من الإسفلت في قرية عينبتا، وأنهم فتحوا صناديق النساء في قرية الراس، وأنهم يستعملون الضرب الشديد

حتى صار بعض الأهالي يظنون، وبعض الظن إثم، أن المقصود من هذه الأعمال حملهم على التمرد وقد أذاقوا أهالي قلقيلية مر العذاب.

ومن أغرب ما سمعناه أن بعضاً منهم سجنوا يوسف الحاج علي من دير استيا في معسكرهم، ففر فأفاقوا ولما لم يجدوه خرجوا فالتقوا على مقربة من المعسكر بجمالة[58] من جبع راجعين من يافا، فأهانوهم وضربوهم وأخذوا منهم 14 ليرا لأنهم لم يقبضوا على الفار، وادعى البوليس أن عماله على علم بفراره.

ثم ذهبوا إلى قرية ذنابة وألقوا فيها الرعب والذعر، بدعوى أن الفار لجأ إليها، وقبضوا على اثنين منهم من وجهائها وسلموهما إلى حكومة طولكرم، فأطلقت سراحهم بعد توقيف 24 ساعة، ولسنا نعلم إن كانت هذه الأنباء صحيحة، ولماذا يجب أن يتحمل الأهالي نتيجة تهاون هذا البوليس، ولم هذه الأعمال المنكرة التي تشوه سمعة القومندان والإدارة معاً.

ثم ذهبوا إلى قرية كور وأجبروا أهلها أن يذبحوا لهم اربعين دجاجة، أي دجاجتين لكل نفر وأربعاً لحضرة الجاويش، ما عدا العليق لخيولهم، ثم توجهوا إلى مزرعة الراس ودخلوا البيوت عنوة وأخذوا منها أمتعة، وقد علمنا أن الأهالي رفعوا أمرهم إلى الإدارة. وهنا يجب أن ننبه الأهالي إلى ضرورة الاكتفاء بالحقيقة المجردة في شكاويهم، لأنهم إذا عمدوا إلى تجسيم الحوادث ظناً منهم أن ذلك يكفل لهم الوصول إلى حقهم فالنتيجة تكون بعكس ذلك، لأنه إذا ظهرت مبالغة الأهالي في شيء من الأشياء يخسرون كل دعواهم.

حادثة دير أستيا

وبمناسبة ذكر بعض ما بلغنا من حوادث هذا البوليس في طولكرم، التي اشتكى الأهالي منها إلى الحكومة نذكر حادثة دير استيا كما سمعناها من شهود عيان.

دخل 47 نفراً من هذا البوليس في 18 تشرين الأول بصورة غير منتظمة وعشوائية إلى قرية دير استيا للتحري على يوسف أبو علي، وبدون مراجعة المختار تغلغلوا في البلدة فرقاً وكسروا أبواب 38 بيتاً وسلبوا أمتعة وحلي للنساء، وقد ضبط جانب من هذه الأمتعة مباعاً في قرية زيتا، وقد استنفر الشيخ عبد الرحيم الأحمد من أهالي زيتا لتشخيص الأنفار الذين باعوه الأمتعة، فعرف واحداً منهم وقد فهمنا من المخبرين أن البوليس

---

[58] - الجمّال جمعها جمّالة وهم الذين ينقلون البضائع على الجمال.

انفردوا به بعد ذهاب الحاكم وهددوه ليغير إفادته، وضربه الجاويش، وقد أخبر هيئة التحقيق بذلك وبلغ عدد الذين ضربهم الدرك نحو عشرين نفراً، وقد وجدوا في القرية سبع (بواريد)، أما الشاب عبد الرحمن الأحمد فقد مات متأثراً من الضرب المبرح.

ومن المضحكات المبكيات ما قيل عن أن الجاويش اليهودي قطع سوطه وهو يضرب أحد الأهالي، فأخذ ثمنه ليرا مصرية منهم، وأن أحد الجنود كسرت ساعته وهو يضرب الإمام فغرم الأهالي بثمنها.

وقيل لنا إن امرأة لما سمعت بقدوم الدرك إلى البلدة وقد بلغها كما بلغ سائر الناس من أخبارهم بادرت إلى صندوقها وأخذت عشرين ليرا مصرية كانت مخبأة فيه وخبأتها في ثيابها، وبينما هي خارجة من البيت اعترضها أربعة جنود وأخذوا يفتشونها ولسنا نعلم من أجل أي شيء فتشوها، فعثر أحدهم على الأوراق المالية وأخذها فشكت أمرها إلى الماجور القومندان، وكان الوقت بعد الظهر فأمرها أن تعود ثاني يوم صباحاً فعادت وعرفت أحد الأنفار من الذين وقفوا أمامها، فطلب الماجور إلى بعض الوجهاء الذين كانوا قد أحضروا له الشاي والطعام أن يفتشوه، ولما لم يجدوا الدراهم معه أمر بتكتيف المرأة وأبقاها ست ساعات في الشمس، وقد قال لنا المخبران مصطفى وعبد الهادي أبو حجلة أن الأهالي، لما جاؤوا يشتكون إلى حاكم القضاء المستر نوط، سد أذنيه وقال لهم إنه لا يسمع لهم الشكوى إلا يوم الأربعاء بعد أن يتموا الإحصاء، وقد ظن الأهالي حينئذ أن ما أجراه الدرك في قضاء طولكرم وفي دير استيا بحجة التحري على الأسلحة وملاحقة الفار كان مناورة إرهابية لحمل الناس على الإحصاء.

الاحتجاج

كان لأنباء هذه الحوادث وقع سيء جداً على نفوس الناس، وقد رفعت جمعية نابلس الإسلامية المسيحية بواسطة حضرة رئيسها الغيور حافظ بك طوقان وبعض أعضائها الكرام، احتجاجاً شديد اللهجة إلى الحكومة، ذكروا فيه خلاصة الحادثة وكيف أن الأهالي رفعوا شكواهم إلى الحكومة التي أرسلت هيئة للتحقيق، وقالوا إن مثل هذه الحوادث تكرر وقوعها في قرى أخرى وأعربوا عما يكنه الأهالي من سوء الظن الذي نشأ عن عدم اهتمام الحكومة اهتماماً كافياً بإكمال التحقيقات ومعاقبة الفاعلين، وعن دوام تواجد الجنود في القرى على الرغم من كون الأمن مستتباً، وقد طلبت الجمعية أن يترك الأمر لدائرة الأمن العام وأن يبادر إلى التحقيقات وإجراء الأحكام القانونية ومحافظة

الحقوق العمومية والشخصية، وطالبوا الحكومة بأن تكون دائماً على تفاهم حسن مع الأهالي.

لا نعلم ما هي الحكمة من استخدام الإدارة جنوداً من اليهود والجركس في الإدارة الفلسطينية؟ الأن أهالي فلسطين بهذا المقدار أغنياء ويجب عليهم إعالة مهاجري الجركس وبولونيا وروسيا وغيرها؟ أم لأن الفلسطينيين هم من العرب الذين جنوا على أنفسهم بحبهم لبريطانيا وللبريطانيين؟ وليت هؤلاء الجنود الغرباء يجتنبون ما يجلب لهم وللإدارة من سمعة وصيت سيئ.

نحن نعرف أن رجالات الإنكليز كحاكم طولكرم والمستر ريشموند وغيرهم ممن يمثلون الإنكليزي الذي وهب الإدارة البريطانية سمعتها التقليدية الطيبة، ولكننا نرى مع الأسف في بعض الأحيان ميلاً إلى التقليل من أهمية ما يقع على الأهالي من الحيف وتكذيب رواياتهم لتخفيف مسؤولية من يعتدي عليهم. لا نريد أن نعتقد بوجود تحيز في الإدارة، ولكن أبمثل هذا يا ترى يعامل الدرك الفلسطيني المستعمرات اليهودية؟ ولماذا لا يتحرى هذا الدرك على الأسلحة في المستعمرات وكثيرون من الأهالي يعتقدون أنها مملوءة بالأسلحة؟ حين نسمع أحاديث رجال الإدارة وتقاريرهم نتأكد أننا نسمع أحاديث إنكليز حقيقيين نبلاء، ولكن سماع أخبار مثل هذه الحوادث تنفر القلوب، فنأمل من رجال الإدارة أن يزيلوا كل أثر لسوء التفاهم ويعاملوا صاحب البلاد الشرعي معاملة الغريب وهو يدفع رواتبهم ويقوم بنفقات إدارتهم، فمصلحة بلادهم مرتبطة بمصالح بلاده لا بسواها في الشرق.

أسرع رجال إدارة نابلس إلى إصدار الأحكام على من وجد عندهم سلاح أحكام متفاوتة من سنة فما دون، فليت الإدارة تتخذ الوسائل التي تقنع الأهالي بعدم وجود سلاح في المستعمرات اليهودية، ويتم التحقيق على كل ما جرى في الحوادث وفي القرى وتصدر الأحكام بسرعة على كل ما يقتضيه عمله ليعتقد الأهالي بعدل هذه الإدارة وتطمئن خواطرهم لأحكامها.

عودة إلى طولكرم

مما يذكر لرئيس بلدية طولكرم أنه لا يسمح للمغاني ولا للمومسات بدخول طولكرم، ولا يأذن بفتح خمارات فيها، فليت حضرة حاكم بيسان ورئيس بلديتها يقتديان به حرصاً على الوصايا الدينية التي شرعت الشرائع المدنية تعمل بها، وعلى الأخلاق العربية الأصيلة.

رواية فتح الأندلس

مثل شبان النادي العربي رواية فتح الأندلس، وخصصوا ريعها إعانة للوفد، فتمثلت في التمثيل الشهامة والشجاعة العربية.

حَمْرةُ الصَّقر

عموم الناس يتحدثون ببيع (مطلق ويوسف العرسان) لحمرة الصقر، ويظهرون أسفاً عظيماً لقيام هؤلاء الشيوخ بعمل كهذا وعدم مراعاتهم سمعة أجدادهم والمبادئ الوطنية، وإننا نعلن بملء الأسف أننا سمعنا الناس في طولكرم ونابلس وجنين يندون بهذا العمل ويأسفون على سمعة هؤلاء الشيوخ، الذين قاموا بعمل لا يمكن أن يتم مطلقاً، لأن الأراضي لا تختص بمطلق ويوسف بل هي لعرب الصقر جميعاً، ويعتقدون أن شهامة الشيخ عبد الله الحسين وسائر شيوخ الصقر والعرب، ستحول دون إتمام هذا البيع[59].

الأمن العام والناعورة

اتصل بنا منذ بضعة أيام، بينما كان أحد رعاة الماعز يرعى قطيعه في أرض تدعى كارة من أراضي الناعورة التابعة للناصرة، جاء عليه أربعة أشقياء فعصبوا عينيه وشدوا ذراعيه بحبال متينة وساقوا قطيعه في طريق مجهولة.

سليم فرح

السيد سليم فرح مهندس زراعي تخرج من جامعة إلنوي الأميركية، وجاء يمارس الزراعة في بلاده ويكون قدوة عملية لترقية الزراعة على الأصول الفنية وإحداث نهضة اقتصادية، أما الأشقياء فلم يدعوه مرتاح البال بل جعلوا يهاجمون مزرعته في أم الفنم من وقت إلى آخر، وآخر مرة هاجموها وأطلقوا الرصاص على الحارس الأمين فجرحوه في ساقه وأخذوا بعض البغال، ولكن عمال المزرعة استيقظوا على صوت العيارات واستردوا البغال، أما الجريح فنقل إلى المستشفى فحبذا لو نقلت نقطة البوليس من مسحة إلى الشرار للمحافظة على الأمن هناك.

---

[59] - الكرمل - السنة التاسعة - العدد 863 - 22 تشرين ثاني عام 1922م

نحن نقدر قيمة فوائد المزارع الفنية التي ينشئها المهندسون الزراعيون، ونعتقد أن الإدارة تقدرها أيضاً فنأمل منها أن تشدد في المحافظة عليها من تعديات اللصوص خدمة للمصلحة العامة.

وترامى إلينا أيضاً أن اللصوص سلبوا جمال فياض العدوي من أهالي طرعان، وسلبوا جملاً وحمارين من ضواحي سهل البطوف، وسلبوا جملين من نفس قصبة الناصرة لأولاد يوسف عودة الله.

مغار حزور

وجاءتنا رسالة من السيد محمد العايدة من وجهاء قرية مغار حزور التابعة لقضاء طبريا يوجه فيها أنظار الموظفين البريطانيين الكرام، ويستنهض هممهم للمحافظة على الأمن العام، ويسرد أخبار الحوادث التي حدثت في ضواحيهم في غضون الشهرين السابقين. فقد قال إنه منذ نحو شهرين سلب ثمانية أشقياء مسلحين جماعة من أهالي المغار كانوا راجعين إليها من طبريا، وسلبوا حوائجهم وخمس بهائم، وأثناء التحري والتحقيق ظهر أن الأشقياء هم لهيب رصاطمة[60] نازلون عند عرب الكلابات[61] في المخيبة[62]، فتوجه إليهم فريق من الأهالي فردوا لهم البهائم وأنكروا عليهم الحوائج.

وفي تشرين الثاني بينما كان اثنان من أهالي المغار راجعين من ساحل عكا، هاجمهما أربعة لصوص مسلحين بجوار مجد الكروم والبعنة ونحف، وقبضوا عليهما وساقوهما إلى أراضي عرابة، وهناك عصبوا عينيهما وكتفوهما وسلبوهما حماريهما محملين زيتاً.

وفي 9 تشرين الثاني، بينما كانت بعض النساء المغاريات ذاهبات إلى طبريا، طلع عليهن أربعة خيالة عند وادي الحمام وأهانوهن، وسلبوا منهن أربع بهائم محملة تيناً مجففاً، فاستأنفت النساء السير إلى طبريا وأعلمن الحكومة، فأرسلت معهن أنفاراً من البوليس، وذهبوا إلى (قصاص الأثر) فوجدوه يتتبع أثر جمال سرقت في أرض الطابغة،

---

(60) - يورد اوينهايم في موسوعة البدو ج2 ص 45 أن قبيلة اللهيب في فلسطين تنقسم إلى قسمين رساتمة، وهم الرصاطمة المذكورون هنا، والعيثة، فالرساتمة يسكنون شمالي غرب صفد، والعيثة في خربة طوبى عند صفد.

(61) - وردت في النص عرب الكليبات والصحيح عرب الكلابات أو بنو كلاب وينتشرن جنوب شرق بحيرة طبرية

(62) - وردت في النص المخبير وهو خطأ مطبعي والصحيح ما ابتناه اي المخيبة أو المخيبي، وهي قرية على الضفة الجنوبية لنهر اليرموك قرب الحمة، وكانت من منازل عرب الكلابات، وهذه الحادثة مشهورة لدى أبناء هذه القبيلة وقد أكدها لنا الباحث محمود مفلح البكر نقلاً عن معاصرين لتلك الحقبة ولكن بتفاصيل مختلفة قليلاً

وبعد أن فرغ عادوا وإياه فتتبعوا أثر الذين اعتدوا على النساء إلى طوبى منازل عرب اللهيب في قضاء صفد، فعرفت النساء خيال فرس زرقاء أنه وفرسه كانا مع اللصوص، فقبض عليه رجال الشرطة وساقوه إلى سجن صفد، فاعترف أن اللصوص نازلون في جهة القلع[63] التابعة للقنيطرة، فتوجه فريق من العرب والشرطة مع النساء واستردوا البهائم.

وفي ليلة 13 منه دخل بعض الأشقياء على بيت أسعد الدغش من أهل المنصورة التابعة للمغار، ومزقوا جسمه بالخناجر وهو نائم في فراشه وتركوه في حال تفتت الأكباد، وقد ألقت حكومة طبريا القبض على بعض أهالي القرية الذي قال لامرأته قبل أن يلفظ روحه إنهم قتلوه، ولا تزال الحكومة تفحص عن هذه الجناية الفظيعة بكل دقة.

صاعقة وعاصفة

وفي ليل 18 منه نزلت في أرض المغار صاعقتان وهبت عاصفة قوية اقتلعت 186 زيتونة وكسرت فروعاً لا يحصى عددها، ولقد مرت العاصفة في عرض نحو خمسين متراً ومسافة نحو كيلو مترين.

الكرمل: نحن نظن أن ما اتصل بنا هو بعض من كل، ولسنا بحاجة إلى تذكير رجال الإدارة البريطانيين بأن الإدارات تستوفي الضرائب من الأمم لتحافظ على الأمن وتؤمن الناس على أرواحهم وأموالهم، وترقي التجارة والصناعة وتعمم التعليم وتنهض بالبلاد، فإذا اضطرب الأمن ضعفت ثقة الناس بالإدارة وارتفع الكابوس عن نفوس الأشقياء واللصوص، وقاموا يعيثون في البلاد فساداً بلا زاجر أو رادع. نحن ممن يرغب في بقاء السمعة البريطانية على ما كانت عليه قبل الحرب فنرجو من الإدارة أن تنصرف كلياً إلى الضرب على أيدي الأشقياء اللصوص، وأن تؤدب كل من يسلب الناس راحتهم بسبب شقاء الإنسانية، لتبقى هيبتها في النفوس ولا تصير الأمور فوضى: يخطر لنا أنه أولى بالإدارة أن تستخدم بوليس الحدود في مطاردة الأشقياء، وفي بث الدوريات على الطرق، وفي المحلات المعروفة بمرابط الأشقياء وليلاً في داخل المدن.

وإذا توفق البوليس إلى كشف كل جريمة تحدث داخل المدن وعلى الطرق وقبض على الأشقياء واقتصت منهم الحكومة، ينال هو والإدارة شهرة أفضل من الشهرة التي

---

[63] - وردت في الأصل القليهة، والصحيح القلع، وهي قرية بدوية يسكنها عرب الفالجة من الفضل، وبينهم وبين عرب اللهيب صلات قربى ومصاهرة

نالها في قضائي طولكرم ونابلس، وحينئذ يهيء له الأهالي موائد «الصيصان المحمرة» عن طيبة خاطر[64].

يلاحظ أن الإدارة مهتمة في أمر الانتخابات للمجلس التشريعي، أفلا يستدعي نجاحها أن يكون الناس امناء[65] على أرواحهم وأموالهم في بيوتهم وعلى الطرق، لتكون الثقة تامة ومتبادلة.

يقول رجال الإدارة إنهم جاؤوا ليعلمونا على الحكم الذاتي وليرقونا، أفلا يستدعي هذا القول أن نرى كفاءة إدارتهم في منع التعديات وسيادة الأمن لنطمئن وننصرف لأعمالنا وتعمير أرضنا.

إن الموظف البريطاني الذي يتقاضى ثلاثة أو أربعة أضعاف راتب الموظف العثماني، ينتظر منه أن يقوم بأعمال تتناسب مع معاشه[66].

رسالة طولكرم

تأخر نشرها بمناسبة كثرة الحوادث

دعا سعادة حاكم طولكرم وجوه وأعيان المقاطعة لحضور حفلة افتتاح المستشفى الوطني الذي تم إعماره، فلبى الدعوة كافة المدعوين وبعد ظهر يوم 26 تشرين الثاني سنة 1922م اكتمل عقد المدعوين فرحب سعادة رئيس بلدية طولكرم السيد عبد الرحمن الحاج إبراهيم بالحاضرين، وتلاه سعادة حاكم لواء نابلس بخطاب أنيق ألقاه بالإنكليزية، وقرأ ترجمته سعيد بك معاون حاكم طولكرم، أثنى فيه سعادة المستر كوكس ثناءً طيباً على حضرة رئيس البلدية، وعدد خدماته ومآثره الغراء ومشاريعه العمرانية العديدة، وخدماته للمعارف في جميع أنحاء المقاطعة، وشكر سعادة حاكم طولكرم المستر رونك على حسن إدارته وإتمامه لمشروع المستشفى. وتلاه رئيس

---

[64] - يرتبط رجال الشرطة ايام الانتداب البريطاني في اذهان الناس بالدجاج، وحتى الآن يسمي كبار السن الفلسطينيين رجال شرطة تلك الأيام بشرطة الدجاج لأنهم كانوا يفرضون على الأهالي ذبح الدجاج لهم متى حلوا بينهم ولأي سبب

[65] - في النص: امينين

[66] - الكرمل . السنة التاسعة . العدد 864 . 25 تشرين ثاني عام 1922م

الصحة العام الذي شرف خصيصاً لحضور هذا الاحتفال، فأثنى على القائمين بالمستشفى وشكر الأهلين على مساعداتهم المادية والأدبية، وتلاه الأستاذ العابودي بخطاب أنيق بيّن فيه منافع المستشفيات وخدماتها للإنسانية، وأثنى على حاكم طولكرم لإتمامه مشروع المستشفى، وألقى الشيخ توفيق أفندي البرقاوي خطبة نفيسة، وأتى بعده حضرة خوري اللاتين بطولكرم فذكر أوامر الأديان بشأن الرحمة والشفقة وحسن وجود مستشفى للأهلين، وأثنى على همة رئيس البلدية وحضرة الطبيب وعدد خدمات سعادة المستر رونج وحسن إدارته، وقام بعده السيد سليم عبد الرحمن وألقى خطاباً بلسان حضرة رئيس بلدية طولكرم وشكر فيه مساعدات الحكام ومساعدات الأهلين العديدة وتبرعاتهم، ومؤازرتهم لحضرة الرئيس في جميع مشاريعه العمرانية وما نتج عن ذلك من الخدمات الجمة للمقاطعة، وأثنى على همة حكام طولكرم؛ وخاصة حاكمها الحالي وختم الحفلة الشيخ ياسين أفندي بدعاء حار وخطبة بليغة، وكان يقدم الخطباء للجمهور حضرة معاون حاكم طولكرم سعيد بك، الذي لم ينس الخطباء مقدار أعماله الحسنة. وبعد اختتام الحفلة ذهب حكام المقاطعات مع رجال الصحة ورئيس البلدية لبناية المستشفى، وبعد أن رأوا فخامة بناء المستشفى الجديد الذي كان أساساً لثكنة عسكرية وتحول الآن إلى مستشفى عظيم يضاهي أحسن مستشفيات فلسطين، جلسوا وشربوا الشاي وتناولوا ما لذ وطاب، ثم سافر كل لمركزه. ومما يذكر بالشكر والثناء لحضرة رئيس البلدية أنه أتم إنشاء طريق جديدة من البلدة إلى المستشفى بظرف ثلاثة أيام فقط، مما لم يسبق لهذا العمل نظير، وفق الله رجالنا للأعمال الحسنة.

على إثر ورود تحرير من اللجنة التنفيذية بطلب ما خص طولكرم من إعانة الوفد ومصاريف اللجنة، تشكلت لجنة لجمع الإعانات من مقاطعة طولكرم، وباشر أحد أعضائها السيد سليم عبد الرحمن بجمع ما تجود به نفس الوطنيين الأحرار، فكان الإقبال عظيماً والهمة عالية، وإننا من صميم الفؤاد نحيي هذه الروح الوطنية والحمية العربية عند إخواننا أهالي مقاطعة طولكرم، الذين ما فتئوا يظهرون حماستهم في كل فرصة.

وفي الرسالة قائمة بأسماء المتبرعين ومقدار تبرعاتهم لم نتمكن من نشرها لضيق نطاق الكرمل[67].

---

[67] - الكرمل . السنة التاسعة . العدد 865 . 29 تشرين ثاني عام 1922م

نابلس

نابلس بلد عربي طيب قديم العهد جداً، وأول ما ذكرت هذه المدينة في التوراة باسم شكيم، وهي واقعة بين جبلي جرزيم جبل البركة الذي أقام عليه السمرة هيكلهم وجبل عيبال أو جبل اللعنة، وقد سماها اليهود ماموراثا أي الممر، ولكن هذا الاسم لم يدم بل تغلب عليه الاسم الروماني نيابوليس، نسبة إلى القائد المشهور طيطس فلافيوس نيابوليس، ولها تاريخ مملوء بالحوادث الهامة يضيق به نطاق جريدتنا الكرمل، وأول هذه الحوادث حادثة دينا ابنة يعقوب مع شكيم ابن حمور ملك شكيم المذكورة في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين في التوراة، وهذه الحادثة يجب على كل عربي أن يقرأها[68].

[68] - 1وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ الَّتِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الأَرْضِ، 2فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الْحِوِّيِّ رَئِيسِ الأَرْضِ، وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا. 3وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَأَحَبَّ الْفَتَاةَ وَلاَطَفَ الْفَتَاةَ 4فَكَلَّمَ شَكِيمُ حَمُورَ أَبَاهُ قَائِلاً: «خُذْ لِي هذِهِ الصَّبِيَّةَ زَوْجَةً». 5وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ نَجَّسَ دِينَةَ ابْنَتَهُ وَأَمَّا بَنُوهُ فَكَانُوا مَعَ مَوَاشِيهِ فِي الْحَقْلِ، فَسَكَتَ يَعْقُوبُ حَتَّى جَاءُوا. 6فَخَرَجَ حَمُورُ أَبُو شَكِيمَ إِلَى يَعْقُوبَ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ 7وَأَتَى بَنُو يَعْقُوبَ مِنَ الْحَقْلِ حِينَ سَمِعُوا. وَغَضِبَ الرِّجَالُ وَاغْتَاظُوا جِدًّا لأَنَّهُ صَنَعَ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَهكَذَا لاَ يُصْنَعُ 8وَتَكَلَّمَ حَمُورُ مَعَهُمْ قَائِلاً: «شَكِيمُ ابْنِي قَدْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِابْنَتِكُمْ أَعْطُوهُ إِيَّاهَا زَوْجَةً 9وَصَاهِرُونَا. تُعْطُونَنَا بَنَاتِكُمْ، وَتَأْخُذُونَ لَكُمْ بَنَاتِنَا. 10وَتَسْكُنُونَ مَعَنَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ قُدَّامَكُمُ اسْكُنُوا وَاتَّجِرُوا فِيهَا وَتَمَلَّكُوا بِهَا». 11ثُمَّ قَالَ شَكِيمُ لأَبِيهَا وَلإِخْوَتِهَا: «دَعُونِي أَجِدْ نِعْمَةً فِي أَعْيُنِكُمْ فَالَّذِي تَقُولُونَ لِي أُعْطِي 12كَثِّرُوا عَلَيَّ جِدًّا مَهْرًا وَعَطِيَّةً، فَأُعْطِيَ كَمَا تَقُولُونَ لِي وَأَعْطُونِي الْفَتَاةَ زَوْجَةً». 13فَأَجَابَ بَنُو يَعْقُوبَ شَكِيمَ وَحَمُورَ أَبَاهُ بِمَكْرٍ وَتَكَلَّمُوا. لأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ، 14فَقَالُوا لَهُمَا: «لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هذَا الأَمْرَ أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُل أَغْلَفَ، لأَنَّهُ عَارٌ لَنَا. 15غَيْرَ أَنَّنَا بِهذَا نُوَاتِيكُمْ: إِنْ صِرْتُمْ مِثْلَنَا بِخَتْنِكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ. 16نُعْطِيكُمْ بَنَاتِنَا وَنَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِكُمْ، وَنَسْكُنُ مَعَكُمْ وَنَصِيرُ شَعْبًا وَاحِدًا. 17وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لَنَا، أَنْ تَخْتَتِنُوا، نَأْخُذُ ابْنَتَنَا وَنَمْضِي». 18فَحَسُنَ كَلاَمُهُمْ فِي عَيْنَيْ حَمُورَ وَفِي عَيْنَيْ شَكِيمَ بْنِ حَمُورَ. 19وَلَمْ يَتَأَخَّرِ الْغُلاَمُ أَنْ يَفْعَلَ الأَمْرَ، لأَنَّهُ كَانَ مَسْرُورًا بِابْنَةِ يَعْقُوبَ. وَكَانَ أَكْرَمَ جَمِيعِ بَيْتِ أَبِيهِ 20فَأَتَى حَمُورُ وَشَكِيمُ ابْنُهُ إِلَى بَابِ مَدِينَتِهِمَا، وَكَلَّمَا أَهْلَ مَدِينَتِهِمَا قَائِلَيْنِ: 21«هؤُلاَءِ الْقَوْمُ مُسَالِمُونَ لَنَا. فَلْيَسْكُنُوا فِي الأَرْضِ وَيَتَّجِرُوا فِيهَا. وَهُوَذَا الأَرْضُ وَاسِعَةُ الطَّرَفَيْنِ أَمَامَهُمْ نَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِهِمْ زَوْجَاتٍ وَنُعْطِيهِمْ بَنَاتِنَا. 22غَيْرَ أَنَّهُ بِهذَا فَقَطْ يُوَاتِينَا الْقَوْمُ عَلَى السَّكَنِ مَعَنَا لِنَصِيرَ شَعْبًا وَاحِدًا: بِخَتْنِنَا كُلَّ ذَكَرٍ كَمَا هُمْ مَخْتُونُونَ 23أَلاَ تَكُونُ مَوَاشِيهِمْ وَمُقْتَنَاهُمْ وَكُلُّ بَهَائِمِهِمْ لَنَا؟ نُوَاتِيهِمْ فَقَطْ فَيَسْكُنُونَ مَعَنَا». 24فَسَمِعَ لِحَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنِهِ جَمِيعُ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَاخْتَتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ. كُلُّ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ 25فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. 26وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. 27ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ 28غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ 29وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ30فَقَالَ يَعْقُوبُ لِشَمْعُونَ وَلاَوِي: «كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ، وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي، فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي». 31فَقَالاَ: «أَنَظِيرَ زَانِيَةٍ يَفْعَلُ بِأُخْتِنَا؟» [سفر التكوين، الاصحاح الرابع والثلاثون]

ومن يدرس قليلاً تاريخ السمرة فيما بعد ويقابله بحوادث التوراة التاريخية يميل للاعتقاد بصحة دعوى السمرة بأن جبل جرزيم كان الجبل المقدس القديم ثم انتقل ذلك القدس إلى شيلوه أو سيلون الحالية، ومنها نقله داود النبي وابنه سليمان إلى جبل الموريا في القدس، حيث بنى سليمان الملك الهيكل، وحيث توجد الآن الصخرة والجامع الأقصى قبلة المسلمين الأولى. لندع التاريخ الذي يدلنا على أن نابلس وجوارها كانت دائماً في التاريخ القديم العقبة الكؤود في سبيل استيلاء اليهود على هذا القسم من سوريا واطمئنانهم فيه، لنترك ذلك لأصحاب الأبحاث التاريخية ولننظر في موقف نابلس الحالي.

نابلس اليوم

عدد سكانها نحو 16 ألفاً كلهم عرب مسلمون ما عدا عدداً يسيراً نصارى ونحو مئتين سامريين.

يتبع قضاها 95 قرية، عدد سكانها نحو ستين ألفاً، وليس فيها ولا مستعمرة يهودية.

أما حالة نابلس العمرانية فهي ليست على ما يرام، لأنها مبنية على الطراز القديم كسائر المدن الشرقية بناء غير منتظم متراكماً بعضه على بعض، وأسواقها طويلة وضيقة جداً بحيث يصعب أن يتخللها الهواء النقي والشمس لا تدخل إلى كثير من بيوتها.

غير أن الأهالي شرعوا منذ عهد يسير يشعرون بما في ذلك من الضرر، فصار الموسرون منهم يخرجون إلى خارج المدينة القديمة ويبنون لهم بيوتاً صحية.

المعارف في نابلس

حركة المعارف في نابلس طيبة، ولا عجب، فقد تنبه النابلسيون إلى منافع العلم منذ عشرات من السنين، حتى كانت مدينتهم قبل الحرب تعد في مقدمة المدن السورية، من حيث عدد المتعلمين بالنسبة إلى عدد السكان.

أما الآن ففيها للمعارف مدرستان للصبيان ومدرستان للبنات، وفي نية إدارة المعارف فتح مدرستين أخريين واحدة للبنات وأخرى للصبيان، ويوجد 30 مدرسة في القضاء، وفي النية فتح ثماني مدارس أخرى، وعدد طلبة مدارس القضاء 1476، والظاهر أنه لا يوجد مدارس للبنات في القضاء، على الرغم من أن بعض القرى كبيرة لأسفنا العظيم، لأن تعليم البنات أساس الرقي.

مدارس البنات

زرنا مدارس البنات في نابلس، فالأولى تديرها الآنسة بهيجة الصالح كريمة الشيخ محمد الصالح مدير مدرسة روضة المعارف، وكفى بأن تكون مديرة هذه المدرسة كريمة ذلك الشيخ الوطني الكريم، عدد طالباتها 220 وفيها ستة صفوف.

أما مدرسة البنات الابتدائية فعدد طالباتها 115 ومديرتها الآنسة متيل مرمورة، وفيها خمسة صفوف. وجدنا عناية زائدة في التعليم والنظافة والترتيب، وقد سمعنا فتاة بدوية كريمة لأحد أمراء الضوامن تقرأ القرآن الشريف قراءة جميلة جداً.

ومما يجدر بالذكر أن إحدى كريمات العائلة التميمية التي اشتهرت بالذكاء وبالخدمات الوطنية، تبرعت بعد أن انهت دروسها بأن تعلم بنات وطنها مدة سنة مجاناً، فلم نستغرب هذه التضحية من تميمية.

وبهذه المناسبة نود أن نذكر دائرة المعارف بلزوم إدخال تعليم تدبير المنزل في مدارس البنات والخياطة الضرورية قبل الكماليات، أي أن تتعلم البنات خياطة ثيابهن وثياب أخوتهن، وقمصان وقبات وربائط الرقبة لأخواتهن وآبائهن، وترقيع الأثواب وإصلاح الأجربة قبل التطريز وشغل الإبرة، ثم يجب أن يتعلمن إتمام واجباتهن نحو البيت والعائلة والوطن ويربين على الجرأة الأدبية. فالبنت التي لا تكون عالمة بواجباتها وجريئة لا تستطيع إذا صارت أماً أن تربي ولدها على الجرأة والقيام بالواجب.

سألنا مديرة مدرسة البنات في عكا: ما هو شعارك؟ قالت فوراً شعاري معرفة الواجب والقيام به. وإني أجتهد بأن أربي في نفس كل واحدة من بناتي الشعور بالواجب والقيام به بأمانة، ونحن نعتقد أن هذه القاعدة يجب أن تكون شعاراً لكل عضو في المعارف ولكل معلم ومعلمة.

مدارس الصبيان

عدد طلبة المكتب الابتدائي في نابلس 426 والمدرسة الثانوية أو الرشادية الشرقية 175، سررنا جداً بنجابة طلبة هذه المدرسة وباجتهاد مديرها ومعلميها الأفاضل، وقد شاهدنا صف الهندسة يدرك عملياته تمام الإدراك، وكان سرورنا بما شاهدناه من عناية مدير ومعلمي المكتب الابتدائي، فالحق يقال إن الصدر ينشرح بحركة المعارف في نابلس.

وهنا يليق بنا أن نذكر بالشكر عناية رئيس البلدية في توسيع الطريق المؤدية إلى المدرسة الرشادية الشرقية، وخصوصاً القسم الواقع منها أمام المدرسة، وأن نذكر حضرة

المفتش الغيور النشيط بغرس بعض الأشجار المظللة على دوائر الفسحات التي أمام هذه المدرسة ووراءها.

قبل الانتقال من مدارس الحكومة إلى غيرها نقول: إننا نأسف لأن كل الطالبات وربما الطلبة أيضاً في مدارس الحكومة مسلمون، ولسنا نعلم لماذا لا يرسل المسيحيون القلائل أولادهم إلى مدارس المعارف ليجلسوا مع إخوانهم المسلمين على مقاعد واحدة وتحت سقوف واحدة ويتآخوا منذ الصغر. ليس الانقسام بين أبناء الوطن الواحد بالعمل المشكور. لو يعلم الذين يعلمونه لأولادهم بمثل هذه الوسائل؛ أنهم يسوقونهم إلى الشقاء ويبعدون عنهم سعادة الألفة لعدلوا عن هذا التعصب الذميم.

مدرسة الأيتام

للشيخ الفاضل الكريم السيد عمر زعيتر رئيس البلدية مآثر في نابلس سنشير إلى بعضها من قبيل المعرفة، «ولا تبخسوا الناس أشياءهم» ولكن إذا لم يكن لحضرته غير مأثرة مدرسة الأيتام لكفى.

رأى هذا الرجل العمراني الإنساني بعض الصغار الذين أشقتهم الطبيعة بفقدان أحد والديهم أو كليهما، يطوفون في الأزقة بخرق بالية ويستعدون ليسدوا الرمق وينامون في الأزقة والقمل يأكل رؤوسهم، فجمع نحو ثلاثين منهم ذكوراً وإناثاً واستأجر لهم داراً جعلها مدرسة، واستبدل خرقهم القذرة بالأثواب النظيفة، وجلب لهم معلمات يعلمنهم القراءة والكتابة والخياطة والتطريز وصناعة الأحذية والتجارة، وخصص لهم نفقة تقرب من التسعماية ليرا سنوياً من البلدية، والتاريخ يسجل للشيخ الرئيس هذا العمل المبرور لتسجله[69] الأجيال وتباركه وذريته الإنسانية.

أما مدرسة النجاح

أما مدرسة النجاح النابلسية فحدث عنها ولا حرج، فهي معهد وطني حقيقي بل معلم للرجال بكل معنى الكلمة. مدير هذه المدرسة السيد عزة دروزة[70] الوطني الصميم،

---

(69) - في النص: لتطويه

(70) - ولد محمد عزة دروزة في نابلس (فلسطين) عام 1889م، تلقى تعليمه في نابلس وتخرج عام 1906. عمل موظفاً في دائرة البريد العثمانية، ووكيلاً لمديرية بيسان، ومأموراً متجولاً، ومفتشاً لبيع الطوابع في بيروت، ومفتشاً للبريد في سيناء، وسكرتيراً لديوان المديرية العامة في بيروت، وكاتباً في ديوان الملك الأردني عام1920 ومديراً لمدرسة النجاح

ومعه نخبة من الأساتذة هم من خيار شبان النصارى والمسلمين الوطنيين آلوا على أنفسهم أن يبذلوا كل ما في وسعهم في إعداد النشء لهذا الوطن، فجهزوا هذه المدرسة بأحسن المبادئ والعلوم والأخلاق وجهزوها بأفضل ما يؤهلها للصمود الشريف في معترك الحياة.

عدد طلبة المدرسة الداخليين ما يقارب السبعين والخارجيون يزيدون عن المئة وهي بدرجة الاستعدادية للجامعة الأمريكية بزيادة بعض علوم عالية.

حضرنا درساً في تاريخ العرب كان يلقيه حضرة المدير السيد عزة دروزة على الطلبة، فكان درساً لنا بما ضمنه من الملاحظات الاجتماعية والفلسفية، واستخرجه من العبر الأخلاقية وكنا معجبين بانتباه الطلبة وشوقهم لاستيعاب كل ما يقال، وبحسن أجوبتهم التي دلت على إلمامهم، وسمعنا بعضاً منهم يتمرنون على الخطابة، فكانت الجرأة الأدبية والوقار تتمثلان فيهم، وطربنا لتكيف أصواتهم في الإلقاء، ولنبراتهم ولدلائل النجابة البادية على وجوههم، وهنا لا يسعنا إلا أن نهنئ الأستاذ سعيد كساب المحامي البارع بنجابة نجله الصغير التي تبشر بمستقبل كبير للغلام، إن شاء الله، المدرسة مرتبة ونظيفة وتعتني الإدارة كل العناية بالمحافظة على صحة التلامذة وبالأطعمة المغذية السهلة الهضم.

غاية المنى

غاية ما يتمنى المدير السيد دروزة من همم النابلسيين الكرام أن يساعدوه على بناء خاص بهذه المدرسة يبنى على هندسية أبنية المدارس الجديدة، ليكون رحباً ومستكملاً الشروط الصحية، وعندنا أنه ليس بكثير على كرم النابلسيين ووطنيتهم أن يشيدوا هذا

الوطنية (1922-1927)، ومأموراً لأوقاف نابلس الإسلامية (1928-1932)، ومديراً للأوقاف الإسلامية في فلسطين (1933-1937)، وانغمس دروزة في النشاط الوطني الفلسطيني وكان احد قادة ثورة فلسطين في سنة 1355هـ= 1936م حيث دعت إلى الإضراب العام، وتحول الإضراب إلى ثورة شعبية كاسحة ولما تجددت الثورة سنة 1356هـ= 1937م كان المسؤول عن التخطيط السياسي للثورة الفلسطينية، وكانت تتلقى اوامرها من دمشق حيث كان يقيم دروزة، وغيره من القيادات الفلسطينية اللاجئين بها، وظل هنالك قائما على أمر الثورة الفلسطينية حتى اعتقله الفرنسيون بتحريض من الإنجليز في 1358 هـ = 1939م، وحوكم امام محكمة عسكرية فاصدرت عليه حكما بالسجن، ثم أفرج عنه سنة 1360هـ= 1941م فذهب إلى تركيا لاجئا، وقضى هنالك اربع سنوات عاد بعدها إلى فلسطين، واستمر دروزة يقوم بدوره السياسي في خدمة القضية الفلسطينية حتى اشتد عليه المرض في سنة 1367هـ=1948م، فاستقال من عضوية الهيئة العربية العليا لفلسطين وتفرغ للكتابة والتأليف وقد سجل مذكراته في ستة مجلدات ضخمة، حوت مسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمان

البناء ويسجلوا لأنفسهم هذه المأثرة الحميدة في تاريخ نهضة العرب الوطنية والعلمية. بارك الله بعزة وبرفاقه الأساتذة، فقد جعلوا معهدهم هذا حجر زاوية قوياً في بناء مجد العرب الحديث.

دار حضانة

يطلب أهالي نابلس من المعارف دار حضانة للأطفال، ونعتقد أنهم محقون في هذا الطلب ونظن أن المعارف ستلبيه.

مفتش معارف نابلس

تبينا أن السيد شريف صبوح مفتش معارف نابلس من خيرة الشبان الساهرين على الواجب، النشيطين في أدائه، فقد سمعنا الثناء عليه كثيراً وشاهدنا من عنايته ما يؤملنا بنجاح مدارس نابلس وطولكرم وجنين وبيسان الموكولة لإدارته، وعسى أن يعير قضاء بيسان اهتماماً كبيراً فحركة المعارف فيه متأخرة في القرى وبين العشائر.

الكشافة

الشيء الوحيد الذي أسفنا له أن الاهتمام بأمر الكشافة في نابلس ولوائها وفي مدرسة النجاح قليل جداً، ولم نكن نتوقع ذلك لما في هذا المسلك من الفوائد الصحية والأخلاقية والتنظيمية، فعسى أن ينتبه المدراء والمعلمون وإدارة المعارف إلى هذا الأمر الهام[71].

نابلس أيضاً

الصحة العمومية — الخطر المدهش

ينظر الوطنيون في فلسطين إلى هذا البلد الطيب بسكانه العرب الخلص، وبجمعيته الإسلامية المسيحية التي تسير دفة الحركة الوطنية بإخلاص ومتانة عظيمين،

---

[71] - الكرمل. السنة التاسعة. العدد 865 . 29 تشرين ثاني عام 1922م

نظرة الخائف إلى الملجأ الأمين، فنحن وكل عربي مفكر يلتمس للنابلسيين الثروة الطائلة والعقول النيرة الوقادة والمواليد الكثيرة، ليحسنوا القيادة الوطنية وليتمكنوا من الإنفاق عليها عن سعة وليكونوا كتلة وطنية قوية تضاهي ما يستطيع اليهود أن يجلبوه من المهاجرين، ولتأمين هذه النتائج يجب أن تكون المقدمات صحيحة، أي يجب أن تكون الصحة العمومية في نابلس على غاية ما يرام، ويجب مقاومة جميع الأمراض التي تضر بها بشدة عظيمة وبهمم عالية.

من أجل هذه الاعتبارات كان أول شيء بحثنا عنه في نابلس الصحة العمومية، وقد نبهنا إلى ذلك ما شاهدناه من ضيق الأسواق وثقل الهواء فيها وروائح العفونة في كثير من زواياها، التي لا تتخللها الشمس مطلقاً، ومن عدم الانتظام في حالة السوق، فقد ترى الإسكاف والعشي[72] متقابلين، والمسافة بينهما لا تتجاوز المترين (عرض السوق)، وقد استنتجنا من رؤية الأسواق أن حالة كثير من البيوت قد تكون أردأ كثيراً من حالة الأسواق، فلجأنا إلى الأطباء الرسميين وغير الرسميين، وكانت نتيجة ما عرفناه أن السل بأنواعه يعني العظمي والدماغي والرئوي والحنجري يفتك في نابلس فتكاً ذريعاً، وأكثره يكون في النساء من الطبقة العامة اللواتي يصرفن حياتهن داخل جدران بيوت رطبة لا تطهرها الشمس والهواء، ومعلوم أن العامة أكثر بكثير من الخاصة في كل بلد ومكان، وأن الأمراض التي تنتقل بالعدوى إذا علقت ببلد تصير الوقاية منها صعبة جداً، فقد تنتقل مكروباتها بواسطة لمس الخضار والفواكه والأوراق النقدية وغير ذلك، وخلاصة ما يمكن أن نقوله إن عدد المصابين بأمراض السل المختلفة يبلغ نحو خمسين ممن يعاينهم الأطباء.

وأخبرنا أحد الأطباء الوطنيين والأسف ملء صدره؛ أن مرض الإفرنجي[73] تفشى في نابلس التي لم تكن تعرفه قبل الحرب، وقد جلبه إليها بعض الشبان الذين كانوا عساكر في الجيش من أبنائها، وهذا أيضاً من الأمراض الفتاكة والتي تضر بالمواليد، خصوصاً لأن الناس في نابلس لا يزالون يجهلونه فلا يسرعون للتداوي منه حالما يظهر فيهم، فإذا ظلت حالة نابلس على ما هي عليه انتشر هذان المرضان العضالان فيها وقضيا على الصحة العمومية، وأهلكا الحرث والنسل، وكانت خسارة النابلسيين عظيمة وخسارة الوطن والأمة العربية فيهم أعظم لأنهم من كتلها الصالحة.

---

[72] - العشي هو صاحب دكان تبيع الطعام، ولايمكن ان نسمي دكانه مطعماً.

[73] - هو مرض الزهري احد اشهر الأمراض الجنسية في العالم، وقد وضع الحد له اكتشاف البنسلين في بدايات القرن العشرين

كيف يُتَّقى الخطرُ

على الرغم مما شاهدناه من علو همة حضرة رئيس البلدية وحسن إدارته وسهره وعنايته التي ذكرنا شيئاً عنها فيما يتعلق بمدرسة الأيتام والتي سنذكر عنها أشياء فيما بعد.

نقول إن مشروع تطهير نابلس من هذين المرضين الضارين مشروع كبير، لأنهما وخصوصاً السل منهما، تأصلا ولأن البلدة كبيرة وأبنيتها قديمة ومتراكمة ولا يصلحها إصلاحاً حقيقياً إلا هدمها وبناؤها من جديد، وذلك متعذر، ولأن أهل نابلس عموماً من القوم المحافظين، ولأن واردات البلدية لا تمكنها من القيام بمشاريع كبيرة. ولكن هذه الأعذار المشروعة يجب أن لا تقعد الهمم العالية وخصوصاً أن الخطر أعظم مما يتصوره الناس العاديون.

ولا نعذر أبداً إدارة بريطانية يرأسها رجال عقلاء نبلاء؛ كالكولونل كوكس والماجور نوط، ولا إدارة صحية برئاسة رئيس أطباء إنكليزي وإدارة طبيبين وطنيين من خيرة الرجال، ولا جماعة الأطباء الوطنيين المشهورين بالغيرة والمقدرة كالدكتور بشناق وملحس وأبي غزالة وغيرهم، ولا الجمعية الإسلامية المسيحية ورئيسها المحترم والتي هي خير مثال للوطنية الصحيحة، ولا سائر أعيان نابلس ومفكريها كسليمان بك طوقان، وعبد اللطيف بك صلاح، وكثير غيرهم، ولا بلدية يرأسها الشيخ الرئيس الهمام إذا بقوا ساكنين حيال هذه الأمراض الفتاكة، بل يجب على جميع هذه الهيئات أن تنهض نهضة واحدة وتستجمع جميع القوى المادية والأدبية والمعنوية في نابلس، لاتقاء هذا الخطر المدهش لئلا تسوء عاقبته.

إن البلدية أصدرت قراراً وافقت عليه الصحية والإدارة بمنع إقامة أبنية جديدة في البلد القديم، وهو قرار إيجابي ولكنه لا يكفي لمقاومة الأمراض، فنقترح نحن «ولعل اقتراحنا إن لم يكن كله مصيباً يصلح أساساً للتعديل». أن تفتح في كل من السوقين ساحات فسيحة بين الواحدة وأخرى مئتا متر، حتى يتخلل الهواء والشمس البلدة ويطهرها من العفونة والرطوبة. وأن يبنى مستشفى كبير على جبل عيبال يقسم إلى قسمين واحد للنساء والآخر للرجال، ويحاط بغابة من الصنوبر وينقل إليه كل مرضى السل وأن يشوق النابلسيون لصرف فصل الصيف على هذا الجبل، فإذا خرج جانب كبير منهم خف عدد سكان المدينة في الصيف، وتحسن هواؤها واستفاد المصطافون من هواء الجبل النقي.

قد يقول البعض من أين المال لهذا المشروع الكبير؟ فنقول إن البلدية إذا اتخذت

قراراً ووافقت عليه الصحية بفتح الساحات في السوقين الكبيرين وقررت مثلاً أن يكون عرض الفسحة وطولها أربعين متراً فيمكنها أن تأخذ من الأبنية ما تكون مساحته ستين متراً، فيبقى عشرة أمتار على دوائر الفسحات تبيعها إلى التجار والملاكين بقيمة ثمن الأبنية القديمة، لأن قيمة الأراضي حول هذه الفسحات الفسيحة تصير تساوي أضعاف ما كانت عليه قديماً.

أما نفقات المستشفى فيجب أن يتعاون عليها الأهالي ودائرة الصحة والبلدية.

أنا لو كنت طبيباً لما اكتفيت بمستشفى عادي بناه الأهالي قبل الحرب لا يسع أكثر من ثلاثين سريراً ووقفت ساكناً مطمئناً تجاه هذه الأمراض المعدية. ولو كنت مديراً لإدارة صحية لما صبرت يوماً عن عمل كل ما في طاقتي لتدارك هذا الخطر، ولأسرعت أنا وزملائي إلى التبرع بنصف رواتبنا لمدة سنة، ولو كنت حاكماً إدارياً لما رضيت أن أحكم بلداً يقرض السل سكانها ويقلل مواليدها. ولو كنت رئيساً للبلدية أو عضواً فيها لعملت بكل قوتي لإراحة ضميري من مسؤولية مواطني وأمتي، ولا ريب أن الشيخ الرئيس الفاضل ومجلسه المحترم لا يتقاعدان عن واجباتهما، ولو كنت طبيباً أو وجيهاً نابلسياً أو عضواً في الجمعية الوطنية لعملت ليلاً ونهاراً لتحقيق أمنيتي بدفع الخطر عن بلدتي، فلا يقال على مسمع من الأجانب ولا يكتب في جرائدهم أن نابلس بلدة عربية صرفة فتعالوا وانظروا في مبانيها وأسواقها، واشهدوا كيف يفتك السل في سكانها وهيئاتها المسؤولة نائمة.

ولكن بما أني صحفي عربي سأبقى أصيح وأطالب، إلى أن يختنق صوتي، أو أرى الشروع بالعمل بهمة ونشاط لإنقاذ هذا البلد العربي الأمين من الخطر الذي يهدده.

الإدارة

أخبرنا الماجور نوط حاكم قضاء نابلس أنهم ألفوا في كل قرية مجلس قرية من (الاختيارية) يجتمع مرة في كل أسبوع ويعطي للإدارة تقريراً شهرياً عن أعماله، وتشتغل هذه المجالس في الأمور الصحية وفي إصلاح الطرق فيما بين القرى وبينها وبين الطرق العمومية، وفي فصل المنازعات ورفع المزابل إلى الأراضي الزراعية، وقد بلغ ما أصلحته مجالس قرى نابلس من الطرق الخاصة في غضون الثلاثة شهور الأخيرة 150 ميلاً على حساب الأهالي أنفسهم.

وقد ذكرنا للماجور نوط ما يبذله حاكم طولكرم من العناية بزرع الزيتون وما يبديه

الأهالي من الرغبة والنشاط، فوعد أنهم سيهتمون بهذا الأمر وعسى أن نرى نتائج هذا الاهتمام في هذه السنة. وبهذه المناسبة نقول إن عدوى الرغبة في غرس الزيتون سرت من قرى طولكرم إلى قرى نابلس وجنين المجاورة، فما على الإدارة والجمعيات الوطنية سوى التشويق وتسهيل فرز الأراضي المشاعة للذين يطالبون بالفرز بصورة إجبارية بين الأهالي لغرس الشجر.

لا نعلم شيئاً كثيراً عن الإدارة في نابلس، غير أن الثقة بالكولونيل كوكس والماجور نوط حسنة لولا حوادث بوليس الحدود وحادثة الإحصاء.

أما المعاون الوطني السيد موسى ناصر، فهو من خيرة الشبان الوطنيين الأذكياء وقد سمعنا شهادات طيبة جداً بحقه من بعض أساتذة الجامعة الأمريكية، غير أنه يسوؤنا ما لاحظناه من سوء التفاهم بينه وبين بعض أفاضل الزعماء، ونعتقد إذا صح وجود شيء فالسبب غير جوهري يزيله حسن التفاهم، لأن السيد موسى ورفاقه من الكتبة والموظفين من خيرة الشبان الذين تستفيد البلاد من عملهم وإخلاصهم[74].

نابلس أيضاً

في نابلس مستشفى كان الأهالي قد بنوه خارج البلدة على سفح جبل عيبال، وقد استولت عليه دائرة الصحة وفيه 25 سريراً للنساء والرجال، ومعدل الذين يقصدونه للمعالجة يومياً 150 نفساً.

رئيس الصحية في نابلس الدكتور بجر، وهو على جانب كبير من اللطف، وطبيب المستشفى الدكتور حسن الخالدي، وأطباء الصحية الدكتور جميل طقطق والدكتور طاهر الخطيب، وجميعهم من الأطباء الفيورين النشيطين، ورئيسة المستشفى المس متشل، والمستشفى بإدارتها نظيف ومرتب والمعاملة فيه حسنة جداً وغرفة الجراحة فيه على غاية ما يكون من النظافة. وفي المستشفى ميكروسكوبان لفحص الدم (والبصاق) والحليب ومحل للتعقيم ومختبر، غير أن هذا المستشفى صغير جداً بالنسبة إلى نابلس وقضاها، ولسنا نعلم ماذا كان يكون موقف الصحية لولا وجوده.

---

[74] - الكرمل. السنة التاسعة. العدد 866. 2 كانون أول عام 1922م

البلدية

المجلس البلدي الذي يرأسه حضرة الفاضل الهمام الشيخ عمر أفندي زعيتر؛ مجلس يشعر بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه ويبذل كل ما في طاقته لإحداث الإصلاح الذي تمكنه حالته المادية، فله حديقة جميلة ولكنها صغيرة، وفي النية إنشاء حديقة أخرى للسيدات، وقد سرنا جداً ما رأيناه من الاهتمام في نابلس وطولكرم بإنشاء حدائق للسيدات، ويهتم الرئيس في نابلس كثيراً بأمر التنظيفات ليخفف من وطأة الأمراض ما أمكن، ويجتهد ليحتفظ بشوارع واسعة خارج المدينة، وقد غرس الأشجار على جانبيها إلى مسافة طويلة فلا تمضي بضع سنين حتى تصير هذه الشوارع متنزهاً جميلاً، غير أننا نذكر مع الأسف أنه وإن تكن قد تألفت جمعية لتحسين البلدة، فإلى الآن لم تحضر خريطة عمومية للبلدة ليكون البناء منتظماً ونظام الشوارع معروفاً.

يرى القادم إلى نابلس وادياً جميلاً كله جنائن، والشوارع الجديدة إلى جانبيه في سفح الجبلين، فلو تنظمت هذه الشوارع وحددت تحديداً هندسياً وامتلكت البلدية قطعة أرض بجانب بناياتها القائمة، أو اشترت إلى جانب الجبال مساحة منها لبناء مخازن عليها وبنت بعضها على سبيل المثال، وبنت عليها بيوتاً وأجرتها لتشويق الأهالي ليخرجوا من المدينة، ثم باعت باقي المساحات للأهالي الذين يطلبون الخروج ويرغبون في بناء المخازن والدكاكين والبيوت عليها؛ لتمكنت في بضع سنوات من إنشاء نابلس جديدة جميلة صحية على جانبي الوادي المملوء بالبساتين، وفتحت فيه طرقاً توصل بين الأبنية القائمة على جانبيه، وبنت على جوانب هذه الطرق المخازن والبيوت، ولخفت كثافة السكان داخل المدينة القديمة وخفت وطأة المرض فيها وأمكن إصلاحها.

بما أن نابلس بلد عربية صرفة يجب أن تبرهن بلديتها وهيئاتها الممثلة على استعداد العرب للرقي لكي لا يكون للأجانب حجة علينا، فضلاً عن ضرورة الاهتمام بالصحة العمومية وازدياد الولادة وتكثير النسل.

أعد حضرة رئيس البلدية بمساعدة الإدارة خريطة لتوزيع المياه، وهذا عمل مشكور جداً، وخلاصة القول إن استعداد رئيس بلدية نابلس ومجلسه العمراني عظيم، ولكن بما أن العمل كبير جداً فهو يحتاج إلى معاونة الإدارة والأهالي وهيئاتهم الممثلة والصحية، وإننا نرغب في أن نرى الإدارة مهتمة في المساعدة على تحسين نابلس لنعترف لها بالفضل ونقدر حسن إدارتها، ولتكون أعمالها دليلاً لنا على مقدرة الطاقات العربية إذا اجتمعت كلمتها وتوحدت قيادتها.

الجمعية الإسلامية المسيحية

مؤلفة من نخبة من أعيان نابلس ومفكريها الأفاضل برئاسة حضرة القاضي الغيور المخلص حافظ بك طوقان، وهي تقود الحركة الوطنية بغاية الحكمة والإخلاص والقوة، ولكن لا يسعنا إلا القول بأن الحركة الوطنية في نابلس قائمة كلها على العواطف كما هو الحال عند عموم الشرقيين، في حين أننا بسبب احتكاكنا بأوروبا المادية وابتلائنا بوعد بلفور يجب أن نهتم بجعل حركاتنا الوطنية عملية، بأن نهتم بالعلوم العملية والتجارة والزراعة اهتماماً كبيراً لندفع عنا الضائقة الاقتصادية التي يخشى أن تدهور البلاد في هاوية الإفلاس إذا لم نسرع لتداركها، فأملنا أن تهتم أركان الوطنية في نابلس بتأليف جمعية اقتصادية تنهض بالزراعة وتعمم غرس الزيتون واللوز، وترقي تجارة الصابون لتتماشى النهضة الاقتصادية مع الحركة الوطنية النشيطة في نابلس بفضل القادة الأفاضل.

تجارة نابلس

معظم تجارة نابلس في الصابون ففيها 20 (مصبنة) كبرى وست مصابن صغرى، تصنع كلها عشرة آلاف قنطار في السنة، يصرف ثلثاها في مصر والثلث الآخر في سوريا وسائر البلاد العربية، وقد خف استهلاك الصابون النابلسي في مصر بسبب غلاء الزيت في السنين الأخيرة بعد الحرب، إذ صار المصريون يعملون الصابون أما وقد انخفضت أسعار الزيت في هذه السنة فلم يبق خوف من مزاحمة أي صابون يصنع من غير زيت الزيتون في نابلس؟

إذا فرضنا أن رطل الصابون يباع بخمسة عشر غرشاً صافية، فيكون مورد نابلس من عشرة الآلاف قنطار التي تصنعها في السنة مائة وخمسين ألف ليرة، وهذا قليل جداً على بلد كنابلس اشتهرت بصنع الصابون، وعلى بلاد اشتهرت من عهد الرومان بأن الزيت كان أيسر من الماء فيها.

ومما يوجب الأسف أن أصحاب المصابن لا يفكرون مطلقاً في تحسين معاملهم، وصنع أنواع مختلفة من الصابون لإرسالها إلى أوروبا أو إلى مصر وسائر البلاد العربية، للاستغناء عن صابون أوربا المختلف كصابون الكاربوليك والسليماني والكليسرين وسائر أنواع الصابون المطيبة.

الصابون النابلسي مكفول فتنبهوا

لا خوف من زيادة محصول الزيت في فلسطين وسوريا مهما كانت الزيادة كبيرة، لأنه إذا صنع صابوناً فإنه يلقى سوقاً في جميع العالم الإسلامي، ولا يزاحمه فيه صابون اي بلاد اخرى لأنه حالما يثبت في الأسواق الإسلامية كون الصابون نابلسياً يطمئن المسلمون إلى كونه خالياً من أنواع الشحم، التي قد تكون في نظرهم نجسة، فيشترونه مطمئنين، ولذلك يترتب على أهالي نابلس أن يشجعوا زراعة الزيتون ويوسعوا معاملهم ويصنعوا الصابون بأنواعه، ويوسعوا تجارتهم مع العالم الإسلامي كله ومع العالم الأوروبي أيضاً، لأنه يفضل صابون زيت الزيتون على غيره من صابون الزيوت الأخرى والدهن، ولكن هذا يحتاج إلى دعاية واسعة ونشاط كبير ولا يستبعد بهذه الواسطة أن تصير نابلس في مدة عشر سنين تبيع من صابونها بمليون ليرا سنوياً بدلاً من مئة وخمسين ألف ليرا، ولذلك نعتقد أن هيئة لجمعية نهضة اقتصادية عربية في نابلس يكون لها مجال واسع للعمل إذا تألفت من رجال عاملين، فعسى أن يهتم المفكرون بهذه المطالعات ويتنبه لها الرجل العمراني رئيس بلدية طولكرم على النهوض ببلده وقضائه.

مواصلات نابلس

مواصلات نابلس مع القدس ويافا وجنين وحيفا حسنة بسبب الطرق المعبدة والخط الحديدي، غير أن غلاء أجور الركاب والشحن في الخط الحديدي يضيع قسماً كبيراً من الفائدة.

ولكن تجارة نابلس تحتاج إلى أن تكون مواصلاتها مع شرقي الأردن ومع بيسان طيبة، فهي بحاجة إلى طريقين معبدتين؛ واحدة إلى السلط والأخرى إلى بيسان، فعسى أن تفكر دائرة الأشغال العمومية بهاتين الطريقين فلا تنفق معظم الأموال على الطرق لمنفعة غيرنا، ولا ريب في أن النابلسيين سيتعاونون مع إدارة نابلس على الإلحاح بتعبيد هاتين الطريقين. ولو تألف الجمعية الاقتصادية لجعلت المطالبة بهذا الحق في مادة برامجها.

مثال المسلم الحقيقي الصالح

في نابلس رجل طالما تمنينا أن نحظى بمعرفته شخصياً، هو الحاج محمد القاسم عبد الهادي، وهذا الرجل يمثل المسلم الحقيقي الصالح لأنه لا يحب الظهور، بالإضافة أنه

شديد التمسك بدينه عن غير تعصب، يشتغل بالزراعة وبتشجير الأراضي، فهو خير مرشد ومثال لمزارعين في محيطه يصرف مشاكلهم بالتي هي أحسن وينهاهم عن الخصومات ويعلمهم على الصدق في المعاملة وعلى حسن تربية الأشجار، وقد علمهم على أسهل طريقة لفلح الأراضي في الصيف وزرعها، وقد صاروا يتشبهون به ويجنون منافع جمة.

لما رأى أنه يصعب على الفلاحين الفقراء جلب السكك الحديثة وشراء البغال القوية لحرث الأراضي في الصيف، بدأ يحرث (كراب) السمسم أمامهم على البقر وبالسكك العادية في الصيف، ثم أثناه بزراعة الصفير فأخصبت غلته كثيراً، فاقتدى به الأهالي فتطرف إلى زراعة كراب الذرة والقطاني على هذه الصورة، وتبعه أهالي محيطه فخدم الناس بهذه الحركة خدمة مادية كبيرة علاوة على خدماته الأدبية، ولما كنت ألقبهُ بمثال المسلم الحقيقي الصالح، لم يخالفني أحد في نابلس أو جنين أو طولكرم.

خلاف

ومما يعكر صفونا ما سمعناه من الخلاف الواقع بين السيد حسن حماد وأولاد الحاج حسين من قرية سانور على أراضٍ يدعي هؤلاء أنها ملكهم وأن السيد حسن حماد طوبها عليه، وعلمنا أن هذا الخلاف مزمن وقد وصل أمره إلى المحاكم، وبما أننا نضن بكرامة اسم حماد الذي صار علماً في الوطنية أن يشتكي عليه بحق أو بغير بحق، رجونا من حضرات الأفاضل الشيخ عمر زعيتر وحافظ آغا طوقان والحاج محمد القاسم أن يتوسطوا بصرف هذه المشكلة بالتي هي أحسن، وقد وعدوا بذلك فمساهم يفلحون[75].

جنين

جنين بلد عربية واقعة في الطرف الجنوبي لمرج ابن عامر الخصيب، وعند سفوح جبال السامرة، وعدد سكانها نحو ألفين، وهي مركز قضاء عدد قراه 64 قرية، وعدد سكانها نحو 34 ألفاً، وأهل جنين وقراها عرب كرام يحافظون على كثير من العادات والتقاليد العربية الطيبة؛ إلا أن المنافسات والانقسامات الحزبية كثيرة بينهم، ولكن

---

[75] - الكرمل . السنة التاسعة . العدد 867 . 6 كانون اول عام 1922م

العقلاء منهم يعالجونها لإزالتها ويصرفون الأهالي للاهتمام بأعمالهم وبزراعتهم، وليعملوا متعاونين لحفظ كيانهم كفئة صالحة في جسم الأمة العربية الكريمة.

المعارف في جنين

في جنين مكتبان، واحد للصبيان وآخر للبنات، وفي القرى 18 مكتباً كلها للصبيان، ومما يؤسف له أنه لا يوجد مكاتب للبنات إلا ما ندر في كل قرى فلسطين، مع أن تعليم البنت ضروري جداً لإحداث نهضة نسائية في البلاد.

وبهذه المناسبة نقول: إن معاون الحاكم النشيط السيد عارف أفندي العارف[76] أراد مرة أن يحدث نهضة في المعارف فاتفق مع الحاكم على تشويق الأهالي لدفع حصة واحد ونصف زيادة على الحصة العشرية وتوابعها البالغة 12 ونصف بالمائة، وأن تخصص حصة الواحد ونصف لنشر المعارف في القضاء، فرغب عموم الأهالي في ذلك وكادت المسألة أن تتم لولا بعض المعارضين الذين لا نعلم معنى الحكمة من معارضتهم يومئذ، فعسى أن يعود المعاون والحاكم إلى تحقيق هذا المشروع النافع على شرط أن يخصص المعلمون جانباً من اهتمامهم لحمل الأولاد على غرس الأشجار، وإنشاء حقول زيتون خاصة بهم وإنشاء حدائق للقرى أسوة بمعلمي قضاء طولكرم العاملين.

ومما يؤسف له أن قرية أم الفحم الكبرى يعارض بعض وجوهها في فتح مدرستها لأسباب مجهولة، وعندنا أن المعارضين يرتكبون بمعارضتهم أعظم جناية أدبية، فعسى أن يقلعوا عنها ويبرهنوا عن حسن نياتهم.

---

[76] - عارف العارف (1891 - 30 يوليو 1973) هو صحفي ومؤلف ومؤرخ وسياسي فلسطيني ولد في القدس عام 1891، درس في إسطنبول وانضم إلى المنتدى الأدبي حتى التحق بالجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى فتم أسره وقضى ثلاث سنوات في سجن لأسرى الحرب في سيبيريا، حيث هرب من هناك بعد الثورة الروسية وعاد إلى فلسطين. حرر عارف العارف أول صحيفة وطنية فلسطينية نشرت بعد الحرب العالمية الأولى وهي جريدة سوريا الجنوبية التي صدرت في القدس منذ العام 1919، تم إغلاق جريدة سوريا الجنوبية على يد الإنجليز عام 1920. فلجأ إلى دمشق ثم إلى السلط متخفيا، حتى صدر العفو عنه من المندوب السامي، فعاد إلى القدس وحاول ممارسة السياسة مرة أخرى فلم يسمح له الإنكليز بذلك وقضى في الإدارة سبعة وعشرين عاماً 1921 ـ 1948م متنقلاً بين عدة مدن فلسطينية، وكان قد تسلم قائمقاماً للمدن التالية (جنين نابلس، بيسان، يافا) وبعد ذلك عهد إليه إدارة مدينة بلر السبع حيث قضى فيها عشر سنوات، ومن ثم نقل إلى مدينة غزة ومكث فيها قائمقاما مدة اربعة اعوام وتقديراً لمواهبه رفع مساعداً لحاكم لواء القدس وعهد إليه لإدارة قطاع رام الله.، عُين رئيساً لبلدية القدس بعد زوال الانتداب البريطاني على فلسطين وتوحيد ضفتي الأردن عام 1949، وانتخب رئيساً لها للمرة الثانية عام 1951، وللمرة الثالثة عام 1955. وفي اعقاب عام 1955 تولى وزارة الأشغال العامة، واستقال منها بعد ايام. توفي عام 1973م في رام الله التي اختارها للإقامة فيها بعد احتلال القدس

المكتب الابتدائي

قلنا إن في جنين مكتباً ابتدائياً يديره السيد يحيى حياتي الشهابي، وهو من خيرة الشبان الأذكياء وعدد تلامذته 57 وليس فيه سوى رهطي كشافة مع الأسف.

وهناك أيضاً مدرسة للأطفال وعدد تلامذتها ستون طالباً.

أما مدرسة البنات فهي مرتبة ونظيفة والتعليم فيها حسن، وقد نصحنا المعلمات بوجوب تعليم البنات الخياطة الضرورية قبل التطريز وما شاكله، مديرة هذه المدرسة السيدة نصرة النصر.

حالة مدارس الصبيان والبنات الحالية في جنين حسنة ولكن يظهر أنها لم تكن على غاية ما يرام سابقاً، فيجب على المديرين والمعلمين والمعلمات أن يضاعفوا مساعيهم لتعويض الخسارة السابقة وإيصال مكاتبهم إلى درجة مكاتب الأقضية الأخرى.

البلدية

البلدة نظيفة جداً بهمة حضرة رئيس بلديتها المحترم الذي يظهر رغبة وإرادة في إصلاحها، ولكننا نعتقد أن الإجراءات إذا لم تكن على قاعدة هندسية لا تكون وافية بالغرض، فبناء عليه نأمل من المستر مكلرين الذي عاد حديثاً إلى جنين والذي يحبه الناس، أن يهتم مع رئيس البلدية لوضع خريطة وعدم السماح لأحد بتجاوزها، فالأبنية التي أنشئت حديثاً على جانبي الشارع العام كان يجب أن ترجع بضعة أمتار إلى الوراء ليبقى الشارع العمومي فسيحاً، لأن جنين لها مستقبل عمراني طيب، ويجدر بالبلدية أن تُفضِّل في قاعدة برامجها التطويرية القادمة إنشاء القليل الحسن المتين على أصول الفن، على إنشاء الكثير غير المتقن.

ونوجه أنظار حضرة الرئيس ومجلسه المحترم إلى ضرورة الاهتمام بالشارع العمومي وتركيز الجهد إلى إنشاء جنين جديدة بشوارع منظمة وفسيحة ومهندسة، لأننا نريد أن تكون جميع أعمالنا من بعد الآن مطبقة على أصول الفن لا أن يعتقد كل واحد منا بنفسه أنه عبقري في كل مضمار.

الروح الوطنية

الروح الوطنية في جنين حية والقائمون فيها سواء في القصبة أم في القضاء نشيطون وغيورون جداً، والأهالي يثقون بإخلاصهم وفيهم المتنور والوجيه والزعيم، غير

أن الحركة تحتاج إلى تنظيم بتأليف فروع للجمعية الإسلامية المسيحية تعاونها جمعية اقتصادية، فالمجال للعمل في الاقتصاديات واسع جداً لأن جنين قضاء زراعي تجود فيه زراعة الحنطة والسمسم والدخان والزيتون واللوز، ولا بد من إحداث نهضة زراعية فيه تساعد الأهالي على استخراج الثروة من قلب الأرض.

غرس الأشجار

اهتم معاون الحاكم بتشويق الأهالي وحثهم على غرس الأشجار، وقد عمل بنصيحته كثيرون من أهالي القرى، وسمى أهالي قفين ما غرسوه من شجر الزيتون في العام الماضي وقدره ثمانية آلاف غرسة بالعارفيات إكراماً له، وقد تلقينا هذا الخبر بالارتياح لأنه يدل على تقدير الأهالي فضل العاملين، غير أنه لا بد من القول إن الهمة في غرس الأشجار في قضائي نابلس وجنين لا تضاهي ما شاهدناه وعرفناه في قضاء طولكرم، ومع ذلك فقد بلغنا أن بعض القرى في قضاء جنين تظهر رغبة زائدة في زرع الزيتون فقد غرس أهالي قرية كفير وصير في ثلاث السنين الأخيرة نحو تسعة آلاف غرسة كل سنة، ودير أبو ضعيف ألفين، وقد زرعت سانور في العام الماضي ثلاثة آلاف غرسة وزرع أمين بك عبد الهادي في قريته مقيبلة في السنين الثلاثة الأخيرة نحو أربعة آلاف غرسة. ولا ريب في أن قرى أخرى كثيرة غرست كميات كبيرة لم تتصل بنا أخبارها مما يدل على أن الرغبة موجودة والغيرة سرت من قضاء طولكرم إلى ما حواليه، فعلى رجال الإدارة والهيئات الممثلة أن ينشطوا هذه الرغبة لتعمير الأراضي واستثمارها وتحسين الاقتصاديات.

الدخان السامصوني[77]

لقد جرب حضرة الوطني الغيور الهمام السيد عبد القادر اليوسف زراعة الدخان التركي في أراضيه بالحفيرة فنجح نجاحاً باهراً، ولا ريب أن هذه التجربة ستكون سبباً لتنشيط الأهالي، وإننا نأمل من إدارة الزراعة أن ترسل موظفيها ليرشدوا الأهالي إلى طرق زراعة هذا الصنف ومعالجته.

لا شك في أن الأهالي يتذكرون أننا قلنا مراراً بأننا ننفق نحو ستمائة ألف ليرا سنوياً على الدخان الأجنبي، فيجب أن ننشط زراعة الدخان التركي ونحسنها حتى نوفر

---

[77] - نسبة إلى مدينة صامسون التركية الشهيرة بزراعة التبغ

هذا المبلغ على أنفسنا، ونصدر لشقيقتنا مصر بمليوني ليرا من الدخان الذي يزرع في بلادنا.

الشكوى الأليمة - أراضي المشاع

إن الرغبة في غرس الزيتون ولدت غيرة شديدة في نفوس بعض أهالي القرى المشاعة، ولكن شيوع الأراضي يحول دون تحقيق آمالهم، فنأمل من الإدارة أن تحتاط لهذا الأمر وتبادر إلى قسمة جانب من أراضي كل قرية بين أهلها ليتمكنوا من الغرس في حصصهم.

فايز العبوشي

قابلنا صديقنا المهندس الزراعي السيد فايز العبوشي، وهو من المهندسين الزراعيين النشيطين المنقطعين على الأعمال، الراغبين في إحداث نهضة زراعية فنية، فلم نعرفه حتى تكلم معنا، لأن الألم ألم به إلى درجة النحول، فقلنا نحن مصممون على الذهاب إلى مزرعتك (بيت قاد)[78] لنبيت عندك ليلة ونشاهد ما فعلت في السنين الأربع الأخيرة ونكتب عنه مقالاً تنشيطاً للمزارعين، فتأفف الرجل وقال تمكنت من القسمة مع أبناء عمي وأما مع إخوتي الكبار الذين لهم حصة صغيرة لم أستطع أن اقنعهم بالقسمة، ولا هم يوافقونني على العمل لذلك فأنا عاجز عن العمل وعاجز عن تعليم إخوتي الصغار وعاجز عن استثمار مواهبي وإظهار نفسي قدوة حسنة لمواطني. رجونا بعض الغيورين من الوطنيين وكبار أسرة العبوشي الكريمة أن يتوسطوا في القسمة ليسهلوا طريق العمل لهذا العامل النشيط، فإذا لم يتوفقوا أفلا يسمى حضرة حاكم جنين أن يستحصل أمراً فوق العادة ليفرز لهذا الرجل المجد وأخوته الصغار حصتهم الكبيرة عن حصة أخوته الكبار الصغيرة من دون أن يكلفه الذهاب إلى المحكمة والانتظار وقتاً طويلاً، وإلى إجراء معاملات مطولة ودفع رسوم باهظة فيفك عقاله ويطلق يده في العمل، فينقذ شباناً من الضيق ويعاون رجلاً اختصاصياً على العمل بعمله وينفع المحيط بقدوته. إن القانون وجد لراحة الناس وإيصالهم لحقوقهم والإدارة الحكيمة تراعي مصالح الجمهور وتجري كل ما فيه نفع للناس. فنحن باسم النهضة الزراعية نتقدم إلى المستر مكلرين طالبين منه أن يفك هذه العقدة، ولا شك عندنا في أنه يرى أنه عمل بذلك خيراً كبيراً.

---

[78] - بيت قاد إحدى قرى محافظة جنين من قرى الضفة الغربية تقع على بعد 5 كم شرقي جنين تطل على سهل مرج بن عامر، وهي ملتقى عدد من القرى.

نخجل

إننا نخجل أن يكون أقضية حيفا وعكا وصفد، وخصوصاً الناصرة وطبريا وبيسان، دون ما زرناه من الأقضية في نابلس رغبة وإقبالاً على غرس الأشجار، وبسبب ذلك يلاحظ عرض الأراضي للبيع في أقضية حيفا وعكا وصفد والناصرة وطبريا وبيسان أكثر بكثير من لواء نابلس بالذات[79].

الناصرة

الناصرة بلدة تاريخية اشتهرت بكون السيد المسيح تربى فيها ونسب إليها، وهي اليوم عاصمة الجليل السفلي. عدد سكانها 7500 ثلثاهم من العرب المسيحيين والثلث الآخر مسلمون، ويتبع قضاء الناصرة 32 قرية عدد سكانها 15 ألفاً أكثرهم من المسلمين، وفي القضاء أربع مستعمرات يهودية عدد سكانها خمسمائة، وثلاث من هذه المستعمرات جديدة تأسست في الأراضي التي باعها نجيب سرسق (الوطني الكبير؟)[80].

في الناصرة دار للأيتام تقوم بها إحدى الرهبنات الفرنساوية، وفيها مؤسسات مختلفة للرهبان والراهبات من الطائفة اللاتينية وفيها إرسالية إنكليزية. والناصرة مركز مطرانية الروم الأورثوذكس تابعة للكرسي البطريركي الأورشليمي الذي كل رهبانه من اليونان، ولهذا فحال الطائفة الأرثوذكسية في الناصرة كما في سائر الأبرشيات التابعة لهذا الكرسي غير منتظمة بسبب عدم اهتمام الرهبان الأجانب بشؤون الطائفة العربية، فالواجب يقضي على الطائفة في مقاطعة فلسطين السورية أن تقوم بنهضة أرثوذكسية أسوة بالطائفة في الشام ولبنان، وتخلع عنها النير اليوناني وتقيم لها اكليروساً عربياً منها يهتم بشؤونها ويحافظ على حقوقها وأوقافها، ويلم شعثها ولا يعود يفرق بينها وبين إخوانها العرب المسلمين ليضعفها ويتصرف بحقوقها كيف شاءت أهواؤه، وعندنا أنه من العبث أن يحاول العرب الأرثوذكس إصلاح أحوالهم الطائفية بواسطة هؤلاء الرهبان لأن سياسة الترقيع، لا تغني فتيلاً وستبقى حالهم على ما هي عليه من التشويش، إلى أن يصير اكليروسهم عربياً منهم والسلام.

---

(79) - الكرمل. السنة التاسعة. العدد 868. 9 كانون اول عام 1922م

(80) - صيغة سخرية لأن نجيب سرسق كان في نظر الاستقلاليين اللبنانيين وطنياً كبيراً.

الحركة الوطنية

لا يمكن القول إن الروح الوطنية في الناصرة أضعف منها في غيرها من البلدان، فالناصريون كلهم أهل نجدة وكرم وإباء مما يدل على عراقتهم في العروبة، ولكن ما يؤسف له في الناصرة هو أن الانقسامات الحزبية، فيها ظاهرة أكثر من غيرها، فالروح الوطنية غارقة في هذه المنافسات التي لا نتيجة لها إلا الضرر العمومي. وعندنا أن الناصريين يخطئون كثيراً إذا لم يقوموا بتسوية ما بينهم ويتعاونوا على تدارك أمورهم ولا سيما الاقتصادية منها.

الحالة الاقتصادية

بعد أن كانت الناصرة مركز التجارة الداخلية في هذا القسم من البلاد، ومخزن حاصلات غور الأردن ومرج ابن عامر وقسم من بلاد حوران، انتزعت منها بيسان جانباً من تجارتها وحيفا الجانب الآخر بسبب سكة حديد الحجاز، فوقف الناصريون وقفة المتفرج مع الأسف على ضياع منافعهم وانقطاع موارد رزقهم، وأخذوا ينفقون على أنفسهم من رؤوس أموالهم وصاروا كالذي ينقطع عنه الطعام فيتغذى بما في جسمه من الشحم واللحم والدم إلى أن يموت، وقد زاد الطين بلة الضربة الأخيرة التي ضربهم السراسقة ببيع أحدهم أراضي الناصرة وآخرهم (الوطني الكبير) ببيع أراضي بعض قراها المجاورة للجمعيات اليهودية، فازداد الخلاف بينهم بسبب البطالة وقلت المكاسب والربح، فصدق فيهم قول المثل (القلة تورث النقار).

يؤلمنا جداً أن نضطر لقول كلمة انتقادية في إخواننا الناصريين الذين نحبهم ونحترمهم ونعترف بفضلهم علينا، وخصوصاً في مدة الحرب، ولكننا على يقين من وعيهم وإدراكهم بحسن نيتنا، ولولا أننا نقصد التنبيه إلى الخطأ ليعمدوا إلى الإصلاح لأغفلنا هذا الموضوع.

بيع الأراضي

إن الاشتغال بالتحزبات واللامبالاة والتراخي عن الأعمال، وهذه الأمور التي أوقعت أهل الناصرة وما جاورها من القرى في الأزمة المالية واضطرتهم إلى عرض أملاكهم وأراضيهم للبيع. فلو أنهم انصرفوا بعد فقدان مواردهم التجارية إلى إيجاد طرق أخرى للارتزاق لما أثرت عليهم الأزمة المالية الحالية.

عهدنا بفئة عربية كريمة أن تصبر على الزمان لا أن تساعده ليقضي عليها قضاء اقتصادياً مبرماً.

لو انصرف أصحاب الأراضي في الناصرة والقرى بعد ذهاب تجارتهم إلى تعمير أملاكهم وعمدوا إلى غرس الأشجار، لكانوا اليوم في غنى عن عرض الأراضي للبيع، ولكانت المدينة على العموم أسعد حالاً مما هي عليه. إن الوقت لم يفت؛ بعد ففي وسعهم أن يتلافوا أمورهم. هذا قضاء طولكرم عمد إلى تسميد أراضيه فلم يبق مزبلة قائمة في قرية كما هو الحال في أقضية الناصرة وطبريا وصفد وبيسان، وقد وجدوا أن بعض أراضيهم صالحة للبطيخ فعالجوها كما يجب تقريباً، فبلغ محصول البطيخ في طولكرم في هذه السنة مئة وخمسين ألف ليرا، وشعروا بالخسارة التي لحقت بهم من جراء ما قطع من شجر الزيتون في مدة الحرب فعادوا إلى تربية ما أتلف منه وإلى تجديد الغرس بكثرة، ففرسوا في السنتين السابقتين مئتين وخمسين ألف غرسة زيتون، وسيغرسون مئة ألف غرسة بإذن الله في هذه السنة. ليس أهالي طولكرم من طينة غير طينة الناصريين ولكن أولئك أدركوا مساوئ الانقسامات وفوائد ترقية الزراعة، فعسى أن يتنبه الناصريون والطبريون والبيسانيون والصفديون وكل أهل قراهم إلى هذا؛ ليبرهنوا أنهم أصلب عوداً مما تستطيع نكبات الزمان وتقلبات الأيام أن تحطمها.

سلوا يا قوم أهالي الأراضي المشجرة تجدوا في بعض الأماكن أن شجرة الزيتون يقدر ثمنها بخمس ليرات، وفي بعضها بأربع، وفي بعضها بثلاث، وفي بعضها بليرتين، فلو فرضنا أن دونم الأرض الذي تعرضونه للبيع بليرتين يأخذ ست عشرة غرسة زيتون ففي سنين قليلة يصبح كل دونم تغرسونه يساوي أربعين ليرا بدلاً من ليرتين. فبادروا إلى غرس الزيتون وازرعوا الكرمة بين كل شجرة زيتون وأختها لتستثمروها مستعجلاً إلى أن يصير يثمر الزيتون. هل يزرع قضاء الناصرة مئة ألف غرسة زيتون في هذه السنة ومئة ألف كرمة معها لتزيد ثروته مئة ألف ليرا حالاً وتتضاعف فيما بعد؟ قليل هذا على همة الناصريين لو شاؤوا.

المؤسفات

ما كان أشد أسفنا لما بلغنا من معاون الحاكم النشيط نقولا سابا أن جميع ما طلبه إلى الآن قضاء الناصرة 19 ألف كرمة مطعمة أميركانية لمقاومة الفيلكسرا، وألف وسبعمائة غرسة زيتون وسبعمائة غرسة مختلفة الأجناس فلمن هذه؟ هل لمحل الريس

وكساب أم لعبد الله بك الفاهوم المزارع الهمام أم لتوفيق بك الفاهوم أم لمحمد سعيد بك الزعبي؟ الذي يجب أن يزرع كل واحد منهم أضعاف أضعافها. صاحب أرض أربعة فدادين يجب أن يزرع هذه الكمية من الزيتون في كل سنة. هبوا يا قوم من رقدتكم واعلموا أن العالم يسير حثيثاً في سبيل إحياء الاقتصاد فلا تناموا أنتم.

ولكننا سررنا نوعاً ما بخبر سمعناه فنرجو أن يكون حقيقة، وهو أن السادة ريس وكساب ينويان التجربة بزرع مئتي دونم دخان تركي في قريتي جباتا والعفولة، وقد استحضرا خبيراً لهذه الغاية. أنعم بالسادة ريس وكساب إذا جعلا نفسيهما مثلاً للنهضة الزراعية في البلاد، ولم يقتفيا أثر السراسقة وبعض المستثمرين الذين باعوا الأراضي وأهلها، وهذا سبب ثروتهم. لا نرضى من السادة ريس وكساب بتجربة مئتي دونم دخان بل نتوقع منهما أن يكونا قدوة في غرس ألوف الأشجار في أراضيهما الواسعة. نحن نقول إن لم نكن مخطئين أن المرحوم سليم الريس كان من العوامل الفعالة في إدخال زراعة السمسم إلى هذه البلاد فنفعها به كثيراً، فلماذا لا يقتدي نجله به ويكون المثال الحسن لزراعة الزيتون؟. نكاد لا نرتاب في أن رجا بك الريس سينفع البلاد ونفسه بزراعة الزيتون ويرفع ثمن أراضيه من مئات الألوف إلى ملايين الليرات. والده الفاضل أوجد له الأراضي وهو سيعمرها حالاً بإذن الله.

البلدية .. العمل الكبير

لا نريد أن نقول شيئاً في البلدية لأن عملها بالنسبة لوارداتها طيب ولرئيس البلدية والمستر كوكس حاكم الجليل السابق ومعاونه السابق نجيب بك الماضي فضل في إحياء سوق «الاثنين» في الناصرة فقد جلب لها بعض المنفعة ولكن أمام رئيس البلدية السيد إلياس قعوار ومجلسه المحترم؛ مشروع كبير إذا قاموا به ينقذون بلدة الناصرة إذا عاونتهم الإدارة من ضائقتها الاقتصادية، ويعيدون لها نضارتها.

الشائع لدى العموم أن السراسقة وشركاءهم اشتروا بعشرين ألف ليرا أراضي المرج بما فيها أراضي الناصرة التي يبيعونها اليوم صفقات بمئات ألوف الليرات، فاحتج أهالي الناصرة على وعر بلدهم يومئذ فردت الحكومة إلى السراسقة ألفي ليرا من الثمن واسترجعت منهم وعر الناصرة إلى سفوح الجبال، ولكن طمع السراسقة جعلهم يلاحقون الناصريين على هذا الوعر وقبل الاحتلال بزمن قصير تمكنوا من إنقاذه فمن واجبات البلدية اليوم التي لا تستطيع القيام بمشاريع عمرانية كبيرة والتي عرف رئيسها بقوة

الإرادة وصلابة الرأي أن تقوم بعمل مبرور حقاً تثبت فيه وجودها ألا وهو إقامة الدعوى باسم الأهالي على وعر الناصرة الذي أخذه سرسق بغير حق من الأهالي على ما نعتقد، ونحن على يقين من أن القانون والشرائع السماوية وكل صاحب وجدان طاهر من رجال الإدارة والقضاء يساعدونها فتسترجع هذا الوعر وتمسحه وتوزعه على الأهالي بنسبة عدد الأنفس، ليشجروه بشجر المشمش والتفاح الذي يجود إلى الحد النهائي في تربة وعر الناصرة، وإذا تم هذا الأمر تكون البلدية أعادت للناصرة حياتها ورئيسها خلد لنفسه ذكراً عمرانياً مجيداً.

ومن واجبات الإدارة أن تشجع تشجير الوعر الذي لا يزال في حوزة الأهالي حتى الآن وهذا التشجيع يقوم بمحافظة الأمن محافظة تامة ينسي الأهلين حادث الاعتداء على عيسى فرح وامرأته، وحوادث الاعتداء على الناس في بيوتها في جميع الأماكن الأخرى. إن البوليس الكثير العدد إذا لم يتوفق إلى منع الجنايات والتعديات واكتشاف كل ما يقع منها نشعر أننا على حق إذا قلنا إنه يتقاضى رواتبه منا ظلماً.

عسى أن نسمع لصرختنا هذه صدى سواء في دائرة البلدية أم في الإدارة (لتلاقي) الشكر لا الانتقاد.

إذا استردت البلدية هذا الوعر وأرجعته لأصحابه، لا ريب في أنه يصير في بضع سنين يعوض على الناصريين لا أقل من عشرين ألف ليرا سنوياً، وتصبح غنية كثير من البيوت العاملة[81].

الناصرة أيضاً

قلنا إن أعظم خدمة تقوم بها بلدية الناصرة هي أن يرفع رئيسها المحترم باسم البلدة الدعوة على وعر الناصرة ويسترده بحث إلى الأهالي ليوزع عليهم، وأعظم خدمة تقوم بها الإدارة هي أن توطد الأمن في الناصرة وضواحيها وتحث أهل الناصرة حالاً على غرس أشجار المشمش والتفاح، وتتعاون مع أعيان القضاء وهيئة البلدية والجمعية الاقتصادية التي يجب أن يسعى الشبان النشيطون الغيورون لتأليفها حالاً لتساعد على التشويق على غرس الأشجار ولا سيما شجر الزيتون والكرمة في قضاء الناصرة.

---

(81) - الكرمل - السنة التاسعة - العدد 870 - 16 كانون اول عام 1922م

العار

عندنا إنه عار بل وأكبر عار على الإدارة البريطانية التابعة لأعظم دولة مسيحية في العالم أن تترك بلد المسيح تموت موتاً اقتصادياً وهي تتفرج عليها. إننا نقول هذا حرصاً على السمعة البريطانية في الشرق وعلى تصريحات الحكومة التي لا تعد ولا تحصى بأنها أتت لتدرينا وتنهض بنا، فلا نطلب منها سوى المعاونة على التنظيم والتشويق والترغيب لغرس الأشجار وتنشيط زراعة الدخان التركي.

السيف المسلول - مقدرة الحكام

نرجو من الإدارة في الناصرة وطبريا وبيسان وصفد، التي هي دون سائر الأقضية في غرس الأشجار، أن تهيئها لتشترك في عيد غرس الأشجار في الأول والثاني من شباط. إن أراضي هذه الأقضية قابلة أكثر من غيرها للشجر وأكثرها مفروزة ولا تحتاج إلا إلى حكام فيهم من الرغبة والاهتمام ما في صدر حاكم طولكرم لتقوم بنصيبها من الواجب لدفع الغائلة الاقتصادية القائمة كالسيف المسلول فوق رؤوس أهالي فلسطين، فليبرهن لنا نجيب بك الماضي الحاكم الوطني الكثير الاختبار والواسع المعرفة [على] حسن إدارته في تنفيذ هذا المشروع، وليبرهن السيد كريشفسكي معاون حاكم طبريا الموكول بإدارة قضائه على حسن نيته ليرد بها على التذمر الذي بدأنا نسمعه ويتشاءم منه الأهالي ويحسبونه من طلائع تسليم الإدارة لليهود. نعتقد أن السيد كريشفسكي يعذرنا على هذه المطالعة لأننا ما تركنا قط سبيلاً للصداقة الشخصية أن تؤثر على مبادئنا الوطنية. ونحن على يقين من أن المستر بادكوك الذي حزنا كثيراً لمصابه الجسيم، يشعر بأنه في بلد السيد المسيح الذي لتعاليمه أكبر فضل على أوروبا، ولا سيما على بريطانيا، ويتخذ مشروع تهيئة الناصرة وقضاها في عيد غرس الأشجار لتغرس مئة ألف غرسة زيتون وأشجاراً أخرى نصيب قضاء الناصرة في هذه السنة من مشروع الحياة الاقتصادية.

حركة المعارف

مدرسة البنات

حظ الناصرة بمعلميها ومعلماتها كبير، فيرأس مدرسة البنات التي عدد طالباتها 164 الآنسة أسماء كريمة الأستاذ أمين فارس، وتعاونها شقيقتها الآنسة رشاء والآنسة بديعة عبود، وهن من اللواتي خلقن للتعليم، وقد رأينا أن البنات يفهمن ما يتعلمنه ويفهمن

أن المقصود من التعلم هو معرفة الواجب البيتي والعائلي والوطني فالعلم في هذه المدرسة عملي وقد وافقتنا المديرة على أن الواجب يتطلب تعليم البنات الخياطة قبل التطريز، ويسوؤنا جداً أننا لم نعرف أسماء المعلمات الأخريات اللواتي يساعدن في الناصرة على إعداد ربات المنازل بل مربيات الأطفال ومهذبات نفوس الرجال في المستقبل.

مدرسة الصبيان

مدرسة الصبيان يديرها الأستاذ الكبير السيد قسطنطين قنازع، ومن سوء حظه أنه لا يعرف اللغة الإنكليزية، ولولا ذلك لاستحق أن يكون في أعلى مركز في دائرة المعارف، ويعاونه الأستاذ أنطون بلان، وهو أيضاً من خيرة رجال العلم الخبيرين بأصول التعليم، والعالم الديني مفتي قضاء الناصرة وغيره، وكلهم من خيرة المعلمين فهذه العصبة الطيبة تشتغل في إعداد جيل المستقبل للناصرة وتعلم العلوم على أحدث طريقة وتربي الطلبة المسلمين والمسيحيين على قاعدة «الوطنيون أخوان». سمعنا دروس الجبر واللغة تلقى على التلامذة، فسررنا سروراً عظيماً بهذه المدرسة التي نرجو لمديرها وأساتذتها أحسن تقدير.

في المدرسة فرقة كشافة واحدة وهي تحتاج إلى معلم للكشافة.

المزبلة التاريخية

ساءنا جداً أن نرى مزبلة الناصرة التاريخية لا تزال قائمة كالطود الشامخ، في حين أنه مضى على الإدارة البريطانية خمس سنين وتقلب عليها نفر من كبار الحكام. وخصوصاً لأن هذه المزبلة قائمة تجاه مكتب الصبيان وعلى مقربة منه، بحيث لا يتحول نظر الطالب عنها إلا إذا أدار وجهه وذهب إلى بيته، فوجود هذه المزبلة على ما نعتقد في هذا المكان، يجعل الطالب يعتقد اعتقاداً طبيعياً أنه لا بأس من وجود الزبالة في (مناخيره) وأمام بيته وحوله من جميع الجهات.

في هذه المزبلة على ما نعتقد أكثر من عشرة آلاف ليرا لو رفعت من مكانها ووزعت على الحقول، فليت الإدارة والبلدية والصحة تشترك في فرض نقلها على أصحاب الأراضي المجاورة (والحواكير)، كل على نسبة سعة أرضه. عندها تحول مساحة الأرض هذه إلى بستان يغرسه ويعتني به طلبة المدرسة، ليرسخ في أذهانهم أن الإنسان يجب أن يجعل ما حول بيته بستاناً لا مزبلة.

اقتراح على المعارف

وبهذه المناسبة نقترح على دائرة المعارف أن تهتم وتتفق مع الأهالي على تخصيص قطعة أرض لكل مدرسة تختلف مساحتها بنسبة كبر المدرسة وصغرها، وتجعل التلامذة يغرسونها أشجاراً مثمرة ويتعهدونها بإدارة الأساتذة، ويكون ريعها لمنفعة المعارف فيزداد دخلها ويمكن الإدارة من تعميم التعليم العملي وجعله إجبارياً.

بلدية الناصرة

واردات بلدية الناصرة قليلة جداً، والإدارة مهتمة مع حضرة الرئيس ومجلسه المحترم بزيادة الواردات وتحسين حال البلدة.

وكذلك تهتم البلدية أيضاً بأن تجعل البلدة تنتفع من ماء عين البلاطة، وقد أصلحت عين العذراء العمومية واجتهدت في استبقائها على حالها القديم أثراً.

البلاط

الغريب الذي يمشي على بلاط سوق الناصرة المالس المسلط تتشنج أعصابه خوفاً، وإذا غفل قليلاً وزلقت رجله سقط وترضض جسمه أو تحطم.

مجالس القرى

توشك الإدارة أن تشرع بتأليف مجالس القرى، ولعل هذه المجالس تساعد على غرس الأشجار وتنشيط زراعة الدخان في قضاء الناصرة، ولكننا نأمل أن لا تنتظر الإدارة تأليف المجالس لتباشر غرس الأشجار فتخسر الناصرة التي هي أحوج الأقضية إلى النهضة الاقتصادية سنة كاملة إذا فاتها هذا الموسم، والوقت ثمين على المحتاج.

المقابر

أصبحت المقابر في الناصرة كما في حيفا في منتصف البلدة فالواجب يقضي على البلدية والصحة والإدارة أن تهتم بغرس الأشجار في هذه المقابر لتغطي نظارتها بإصدار قرار بهجرها وتعيين مقابر أخرى بعيدة، وبناء سور لصيانتها كمقبرة أخواننا المسلمين في الناصرة، وعسانا نرى الشروع بهذا الأمر قريباً.

المواصلات

الطريق معبدة بين الناصرة وطبريا والناصرة وحيفا ومحطة العفولة، ولكن الناصرة بحاجة إلى خط حديدي يصلها بعكا من جهة الغرب وسمخ من جهة الشرق، فيمر هذا الخط بقرى منطقة طبريا وصفورية وشفا عمرو، ويربط أيضاً الناصرة وعكا بقضاء بني كنانة من شرقي الأردن، فعسى أن تدرس إدارة السكة الحديدية هذا الخط من الوجهة الاقتصادية وتنظر إلى ما يمكن أن تصير إليه البلاد متى عمرها الخط، لا إلى ما هي عليه الآن.

الحاكم ومعاونه

لما كنا في الناصرة لم نتمكن من مقابلة الحاكم المستر بادكوك لأن عقيلته الطيبة الذكر كانت مريضة، وقد أعلمنا بمزيد من الأسف خبر انتقالها إلى رحمة ربها . فقابلنا حضرة معاونه السيد نقولا سابا، وهو من خيرة الرجال الخبيرين بأمور الإدارة والعارفين بحاجات البلاد وتحياتنا القلبية له.

وفي الختام نقول إن البلد التي تنجب رجالاً كالسيد المسيح يجب أن تنتصر على الطبيعة وتسخرها لخدمتها والسلام.

الصبير

لا يزال الصبير كثيراً في الأراضي المحدثة بالناصرة، فيجب أن تهتم البلدية والإدارة والصحية بقطعه، لأن شوكه الدقيق يؤذي العيون ويتلف الأراضي والمناخ. ويجب أن تتحول كل الأراضي إلى حدائق تفاح ومشمش زاهرة.

مطران الناصرة

إن حادثة مطران الناصرة التي سبقنا فكتبنا عنها أكبر دليل للشعب على أن الوطنيين إذا لم تكن أمورهم منظمة وتديرها هيئات منتخبة ومسؤولة، فيمكن لأي سلطة زمنية أو روحية أن تتصرف بحقوقهم، حتى ولو كانت ضعيفة فإلى التنظيم وإلى النشاط للعمل.

الجمعية الاقتصادية

كلفنا بعض الأذكياء النشيطين والاختصاصيين بضرورة تأليف فرع للجمعية الاقتصادية في الناصرة، يضم إليه جميع الذين يرغبون في نهضة البلاد وجميع العمال من

جميع الحرف داخل القصبة وخارجها من المزارعين، فالذي يطمح في مسألة ترقية الزراعة وغرس الأشجار وتشجير الوعر وإصلاح حال العمال في الناصرة يدرك أهمية تأليف هذه الجمعية ومنافعها فعسى أن يشعر أصحاب الشعور الشريف بالحاجة السريعة إلى عمل هذه الجمعية ويبادروا لتأليفها حسب قانونها، ويبدؤوا بالتشويق لغرس الأشجار قبل فوات الموسم وخسارة سنة أخرى[82].

---

[82] - الكرمل . السنة التاسعة . العدد 871 . 23 كانون اول عام 1922م

رحلة نجيب نصار الثانية
رسائل صاحب الكرمل عام 1925

حيفا (1)

وإن كان الطقس والنزلة الصدرية قضيا بتأجيل سفرنا إلى حين، فإننا نبدأ بالكتابة عن هذه السياحة بحيفا، ونرجو من القراء، وخصوصاً ممن يهمهم أمر مصالحهم المرتبطة بالمصالح العامة ومن أصحاب النظر البعيد، أن يعيروا هذه الرسائل بعض الاهتمام، لأننا سنضمنها كل ما يدعو للنهضة الاقتصادية ويقي البلاد والأفراد شر الإفلاس والخراب، ويدعو إلى التضامن الذي يولد النشاط والقوة.

من يلقي نظرة على مدينة حيفا نفسها، ويقابل بين ما كانت عليه في أول سني الاحتلال وبين ما هي عليه اليوم؛ يرى أنها تأخرت تأخراً كبيراً مادياً ومعنوياً من الوجهة الوطنية، وإن كانت الأبنية بها تزايدت زيادة كبرى.

كانت مخازن الصهيونيين ودكاكينهم في حيفا في أول سني الاحتلال قليلة جداً، وما كنت ترى فوق أبواب المخازن سوى لوحات قليلة باللغة العبرية، وكانت التجارة من جميع الأصناف في أيدي الوطنيين يشاركهم فيها بعض اليهود الوطنيين فقط، أما اليوم فإذا مررت بالسوق ترى اللوحات باللغة العبرية أكثر منها باللغة العربية، وهذا يدلك على أن التجارة بجميع أنواعها تنتقل بسرعة إلى أيدي الصهيونيين، فقد استولوا على جانب كبير من تجارة القزاز [الزجاج] والخضراوات والبقول والمكابيس ومواد البناء والخشب، وصار لهم تأثير كبير في تجارة الحبوب التي كانت كلها تقريباً منحصرة في أيدي الوطنيين [العرب].

ثم إن من يتعمق في البحث قليلاً، يرى أن أصحاب التجارات الكبيرة والصغيرة من الوطنيين يتأخرون حتى انكسر عدد كبير من التجار وخسروا رؤوس أموالهم وهجروا حوانيتهم، فحل فيها محلهم الصهيونيون، ولا يزال هذا التبديل جارياً وهيئاتنا والعقلاء

من أفرادنا لا يظهرون اهتماماً كافياً بتلافي هذا الخطر، خطر حلول الصهيونيين محل الوطنيين في المدن والقرى، أو بالحري خطر تنفيذ السياسة الصهيونية العملي، فإذا بقي هذا الحال مستمراً نعتقد أنه لا تمضي سنون قليلة حتى يتطبق تصريح بلفور بحذافيره، وتصبح فلسطين في قبضة الصهيونيين، ولا يبقى لنا إلا الخصام والتراشق بالكلام رأسمالاً، لأن الصهيونيين لا ينازعوننا في شيء من هذا، بل يريدون أن نتلهى عنهم به ليمضوا في سبيلهم العملي آمنين، ويجردونا من التجارة والأراضي والصناعة اليدوية، فنضطر إلى التخلي لهم عن البلاد حاملين معنا ما احترفناه من المنازعات والمخاصمات والشتم والسب وغيرها من الحرف الخاسرة، التي لا تلاقي سوقاً رائجة إلا بين ظهرانينا وا أسفاه[83].

حيفا (2)

قلنا في المقال الأول إن التجارة والصناعات في حيفا تنتقل بسرعة إلى أيدي الصهيونيين وهذه حقيقة ملموسة محسوسة يراها الوطنيون من جميع الطبقات، ويشعرون بضررها وخطرها ما عدا فريقاً من أصحاب البيوت الذين يعيشون إلى الآن على تأجير بيوتهم وفريق الموظفين، والفريقان سوف يشاركان العموم بهذا الشعور بالضر لأن الموسى الذي يحلق لحى إخوانهما سوف يحلق لحاهما متى فرغ منها «أي لحى المأمورين وأصحاب البيوت»، فاليهود سوف يعمرون لهم مساكن كما بدؤوا يفعلون، وسوف يتولون متى صاروا أكثرية على جميع الوظائف، كيف لا وما ولتهم إياه الإدارة من الوظائف إلى الآن يزيد كثيراً عما يستحقون بنسبتهم العددية أو بنسبة ما يدفعون من الضرائب. خلاصة القول إن ضرر الصهيونية وخطرها في حيفا كما في سواها من المدن لحق ويلحق جميع طبقات الشعب، والذين لحقهم، وإن كانوا قد شعروا به ويتذمرون منه، فهم يقتصرون على الشكوى، والذين لم يلحقهم بعد لا يفكرون ولا يبالون كأنهم ليسوا من أبناء البلاد. والحقيقة التي لا مراء فيها أنه كلما ازداد الضر وسرى الخطر في جسم هذه الأمة ازدادت الهمم فتوراً والعقول ذهولاً والنفوس خمولاً، وازداد الأطباء إهمالاً بل ازدادوا جدالاً وخصاماً وقتالاً، ونسوا أن مريضهم يحتضر بين أيديهم، وأنهم أوشكوا أن يصيروا حفاري قبور، وأنهم إذا بقي هذا حالهم قد لا يجدون حفاراً يحفر لهم قبوراً.

---

[83] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1075. 10 كانون ثاني عام 1925م

الأمة التي هذا حالها مصيرها إلى الانقراض إذا لم يتنبه فيها المتعلمون والمخلصون والغيورون وينبهوها تنبيهاً صحيحاً وينظموا شؤونها، ليقوم كل عضو بواجباته كما تقتضي مصلحته ومصلحة المجموع.

الأمة التي هذا حالها؛ مصيرها إلى الانقراض كما انقرضت أمم كثيرة من قبلها إذا لم يكن فيها عقلاء يبحثون عن أسباب المرض، ويتوسلون بالوسائل لمقاومته، والجسم الذي لا توجد به قوة لمقاومة الأمراض ولمدافعة الميكرويات السامة القتالة يموت.

سؤال: لماذا تنتقل التجارة والصناعات من أيدينا إلى أيدي الصهيونيين؟

الجواب: لذلك أسباب منها ناشئ عنا ومنها ناشئ عن السياسة والإدارة المتبعتين في البلاد.

أما الأسباب الناشئة عنا فهي أننا أهملنا محاربة خصومنا الذين جاؤوا ينازعوننا البقاء في عقر دارنا بسلاحهم، واكتفينا بشيء يسير من الدعوة التي لم نحسنها ولم نتابعها. نشر الدعوة عمل قيم واتقانه والمواظبة عليه ضروريان ليكسبانا عطف الرأيين النصراني والإسلامي، اللذين تضللهما الدعوة الصهيونية المنظمة القوية. ولكن هذا وحده لا يكفي بل يجب أن يكون في جسمنا نحن قوى إيجابية مقاومة. هذه القوى موجودة ولكننا كلنا مع الأسف نعمل على إفنائها، ونعني بكلمة «كلنا» المخلين والخونة العارفين والجهلة على السواء[84].

حيفا (3)

قلنا فيما سبق إننا لا نحارب خصومنا الذين ينزعون التجارة والصناعة من أيدينا بسلاحهم.

خصومنا يأتون إلى البلاد العربية ليؤسسوا لهم فيها ملكاً، فكأنهم لم يجدوا أضعف منا شعباً وأفضل من بلادنا بلاداً فطمعوا فيها وفينا، وقد جعلوا فلسطين مركز عملهم التأسيسي لأنهم وجدوا العمل فيها أيسر من سائر البلدان العربية لأسباب شتى، منها ما يؤلمنا ألماً شديداً ويسم جباهنا بوصمة عار سيذكره ويسجله التاريخ علينا. وجد خصومنا أن أقرب الطرق وأفضلها وأيسرها لبلوغ أمانيهم هي في بداية الأمر الاستيلاء على التجارة أو بالحري امتصاص الثروة وتملك الأراضي، فاتبعوها، والذي يراقبهم يرى حالاً أنهم يعملون بهما بجد ونشاط وتنظيم.

---

[84] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1077. 17 كانون ثاني عام 1925م

كان من الواجب علينا أن نتخذ كل الوسائل للاحتفاظ بثروتنا وبأراضينا لأنفسنا، فتفشل مهمتهم ويرتدوا على أعقابهم خاسرين.

وإذا كنا لم نفعل ذلك في الماضي واقتصرنا بسبب الدهشة على الاحتجاج والشكوى وشيء من نشر الدعوة، فيجب في المستقبل أن ننظم هذه ونوسعها وأن نعمل لتلك، أي للاحتفاظ بالثروة باستبقاء التجارة في أيدينا والأراضي بتصرفنا.

ولما كانت حيفا تظهر من بعد الاحتلال نشاطاً عظيماً في الحركة الوطنية، يجب أن لا تتخلف عن واجبها اليوم وأن تكون مثالاً لأخواتها من مدن وقرى فلسطين.

لنحتفظ بأراضينا ونستبق الباقي لنا من التجارة، ونسترد ما نزع من أيدينا منها، يجب أن نهتم للوقوف على كل ما عند خصومنا من الاستعدادات والتدابير والطرق التي يسيرون عليها، كما يهتم قواد الجيوش في الحرب بالوقوف على استعدادات الجيوش وحركاتها المعادية ليعرفوا كيف يقاومونها.

أهم ما يعول عليه خصومنا على ما نعلم في جهادهم لتحقيق رغائبهم، التنظيم والاقتصاد والتضامن والنشاط في العمل. فهل نحن منظمون ومقتصدون ومتضامنون ونشيطون في العمل؟

التنظيم هو الأساس الذي يمكننا [من] أن نشيد عليه أبنية الاقتصاد والتضامن والنشاط المتينة التي تكفل حياة الشعوب وتؤمن استقلالها الحقيقي.

أردنا أن نقوم بشيء من هذا التنظيم فيما سبق، فسعينا مع بعض المفكرين والعقلاء في تأليف جمعية النهضة الاقتصادية، فقامت في وجهها عراقيل حزبية ونعرات طائفية، ففضلنا أن لا نقاوم بعنف حينئذ، فأوقفنا الحركة إلى حين، ريثما تستيقظ النفوس ويشعر الناس بحاجة إلى التنظيم والنهضة فتستأنف العمل.

التنظيم في كل أمة وهيئة يقوم به المتعلمون والعقلاء والزعماء الصالحون، وهؤلاء في الأمم كالقواد والضباط في الجيوش. وفي حيفا من هؤلاء من يعملون على التنظيم كالجمعية الإسلامية، وجمعية تعاون القرى، والنادي الكاثوليكي، وجمعية الإخاء الأورثوذكسي، وجمعية الإصلاح الأورثوذكسي، وجمعية الشبيبة الإسلامية، وجمعية الشبيبة المارونية، والجمعية الخيرية الإسلامية، وربما وجد جمعيات وهيئات أخرى لم تحضرنا أسماؤها ولكل من هذه الجمعيات منهاج تسير عليه.

وإن كنا لا ننكر على هذه الجمعيات ما قامت به إلى الآن من الأعمال المتفاوتة الطيبة النافعة، إلا أننا لا ننكر أن تأثيرها على روحيات الشعب لا يزال محدوداً، وأنها إذا أحسنت

الظن بعضها ببعض تجد ميدان العمل واسعاً وأنه يوجد عمل كاف للجميع، وأنه على كل فرقة أن تعمل للمصلحة من وجهتها بروح التعاون تاركة التنابذ والمقاومات الضارة.

فينا نقائص يجب أن نبقى نحاربها إلى أن نتغلب عليها، وأهمها أن كل واحد منا لا يريد أن يرى غيره على المسرح، ومنها أنه إذا باشر واحد أو فرقة منا عملاً، يبدأ بالعمل بنشاط زائد، وإذا لم تظهر ثمرات ذلك العمل في الساعة تفتر هممنا ونيأس، وهذا ما يجب أن يتغلب عليه الشبان بصورة أخص.

قلنا إن حقل العمل واسع والأعمال يجب أن توزع، ولكن العاملين قاعدون فجمعيات حيفا لا تعقد اجتماعات منظمة تدعو إليها الشعب وتلقي عليه محاضرات في الأخلاق والاقتصاد والتعاون وضرر البطالة والنشاط في العمل والثبات فيه، وفي علاقة كل فرد بالمجموع وواجباته نحوه وواجبات المجموع نحو الفرد، وليس لها فروع لتمرين الشعب على الألعاب الرياضية وتمرين الأجسام. ولذلك ترى عقد هيئتنا الاجتماعية منفرطاً، وترى الناس إذا حصلوا على شيء من الدراهم ينفقونها بلا حساب، وترى روح التعاون والتضامن مفقودة، فإذا أراد أحدنا أن يشتري حاجة لا يهمه ممن يشتريها، وإذا جاء يشتري من مواطنيه فالبائع لا يفكر بغير ربحه، وقس على ذلك أموراً كثيرة تدل على أن حالتنا الاجتماعية لا تزال كما كانت عليه قبل ست سنين، وعوامل التنازع تفعل فعلها فينا فتذهب بأموالنا وتزيد في تفريق كلمتنا وتنابذنا وإضعاف جميع قوانا حتى أصبحت هيئتنا الاجتماعية كمن أصبح في الدرجة الثالثة من السل، يهدده الموت وهو يحسب أنه من أطول الناس عمراً، فإلى هذه الحالة ننبه كل الجمعيات والنوادي على السواء، وندعوها إلى تجديد نشاطها والقيام بواجب الإرشاد إلى إصلاح الأخلاق، ونبذ الخلافات وإلى التوفير والعمل والتعاون والتضامن وتبادل المعاملة الحسنة وإلى كل ما يدعو للنهضة العملية، فعسى أن تلاقي هذه المطالعات اهتماماً من المخلصين الذين يهمهم أمر المستقبل فيعملون لإصلاح الحالة ودرء الخطر المقبل[85].

حيفا (4)

سألنا أحد المفكرين على أثر مقالنا الأخير قائلاً: ماذا تستطيع الجمعيات والأحزاب أن تعمل لتغير الحالة؟ قلنا إنها تستطيع أن تعمل كثيراً إذا هي أخلصت وكانت غاياتها نزيهة وهمم رجالها عالية وإرادتهم قوية. تستطيع أن تستأصل جميع الخلافات

---

[85] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1078. 21 كانون ثاني عام 1925م

على النفوذ والغايات الشخصية من بين أعضائها لتتفرغ للعمل، والإدارية من هذه الجمعيات تستطيع أن تكهرب نفوس الناس بالمبادئ الوطنية وبالغيرة على المصلحة العمومية، ومتى كان أعضاؤها ينكرون ذواتهم ولا يعودون يستثمرون كل حركة لمنافعهم ووجاهتهم يثق بهم الناس وينقادون إليهم، فيزيلون كل ما وقع بين طبقات الشعب من خلاف يؤدي إلى الانقسام وإضاعة الوقت وإفناء القوى، ويعودونه على دفع راتب شهري يسير لخدمة القضية، فيدفعه عن طيبة خاطر متى عرف أنه ينفق في سبيل المصلحة، وبهذه الواسطة تتمكن الجمعيات من نشر الدعوة في أوروبا وأمريكا والشرق، ويغلب على الظن أنها تنال مساعدة كبار رجال الدين لإنشاء مصرف كبير يسلف الصناع والمزارعين، ويشتري الأراضي ويوزعها على الفلاحين فتنتعش التجارة ويمتنع البيع.

والجمعيات الزراعية يمكنها مثلاً أن تفكر في السهرات وتدرس العلوم والتجارب لزيادة الإنتاج وتكثير الموارد، فتعمل لترقية الزراعة وتكثير الفرس وتربية النحل والدجاج وتحسين تربية الحيوانات لتكثر مواليدها ودرها، ويحسن صوفها وشعرها، فهذا اللحم لقلته في البلاد بلغ سعر الأوقية منه أربعة غروش ونصف كان يشتري بها قبل 20 سنة نصف رطل في مثل هذا الوقت، فلو كان الخروف والطير موفورين لما احتجنا إلى جلب الغنم من الأناضول، ولما ارتفع سعر اللحم هذا الارتفاع الفاحش، ولما صار ثمن البيضة الواحدة غرشاً، بل لكان في وسعنا أن نعيش بالرخص وأن نصدر الغنم والصوف والبيض والعسل إلى الخارج ونربح.

كذلك يمكن للجمعيات الزراعية أن تزور في كل شهر ناحية من النواحي، وتلقي الخطب والنصائح والإرشادات النافعة التي تنهض بالفلاح وتعرفه ما له وما عليه.

أما الجمعيات الأدبية فيمكنها أن تعمل على إصلاح الأخلاق وتطبع في دماغ الصانع والبائع والتاجر مبدأ الأمانة والاستقامة والمداومة على العمل وإتقانه، ولا يخفى ما يولد هذا من الثقة ورواج الأعمال، وفي وسع رجال الحقوق أن ينظروا فيما يصدر من القوانين، وينتقدوا ما لا يلائم المصلحة منه، ويطالبوا وزارة المستعمرات بتعديله. كما يمكن للجمعيات الاقتصادية أن تساعد الجمعيات الزراعية في أعمالها وتهتم بوضع مبادئ اقتصادية ليتعلم الناس أن ينفقوا أقل مما يربحون، وأن تسعى جهدها لتجعل الحالة المالية موضع ثقة لإيجاد مصرف أهلي، وأن تعوّد الناس على تأليف شركات التعاون برؤوس أموال كبيرة، يمكنها استيراد البضائع بسعر عشرين بالمائة أنقص مما لو كانت كميات الطلبات صغيرة.

خلاصة القول: في وسع الجمعيات أن تعمل كثيراً، في وسعها أن تحول تقاطع الشعب إلى تضامن، في وسعها أن تفرج في زمن غير طويل الأزمة الاقتصادية، في وسعها أن تستبدل الخمول نشاطاً وتحول بؤس الأمة إلى سعادة، في وسعها أن تمنع بيع الأراضي، في وسعها إيقاف الحركة الصهيونية عند الحد الذي وصلت إليه، في وسعها أن تجعل من كل قلب جبلاً، ومن كل دماغ آلة صحيحة تعمل للخير العام، ولكن أساس كل عمل الإخلاص وقوامه المعرفة وقوة الإرادة، فمهما كانت أعذار الجمعيات يجب أن يحمل عدم نجاح أعمالها، إما على عدم الإخلاص وإما على الجهل وضعف الإرادة[86].

حيفا (5)

قلنا إن الجمعيات في وسعها أن تعمل كثيراً ولكن الجمعيات والأحزاب لم تعمل في المدة الأخيرة إلا للتقاطع والتنابذ، فنجم عن ذلك تفكك العرى وإفلات طلاب المنافع الشخصية من القيود التي كان يقيدهم بها الرأي العام والمجتمع، وصاروا بعد أن كانوا في طليعة الوطنيين لا يكتفون ببيع أراضيهم بل يسمسرون لبيع أراضي الغير هازئين بالرأي العام الذي كانوا يتظاهرون بتقديسه، ولا عجب إذا اغتنم العدو فرصة تنازع خفراء الحدود ليجتازوها. فجمعياتنا وأحزابنا كالحرس الوطني الذي أقامته الأمة على حراسة الحدود، وبدلاً من أن يصرف قواه في السهر عليها ودفع العدو الذي يحاول اجتيازها، جعل يتخاصم بعضه مع بعض فالتهى عن الحراسة وضعفت قواه، ففر الجبان من صفوفه وذهب الخائن إلى العدو، وقاده مطمئناً إلى داخل الحمى. وضباط الحرس لا يزالون يتخاصمون كأن لم يكن شيء مما كان، فإما أن يعدل الحرس حالاً عن منازعاتهم الشخصية ويتنبهوا لواجباتهم وللاقتصاص الأدبي من الخونة، وإما أن تقوم الأمة وتنبذ هذا الحرس وتعهد بحراستها إلى هيئات أمينة صالحة غير هذه، فليتنبه المتعلمون والمخلصون إلى واجباتهم لأنهم هم المسؤولون.

حيفا والمعارف

ضرر المدارس أكثر من نفعها

كان يجب أن نفرد للمعارف في حيفا فصلاً مطولاً، ولكن الوقت قصير وحجم الجريدة صغير فلذلك نكتب باختصار عن المعارف في حيفا الآن، وسنفرد للمعارف فصلاً خاصاً بعد درس أحوالها في كل فلسطين.

---

[86] - الكرمل - السنة الثانية عشرة - العدد 1079 . 24 كانون ثاني عام 1925م

في حيفا عدة مدارس ابتدائية، ففيها مدرستان للمسلمين، واحدة للصبيان، وأخرى للبنات، ومدرسة للكاثوليك وأخرى للأورثوذكس منقسمة إلى قسمين، قسم للصبيان وآخر للبنات، ومدرسة للموارنة ومدرسة لبنات البروتستانت، وأخرى للفرير ربما فيها صف ثانوي، وأخرى لرهبان السالزيان، ومدرسة إنكليزية عليا داخلية للبنات، وربما وجدت مدارس أخرى لم تحضرنا أسماؤها.

من أسماء المدارس يستدل على أنها مدارس طائفية، وبعضها أجنبية لها نزعات سياسية وإن أنكرتها، فهي بادية في كتب التعليم ومشارب الأساتذة وأخلاق الطلبة.

لا ننكر على أغلبية هذه المدارس ما يبذله أساتذتها وإدارتها من الاجتهاد في التعليم، ولكننا نقول بلا تردد بكل أسف وحزن أن مضارها أكثر من منافعها، لأن الطائفية منها علة انقساماتنا ومنازعاتنا الطائفية، وحجر العثرة في سبيل اجتماع كلمتنا الوطنية، والأجنبية هي المسببة لمعظم ما نراه من الاختلاف في مذاهبنا السياسية والتشيع للدول المختلفة، إلى حد ينسينا قوميتنا وواجباتنا نحو أنفسنا ووطننا.

من الغريب أن الإدارة في فلسطين ترى هذه الحالة، والإدارة أولى من غيرها بتقدير مضارها التي تنجم عن التشيع الطائفي والدولي، ومسؤولة عن تداركها وإصلاحها لأنها تمثل الدولة المنتدبة.

للانتداب على ما نعتقد واجبات غير خدمة مقاصد الجمعية الصهيونية وصرف كل الجهود لإنشاء الوطن القومي اليهودي، ومع ذلك لا تهتم بفتح مدرسة راقية في حيفا تجمع تحت سقفها أبناء الطوائف المختلفة على مقاعد واحدة وتلقنهم علوماً واحدة، وتفسح للأساتذة أن يعلموهم أن الوطن فوق كل شيء.

إذا لم تقم الإدارة بهذا الواجب الجوهري الصغير فلا أقل من أن نطالبها به، ولا أقل من أن نخدم نحن مصالحنا بأنفسنا.

لو كانت أدمغتنا تعي وعيوننا تبصر ولا يغشى عليها من التعصب المذهبي، وقلوبنا لا يتغلب عليها شعور المنفعة الشخصية، ونفوسنا كبيرة ومداركنا بعيدة المدى لقلنا لهذه الهيئات التي تدير المدارس الطائفية اجتمعوا فيما بينكم وقرروا توحيد مدارسكم في مدرسة واحدة شعارها الوطنية، وربوا لنا ناشئة وطنية متفاهمة تتعاون ولا تتقاطع وتفني القوى في الانقسامات والمنازعات التي هي أصل كل ما في هذا الوطن من البلايا والمصائب لماذا لا تكون حيفا البادئة، لماذا لا تكون حيفا المثال الأعلى لجعل التعليم يقوم على مبادئ وطنية شريفة بدلاً من أن يكون سبباً لزيادة الانقسام والتفرقة.

لا يجوز لنا أن نمر بموضوع التعليم من دون تنبيه إدارات المدارس إلى أن تعليمها ناقص، ففضلاً عن أنه يشبع التلامذة بالمبادئ المذهبية والسياسية المختلفة كما قلنا، فإنه لا يعوّدهم على الاعتماد على النفس، ولا يربي في نفوسهم روح الرجولية، بل يخرجهم مقلدين يقلدون الفرنجة في اللباس والعادات، ويقتبسون عنهم ركوب السيارات والدراجات واستعمال التلفونات وغير ذلك من المستحدثات، ولا يفكرون في صنع شيء من المصنوعات أو الآلات لأنفسهم، فالمدارس في حيفا، وفي سائر البلاد الشرقية كمعامل تخرج رجالاً مسرفين لا منتجين، وأكثر ما يعولون على الوظائف ليتقاضوا الرواتب، وإذا لم يحصلوا عليها عمدوا إلى الحيل لاستنزاف أموال الشعب لينفقوها على ملاذهم وشهواتهم، فخريجو هذه المدارس والحالة هذه عالة على البلاد، أو بالحري كالهررة التي تلحس المبارد على رائحة الزفرة، فيسيل الدم من ألسنتها فتستلذ به فتمعن في اللحس إلى أن تذوب تلك الألسنة.

المدارس النافعة هي المدارس التي تخرج طلبة منتجين لا مستهلكين، وعملة في بناء الوطن لا مخربين، فلينتبه مديرو إدارات المدارس إلى واجباتهم ولا يجنوا على الوطن بما يعملون[87].

حيفا (6)

اسم هيئة البلدية أو المجلس البلدي يدل على أنه هيئة بلدية بحتة، فلذلك يعتبر المجلس البلدي في حيفا وفي غيرها من المدن خلاصة البلدة، فالمجلس البلدي في حيفا يصور أهلها من حيث الأخلاق والكفاءة وحب النظام والنظافة والعمران والإقدام، أو بصورة معكوسة إذا كان مهملاً مقصراً، ولا يسعنا إلا القول بأن هيئة بلدية حيفا أظهرت بهمة رئيسها الحالي النزيه المعتدل المقدام الحريص على خدمة وطنه ضمن وظيفته حرصاً لا تشوبه الأغراض، بمساعدة بعض الأعضاء المنزهين والسكرتير الناهض (الخطيب) قامت بأعمال تنظيمية وعمرانية، كتمبيد شوارع وتوسيع أخرى وسهر على النظافة ومصالح الأهالي؛ لئلا يستبدلها المحتكرون، كتنزيل أسعار اللحم مثلاً، تدل على أن هنالك إرادة حسنة وقوية للقيام بالواجب قياماً منزهاً، ولكن بما أننا نكتب للتاريخ لا بد لنا من القول إن بين أعضاء المجلس البلدي أفراداً، وإن كنا نحترم أخلاقهم ولا نريد أن نشك بحسن نياتهم، ليسوا عصريين، أو كما يقول الإنكليز (not up to date) ولذلك

---

(87) - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1080. 28 كانون ثاني عام 1925م

فتربيتهم وعاداتهم تجعلهم في بعض الأحيان على غير قصد منهم عقبة، فلا يراعون الاعتبارات الوطنية كما يجب أن تراعى، وكثيراً ما يؤخذون بالظواهر أو كما يقال «يُبلفون»، وفي مثل هذه الأحوال يحرجون موقف الرئيس وأعوانه من مريدي عمران المدينة مع الحرص الشديد على الحقوق الوطنية. فهذه علة يجب أن تعالج في البلدية ليكون الأعضاء متناسبين في مبادئهم الوطنية واختباراتهم ورغباتهم في التضحية، وتقديم المصلحة العامة على كل شيء آخر.

عمران حيفا

ذكرنا أن البلدية اهتمت كثيراً بتعبيد الطرق وإقامة نظام أقنية وتوسيع بعض الشوارع، ولكن كثيرين من الأهالي يشتكون من تضييقات مهندس البلدية في إعطاء الرخص، ويقولون بوجود (المحسوبية) بالحصول عليها. قد تكون هذه الشكايات في غير محلها، وقد يكون للمهندس أسباب وجيهة في التضييق على البعض، ولكن مهما كان الأمر فالمجلس يجب أن تكون له السيطرة التامة على موظفيه، ويجب أن يكون لديه من سعة الاختبار ما يضمن تأكده من عدم حصول تفضيل بين الناس، ومن المقابلة بين الرخص المتعددة يستطيع المجلس أن يكشف ما يحوم من الشكوك حول هذه المسألة.

أما نظام الأقنية، فقد دعانا المطر المبكر وما أحدثه من التعطيل، إلى تنبيه المجلس البلدي إلى فحص هذه الأقنية فحصاً فنياً دقيقاً ليرى إذا كان المهندس بنى أقنيته على مقتضى الفن، أو حسب حساباً لأعظم مقدار من المياه التي يجري فيها، لئلا، إذا كانت ضيقة، تخربها المياه إذا غزرت وتفيض على الطرقات والبيوت، ولكن المجلس على ما يظهر لم يهتم للأمر، وعدم الاهتمام يوقع المجلس كله تحت الملامة، فيعزو الناس إليه الإهمال لأن المشاريع التي ينفق عليها ألوف ليرات يجب أن توضع على أصول فنية تمنع احتمال هدمها وإعادة بنائها بصورة صالحة، وتكليف الشعب نفقات باهظة.

التجربة تجوز في الأشياء الصغيرة والمجهولة، ولكن المشاريع التي قتلها الفن علماً وخبرة لا مبرر في التساهل فيها على حساب المجموع مراعاة لمصلحة فرد.

هذا فضلاً عن أن هذه الأقنية؛ أهمل في بنائها عمل مصاول أو أحواض لها لتتصفى فيها الأقذار وتطفو فيها المياه وتمنع انبعاث روائحها الكريهة، كما أهمل عمل مداخن عالية لها تصعد الروائح إلى الفضاء، فهذه أمور جوهرية في بناء الأقنية لا نعرف إلى الآن مبرراً لعدم العمل بها، إلا إذا كان لدى الهيئة الفنية في البلدية سبباً فنياً نجهله،

وإن لم يكن فإننا لا نجد ما يمنع لوم المجلس البلدي كله إذا بقي ساكتاً عن هذا التقصير ولم يطلب تغريم المسبب الخسارة.

الصحية

أحسنت بلدية حيفا عملاً بتعيينها مفتشاً صحياً تخصص في كليات بريطانيا، ومارس وظيفته في إحدى مدنها العظيمة ممارسة تؤهله لثقة المجلس البلدي، وتجعل خدماته مفيدة وجليلة. ولعل بلدية حيفا هي أول بلدية في فلسطين قامت بمثل هذا التعيين وبرهنت على تقديرها الاختصاص، فهي تستحق الشكر عليه لأن أعمال المفتش أخذت تظهر نتائجها، فقد نظم المسلخ تنظيماً فنياً يطول بنا شرحه ويمكن للمهتمين بالأمور الصحية أن يزوروه فيشاهدوا كيف أن النظافة مكفولة، وقد عمل المفتش عربات مقفلة لنقل اللحم بعد أن كان ينقل أكداساً مكشوفة على ظهور الحمير أو على أكتاف اللحامين من المسلخ إلى الدكاكين، وسوف يرى الناس اللحم في الصيف مغطى من الذباب والغبار والهوام بحيث يطمئن الإنسان تماماً للنظافة.

والمفتش شرع بتغيير طريقة نقل الزبالة التي تنقل الآن بعربات مكشوفة وغير محكمة، فسيضع لها عربات مغطاة محكمة ويختار لها مستودعاً تحرق فيه وتحول إلى سماد اصطناعي ينفع الزرع ويعوض على البلدية بعض النفقات، هذا فضلاً عن السهر المستمر على نظافة البلدة، فنأمل من البلدية أن تجهز مفتشها الخبير بما يلزم من الكتبة، وأن تعين طبيبها الخاص ومستشفاها وتطلب عدم مداخلة الصحية في شؤونها البتة، فالقانون العثماني والقانون الإنكليزي أيضاً يخولانها حق الاستقلال بإدارة شؤون البلدة الصحية بدون مداخلة إدارة الصحة العامة، ونأمل من الحكومة أن تعيد لبلدية حيفا هذا الحق بعد تعيينها مفتشاً صحياً لتشجيع سائر البلديات على الاستقلال بوظائفها، لأننا والحق يقال، نتألم من مداخلة دوائر الحكومة المختلفة في شؤون البلديات، ومن محاولة تقليم أظافرها دائماً لمجرد كونها دوائر وطنية.

مشروع روتنبرج

حاشية: - لاحظت قبل مبارحتي حيفا «وقد أكون مخطئاً» أن البعض يتسترون بالوطنية ويتسلحون بمشروع روتنبرج[88] ليحرجوا موقف حضرة رئيس البلدية، فأرجو أن

---

[88] - مشروع روتنبرج هو امتياز استغلال مياه الأردن لتوليد الكهرباء، أعطي لليهودي الروسي بنحاس روتنبرج عام

يسهر على هذا الصديق المخلص سهراً دقيقاً وأن لا يضع الكرمل سلماً لذوي الأغراض، فرئيس بلدية حيفا رجل من خيرة الوطنيين ولا أعتقد بوجود من يكره مشروع روتنبرج من الوجهة الوطنية أكثر منه، ولكن موقفه من جهة بين الوطنيين الذين يرون في هذا المشروع غولاً اقتصادياً يبتلع البلاد وبين الحكومة من جهة أخرى التي تريد تمشية هذا المشروع مستندة إلى الامتياز الذي أعطي به بغير حق من قبل وزارة المستعمرات، وبين موقف بعض أعضاء المجلس البلدي المترددين، والذين لم يظهروا إلى الآن ما تكنه صدورهم من العواطف الوطنية، موقف حرج جداً. فأرى من الحكمة أن تساعدوا رئيس البلدية على الخروج من هذا المأزق، وعندي أن تحركوا الأهالي على مساعدته لمقاومة المشروع بالطرق التي يخوله إياها قانون البلديات، وبمعاونة الوطنيين الحقيقيين من أعضاء المجلس البلدي، لتقع التبعة على المترددين، إذا كان هناك مترددون واجتهدوا في أن لا يخدع الرأي العام أصحاب الأغراض، فيضعوا رئيس البلدية لأغراضهم تحت ستار الوطنية والسلام.

تركنا الكلام عن الإدارة وعن دائرة الأشغال العمومية في المنطقة الشمالية وعن السجون لنهاية الرحلة[89].

منطقة نابلس

برحنا حيفا بعد ظهر يوم الخميس في 5 شباط [1925م] فمر بنا القطار في سهول خصبة يباع كثير منها للصهيونيين وبعضها يبيعها رجال من عائلات البلاد العريقة، وبعضها يبيعها أو يساوم على بيعها رجال الحزب الزراعي[90]، وأخرى يبيعها رجال

1921م و لم يتم الاتفاق الرسمي مع الحكومة إلا في سنه 1926 و كانت مدة الامتياز 70 سنه و كانت اهم شروط هذا الامتياز هو لا يسمح لأية شركة او فرد باستعمال مياه نهر الأردن و مياه نهر اليرموك في اي غرض إلا بالاتفاق مع الشركة المذكورة، و تسري هذه المادة على الأردن كذلك واصبح صاحب الشركة عام 1929م رئيسا للمجلس الوطني اليهودي في فلسطين وكان هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني لفلسطين اول مدير للشركة، وقد واصلت الشركة المذكورة ممارسة صلاحياتها وفق الامتياز المذكور حتى الحرب العربية الصهيونية 1948م

[89] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1084 . 11 شباط عام 1925م

[90] - تاسس حزب الزُرّاع الفلسطيني وهو حزب سياسي في سنة 1924م، وكان من اهم اسباب نشوئه شعور اهل الريف والبدو بأن أهل المدن لهم نصيب الأسد في شتى المجالات السياسية والاقتصادية وضرورة وجود حزب ينادي بمطالب هؤلاء، على ان يكون حزباً له تأثير قوي على الحكومة للمطالبة بالحقوق. كانت عضوية الحزب من القرويين والمزارعين ومن نخبة من كبار الإقطاعيين والتجار.

الجمعيات وأعضاء المؤتمرات وذوو الزعماء، ولا نبحث الآن في هذه البيوع حتى ندري عنها ونعلم من أمرها ما يخولنا حق الكتابة، وإيقاف الرأي العام على حقائق راهنة وتفاصيل حقيقية.

الوفود

نزلنا في محطة طولكرم من القطار مع الوفد المؤلف برياسة الأستاذ الشقيري، من السادة نايف الماضي، سعيد الفاهوم، رمزي عامر، عبد الله الخطيب الآتي خصيصاً لتهنئة رئيس بلدية نابلس الجديد سليمان بك عبد الرزاق وأعضاء مجلسه المحترمين بما نالوه من الثقة العامة، وركبنا السيارات التي أقلتنا من طولكرم إلى نابلس.

دخلناها بعد تأليف المجلس برياسة سليمان بك، فرأيناها تعج بوفود المهنئين من غزة والقدس والخليل وقضاء نابلس وطولكرم، الذين لقوا من كرام النابلسيين كل رعاية وإكرام فالفيناها مبتهجة بمجلسها الجديد وتعلق عليه آمالاً كباراً، فسرنا ما شهدناه من ارتياح الأهالي لهذا المجلس. واشتركنا مع الوفود بتهنئة الرئيس والأعضاء بما أحرزوه من الثقة.

بين الماضي والحاضر

ولا نكتم القراء أن سرورنا كان يمازجه الحزن الذي يتولد عما يمر بنا من الخواطر المؤلمة. فقد كنا نتذكر الثقة التي كانت لأعضاء الجمعية الإسلامية السابقين، الذين كانوا يتكلمون فيما سبق باسم الرأي العام بلا معارض. أما اليوم فقد انحرف عنهم الرأي العام، حتى أن بعض أخوانهم مثل السيدين عزة دروزة وأمين التميمي لم ينسحبا معهم من الانتخاب احتجاجاً عليه، بل اشتركا فيه مع مخالفيهم، وقبل السيد عزة دروزة زيادة على ذلك عضوية المجلس، وعندنا أن هذين الذاتين عملا بحكمة.

ولا بد لنا بهذه المناسبة من تذكير سليمان بك ورفاقه أن يعتبروا بما أصاب خصومهم، فيحترموا مصلحة الشعب الذي أولاهم ثقته ويدأبوا على خدمتها، فإن الشعب لا يصبر طويلاً على من يهمل المصلحة العامة ويستخدم ثقة الرأي العام في غير محلها.

حزب الزراع

يسرنا أن نعلن على الملأ أن السيد فارس المسعود رئيس حزب الزراع، لما قابلناه لأول مرة اعترف أن كتابه إلى فخامة المندوب السامي كان هفوة كبرى، وأنه ارتكبها في

ظروف قصها علينا بصورة خصوصية، ولعل موقف بعض من يتكلمون باسم اللجنة أحرجه، وكان من جملة العوامل التي أثرت في نفسه، وقد قال السيد فارس: لكل جواد كبوة وسأجتهد بمحو هفوتي بحسنات، وأولها أني استقلت من الحزب، والحزب قال بحق إن ما فعلته لم يكن بقرار وأن استقالتي لا تلقى أدنى تبعة على الحزب، نرى أن استقالة السيد فارس تضحية منه، ونتمنى أن يضحي بمثلها كل من يرتكب خطيئة ضد الشعب أو مصالحه العمومية.

كان في وسع السيد فارس المسعود أن لا يستقيل، لأنه الزعيم الذي لا ينازع في قرى وادي الشعير[91] المؤلفة من برقا وبيت أمرين وسبسطية وإجنسنيا والناقورة ودير شرف وبزاريا، وهو لين العريكة حسن الخلق غيور على مصالح قومه له استعداد للتجدد.

قدر الوفد الشمالي للسيد فارس المسعود استقالته فزاره في عاصمته برقا مع رئيس حزب الزراع الجديد السيد عفيف عاشور والرئيس الثاني والسكرتير وشكروه شكراً جزيلاً، ورجوا منه أن يداوم على العمل لنهضة قومه الزراعية، وبينما نحن نحدثه في الموضوع، علمنا أنه حصل على جائزتي غرس الشجر والحبوب في المعرض الزراعي الأخير في نابلس.

ومما يسر أنه على رغم الخلاف بين القرويين علمنا أنه لا أثر للخلافات الجوهرية في قريته، وأن أهلها منذ الاحتلال لم يعجزوا المحاكم القضائية بدعاوي الجنح والجنايات.

برقا

في برقا[92] نحو ألفي نسمة، ومن أهلها السيد عبد السلام البرقاوي، وفيها مدرسة للصبيان عدد طلبتها 70 ويفكر الأهالي في إعداد محل لمدرسة للبنات. وقد بنى أهلها وعبدوا الطريق إلى بلدتهم من الطرق العمومية، إلا أن شوارع القرية ضيقة وقذرة جداً.

فيها سبعة آلاف شجرة زيتون وقد غرس الأهالي منذ الاحتلال إلى بدء هذا الموسم

---

(91) - يسير وادي نابلس الذي تتجمع فيه مياه الأمطار المنحدرة من مرتفعات مدينة نابلس وجوارها موازياً، للطريق الموصلة بين نابلس وطولكرم فيمر بأطراف قرى زواتا، وبيت إيبا، ودير شرف ورامين، وعنبتا وطولكرم، وينتهي في وادي الحوارث، المعروف أيضاً باسم نهر الاسكندرونة ويعرف في القسم الذي يمتد من شرقي دير شرف إلى جوار طولكرم باسم وادي الشعير، لعله سمي بذلك لكثرة ما يزرع من الشعير، وتنقسم القرى الواقعة على ضفافه إلى قرى وادي الشعير الشرقي في قضاء نابلس، وقرى وادي الشعير الغربي في قضاء طولكرم

(92) - وتقع على بعد 18 كم شمالي غربي نابلس وترتفع حوالي 500م عن سطح البحر.

ثلاثة آلاف غرسة جديدة، ويقدرون ما غرس وما سيغرس في هذه السنة بأربعة آلاف غرسة ويسرنا أن نسمع من أفواه المزارعين أنفسهم أن الكرمل كانت من أكبر العوامل التي ولدت فيهم الرغبة للغرس.

الأعشار

تشد البلدة نحو مائة فدان

تحادثنا مع رجال الوفد [و] الأهالي في مسائل الأعشار وجبايتها، فرأينا أنهم تنبهوا إلى الحق؛ فقد اجتمعت كلمتهم على أن الضريبة العشرية ضريبة فادحة، وقد ألغتها الدولة التركية فمن الغريب بقاء حكومة إنكليزية متمسكة بها، وطلب إلينا الأهالي أن نطالب الحكومة بمعاملتهم في الضرائب على الأصول المتبعة في بلاد الإنكليز، وإذا أصرت الحكومة على استيفاء الضريبة العشرية مؤقتاً، فلا أقل من أن تستوفيها بعد خصم البذار والمصاريف الهالكة للفلاح.

بيت إيبا

زرنا مدرسة بيت إيبا[93] وهي مرتبة ونظيفة، والتعليم فيها حسن، وإنما لا بد لنا من تقديم ملاحظة، وهي أنه يجب على إدارة المعارف أن تفرض على المعلمين أن يعلموا الأولاد غرس الأشجار ويمرنوهم على المبادئ الزراعية.

تناولنا الغداء في القرية عند سكرتير حزب الزراعة الشيخ أمين عبد اللطيف، وهو من المتعممين العصريين، وجهنا نظره إلى وجوب اهتمام الحزب بتفهيم أهالي القرى قيمة الوقت ليستخدموه في العمل لا في الجلوس في المضافات وشرب القهوة والتدخين، فالمزارعون يضيعون كثيراً من أوقاتهم لا يستفيدون منها.

حاشية: - علمنا أنه وردت مضابط من 65 قرية من قرى قضاء نابلس يعلن فيها المخاتير والاختيارية والوجهاء شكرهم للحكومة على اختيارهم سليمان بك [عبد] الرزاق رئيساً لبلدية نابلس، فالثقة بجنابه على ما يظهر غير منحصرة في المدينة بل عامة وفي قرى القضاء[94].

---

(93) - تقع إلى الشمال الغربي من مدينة نابلس على بعد 7كم

(94) - الكرمل - السنة الثانية عشرة - العدد 1085 - 14 شباط عام 1925م

لوكندة زهرة فلسطين

نزلنا في نابلس في لوكندة زهرة فلسطين، وهي لوكندة جيدة يجد فيها المسافر راحة وخدمة حسنة، وصاحبها وأبناؤه لطفاء وقريبون من الناس ويرغبون في توفير أسباب راحة المسافرين، الذين إذا كثروا يستطيع أصحاب الأوتيل أن يجعلوا محلهم من الطبقة الأولى[95].

بلدية نابلس

ذكرنا في رسالة سابقة عن الوفود، وبالنظر لاهتمام الناس بهيئة بلدية نابلس الجديدة وسرورهم العام بها، ذهبنا إلى الرئيس وسألناه عن بروغرام [برنامج] مجلسه الجديد؟ فقال إن ميزانية البلدية في نابلس تناقصت في السنين الأخيرة ولذلك فخطتنا ستكون:

1- ترقية واردات البلدية بدون تضييق على الأهالي، وإذا اضطررنا إلى زيادة بعض الرسوم فسنهتم بعدم جعلها عبئاً على الأهالي.

2- مراقبة طرق الصرفيات ووضع كل شيء في محله، ومراعاة الاقتصاد في جميع أعمالنا.

3- سنهتم في حصر المياه وتوزيعها بقساطل على القواعد الصحية، مع المحافظة التامة على حقوق أصحاب الأملاك والأوقاف فيها، والنبع الذي اكتشف في الجهة الشرقية يساعد على القيام بهذا المشروع من دون مس بحقوق أصحاب الحق في المياه.

4- سنباشر إصلاح أقنية مياه الأمطار والمياه القذرة على الأصول الفنية، لنمنع العفونة والرطوبة التي تولد الأمراض.

5- إصلاح الطرق والشوارع داخل المدينة بقدر ما تساعدنا الظروف، ومنع إنشاء الأبنية داخل المدينة إلا عند الضرورة الماسة.

6- نفكر في العمل في اقتراحكم القديم، وهو عمل فسحات في الشوارع يتخللها الهواء والشمس.

7- أما البناء خارج المدينة فسيكون على موجب الخريطة الفنية المرسومة، وسنجتهد مع الصحية في مكافحة مرض السل المسبب عن الرطوبة وما يتولد عنها من التعفن، ولنا ملء الأمل أن نتوفق إلى إحداث تحسين كبير في الصحة العمومية وفي النسل وصحة الأطفال. فشكرنا حضرته ودعونا له ولمجلسه بالتوفيق.

---

[95] - يبدو أن هذا الفندق لا وجود له اليوم

السياسة الوطنية في نابلس

معلوم أن نابلس بلدة وطنية صرفة، ولذلك فكل وطني يتمنى أن تكون الهيئة الوطنية العاملة فيها نزيهة ونشيطة ومخلصة وعاملة.

شعرنا أن التبدل في هيئة بلدية نابلس ناشئ عن انقلاب عام في الأفكار، وتحول فيها عن الرجال الذين كانت تتألف منهم الجمعية الإسلامية - المسيحية إلى الحزب الجديد، الذي تألفت من معظمه هيئة البلدية الجديدة، فاجتمعنا إلى حضرة العالم الفاضل السيد حسني عبد الهادي، الذي ينظر إلى الأمور بعين مجردة وسألناه رأيه في الهيئة الجديدة فقال أنه يعتقد أنها أصلح للعمل من الأولى، لكنه يخشى عليها من مقاومة الأولى لها وقال إن الحزب القديم مؤلف من الجمعية الحمادية القديمة (نسبة إلى الحاج توفيق حماد) التي لا يجهلها أحد في لواء نابلس وهي مدربة على المخاصمات والمقاومات والمقاهرات ولها تاريخ مملوء بالحوادث فهذه العصبة ستستفيد من كل هفوة قد ترتكبها الهيئة الجديدة وتتخذها سلاحاً لنشر الدعوة ضدها ولرفع الشكايات عليها إلى الحكومة والرأي العام، ومعلوم أن ما من فرد أو هيئة تتولى إدارة الأعمال العمومية رسمية كانت أو وطنية إلا وترتكب بعض الأغلاط، ولذلك يرى السيد حسني عبد الهادي أن على الهيئة الجديدة إذا كانت ترغب في أن تبقى متمتعة بفوزها أن تتروى في كل عمل تقوم به وتدرسه قبل الإقدام عليه، وأن لا تغضب من مقاومة خصومها لها بل أن تدفع هجماتهم بتعقل وحكمة، وأن على الأمة والحكومة أن تشجعا الهيئة الجديدة في كل عمل صالح تقوم به.

ثم سألنا السيد حسني رأيه في من يحسن أن يتولى قيادة الحركة الوطنية بعد أن أصاب اللجنة وجمعياتها ما أصابها، فأجاب فوراً المخلصون من خريجي المدارس العالية، فهؤلاء إذا رغبوا في العمل يحسنون التفاهم مع المخلصين من الوجهاء ويكتسبون ثقة الشعب واحترام الحكومة، لأنهم يطبقون أعمالهم على العلم والمنطق ويعملون للصالح العام لا لأغراضهم.

ثم سألناه: لماذا لا يعمل هؤلاء وقد دعوناهم للعمل مراراً؟

أجاب: إما لأنهم كانوا يخافون من الحزب القديم وصحفه البذيئة وتهمه الممقوتة، وإما لأن العاطفة الوطنية فيهم نائمة. وإما لأنهم نسوا ما تعلموه، أو لأن ما تعلموه كان سطحياً، ولذلك فهم يجهلون الواجب عليهم. وفي ختام حديثه أعرب لنا حضرته عن امتنانه من دائرة البلدية في نابلس وقال إنه غير ممتن من الإدارة.

رأي الشكعة

عرضنا على السيد أحمد الشكعة أحد أركان الحزب الجديد الركينة رأي السيد حسني في الحزب القديم، وإمكان تأثيره على الحزب الجديد؟ فقال: قد يكون رأي حسني بك صحيحاً لو لم نكن وثقنا ثقة عمياء بجماعة حماد وحملنا الرأي العام على الثقة بهم، أما وقد سحبنا تلك الثقة منهم فقد أصبحوا بلا حول ولا قوة يستطيعون أن يؤثروا بها على الهيئة الجديدة التي يقودها الناس، لا غرض لهم إلا خدمة المصلحة العمومية خدمة يرتاح لها الرأي العام كل الارتياح.

ملاحظة

لاحظنا أن الذين فقدوا ثقة الأمة يبوقون للرأي العام بنغمات يحاولون تضليله بها، فهم يقولون إن الحكومة عينت تعييناً لبلدية نابلس، وهي لو انتخبت لكانوا يربحون الأكثرية، فنحن لا ننكر على الأمة حقها بالانتخاب، وأنه كان في وسع الحكومة أن تنتظر لولا أنها رأت ما يدعو إلى عدم الانتظار، غير أن المستر سيمس حاكم اللواء لم يستأثر بالتعيين، بل جعله انتخاباً مصغراً مقتصراً على آراء الذوات، والذي فهمناه في نابلس أن الذين يقيمون هذه الضجة، لا يقيمونها غيرة على حق الأمة بالانتخاب، بل غضباً لأن الحكومة لم تعين لرئاسة البلدية واحداً من مرشحيهم الذين التمسوا من حاكم اللواء ومن المندوب السامي تعيينهم، ولولا هذا لكنا أول من يعاونهم على طلب الحق، فعسى أن لا نحتاج إلى أكثر من هذا التصريح مما عرفناه عن حركة نابلس، وأن لا يضطر المعترضون الحكومة إلى القيام بما يكشف عن الأسباب التي دعت الحكومة إلى تغيير هيئة البلدية.

وبهذه المناسبة

وبهذه المناسبة نقول إننا وكثيرين غيرنا لا نزال نحترم مواقف الرجال المخلصين كالحاج محمد أفندي القاسم، وشقيقه السيد إبراهيم القاسم، وحافظ آغا طوقان، فهؤلاء على ما نعلم وغيرهم كانوا ولا يزالون يعملون إلى جانب جمعية نابلس الإسلامية-المسيحية عن قناعة وجدانية وبإخلاص تام[96].

---

[96] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1086 . 18 شباط عام 1925م

نابلس أيضاً- الأمن العام والقضاء

يرى المستر كويكلي أن الأمن العام في لواء السامرة مستتب، وأنه لا يقع حوادث سلب ونهب، ولا يوجد سوى حوادث فردية، غير أن تسميم الحيوانات وتقشير الشجر وقطعه لم يبطل.

أما نحن فنعتقد بناء على البلاغات الرسمية التي تردنا بتنفيذ أحكام الإعدام، أن الجرائم تزداد ليس فقط في لواء السامرة بل في كل فلسطين.

طلبنا من مدعي عام نابلس ومن محكمة الصلح فيها ومن رئيس كتاب المحكمة المركزية علماً بالدعاوي الجزائية والحقوقية والصلحية لسنتي 23، 24، فأحالونا على القضاء في القدس، وإلى أن نحصل على الأرقام الحقيقية يجب أن نكتفي بالاستدلال.

نعتقد أنه أعدم من المحكومين في ست سنين منذ الاحتلال إلى اليوم في فلسطين، التي هي عبارة عن لوائين، أكثر مما أعدم في كل المملكة العثمانية الكبيرة في عهد عبد الحميد، الذي طال أكثر من ثلاثين سنة على رغم كون الناس كانوا ينظرون إلى عبد الحميد كحاكم ظالم مستبد، وإلى الإدارات الإنكليزية كإدارات دستورية عادلة حكيمة تقود الناس إلى الرقي والمدنية التي من شأنها أن تقلل الجرائم، فإن صدق استدلالنا بأن الجرائم والدعاوي تزيد في فلسطين في عهد الإدارة البريطانية، فمن الواجب على علماء الحقوق والاجتماع أن يبحثوا أسباب هذه الزيادة.

المعارف في لواء السامرة

لما زرنا نابلس في سنة 1922 كان فيها مدرستان للصبيان وأخريان للبنات، وكان عدد الطلبة 517 وعدد التلميذات 328، أما اليوم فقد وجدنا فيها ثلاث مدارس للصبيان في إحداها صفان ثانويان وعدد طلبتها 67، وثلاث مدارس للبنات وعدد التلميذات 490، أما القرى في لواء السامرة فعددها 210 وليس فيها سوى 91 مدرسة للصبيان عدد تلامذتها أربعة آلاف، ويوجد غير مدارس البنات في نابلس ثلاث مدارس في مدن جنين وطولكرم وبيسان، عدد التلميذات فيها نحو 240.

يرى القارئ من هذا البيان أن قرى كثيرة لا تزال بلا مدارس للصبيان، وأنه لا يوجد ولا مدرسة للبنات في كل قرى السامرة.

لكثير من المدارس في القرى قطع أرض خاصة بها يغرس الأولاد فيها أشجاراً غير

مثمرة، وكنا نود أن يخصص للمدارس قطع أرض كبيرة يفرس فيها الأولاد أشجاراً مثمرة وأخضاراً وأن يخصص ريعها لتعليم أولاد الفقراء الذين ينجبون.

وهنا يليق بنا أن نقدم ملاحظة للمعلمين الغيورين، وهي أن يطلبوا من آباء الأولاد أن يخصصوا لأولادهم قطعاً من الأراضي ليغرسوا فيها زيتوناً، وأن يرشدهم المعلمون إلى الغرس وتربية الأغراس فلا يشب الأولاد إلا وهم يملكون كروماً من الزيتون، وقد تربت فيهم الرغبة في الغرس والزراعة.

ولنا ملاحظة أخرى، وهي أن ينبه كل واحد من الطلبة إلى المهنة التي يختارها لنفسه، فيساعده المعلمون على تربية ميوله وتأهيل نفسه لمهنته، ثم يجب أن يفهم الأولاد علماً وعملاً أنهم يتعلمون ليعملوا وليتقنوا العمل، لا ليصيروا أفندية يلبسون البنطلون ويحملون الباسطون ويشربون البيرا، ويطلبون من آبائهم والبلاد أن يعولوهم. يجب أن يفهموا أنهم يتعلمون ليزيدوا الإنتاج ويقللوا النفقات أما واجبات المعلمات فهي أهم، لأن على المرأة أن تدبر المنزل وتربي الأولاد وتقتصد ما أمكن في مصروف البيت وتوفر كثيراً في خياطة الألبسة.

وبهذه المناسبة نقدم شكرنا العلني الخالص لمفتش معارف لواء السامرة ومعاونيه، لما يبذلونه من الهمة والسهر على ترقية التعليم، والاهتمام بصورة خصوصية ببناء دار في نابلس يقيم فيها الطلبة الذين يأتون من القرى للصفوف الثانوية في مدينة نابلس.

مدارس غير تابعة للمعارف

يوجد في نابلس غير مدارس دائرة المعارف مدرسة النجاح الأهلية، وفيها نحو 260 طالباً بين داخلي وخارجي ويوجد 12 مدرسة في القرى منها اثنتان للبنات.

البريد في نابلس

يوزع البريد في نابلس الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، وتقفل إدارته في الساعة الخامسة فلا يجد التجار وأصحاب المصالح ما يكفي من الوقت للإجابة عن تحاريرهم، ونعتقد أنه من الواجب أن تبقى إدارة البريد تستقبل التحارير إلى الساعة السادسة والنصف، وأن يبقى التلغراف مفتوحاً إلى الساعة الثامنة مساءً.

ثم يحسن بإدارة البريد أن لا تسلم أكياسه إلى عنبر المحطة إلا في المساء، لأن الحرص يقضي أن تحفظ أكياس البريد في إدارته إلى الصباح لتكون أمينة من الضياع أو السرقة.

الحالة الاقتصادية

لقد فتح المصرف العثماني شعبة له في نابلس، وقد لقي مقاومة من بعض المتعصبين الذين يستخدمون الدين لأغراضهم ومصالحهم، فاحتجوا بأنه لا يجوز التعامل بالربا في بلد إسلامية، ولكن أكثر هؤلاء المعارضين كانوا ممن يسلفون الناس بفائدة 30 وأربعين بالمائة ولكن بحيلة شرعية، فأمثال هؤلاء يحتالون على الله والناس في جميع أعمالهم.

أما المصرف فقد ساعد كثيراً بحسن معاملة مديره الفاضل على تسهيل المعاملات التجارية، وقد بدأ يتغلب على مقاومات أعداء الله والناس.

أما الحالة الاقتصادية في نابلس فليست أفضل منها في سائر أنحاء فلسطين. تورد نابلس صابوناً إلى الخارج بقيمة 125 ألف ليرا، وتستورد بضائع خارجية بما يزيد عن أربعماية ألف ليرا، وأهلها محافظون شديدو التمسك بالقديم، فلو رقوا صناعة الصابون واتبعوا طرق التجارة الجديدة ربما كانت حالة بلدهم الاقتصادية أحسن حالاً مما هي عليه.

نأمل أن تتعاون الإدارة مع غرفة التجارة وهيئة البلدية الجديدة على إقناع الحكومة ببناء الطريق بين نابلس والسلط، أو مد الخط الحديدي بين هذين البلدين فتنتعش التجارة بين فلسطين والشرق العربي [أي شرق الأردن] لأن الطريق بين القدس والسلط غير طبيعية، ولا يمكن أن تكون تجارية، والاقتصار عليها من العوامل الرئيسية التي حولت تجارة الشرق العربي عن فلسطين إلى الشام، وإذا لم تعمل الهيئات الاقتصادية في نابلس على تعزيز موقفها التجاري فإن طولكرم تهددها.

الصحة في نابلس

يؤلمنا أن نقول إن الصحة العمومية في نابلس لا تزال كما كانت عليه لما زرناها قبل سنتين، فالسل لا يزال يفتك فيها وعدواه تسري من عدم إتباع طرق الوقاية واتخاذ التدابير لجعل الشمس والهواء يتخللان البيوت والشوارع الضيقة التي تساعد الرطوبة والعفونة فيها على نمو الميكروب وانتشاره، ولعل البلدية تسرع في بناء الطريق إلى جبل عيبال فتجعله مصيفاً لنابلس يساعد على تحسين الصحة، وعساها تبادر إلى فتح الأسواق وعمل ساحات فسيحة فيها، ولعل الصحية تهتم بتنظيف المقاهي والمطاعم، وبحرق ثياب الذين يموتون بالسل، وبعزل المسلولين منهم عن الأصحاء[97].

---

[97] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1078. 21 شباط عام 1925م

طولكرم

ما كنا نرغب في الوقوف عند هذا الحد من الكتابة عن نابلس، ولكن البرد والنزلة الصدرية اضطرتنا قبل زيارة عدد من قراها إلى الهرب منها إلى طولكرم.

طولكرم قصبة قضاء بني صعب، عدد سكانها أربعة آلاف نسمة والبلدة تنمو في العمران وعدد السكان والتجارة، حتى أصبح كثيرون يعتقدون أنها ستأخذ مركز نابلس التجاري بالنظر لوجود محطة للسكة الحديدية فيها، ولرغبة أهالي القضاء في العلم ولنشاطهم في الزراعة وإقبالهم على التشجير، فقضاء طولكرم له القدح المعلى في غرس شجر الزيتون. وبعض قراه صار أهلها يعنون بإنشاء بيارات البرتقال، وسيكون لهم شأن خطير في هذا الصنف، فضلاً عن أن زراعة البطيخ تتقدم تقدماً مطرداً، فقد كانت قيمة محصول هذا الصنف في صيف 1923 في قضاء طولكرم حوالي ثلاثين ألف جنيه، وبلغت في موسم سنة (1924) 41 ألف جنيه، وتجد أكثر من هذا الفرق في عدد الكيلوات، وأهالي طولكرم أقل محافظة من أهالي نابلس، وعلى استعداد أكبر للأخذ بالطرق الجديدة.

الإدارة والأمن

زرنا الحاكم الإداري حضرة سعيد أفندي داود، الذي بعد أن كان معاوناً للحاكم الإداري العمراني الفاضل المستر ردنغ استلم الإدارة منذ عهد قريب.

عرفنا السيد سعيد من قبل رجلاً طيب القلب صالح السيرة والسريرة، فأعرب لنا عن أن الإدارة سائرة على أتم نظام، وحركة الغرس مستمرة والهمة مبذولة لاستخراج المياه في القرى التي ليس بها ينابيع وتوزيعها على الأهالي. وقد أنسنا منه تنشيطاً لشركة تعاون زراع التبغ العرب الفلسطينيين، فشكرناه شكراً جزيلاً على ذلك، لاعتقادنا بأن منافع هذه الشركة المادية والمعنوية جليلة. وذكر لنا أن الأمن مستتب وقد سمعنا ثناء عاطراً على قومندان بوليس القضاء وديع أفندي، فرغبنا في التعرف إليه فوجدناه شاباً نشيطاً ذكياً ومثالاً حسناً جداً لرجال البوليس.

القيادة

تكلم الحاكم الإداري كثيراً عن رغبة الأهالي في التعليم، وقال إنه شجعهم على بناء عدة مدارس، وقد احتفل بافتتاح أخرى. لاحظنا في نابلس أن الحاكم الإداري المستر نوط

ومعاونه السيد فراج يهتمان بصورة خاصة بتحسين المواصلات، ولذلك فإن أهالي عدة قرى في ذلك القضاء بنوا وعبدوا الطرق الموصلة إلى قراهم من الطريق العامة.

في طولكرم كان المستر ردنغ والسيد سعيد يهتمان على الأخص بتنشيط المعارف وبغرس الأشجار، ولذلك كثر غرس الأشجار في هذا القضاء وكثرت المدارس في القرى وأزهرت، إنما للصبيان فقط مع الأسف، فمن هنا يستدل على رغبة الأهالي في الرقي والعمران متى حصلوا على قيادة حسنة.

ملاحظة

شعرنا بحال وصولنا بأن الخلاف بين الأحزاب في قضاء طولكرم يتخذ شكلاً حاداً، فسألنا الحاكم الإداري رأيه في هذه الخلافات وعما إذا كانت لا تؤدي إلى منازعات خصومات وفوضى، وعما إذا كانت حوادث قلع وقطع الأشجار الأخيرة نتيجة لها، فقال إن هذه الحوادث عادية وأنه قابض على ناصية الحالة ولا يخشى شراً، فنتمنى أن يكون رأيه مصيباً.

البلدية والعمران

لم تفتر همة رئيس بلدية طولكرم، فهو لا يزال مجداً كما كان، وقد أتم القسم المختص بالنساء من حديقة البلدية، وهو قسم فسيح جميل يليق بالسيدات، وهذه مبرة من المبرات التي يشكر عليها السيد عبد الرحمن ويصح أن يكون فيها مثالاً لسائر رؤساء البلديات، الذين أول ما يجب أن يفكروا بنصيب النساء من المتنزهات، وبهذه المناسبة نوجه أنظار حضرة الهمام رئيس بلدية نابلس الجديد إلى جعل فاتحة أعماله مع مجلسه إنشاء حديقة فسيحة جميلة خاصة بالنساء في نابلس، ليتسنى للسيدات وخصوصاً الفقيرات الساكنات في بيوت رطبة لا يدخلها الهواء النقي والشمس، من الخروج مع أطفالهن والتنزه في الهواء النقي والتعرض لنور الشمس، ونعتقد أن عملاً كهذا يساعد على تقليل الوفيات بالسل من الأطفال.

وقد أتم رئيس بلدية طولكرم تنظيم حديقة الرجال أيضاً وأحاطها بشارعين، أحدهما عرضه 12 متراً والآخر 25 متراً وسوى ترابية الأول وشرع برصف الثاني.

وقد سمعنا عن تخطيط شوارع أخرى في أطراف البلدة المنعزلة وأنها قريبة من بعضها بين الشارع والآخر 12 متراً، وأصحاب الأراضي والبيوت المجاورة لها يتذمرون

تذمراً مراً مما يلحق بهم من الضرر بسبب هذه الشوارع، فعسى أن لا تكون شدة غيرة رئيس البلدية على فتح الشوارع سبباً لأضرار وتذمرات يمكن تحاشيها، ولذلك فإننا ننصحه بالإسراع بوضع خريطة فنية لقصبة طولكرم يتقيد بها الرئيس والأهالي في المستقبل، ونعتقد أن طولكرم أشد حاجة من غيرها إلى هذه الخريطة لسرعة تقدمها ولغيرة رئيسها . ومن المحتمل أن مأموري الفن لا يجدون لزوماً لبعض الشوارع التي تخطط الآن ويمنع الأهالي بسببها عن التصرف بأراضيهم، أو أن المهندسين قد يحولون دون ذلك، فنوجه أنظار حاكم القضاء والرئيس والمستر سيمس إلى ضرورة وضع خريطة للبلدة بصورة مستعجلة.

المعارف

قلنا إن الرغبة في التعليم في هذا القضاء شديدة، وهناك عدة مدارس أقيمت أبنيتها حديثاً، وبعضها فتح وبعضها على وشك أن يفتح، ويظهر أنه بدأ التحسس بلزوم تعليم البنات في القرى، فعسى أن ينشط هذا الشعور لأننا نعتقد أن تعليم البنت مقدم على تعليم الصبي، لأن المرأة هي التي تضع الأساس في تربية الأولاد، وعلى هذا الأساس تبنى المدارس. ويسرنا أن يكون المستر ردنغ قد أشار بصورة خصوصية إلى أهمية تعليم البنت في خطابه الوداعي.

مدرسة الصبيان

زرنا مدرسة الصبيان التي يديرها السيد سعيد بشناق وطائفة من المعلمين النشيطين، فوجدنا التقدم فيها مطرداً وقد زيد فيها صف ثانوي.

يلاحظ الإنسان لأول وهلة علائم الذكاء والنشاط بادية على وجوه الطلبة، والفضل في ذلك للنشاط والذكاء الطبيعيين في المحيط ولنشاط الأساتذة.

رأينا التلامذة يتمرنون على اللعب بكرة القدم وعلى الفرس في حديقة المدرسة.

اقترحنا على المعلمين أن يحملوا آباء التلامذة على إفراز قطع من الأراضي لأولادهم ليغرسها الأولاد بإشراف المعلمين عليهم، ويربوا زيتونها فلا يشبون إلا ويجد كل واحد منهم له كرماً من الزيتون والعنب غرسه ورباه منذ حداثته، فيتعلق به وتربو نفسه على الرغبة في العمل، فيدأب عليه ويتخلص من مرض المتعلمين ألا وهو الاستخدام أو البطالة، لأن أكثرية المتعلمين إلى اليوم يعدون العمل في الزراعة حطة.

المدرسة الزراعية ودار المعلمين

عما قريب ستفتح المدرسة الزراعية في طولكرم، التي ستنشأ من مال المحسن المرحوم قادوري اليهودي الإنساني، الذي أوصى بمئة وعشرين ألف ليرا من ثروته لتنفق على تعليم الزراعة في فلسطين للعرب واليهود .

وكذلك يرجح أن دار المعلمين ستنقل من القدس إلى طولكرم، فهذان المعهدان سيجعلان البلدة دار علوم يساعدان على نهضتها وتقدمها .

لم نزر مدرسة البنات، وهي أولى من مدرسة الصبيان لأننا نعد- كما قلنا- تعليم البنت مقدماً على تعليم الصبي، لم نزرها لأننا سمعنا أن المعلمات أكثرهن مسلمات، فلم نشأ أن نزعجهن، لذلك لا نستطيع أن نقول كلمتنا في مدرسة البنات في هذه البلدة.

الصحة العامة

تقلص ظل الملاريا – زيادة المواليد – أمراض العيون – قفل المستشفى

يسرنا كما يجب أن يسر كل وطني تحسن الصحة العمومية في قضاء طولكرم، فقد خفت الملاريا ويمكن أن يُقال إن القضاء تطهّر منها ولم يبق سوى بعض مستنقعات، كبركة رمضان تجفيفها يحتاج إلى نفقات.

أما ناموس الملاريا فقد صار نادراً لأن معظم الآبار محكمة السد، والمفتوح منها يزيّت بحسب اللزوم، وما يقع من حوادث الملاريا هو بين العمال الذين يشتغلون في وادي الحوارث والخضيرة، وأكبر دليل على حسن الصحة هو بلوغ المواليد ثلاثة أضعاف الوفيات في هذا القضاء، وهذه بشرى سارة للوطنيين.

ومما يؤسف أن دائرة الصحة صممت على قفل مستشفى طولكرم، فلا يبقى فيه سوى أسرة تكفي للحوادث الضرورية، أما المعاينة الخارجية فيداوم عليها وسيفتح فيه فرع خاص بأمراض العيون، وسيذهب طبيبه لإكمال دروسه الاختصاصية بأمراض العين. ثم إن طبيب الصحة سيتفرغ للاعتناء بالقرى وبمدارسها .

وستقبل مستشفيات الصحة في حيفا ونابلس المرضى الذين يرسلهم طبيب الدائرة من طولكرم[98].

---

[98] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1088 . 25 شباط عام 1925م

القضاء في طولكرم

الدعاوي الصلحية في قضاء طولكرم كثيرة، وحاكم الصلح يشتغل فيها بكل جد وهمة، ولكنها أكثر مما يستطيع واحد أن يقوم به. شهرة حاكم صلح طولكرم الحالي جيدة جداً، ولكنه يلاقي عناء كثيراً بسبب كثرة الافتراءات وشهادات الزور، الأمور التي يجب على عقلاء الأهالي أن يستخدموا نفوذهم لاستئصالها، لأنها لا تتناسب مع نشاطهم وكرمهم ورغبتهم في التعلم والنهوض.

أما الأعمال الكتابية في محكمة الصلح فأكثر كثيراً مما يستطيع كاتب أو كاتبان القيام بها، وقد استقصينا سراً وعلناً فعلمنا أن رئيس الكتاب السيد جمال يعمل صباحاً ومساءً ونهاراً وليلاً في الكتابة، ومع ذلك فأشغال الناس تتأخر من كثرتها.

لا نظن أن قضاء في أي بلاد أخرى يأتي بعائدات مثل القضاء في فلسطين، فلا أقل من الإنفاق من جيوب الناس على ترويج مصالحهم. أتسمع الدوائر المختصة؟ لو أن زعماء فلسطين يعرفون واجباتهم وبدلاً من زرع بذور الشقاق والخلاف بين الأهالي يعملون للألفة ويسوون مشاكل الناس، لما تكلفت البلاد إلا ربع الرسوم والجزاءات القضائية التي تدفعها، وهي لا تقل عن السبعين والثمانين ألف ليرا في السنة.

البيوع الكبيرة الكثيرة

الله أكبر – أين غيرة الزعماء التي كانت تظهر في تافه الأمور

راج سوق بيع الأراضي في لواء نابلس وقضاء طولكرم رواجاً يشبه رواجه في الجهة الشمالية أو أكثر، وإن كانت البيوع في المنطقة الشمالية كبيرة فالباعة معظمهم من أهالي بيروت وزعماء لبنان الكبير الذي يشار إليهم بالبنان، أما في هذه الجهة فمعظمهم من الوجهاء والعلماء، وأبناء العائلات والزعماء، وأعضاء المؤتمرات والجمعيات إلخ إلخ.

لعل السبب في تجدد نشاط اليهود لشراء الأراضي هو ما رأوه من تحول وجه جمعية الأمم عنهم، ومن يقظة الفاتيكان التي ستوقظ العالم الكاثوليكي، ومن بعد نظر الحزب المحافظ في بريطانيا الذي يعمل لمد نفوذه معتمداً على قوى بريطانيا العظمى الإيجابية لا على قوى سلبية، فعمدوا إلى مشترى الأراضي وجلب المهاجرين بكثرة، فكان منا الباعة وكان منا السماسرة، فقد بلغنا أن المساومة تجري على بيع أراضي زيتا ومشاع قاقون بين الخضيرة وطولكرم وأراضي الحرم وجليل ووادي القباني وكفر سابا ووادي الحوارث وأراضي عزون وكفر ذي باد وبيار عدس، وأكثر هذه الأراضي تابعة لطولكرم،

وبعضها بيع وبعضها تجري المساومة عليه يختص ببعض أعضاء عائلة قباني في بيروت، وبعضها يختص بالعمريين في دمشق، وبعضها ملك الرئيس الثاني لحزب الزراع السيد عبد اللطيف أبو هنطش، الذي لما استوضحناه عن البيع قال إني مديون بألفي ليرا للمرابين من زعماء الوطنية في نابلس، وقد عرضت عليهم أو يستوفوا مني أرضاً بدينهم بنصف جنيه أدنى من السعر الذي يشتري به اليهود فأبوا، فرجوتهم أن ينزلوا الفائدة من ثلاثين إلى 12 بالمائة، فأبوا فاضطررت أن أساوم على البيع لليهود بما يفي ديني لئلا يتراكم. والبعض الآخر في الحرم يختص ببيت الحاج إبراهيم، يعني والد السيد سليم عبد الرحمن وأعمامه، ولما سألنا عن هذا البيع قال بعض الناس إن حصة الحاج إبراهيم مشاع مع أراضي الحرم التي باعها العمريون، أما والد السيد سليم وأحد أعمامه فقد قالوا إنهم لم يبيعوا. وأما السيد سليم نفسه فقال إن هذه الأرض تختص بعمه الكبير، وهو لا ينتفع منها ومديون. وقسم كبير من الأراضي التي يساوم على بيعها يخص السيد إبراهيم سمارة عضو المؤتمر الثالث والرابع، ووالد السيد عبد الله سمارة عضو المؤتمر الخامس والسادس.

وأدهش من كل ذلك أن عائلة هاشم النابلسية، التي منها مفتي نابلس التقي الورع السيد منيب هاشم والسيد إبراهيم هاشم ناظر العدلية في حكومة الشرق العربي، باعت بيارتها المشتركة أو وكلت بيعها بخمسة وعشرين ألف ليرا لليهود، وربما يوجد بيوع أخرى ستبلغنا أخبارها في يافا إن شاء الله.

البيوع والزعماء

تجري هذه البيوع وغيرها والباعة والسماسرة من زعمائنا ووجهائنا وأعياننا واعضاء جمعياتنا يمثلون بها (أي البيوع) دور الموظف المعزول، الذي يجري مع خلفه دوراً وتسليماً ليأخذ براءة ذمة، والجمعيات والأحزاب الوطنية بدلاً من أن ترتجف أعصابها من هذا الانتقال والتحول وتهتم بتدارك الأمور؛ لا تبالي مقدار ذرة في حين انها تهتم أحياناً أعظم اهتمام لأمور تافهة يخجل ذكرها .

لو أن الحاج توفيق أفندي حماد رئيس الوفد الثاني أظهر في هذه البيوع بعض ما أظهره من الاهتمام لنقل مديرة مدرسة كونها مسيحية، وهي من فضليات الأوانس، لما عتبنا عليه ولقلنا له إن تعصبه حقيقي، ولو أن السيد أبو الخير الموقر الرئيس الثاني لجمعية حيفا الإسلامية ورئيس الغرفة التجارية الوطنية اشتغل لإيقاف بعض هذه البيوع

بقدر ما اشتغل لاستبقاء المستر أكلر الصهيوني على رأس الحركة في السكة الحديدية، مع أنه قيل إن هذا استبدل مئات من عمال العرب بصهيونيين، ولو أن السيد جمال الحسيني سكرتير اللجنة التنفيذية ترك على الأقل مسألة الدفاع عن حقوق أهالي القرى الخمس للأستاذ الشقيري، أو اشتغل لها بقدر ما اشتغل ضد الأستاذ حتى اضطره إلى نشر بيانه المملوء بالحقائق المرة التي لم يكن الرد عليها بغير السب والشتم. ولو أن الحزب الوطني في طولكرم والسيد سليم عبد الرحمن اشتغلوا بوقف بيع الأراضي بقدر ما اشتغلوا في مضابط التأييد لرأينا لأعمال هؤلاء نتيجة طيبة.

لا نقول هذا للتقريع، ولكننا نقوله للذين يدعون خدمة الوطن أن أعمالهم كانت إلى الآن بعضها مساخر وبعضها تضليل باسم الدين وبعضها لأغراض شخصية، وأن ما يخدم الوطن حقيقة يعمل لسلامته ولدفع النكبات والمصائب والأخطار عنه والتي تهدد أهله. نقوله للأهالي ليعلموا أن الوطن يضيع، بينما الذين وكلناهم بحراسته لاهون عنه، فإما أن يسهروا عليهم وإما أن يستبدلوهم.

بعد أن كتبنا رسالتنا عن البيوع اجتمعنا عند الشيخ إبراهيم سمارة وسألناه عاتبين عما سمعناه عن أنه يبيع أو يساوم على بيع أرضه، فنفى الخبر وقال ما لم أختنق وأحتج إلى الخبز فلن أبيع شيئاً من أراضيّ، فشكرناه وبادرنا إلى تسجيل هذا التصريح.

دخلنا البريد في طولكرم مراراً فوجدنا المأمور منهمكاً، إما في استلام الرسائل أو إعطاء الحوالات، وفي أحيان كثيرة يضطر إلى ترك عمله ليلبي الطلبات التلفونية المتعددة من الجهات، فلو أن الإدارة وضعت له معاوناً لخدمت المصالح العمومية[99].

الحقيقة الجارحة

من أشد الأمور إيلاماً أن يضطر الإنسان إلى التصريح بحقائق جارحة خدمة للمصلحة والتاريخ، والحقيقة التي تحاشينا التصريح بها فيما مضى ونضطر إلى المجاهرة بها اليوم، وهي أننا في جهادنا مدة سبع عشرة سنة وجدنا أن معظم الحركات الوطنية التي حاولنا أن نقوم بها مع الوجهاء والمتزعمين في المدن كانت تفشل، وأن المتعلمين إلى الآن لم يتخذوا لهم موقفاً صريحاً، بل تراهم دوماً يترددون، أو بعبارة أخرى يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى، ولم يقوموا بعد بأعمال تستجلب الأبصار أو تنعش الآمال ليضع الشعب ثقته بهم، ولذلك قررنا لما صممنا على القيام بهذه الرحلة، أن نزور بعض القرى في كل

---

[99] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1089 . 28 شباط عام 1925م

قضاء لنتعرف إلى القرويين وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، ونقف على نفسياتهم ونرشدهم إلى ما نعتقده صالحاً لهم ونستوحي منهم المادة الضرورية لعملنا الصحافي، ولنعلم إذا كان يمكن أن نعمل وإياهم.

القرى

فبعد أن زرنا برقا وبيت إيبا في نابلس، قصدنا طولكرم مركز قضاء بني صعب، وإحدى قراه التي تسير بسرعة لتكون مدينة زاهرة، ولعلها قبل مضي جيل تأخذ مركز نابلس إذا لم يتنبه النابلسيون إلى تجارتهم واقتصادياتهم وتنظيم مدينتهم، ثم زرنا عينبتا [عنبتا].

عينبتا

واقعة على الطريق العام بين نابلس وطولكرم وهي قرية غنية تشد مئتي فدان لها مجلس بلدي يرأسه السيد فريد الحمد الله وهو يهتم بتنظيف الشوارع وبإيجاد ماء للبلدة وبناء دار البلدية، عدد نفوسها 2500 وفيها مدرسة للصبيان.

كان زيتونها قبل الحرب يعصر ستة آلاف جرة زيت باعتبار كل جرة تسعة أرطال، وبما أن العسكرية قطعت جانباً منه في زمن الحرب فقد تنازل محصول الزيت إلى ألفي جرة، والأهالي يجددون الغرس بنشاط، فقد بلغ ما غرسوه في العام الماضي أربعة آلاف غرسة ويعدل ما غرس ويغرس في هذه السنة بأربعة آلاف أيضاً.

الأهالي فيها كسائر قرى طولكرم منقسمون إلى فرقتين، فرقة تتبع الحزب الوطني، وأخرى تتبع اللجنة التنفيذية[100]، والحقيقة أنهم يتبعون الزعماء الذين ينتسبون إلى الحزب واللجنة، ولكنهم لا يعملون لغير نفوذهم.

هناك لدى إدارة المعارف 12 معلماً من شبان عينبتا و4 طلاب في الأزهر و6 في مدرسة عكا العلمية وطالب في القدس و5 طلاب في نابلس و20 طالباً في طولكرم.

وقد امتنعوا عن زراعة الدخان بسبب كساده في هذه السنة وبسبب القانون الجديد.

---

[100] - المقصود الحزب الوطني العربي الذي كان راغب النشاشيبي أبرز شخصياته إلى جانب أسعد الشقيري وسليمان فاروقي، وكان في حالة حرب مفتوحة مع النخبة التنفيذية التي يتزعمها موسى كاظم باشا الحسيني، أما اللجنة التنفيذية فهي اللجنة التي انبثقت عن المؤتمر العربي الفلسطيني بدوراته السبع، التي كان الحسيني يرأسها بشكل دائم بحكم نفوذه الواسع

منذ شهرين إلى الآن جرى ثلاث حوادث قطع زيتون في عينبتا وتعد على المزروعات وسرقات دجاج.

أهالي عينبتا ليسوا مديونين إلا قليلاً وهم يستدينون بعضهم من بعض.

قاقون

ثم زرنا قاقون، وهي على مسيرة ثلاثة أميال إلى الشمال الغربي من طولكرم تشد حوالي 125 فداناً وأراضيها سهلة ورملية صالحة لزرع الحبوب والسمسم والبطيخ، وليس فيها سوى كرمي زيتون عدد أشجارهما 2500، ولكن الرغبة تجددت وقد غرس في هذا الموسم نحو ثلاثة آلاف غرسة.

كثيرون من الأهالي يتاجرون بالحيوانات والمواشي.

ومن الجدير ذكره أن أهالي قاقون وكثيرون من أهالي القرى الأخرى صاروا يستعملون المحاريث الجديدة ويوجد في قاقون 25 سحارة لنقل المحصولات ولنقل الزبل إلى الحقول.

الزبل والقرى

وبهذه المناسبة نقص على أهالي الأقضية الشمالية أنه لم يبق مزبلة واحدة في كل قرى طولكرم، فالأهالي تعودوا نقل الزبل إلى الحقول ورأوا فائدته في زيادة الإنتاج، وصاروا يشترون كارة[101] الزبل بثمن يتراوح بين 15 وعشرين غرشاً، فهل يقتدي المزارعون في الشمال بإخوانهم الكرميين.

جدد أهالي قاقون بناء مدرسة مؤلفة من غرفتين وإيوان مسقوف وينتظرون معلمين لها.

قلقيلة

على الطريق بين طولكرم ويافا، وهذه الطريق خربة ولعل الحكومة لا تهتم بتعميرها لأنه ليس هناك مستعمرات يهودية إلى جوانبها، وفي أثناء مرورنا بهذه الطريق رأينا حقول الزيتون الجديد حوالي الطيبة وهي كثيرة.

---

[101] - الكارة هي القفة التي توضع على ظهر الحمار.

مدرسة قلقيلة

أول ما زرنا مدرسة قلقيلة، مديرها السيد توفيق الشيخ عبد ومعه ثلاثة معلمين، عدد الطلبة 160 ويوجد أكثر من هذا العدد بلا مدرسة. الأساتذة مجتهدون والطلبة أذكياء ونشيطون.

يوجد من قلقيلة ثمانية طلبة في الأزهر واثنان في النجاح وواحد في القدس.

الحكومة والمدارس

يجب على الحكومة أن لا تطلب تطويب المدارس باسمها، لأن الأرض يقدمها الأهالي ونفقات البناء يدفعونها من جيوبهم، فلسنا نعلم بأي حق تطلب الحكومة تطويب المدارس باسمها ألكي يجفل الأهالي ويمتنعوا عن بنائها؟!

المجلس البلدي

رئيسه الشيخ يونس العمر يهتم بتنظيف البلدة ويفكر في تخطيط شارع جديد، ولكنه منهمك الآن بعد أن حفر البئر ووضعت الرافعة عليه بمشروع توزيع الماء على البيوت، مدخول البلدية ستماية جنيه، عدد نفوس البلدة أربعة آلاف.

أما اقتصاديات البلدة فلا تزال متأخرة لأنها تضررت في الحرب التي كانت جبهتها فيها مدة من الزمن، والأهالي يعملون في إنشاء البيارات وغرس الزيتون.

عتيل

واقعة على مسافة نحو ستة أميال إلى الشمال الشرقي من طولكرم، وعدد نفوسها نحو ألفين وتشد سبعين فداناً وتكثر من زرع البطيخ والسمسم، أما محصول زيتها فيبلغ ألفي جرة، ويقدرون أنه سيصير بعد بضعة سنين 15 ألف جرة لأنهم جددوا فيها في الثلاث سنين الأخيرة نحو 25 ألف غرسة زيتون.

شركة تعاون زراع التبغ

راينا في عتيل اهتماماً زائداً بشركة تعاون زراع التبغ الفلسطينيين العرب فقد سألونا عن منافعها وأصغوا إلى ما قلناه عنها، في عتيل الشيخ أحمد القاسم وهو شاعر لبيب.

مدرسة عتيل

يرأسها الأستاذ النشيط العامل راتب أفندي الشامي ومدرسته ثلاثة صفوف وتحتاج إلى معلمين آخرين، وعدد التلامذة 55.

دير الغصون

كبيرها السيد عبد الجبار العمر رجل نابه ومختبر، عدد نفوسها ألف وخمسمائة نسمة فيها مدرسة ذات ثلاثة صفوف تشد خمسين فداناً. محصول زيتها عشرة آلاف جرة، وقد جددت غرس ثلاثين ألف غرسة زيتون في السنين الأخيرة، مثل هؤلاء المزارعين العاملين يجب أن تمتني الحكومة بتنشيطهم والأمة بنهضتهم.

خلاصة

زرنا عينبتا بدعوة من رئيس بلديتها السيد فريد الحمد الله، وقاقون بدعوة من كبيرها السيد عبد اللطيف أبو هنطش، وقلقيلة بدعوة من السيد سليم عبد الرحمن أحد وجهاء طولكرم، وعتيل بدعوة من أحد وجهائها السيد صالح الكفري، وقد سهل لنا هؤلاء الذوات الكرام الاجتماع بجماعات من أهالي القرى فحادثناهم وعرفنا شيئاً عن أحوالهم ونهضتهم الزراعية، ونصحناهم بوجوب نبذ الخلافات من بينهم والعمل في حقولهم، الأمر الذي يكسبهم ثروة وصحة ونشاطاً ويؤمن مستقبل أولادهم ويحفظ لهم وطنهم. وقلنا لهم إن المحراث والمعول هما أفضل الأدوات التي يمكنهم استعمالها لصالح حالهم المادية والأخلاقية والاجتماعية ولسلامة وطنهم، وقلنا إن كل زعيم يدعوهم إلى الانقسام والخلاف أو يلهيهم عن العمل في حقولهم يجب أن لا يتبع. وحثثناهم على تعليم أولادهم ليتقنوا الزراعة لا ليصيروا أفندية، ونصحناهم بتعليم البنات وتربيتهن على الفضيلة وتدريبهن على تدبير البيت، ولم نكتمهم أن المصلحة تقضي بترقية المرأة وتحريرها لتربي أولادها على الحرية والفضيلة، وقلنا إن ابن العبدة لا يشب حراً[102].

طولكرم قضاء المضابط

كل حركة يقوم بها أهل هذا القضاء النشيطون تبدو فيها علائم الحياة والنشاط، ففي سنة 1922 زرناه فرأينا فيه رغبة شديدة في تعليم الأولاد وإنشاء المدارس وزراعة البطيخ، كما رأينا علائم الاستعداد للقيام بحركة غرس الزيتون قوية.

---

(102) - الكرمل - السنة الثانية عشرة - العدد 1090 - 4 آذار عام 1925.

الفرق المختلفة

زرناه في هذه الآونة فرأينا انقساماً بين زعمائه، الذين انتسب بعضهم إلى الحزب الوطني وآخرون إلى الحزب الزراعي النابلسي من عهد بعيد، وبقي القسم الآخر منتسباً إلى اللجنة التنفيذية، ويقود هؤلاء السيد سليم عبد الرحمن ويقود جماعة الحزب الوطني آل الجيوسي وحنون والناشف وحمد الله وعبد الجبار العمر والحاج أحمد الحاج محمد، ويرأس جماعة الحزب الزراعي السيد عبد اللطيف أبو هنطش الذي يتمشى جنباً إلى جنب مع قادة الحزب الوطني.

النفوذ الشخصي

راقبنا حركة هذه الفرق الثلاث بدقة؛ فظهر لنا أن زعماءها يتزاحمون على النفوذ الشخصي على الرغم من كونهم ينتسبون إلى الأحزاب واللجنة التنفيذية ويعملون بجد واجتهاد لا مزيد عليهما لتختيم مضابط التأييد من مريديهم من أهالي القرى، وقد نشرت بعض الصحف عدة مضابط تأييد للفرقة المنتسبة إلى اللجنة، وقد شهدنا مضبطة في أيدي أعضاء الحزب الوطني طولها خمسة أمتار ونصف متر، وهي لم تتم بعد، وبما أن حركة تختيم المضابط في عنفوانها الآن سمينا القضاء بقضاء المضابط، على أننا نقر ونعترف أن هذه الحركة لم تؤثر على الرغبة في التعليم، ولكنها أثرت بالاشتراك مع ضريبة الغرس وقيودها على حركة الغرس، حتى أن ما غرس من الزيتون في هذه السنة يكاد لا يبلغ نصف ما غرس في السنة الماضية.

الخوف من الفوضى

نعتقد أن حركة تختيم المضابط ومحاولة كل فريق من الزعماء اجتذاب الأهالي إلى فرقته أيقظت الفساد في القضاء، ووضعت أساساً للخلاف بين أهله، فعادوا يكيدون الواحد للآخر ويعتدون بعضهم على بعض بصورة فردية، فقد حدث مؤخراً بعض حوادث قطع زيتون وقلع أغراس واحتيال على شراء أراض بغبن فاحش وتقديم دعاوي يقال إنها زورية، نخشى أن تتكاثر وتؤدي إلى الفوضى إن لم تعالجها الحكومة بالشدة، وإذا لم يعدل الزعماء طرقهم.

علام تدل

مهما كانت نتائج هذه الحركات فإنها كغيرها تدل على الحياة والقوة في نفوس أهالي قضاء طولكرم الطيبين، ولو كان الزعماء يعملون للمصلحة الوطنية وسخروا هذه

القرى لتعمل للنهضة الاقتصادية لنتج عنها خير كبير، ولكان الكرميون المثال الأسمى الذي يدل على استعداد العربي وقابليته للرقي والعمران.

التقدير

يجدر بحضرات الزعماء الكرام أن يقدروا قيمة هذه القرى وما يكون لها من التأثير الحسن إذا صرفت للخير، وخصوصاً في موقفنا تجاه الصهيونية، التي أحاط بنا خطرها وما تجلبه من الضرر وتجره من الخراب إذا وجهت للشر، فإنها تلهي الناس عن أعمالهم في حقولهم واستثمار أراضيهم وتحريشها بغابات الزيتون، وتصرفهم إلى اعتداء بعضهم على بعض والمخاصمات والدعاوي تملأ منهم السجون وتؤسس بينهم العداوات، تجفف موارد رزقهم فيضطرون إلى بيع أراضيهم ويحرجون موقف حاكمهم الوطني، الذي يريد لهم الخير، ويجب أن يعاملهم باللين وينزع ثقة الحكومة بهم فتعاملهم بالشدة وتهين كراماتهم وتقتل عزة نفوسهم.

عتاب

نعتب على الزعماء إذا لم يلاحظوا هذه الأخطار ويتحاشوا المحاذير، لا نكتمهم أن الأحزاب التي تعمل لهذه النتائج مهما كانت أسماؤها لا يمكن أن تكون وطنية، ونعتب على الصحف التي تدعي الوطنية وتروج أغراض الزعماء بنشر المضابط وتشجعهم بطرق مختلفة على أعمالهم التي تؤدي إلى التفرقة وتنتج ضرراً على الأهالي.

رجاء

فرجاؤنا من حضرات الزعماء في طولكرم أن يتمموا مشروع الصلح الذي شرعوا به، ويضعوا حداً لخلافاتهم وينصرفوا للعمل في مناهجهم الوطنية بسلام ومحبة، كما نرجو من عقلاء الأهالي أن لا يضعوا نفوسهم في أيدي الزعماء الذين يقودونهم إلى الشر بدلاً من أن يدلوهم على طرق الخير، كما نرجو من الحكومة أن لا تساعد على تزعيم من لا يعمل لجمع كلمة الأمة ويقود الشعب إلى النهضة الاقتصادية التي هي أساس النهضات.

عسى أن يتم الزعماء الصلح فيما بينهم ويؤلفوا منهم لجنة تطوف القرى وتجمع كلمة الأهالي ويؤلفوا لجنة صلحية تحل ما قد ينجم من الخلافات بين الناس.

حذار أيها الناس من أن تورثوا أبناءكم الانقسامات والعداوات[103].

بين طولكرم وجنين

الطريق المعبدة تصعد من طولكرم غرباً إلى القرب من نابلس شرقاً مارة بوادي الشعير الضيق، وفيه وعلى الجبال القائمة على جانبيه عدة قرى جميلة حواليها كروم زيتون غير كبيرة، وترى هنا وهناك حقولاً فتحت وغرست جديداً مما يدل على أن الأيدي تجد وتعمل في تعمير الأراضي وتشجيرها . وبالقرب من نابلس تعرج طريق جنين جنوباً فتمر إلى الغرب من سبسطية حصن هيرودس[104] التي لا تزال آثارها تدل على عظمتها القديمة، والتي فيها جامع قائم على آثار كنيسة أقيمت لذكر يوحنا المعمدان الذي قطع هيرودس[105] راسه وقدمه على طبق لهيروديا ابنة أخيه، وقد بنى هيرودس هذا الحصن المنيع على آثار مدينة السامرة التي كانت عاصمة المملكة الإسرائيلية الشمالية، والتي حاصرها العراقيون القدماء وفتحوها وسبوا أهلها وجلبوا إليها السمرة. بناها هيرودس لتكون حاجزاً يفصل اليهودية عن الجليل ويمنع اتحاد يهود المقاطعتين عليه، كما يبني، على ما نظن الإنكليز اليوم مملكة اليهود في فلسطين لتمنع اتحاد العرب في مصر وسوريا والجزيرة[106]، ولما طرد العرب الرومانيين من سوريا لم تعد السامرة ذات شأن حربي كبير لأن العرب كثروا في البلاد وكانوا فيها أقوياء فاتخذوا الرملة البيضاء مقراً لأحد أجنادهم الخمسة في فلسطين واستغنوا عن السامرة. ثم تصعد الطريق وتمر غربي برقا وشرقي سيلة الظهر فغربي جبع وتسير بين عدة قرى منها عنزة وسانور وعرابة وقباطية إلى أن تصل جنين، ومناظر هذه الطريق جميلة جداً لأنها تمر في وسط أودية خضراء وجبال أقسام منها مشجرة بالزيتون وأكثرها جرداء وأغنى القرى على جانبي هذه الطريق بشجر الزيتون هي قباطية.

---

[103] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1091 . 7 آذار عام 1925.

[104] - سبسطية كلمة يونانية تعني (المبجل) وهو الاسم الذي أطلقه هيرودس الكبير عام 27 قبل الميلاد تكريماً لأغسطس قيصر. تقع إلى الشمال الغربي من مدينة نابلس على بعد 12 كم، وتقع على الطريق الرئيس نابلس- جنين تعتبر سبسطية بمثابة متحف اثري، لأن الموقع المميز للقرية جعلها عاصمة للعديد من الحضارات التي تعاقبت على فلسطين، واكثر ما يميز القرية وجود سور يلف المنطقة الأثرية من الاتجاهات كافة، ويوجد فيها مدرج روماني، وبرج هيلانة ومعبد ارسطس الروماني، وفيها قبر النبي زكريا، ومقام الشيخ شعلة وكنيسة القديس يوحنا بناها الصليبيون في القرن الثاني عشر الميلادي

[105] - الذي قتل يوحنا المعمدان هيرود انتيباس وليس هيرودس الكبير.

[106] - يبدو ان نجيب نصار ادرك ابعاد الانتداب البريطاني لفلسطين بعد ان كان موهوماً في الرحلة الأولى عام 1922م

أهل هذه القرى أشداء وذوو عصبيات ونشيطون، فإذا حضوا على الغرس ودربوا على الأعمال لا يمضي وقت طويل حتى ترى جبالهم ووعورهم غابات من شجرة الزيتون المباركة.

جنين

قصبة القضاء المدعو باسمها، واقعة على طرق مرج ابن عامر الجنوبي، وهي بلدة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها أربعة آلاف نسمة فيها محطة للسكة الحديدية الحجازية التي تنتهي بنابلس، وتمر بها الطريق العمومية من القدس إلى الناصرة، قضاها مؤلف من 69 قرية.

الإدارة

وقد تولى إدارتها منذ الاحتلال ثلاث قائمقامين بريطانيين، وأول من تولى إدارتها منذ نحو سنة من العرب السيد نقولا سابا مفتش مالية اللواء الحالي، وهو رجل ذكي مخلص وله خبرة غير يسيرة، فوضع نصب عينيه خدمة القضاء وترقيته اجتماعياً واقتصادياً وعمرانياً، فشرع بدرس أحواله فوقف على الخلافات وأسبابها في بعض القرى، وشرع في إصلاح ذات البين بين أهلها، ووجه نظره إلى الغرس وإلى تربية النحل وإلى منع الأهالي عن فرط الزيتون بالعصي، وبحث مشروع تجفيف مرج سانور، ورغب في تنشيط التعليم، وقد قال لنا مرة إنه وجد قابلية في الأهالي وفي الأراضي للرقي العظيم، وبعد أن نظم خطته وباشر بعضها وقع خلاف بينه وبين المفتش البريطاني المستر مكارن، وكنا نود أن لا يقع، فانتهى الخلاف بنقل نقولا أفندي إلى وظيفته الحالية، فخلفه رشاد بك خورشيد[107]، وتولّى إدارة القضاء منذ ثلاثة شهور، وهو رجل لين العريكة حسن الإدارة يعمل لنهضة المعارف، فقد جمع المال لبناء ثماني مدارس في ثماني قرى، ولعله يفتح مدرسة للبنات في قرية عرابة، وقاوم التعديات على الشجر والحيوانات فخفت كثيراً، وقد باشر مع رئيس البلدية بإنشاء حديقة عمومية مساحتها خمسة دونمات، وعساه يعمل حديقة أخرى للسيدات فلا يحرمن من حق يناله الرجال.

---

[107] - وردت خورشيف، والصواب ما اثبتناه

الشارع العام

وقد نجح رشاد بك مع رئيس البلدية لتقرير فتح شارع جنين الرئيسي الذي تمر به الطريق العمومية من القدس إلى الناصرة وستكون سعته 15 متراً، وهذا مشروع جميل ويصبح أجمل جداً إذا وسعت بعض الشوارع إلى جوانبه.

تذاكرنا مع رشاد بك في مسألة الفرس فقال إنه سيهتم بها وهو يرى رأينا في أن إلغاء الضريبة عن الأغراس قد تنشط الغرس كثيراً.

وذكرناه في مسألة تجفيف مرج سانور الذي أول من فكر به سلفه نقولا أفندي سابا وفوائدها الصحية والزراعية فوعد أنه سيهتم بهذا المشروع الجليل، وحضرته منتبه إلى الضرر العظيم الذي ينجم عن استعمال المفراط في جمع غلة الزيتون وينوي منعها. وعسى أن نرى بهمته عملية تربية النحل منتشرة في القضاء[108].

الأمن العام

بلغ عدد القضايا التي مرت على دائرة البوليس في جنين بما فيها المخالفات والقباحات والجنح والجنايات في سنة 1922 ما يقرب من 681 قضية، وفي سنة 1924 نحو 570 قضية ومر بالدائرة في شهري كانون ثاني وشباط ما يزيد على مائة قضية، فمن هذه الأرقام التقريبية يستدل على أن حالة الأمن العام ليست على ما يرام، على أنه يمكن أن يقال إن عدد القضايا تناقص تناقصاً قليلاً ولا يمكن أن يعزى هذا الحال إلى تقصير من قبل دائرة البوليس؛ بل يجب أن يبحثه العلماء ورجال الإدارة، ولعل الأستاذ حسني بك عبد الهادي يتحفنا ببعض مطالعاته العلمية في هذا الموضوع.

كثرت شكايات الصحف من الشدة التي تستعملها دائرة البوليس في جنين أحياناً مع الناس، ولدى البحث عن ذلك تبينا، إن لم نكن مخطئين، أن الإشاعات عن استعمال الشدة لا تخلو من بعض الحقيقة، وقد سمعنا بعض الناس يحبذونها وبعضهم ينقم عليها نقمة شديدة، أما نحن فنعتقد أن استعمالها إذا كان الموظف أميناً وعاقلاً وحكيماً كثيراً ما ينفع، وأما إذا كان الموظف متسرعاً وعديم الاختبار فإنه يستعمل الشدة في كثير من الأحيان في غير مواضعها ويهين كرامات الناس ويذل

---

(108) - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1092. 11 اذار عام 1925.

نفوسهم، ويسبب نفور الأهالي من الإدارة ويستجلب نقمتهم عليها، ولذلك فالشدة لا يتبرر استعمالها إلا إذا أتت بالخير على المجموع وكان من نتائجها بسط الأمن العام وتهذيب أخلاق الأشقياء، فهذه أمور يجب على الإدارة أن تدقق فيها غاية التدقيق.

مصطفى أفندي جبلي قومندان بوليس[109] جنين توفق إلى كشف عدة جرائم وقعت في القضاء.

المعارف

في جنين مدرسة ابتدائية للصبيان وأخرى للبنات.

أما مدرسة الصبيان فهي ذات ستة صفوف مديرها الأستاذ يحيى حياتي الشهابي ومعه ستة معلمين، وفي المدرسة فرقة كشافة نشيطة.

المدير يعرف وظيفته فهو والمعلمون يدربون الأولاد على المبادئ الزراعية وعلى حفظ الصحة. شعرنا بحركة نشاط وتنظيم في المدرسة، وبرغبة في تدريب التلامذة على أن يكونوا عاملين منتجين.

أما مدرسة البنات فتديرها السيدة نصرة ناصر وثلاث معلمات أخريات، وقد ابتهجنا لرؤية أحد الصفوف يتعلم التفصيل والخياطة وترقيع الثياب وتصليح الأجربة، وقد علمنا أن المديرة تهتم كثيراً بتدريب تلميذاتها على تدبير المنزل.

خلاصة القول إننا سررنا كثيراً من التعليم العملي سواء في مدرسة الصبيان أو البنات، ونحن في غنى عن تذكير المعلمين والمعلمات بأنهم يعدون الجيل المقبل للبلاد، وأن هذا الجيل أمامه جهاد عظيم في معترك تنازع البقاء، فإن لم يكن مجهزاً بالصحة والمعرفة ومدرباً على العمل والرغبة فيه فبقاؤه يكون مهدداً.

الحركة الفكرية والزراعية

في جنين حركة فكرية طيبة، فقد قال لنا حضرة مفتي جنين إنه اقترح تأليف لجنة صلحية تبادر إلى حل خلاف يقع بين الأهالي، وقد رأينا من هيئة إدارة جمعية الزراع ميلاً قوياً إلى تسوية كل الخلافات القائمة بين المزارعين لينصرفوا مطمئنين إلى أعمالهم الزراعية، فعسى أن يخرج رجال الحزب هذه التصورات إلى حيز الفعل.

---

[109] - (Police Commandant) قائد او آمر الشرطة

عفيف عبد الهادي

السيد عفيف عبد الهادي له شهرة بالحركات لا نعلم مقدار ما فيها من الصحة، ولم تكن هذه السمعة قوية لما كان عضواً في المؤتمرات ويشتغل إلى جانب اللجنة التنفيذية، ولكن مهما كان الأمر فالسيد عفيف رجل نابه عامل في الزراعة فقد غرس في أرض له ولحضرة شقيقه في السنتين الماضيتين نحو عشرة آلاف غرسة زيتون وعنب، وقد أحيا حديقة أمام داره فيها نحو ثمانمائة غرسة ليمون وبرتقال عدا الأغراس الأخرى والأزهار، وهذا ما يغرسه في قريته جلقموس.

كذلك يعمل السيد عفيف في تربية النحل على الأصول الفنية، ولديه أربعون صندوقاً لهذا الغرض وقد أخبرنا أن الصندوق الواحد يعطيه تسعة أرطال عسلاً، وقد دعا مؤخراً تلامذة المدرسة وألقى عليهم محاضرة في تربية النحل ودلهم على ذلك عملياً، وهو يداوم على تشويق من يزوره من المزارعين إلى تربية النحل على الطرق الجديدة، وقد استحضر معملاً للدجاج وهو يجرب تربيته.

خلاصة القول إن السيد عفيف أستاذ في الزراعة العملية، وقد أحسنت جمعية الزراع في جنين باختيارها إياه معتمداً لها.

ولقد رأينا السيد فؤاد القاسم عبد الهادي يحيي بستاناً كبيراً ويغرسه برتقالاً وموزاً، وعندنا أن هذا التنبه سيصبح عما قريب عمومياً في جنين. ولقد بلغنا أن السادة العبوشيين نشطوا في هذه السنة لغرس الزيتون فغرسوا في مزرعتهم بيت قاد آلافاً منه.

وجدير بنا أن نذكر في ختام هذا المقال أن حضرة الحاكم الإداري رشاد بك ومساعده السيد تماري يطوفان القضاء مرة كل ثلاثة شهو ويتفقدان أحوال الأهالي ويلقيان عليهم النصائح والإرشادات، وأن دين القضاء غير كثير.

الحالة الاقتصادية

أما الحالة الاقتصادية فلأجل تحسينها تحتاج إلى طريق معبدة تصلها ببيسان وأخرى بحيفا رأساً، كما أن بناء الطريق بين نابلس والسلط يساعد في نهضتها الاقتصادية كثيراً ومن الضروري جداً وصل القرى بالطريق العمومية، والأهالي مستعدون لبناء طرقهم الخاصة تحت إشراف الحكومة[110].

---

[110] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1093 . 14 آذار عام 1925.

القضاء في جنين

سُرَّ الأهالي عموماً بتعيين الأستاذ السيد محمد البرادعي العباسي حاكم صلح لقضاء جنين، ولا غرو فالشاب نشيط جداً واقف على روحيات الأهالي بعيد عن الغرض صحيح الوجدان، ومما يذكر له أنه فصل خمسمائة قضية كانت متراكمة في 18 يوماً.

مسكين الباشكاتب

مسكين السيد صالح عبد الغني[111] باشكاتب محكمة صلح جنين، فهو رجل واسع الخبرة والعلم صحيح الوجدان، ولكنه قليل الحظ ويظهر أن خدماته لا تقدر؛ فقد رأيناه يشتغل في الأوقات المعينة وبعد الغداء وفي الليل حتى لا يؤخر قضايا ومصالح الأهالي، وقد تمنينا من قبل أن يقدر القضاء هذا الرجل العامل، وإلى الآن لم نقطع الرجاء.

البيوع في جنين

حالما بلغنا جنين سمعنا أن عائلة عبد الهادي ستبيع زرعين، وأن أمين بك عبد الهادي سيبيع مزرعته مقيبلة، وأن السادة مطران سيبيعون قريتهم زيوبة، وأن أهالي سيلة الحارثية سيبيعون قسماً من أراضيهم يدعى الجوانية، وأن السيد سليم المصطفى الأحمد سيبيع جانباً من أراضيه، وأن بيت العبوشي سيبيعون مزرعتهم بيت قاد، فشرعنا نبحث عن صحة هذه الأخبار، فتبينا أن أمين بك عبد الهادي لا يزال يغرس الأشجار في مقيبلة، وقد غرس فيها إلى الآن نحو 15 ألف غرسة زيتون وعنب و15 ألف غرسة كينا، فمثل هذا لا يغرس ليبيع وخصوصاً لأنه يعلم مقدار تحسن قيمة الأراضي بعد غرسها ويعلم أن 15 ألف غرسة زيتون نثرية لها قيمتها، أما بيت عبد الهادي فقد أكد لنا عنهم السيد نظمي عبد الهادي الحريص على الأراضي أنهم لا ينوون بيع زرعين ولا يمكن أن يبيعوها، كما أكد لنا بيت العبوشي أنهم لا ينوون بيع بيت قاد، والسيد سليم مصطفى الأحمد نفى الإشاعات عن رغبته في البيع، ولما ذهبنا إلى السيلة فهمنا من عميد الزيود السيد يوسف المحمود أنهم لا ينوون البيع مطلقاً. أما زيوبة فأصحابها غير موجودين لنتحقق منهم خبر البيع، وعلى كل فإننا نسجل هذه التصاريح على أصحابها.

وبهذه المناسبة نذكر الذين يريدون البيع أو يتهافتون عليه بأنهم إذا كانوا على ما

---

(111) - ولي القضاء فيما بعد في مدينة صفد، وهو مشهور باسم صالح ابو اللبن

بلغنا يبيعون ولا يقبضون سوى ربع أو خمس القيمة، ويأخذون كمبيالات بالباقي، فهم مخطئون ويجب على الأقل، إذا كانوا غير وطنيين أن يستبقوا أراضيهم لهم ويستثمروها إلى أن يتيسر لهم بيعها وقبض كل الثمن قبل أن يتنازلوا عن ملكيتهم، لأنه ما من أحد يعلم ما يخبئ المستقبل.

الزراعة والغرس

لم يحصل إلى حين كتابة هذه الرسالة ري صيفي في جنين وما حواليها، ولذلك فالأهالي متوقفون عن زرع السمسم، والعشب لم يكبر، ويشترون رطل التبن لعلف بقرهم ودوابهم بقرشين ونصف وبثلاثة غروش. فياليتهم ينتبهون لتجفيف الحشيش وخزنه في كل ربيع حتى لا يقعوا في مثل هذه الضائقة في السنين القليلة المطر.

أما عدد غرس الزيتون فقد بلغ في العام الماضي في قضاء جنين بموجب الوثائق الرسمية 135 ألف غرسة، ويقدر ما اقتلع من جوانب أمهاته أي من حوالي الزيتون الجوي بمئة وخمسين ألف غرسة، أما ما غرس في هذه السنة بحسب الرخص فلا يتجاوز سبعة آلاف غرسة، وهذا يدل على التأخير الذي أحدثته القيود والأثمان المفروضة على الأغراس. إن الحكومة لا تربح بهذه القيود ولكنها تضر الأهالي وتمنع العمران. فليتها تلغي ضريبة الأغراس وقانون الدخان وتترك الأهالي يعملون لحياتهم.

بدأ الأهالي يشعرون بفائدة المحاريث الجديدة ويستعملونها، كما بدؤوا من منشور الحاكم الإداري السابق السيد نقولا سابا وتشويقاته ينقلون الزبل إلى الحقول.

وقد علمنا من حضرة مأمور الزراعة السيد صبحي الشهابي، أنه أنشئ مستنبت في بيسان، ويسرنا القول إن مفتش الزراعة راغب بك ورفاقه يعملون بكل ما في طاقتهم لتنشيط الزراعة وترقيتها فبارك الله فيهم.

الحاج محمد القاسم عبد الهادي

هذا الذي سميناه أثناء سياحتنا في سنة 1922 بمثال المعلم الحقيقي الصالح، أتيح لنا أن نقابله في جنين قبل سفرنا ونسمع شيئاً عن أعماله الزراعية ونصائحه للمزارعين، وقد أجمعت الكلمة في القرى وفي نابلس وجنين على كونه أستاذ النهضة الزراعية الأكبر. فهو ينفع بعمله وقدوته الصالحة وإرشاداته ويغار على مصالح المزارعين، ويحل مشاكلهم ويسوي خلافاتهم.

هذا الرجل يجب أن تعينه الحكومة، إذا رضي، مفتشاً عاملاً للأعشار وتطمئن لمعرفته ووجدانه الطاهر، ولثقة الأهالي به، ونحن لا نشك [في] أنه يرضى، حباً بمصلحة بلاده وإن كان في غنى عن هذه الوظيفة التي تكبده عناءً كبيراً[112].

قرى جنين

سيلة الظهر

الطريق من اليامون إلى السيلة تجتاز كروماً من الزيتون واللوز جميلة جداً. أما السيلة فعدد نفوسها نحو ألفين، وقد لعبت دوراً هاماً في التاريخ الحديث، وقد كانت مدة من الزمن عاصمة محيطها وفيها عشيرتا الزيود والجرادات القويتان، اللتان نأمل أن تكونا نشيطتين في الغرس كما كانتا شديدتين في الطعن والضرب. وليس عليها دين سوى ألف وخمسمائة ليرا، وقد غرس فيها في السنتين الماضيتين نحو عشرة آلاف غرسة زيتون ولكن الأهالي لم يغرسوا في هذا العام للأسباب التي ذكرناها، مراراً فعسى أن تزيل الإدارة كل العراقيل من أمام زراع الدخان والزيتون.

سألنا عن تزييل الأراضي؟ فقيل لنا: إن الحاكم السابق نقولا أفندي سابا نبه الأهالي إلى ذلك، ومن عهده باشروا بتزييل أراضيهم.

نزلنا ضيوفاً على الرجل الكريم السيد يوسف المحمود من الزيود، وهو الذي نفى لنا إشاعة بيع الجوانية.

للسيد يوسف غلام نابه عمره 16 سنة اسمه عبد اللطيف، وعلائم النجابة بادية على وجهه، وقد حادثناه بأمور الزراعة وأعربنا عن أملنا أن يكون مثالاً للنشاط والاجتهاد في بلده، فقال إنه عوّل على أن يقتطع لنفسه من أراضي والده ويعمر بعضها بأغراس الزيتون، ويتقن زراعة البعض الآخر ووعدنا أن يرينا عمله متى زرنا القرية مرة أخرى، فوعدنا بزيارتها إذا بقينا أحياء.

مدرسة السيلة

فيها 62 طالباً، وفيها أكثر من هذا العدد بلا مدرسة، والمدرسة ذات أربعة صفوف، أساتذتها السيد سليم عزوقة والشيخ عبد الرحيم أبو عبد.

---

(112) - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1094. 18 آذار عام 1925.

برقين

نزلنا فيها ضيوفاً على صديقنا السيد محمد المسعود؛ فلقينا من حضرته كل رعاية وإكرام. عدد نفوسها نحو تسعمائة نسمة أكثرهم من آل جرار، والقرية تشد نحو 50 فداناً وزيتونها يعصر نحو خمسة آلاف جرة نابلسية، وبين أهلها نحو 15 عائلة مسيحية، لهم كاهن جليل اسمه الخوري عبد الله.

نشط أهالي برقين في السنين الأخيرة لتعمير جرد البلدة بالبساتين، ولكن رغبتهم في غرس الزيتون لا تزال قليلة بالنسبة إلى القرى المجاورة، مع أن عندهم وعر كثير، ومما يذكر أن الخلافات بين أهالي هذه القرية قليلة جداً وبسيطة.

مدرسة برقين

عدد طلبتها 56 وفيها كثيرون بلا مدرسة، وعدد الصفوف فيها أربعة، أستاذها السيد نجيب الخياط وهو من خيرة المعلمين النابهين الذين يعرفون واجباتهم، وهو يعلم الأولاد علماً وعملاً، وقد ألف منهم فرقة كشافة وفرقة أشبال، وأنشأ للمدرسة حديقة واسعة غرسها بأغراس متنوعة لم نر لها مثيلاً في مدارس القرى، فنأمل من إدارة المعارف أن تقدر اجتهاد هذا الأستاذ وترقي راتبه وتعين له مساعداً.

قباطية

قرية كبرى واقعة على مسافة خمسة أميال إلى الجنوب من جنين. عدد نفوسها أكثر من ثلاثة آلاف، وهناك نحو ألفين من أهاليها نازحين. زيتونها يعطي نحو 12 ألف جرة زيت، ويمكن أن يبلغ ستين ألف جرة إذا عمرت كل أراضيها القابلة لغرس الزيتون.

أهالي قباطية لا يزالون متمسكين بعصبيتهم، وهي مزية يشكرون عليها كثيراً؛ إذا لم يستخدموا القوة العصبية للشر والخصام، وهم منقسمون إلى أربعة حمائل ولكل حامولة زاوية يختلف إليها الشيوخ والشبان في كل صباح ويشربون القهوة. زرنا هذه الزوايا ورجونا المجتمعين أن يبدلوا هذه العادة ويذهبوا جميعاً في الصباح إلى الحقول، ويعملوا فيها كي يهيئوها للغرس في الصيف، ويزبلوها ثم يغرسوها ويتعهدوا أغراسها في الشتاء. وقلنا إن الاجتماعات في الزوايا لا بأس بها إذا وقعت في السهرات بعد الفراغ من العمل في الحقول في النهار. إذ يتسنى لهم أن يتحدثوا حينئذ عما عملوه في حقولهم وعما

غرسوه، ورجوناهم أن يقلعوا عن خلافاتهم التي تلهيهم وتشغل أذهانهم عن الأعمال العمرانية وتعطل أوقاتهم وتجلب عليهم الفقر وتبدل سعادتهم شقاء، فألقينا إصغاء إلى ما قلنا، فعسى أن يتقدم السيدان محمد القاسم وموسى عبد الحليم لفض جميع خلافات قباطية وصرف أهلها إلى العمل.

الغرس والعشر والإدارة

لقد غرس أهالي قباطية في العامين السابقين نحو عشرة آلاف غرسة، ولم يغرسوا كثيراً في هذا العام مع أنه كان يجب عليهم أن يغرسوا عشرات الألوف لسعة أراضيهم ولأنهم يعرفون منفعة الزيتون أكثر من غيرهم، ولعل الذي أخرهم عن الغرس ما قام بينهم من الخلاف، وما يقولون إنهم لاقوه من ظلم الأعشار، فقد ذكروا لنا أن قباطية أعطت نحو ربع زيتها عشراً في هذه السنة، وأنه كان لبعض المخمنين والموظفين الوطنيين بعض التأثير في هذه الزيادة بسبب الحزبية، ولذلك نرجو من الإدارة أن تلاحظ هذه المسائل بدقة لتمنع شكوك الأهالي، ولتتحاشى وقوع الظلم عليهم لأن ثقل الضرائب يقضي على نشاط الأهالي ويفقدهم الرغبة في العمل. ونحن ممن يحبذ استخدام الموظفين والمخمنين ورجال البوليس الوطنيين في غير أقضيتهم، لأنهم مهما كانوا صحيحي الوجدان لا بد أن يتأثروا عن غير إرادة منهم بالعوامل المحلية.

معاصر الزيت

في قباطية 12 معصرة زيت قديمة العهد ولا يوجد فيها معصرة فنية.

متى أرادت الحكومة

الحكومة متى أرادت منع شيء منعته حالاً، فقد أمرت بمنع جول الزيتون[113] قبل التخمين، وسهرت على تنفيذ أوامرها فمنعته بتاتاً على الرغم من بعض الأضرار التي نجمت عن ذلك الأمر، فلم لا تمنع حرق الزيتون وقطع أغراسه وقلعها وتسميم الحيوانات، نعتقد أن هذا لا يصعب على الإدارة الحازمة.

---

[113] - جَوْلُ الزيتون: اي جمع حبات الزيتون المتناثرة في بين الحجارة والأشواك حول جذوع الشجرة

المضيف

نزلنا في قباطية ضيوفاً على أحد وجهائها الحاج محمود أفندي الحاج سعيد، وهو من أكارم القوم وأذكيائهم، وهو الذي طاف بنا على الزوايا وعرفنا على وجهاء البلدة ورؤساء حمائلها الكرام، وسهل لنا التحدث معهم في نزع الخلافات والانصراف إلى الأعمال العمرانية والوقوف على شكاويهم، ورافقنا مع السيد إبراهيم اليوسف إلى الزبابدة والكفير وصير وسانور واستحق شكرنا وامتناننا.

مدرسة قباطية

عدد طلبتها 41 وفيها نحو ثلاثمائة ولد بلا مدرسة، لأنه ليس في المدرسة سوى معلم واحد هو الأستاذ عوني عبد الهادي[114]. وللمدرسة صفان فقط والبلدة بحاجة إلى مدرسة ذات خمسة صفوف، ومن العار أن يكتفي بمدرسة كهذه في بلد كقباطية وأن يكون معاش معلمها سبع جنيهات فقط، لأن قباطية أكبر من جنين وتعطي الحكومة واردات أكثر من جنين، ومع ذلك فهي لم تطالب الحكومة ولا بموظف حتى ولا بموظف تخمين، مع أن فيها من أصحاب الذمة والوجدان والمعرفة والخبرة أكثر من واحد.

في المدرسة فرقة كشافة، ويفكر أستاذها مع وجوه البلدة بإنشاء مكتبة يختلف إليها محبو الدرس والمطالعة[115].

الأحزاب في جنين

يسوءنا جداً أن يكون العمل للنفوذ العائلي أو الشخصي في جنين كما في سواها، متغلب على العمل للمبادئ الحزبية والوطنية، ولو كان الأمر بالعكس لما وجد في البلاد مثل الخلاف الذي نراه بين الأحزاب أو العائلات أو الأشخاص، لأن بروغرامات [برامج] الأحزاب كلها متقاربة.

ولو كان الغرض من تأليفها والتشيع لها مجرداً عن الغايات، لأمكن للناس أن يتفقوا ويعملوا جنباً إلى جنب للمصلحة العامة. وبعبارة أخرى لو أن الذين يعملون لنفوذهم الشخصي أو العائلي ويعتقدون أن نفوذهم لا يتوطد إلا إذا أوقعوا بإخوانهم في الوطنية وحطوا من أقدارهم، لو أن هؤلاء مدوا بأبصارهم إلى أبعد من أنوفهم لرأوا خطر الغزوة

---

[114]. من المؤكد انه غير السياسي النابلسي المعروف عوني عبد الهادي مؤسس حزب الاستقلال

[115] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1095 . 21 اذار عام 1925.

الصهيونية المداهم، ولتأكدوا أنهم بالمشاحنات والمخاصمات والمنازعات يضعف بعضهم قوى بعض ويمكنون الخصم منهم، فيقضي على نفوذهم ويستأصلهم من البلاد التي يتطلبون النفوذ فيها بهذه الطرق العقيمة، ولأدركوا ضرورة تعاونهم على حفظ كيانهم وترسيخ أقدامهم في أوطانهم، ولشعروا أن التعاون ضروري على إنهاض الفلاح وتكثير الإنتاج وتقليل الإنفاق لدفع الأزمة الاقتصادية، ولوجدوا أن كل قوة تصرف في إضعاف بعضهم بعضاً خسارة عظيمة بل جناية وطنية لا تغتفر. ماذا جنى آل عبد الهادي وجرار وطوقان وغيرهم من العائلات الكبيرة والقوية العديدة من كل مخاصماتهم السابقة؟ ألا يرون كيف أن التاجر العاقل يصفي حساباته في نهاية كل موسم أو شهر أو أسبوع ليعلم ماذا أنفق وماذا دخل عليه وماذا ربح؟ فلماذا لا تفعل ذلك العائلات والزعماء والوجهاء؟ حتى إذا وجدوا أنهم لم يجنوا من مشاحناتهم سوى الضعف وتقليص النفوذ وإضاعة الكرامة؛ يعدلون عن هذه التجارة الخاسرة إلى طريق مثلى تؤدي إلى العزة والمنعة وسلامة الأوطان وصيانة الكيان.

حاول المتناظرون في طولكرم وجنين أن يقلل بعضهم من أهمية بعض أمامنا، أما نحن فقد رأينا بالاختبار أن لكل فريق مقاماً محترماً، كما دلتنا المبالغة في الحط من مقام الآخرين على ضعف المبالغين ورغبتهم في رفع منزلتهم بالكلام، وهذا أمر مألوف؛ فالدول التي تضعف تكثر فيها الألقاب الضخمة والأوسمة العالية والرسميات، أما الدول القوية فلا تعبأ كثيراً بالمظاهر.

خيل إلينا لو أن الجماعات في أقضية نابلس وطولكرم وجنين التي زرناها؛ بدلاً من اشتغالها بتفريق الأهالي وشقهم إلى شيع يخاصم بعضها بعضاً، اشتغلت بتسوية خلافاتها وخلافات الأهالي وصرفهم إلى ترقية الزراعة وتعليم الأولاد والتعاون على المشاريع العمرانية، لما وصلت الحالة إلى ما هي عليه من السوء على رغم السياسة الصهيونية المتبعة، ولحسنت الحالة الاقتصادية، ولما تواقح باعة الأراضي وسماسرتها.

كلمة يثقل سمعها على الزعماء، ولكنها حقيقة لا بد من المجاهرة بها، وهي أننا شعرنا أن الرجل الصالح الحاج محمد القاسم عبد الهادي، عمل وحده بقدوته وإرشاداته في محيطه لخير البلاد أكثر من الجمعيات والأحزاب.

عسى أن يكون في ما قلناه عبرة للمشتغلين في هدم غيرهم، فيعدلون عن هذه الخطة الوخيمة إلى التعاون على بناء كيان الهيئة الوطنية المجتمعة.

جمعية الزُّراع

لم نر في قضاء جنين أن الجماعة المتألبة تحت اسم جمعية الزراع جمعية مهملة، بل بالعكس رأيناها محترمة ولم نشعر أنها تعمل لفائدة السياسة الصهيونية مطلقاً، ولكنها كفيرها لم تنظم أمورها ولم تقم بعد بأعمال وطنية كبيرة، ومع ذلك فقد عاونت على تنشيط الغرس وأصلحت بعض الخلافات في القرى.

أما تأثير الأحزاب في جنين على القرى فهو أقل منه في طولكرم، ونعتقد أن الأحزاب إذا عملت لخير البلاد ولمصلحة الفلاح تصبح كلمتها مسموعة ومقامها محترماً.

قرى جنين اليامون

أول قرية زرناها في قضاء جنين هي قرية اليامون بلد السيد إبراهيم اليوسف، زرناها مع السيد توفيق المنصور بدعوة من السيد إبراهيم فقبلناها شاكرين على الرغم من كون بعض الفيورين أنذرنا بأن هذه الزيارة قد لا تكون في مصلحتنا، لأن السيد إبراهيم متهم بموالاته لبعض الصهيونيين، وقلنا لا بد من الوقوف على حقيقة الرجل وتأثيره في قومه ونهيهم عن السير معه إذا صح كونه مجرماً في الوطنية، ولا بد من محاولة رده إلى الطريق السوي إذا كان ضالاً عملاً بقول السيد المسيح، إنه جاء ليدعو الخطاة لا الأبرار إلى التوبة، فنزلنا ضيوفاً في بيته.

استأذنا السيد إبراهيم باستعمال الصراحة مع الأهالي فأذن، فسألناهم إذا كان راودهم في شيء يتعلق بالصهيونية؟ فنفوا ذلك وقالوا إنهم يحبونه لأنه يساعدهم على حل جميع مشاكلهم، ويشعر معهم في ضيقهم ويرشدهم إلى كل ما هو نافع، ولذلك فشيطان خلافاتهم لا يكبر. فقلنا لا تصغوا إليه إذا كان صهيونياً ولا توافقوا على آرائه. وبعد بحث في شؤون الزراعة والغرس؛ علمنا أن الأهالي نشيطون وإقبالهم على الغرس كان عظيماً، فقد غرسوا في الموسمين الماضيين نحو عشرين ألف غرسة وزيتونهم يعصر اليوم سبعة آلاف جرة، وأرضهم تشد مئة فدان، وقد زرعوا في العام الماضي مئة دونم دخاناً، ولن يزرعوه في هذه السنة بسبب القانون الجديد وكساد الصنف.

الأعشار وحاكم اللواء

شكا الأهالي من ظلم أعشار الزيت، وضربوا لنا مثلاً إبراهيم الحامد، فقد فرض عليه خمسة جنيهات عشراً لزيت زيتونه، فبلغ محصول زيته كله خمسة جنيهات فهل لحضرة الكولونيل سيمس أن يأخذ علماً بهذا؟

مدرسة اليامون

عدد نفوس أهالي اليامون ألفان، وقد بنوا مدرسة، وفيها 45 تلميذاً في أربعة صفوف، ويوجد أكثر من ضعفي هذا العدد بلا مدرسة. أستاذ المدرسة واحد السيد محمد سعيد الحامد، وهو رجل مجد ولكنه يحتاج إلى معاونين[116].

تابع قرى جنين

اجتزنا من قباطية وادياً ضيقاً طويلاً جميلاً وإلى جانبيه جبلان لو عمرا زيتوناً لأخذا أكثر من ستين ألف غرسة فليت أهالي قباطية يستبدلون الجلوس في الزوايا والتلهي بالقيل والقال والخلافات بالاشتغال في تعمير هذين الجبلين وغرسهما زيتوناً فيكسبون صحة وعافية من الهواء النقي وقوة من تمرين أجسامهم على العمل، ويؤسسون لأولادهم ثروة ويرتاحون من متاعب الحياة ومن نفقات المدن ومن عناء الدعاوي ومشاكلها.

الزبابدة

خرجنا من الوادي فأشرفنا على سهل تلفيت والزبابدة الصغير وما هي إلا برهة حتى بدأنا نرى علائم الاجتهاد والنشاط في حقول الزبابدة الملأى بأغراس الزيتون المتفاوتة الأعمار، من عشرين سنة فما دون، والتي أوراقها الخضراء وأغصانها النضرة الغضة تدل على شدة العناية بها، وبعد حين وصلنا إلى قرية الزبابدة الصغيرة فنزلنا ضيوفاً في دير اللاتين على حضرة كريم الخلق الخوري سلمان عيسى.

عدد نفوس أهالي الزبابدة نحو ثلثمائة نسمة وأكثرهم مسيحيون، ومن وجوههم السيدان إبراهيم الخليل وعودة إلياس، وهم نشيطون جداً وقد كان عشر بلدهم من نحو 20 سنة تسع أجرار زيت، أما اليوم فزيتونهم يعصر نحو ألفي جرة نابلسية في سني الحمل، وقد بلغ ما غرسوه منذ عشرين سنة إلى قبل سنتين 35 ألف غرسة لا يزال نصفها غير مثمر، وقد غرسوا في السنتين الأخيرتين خمسة آلاف غرسة، ولو كان لهم أراضٍ لغرسوا أكثر كثيراً لأنهم مجتهدون.

أراضيهم تشد عشرة فدادين منقسمة على 41 حصة، وهم بحاجة شديدة إلى الأراضي، لذلك لما اشترى الحاج ذيب الرشيد أراضي مجاورة لهم تشد نحو ستة فدادين،

---

[116] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1096. 25 آذار عام 1925.

اختلفوا معه عليها وطلبوا منه نصفها ولعب المفسدون بين الفريقين وأدى الخلاف إلى دعاوي، وتبادل قطع أشجار وتسميم حيوانات، مع أننا فهمنا أن الحاج ذيب كان قد عرض أن يشتري الأراضي وإياهم مناصفة، ولعل الذي منعهم حينئذ عدم وجود النقد حاضراً لديهم، ولعل تمنع الحاج ذيب عن التنازل لهم عن نصف الأراضي الآن هو كونهم اقاموا عليه الدعاوي وحاولوا تخليصها منه بالطرق العنيفة.

بقيت المشادة بين أهالي الزيابدة والحاج ذيب الرشيد إلى أن أصلحهم كما قالوا السيد نقولا سابا الحاكم الإداري السابق، فبطل التعدي من الجانبين غير أن بعض أهالي الزيابدة لا يزالون يطمعون في الحصول على نصف الأرض على الرغم من كون الحاج ذيب يؤجرها كلها لهم ليزرعوها، ونحن نعتقد أنه إذا كان أهالي الزيابدة يريدون حقيقة أن يمتلكوا نصف هذه الأراضي فما عليهم إلا أن يتركوا الدعاوي مدة من الزمن، وأن يستعدوا لدفع ثمنها ثم يكلفوا وجوه البلاد المجاورة بالتوسط بينهم وبين الحاج ذيب وفقاً للتقاليد العربية، فالحاج ذيب وأولاده لا يردون وجاهة الوجوه ويحبون أن يعيشوا بسلام مع جيرانهم. وقد ذكرنا الفريقين بأنهم عرب وإخوان في القومية والوطنية، وأنه لا يجوز أن يتركوا خلافهم على قطعة أرض يظهر للبعيدين بصورة خلاف طائفي، وقد شكا الأهالي من ظلم التخمين وضربوا لنا مثلاً عبد السعيد الذي أعطى زيتونه 17 جرة بسعر 107 غروش وبلغ تخمين عشرة 740 غرشاً.

الكفير

ذهبنا من الزيابدة إلى الكفير بين حقول الزيتون المجددة التي تدل على ماهية الأيدي العاملة النشيطة، سواء في الزيابدة أو الكفير، إلى أن أشرفنا عند العصر على قصر جميل في البرية، فانتظرنا بعد ما شهدناه من آثار الاجتهاد أن نرى ساكني القصر وما يحيطه من مظاهر الأبهة والمدنية، ولكننا لم نر سوى صبي لا يتجاوز السابعة من العمر أقبل راكضاً وهو يقول أهلاً بالضيوف فصافحنا، وقال: تفضلوا، فسأله الرفيقان الحاج محمود الحاج سعيد والسيد إبراهيم اليوسف عن جده؟ فقال: أنه يعمل في الحقل وعن أبيه وأعمامه فقال هم في صير ولا يوجد سوى عمي الصغير هنا، فذهب ليدعوه. أما نحن فقررنا أن نذهب إلى صير التي تخص عائلة رشيد أيضاً، فمررنا في حرش محمي للحاج ذيب لم نشاهد مثله بعد الحرب حتى وصلنا إلى صير، فشاهدنا فيها جامعها الذي عمره الأهالي على نفقتهم، ولا يطلبون من المجلس الإسلامي الأعلى سوى راتب لإمامه، ومدرستها التي ينفق عليها الأهالي

من جيوبهم، وشاهدنا نموذجاً من زيتونها ولوزها ومشمشها والبلدة تشد 40 فداناً، وفيها مضافة بيت رشيد القديمة وقد بنيت منذ 208 سنين.

عدنا إلى الكفير مع السيد أحمد الرشيد والسيد سعيد السليمان الرشيد، اللذين كانا يشتغلان في حقولهما بأيديهما، فصرفنا تلك الليلة مع أعضاء هذه الأسرة الطيبة العاملة التي هي خير مثال للنهضة الزراعية، وقد رأينا في حقولها خير مدرسة زراعية عملية، وقد خلنا أنفسنا خارج فلسطين، لأنه لو كان كل مزارعي البلاد مثل بيت رشيد وأهل الزبابدة؛ لما وجد اليهود مطمعاً في فلسطين.

لذت لنا كثيراً مسامرة الرشيديين وعيشتهم العربية، وارتحنا لملابسهم العادية، فقلنا هؤلاء منتجون حقيقيون، هؤلاء أعضاء عاملون، شتان بين هؤلاء وبين الأغنياء الذين يحتكرون الأراضي ليبيعوها للصهيونيين، شتان بين أغنياء يعيشون في الحقل كهؤلاء وبين أغنياء يعيشون على طاولات البوكر في المراقص ويفسدون أذواق الناس بتعويدهم على الأزياء والملاهي.

مثل آل رشيد وأهل الزبابدة يجب أن تعتني بهم الحكومة وتحميهم، لأن نفسياتهم بطبيعتها تجتنب المشاكل لتتفرغ لأعمالها، ولا نحسب قيام أهل الزبابدة على الحاج ذيب إلا سبباً عن شديد شعورهم بالحاجة إلى الأراضي التي أنستهم أنهم مخطئون، وأنه كان عليهم أن يطلبوا الأرض من جارهم بصورة حسنة، خلاصة القول إن الاجتهاد في الزبابدة وصير والكفير ولد الرغبة في القرى المجاورة كرابة وعقابة فقامت تتشبه بجاراتها.

سانور

قمنا ثاني يوم من الكفير وسرنا إلى سانور عاصمة آل جرار القديمة، فأشرفنا على سيريس وميثلون وجبع، وشاهدنا حولها غابات الزيتون الصغيرة فابتهجت لها نفوسنا، وتأملنا في مصير هذه الغابات البهيجة بعد نمو ما زرع وما يزرع، فليهنأ المجتهدون بعمل أيديهم.

صعدنا إلى سانور البلدة الصغيرة فتهيبنا لذكرى تاريخها المجيد الحديث الذي ذكرنا بعظمة نفوس أهلها آل جرار، الذين على رغم قلة عديدهم ثبتوا سنة بطولها على حصار عبد الله باشا[117] لهم، ولما أعياه أمرهم استنجد بالأمير بشير اللبناني فأنجده

---

[117] - هو عبد الله باشا الخزنة دار بن علي باشا احد مماليك الجزار؛ تسلم الولاية عام 1819م خلفاً لسليمان باشا خليفة احمد باشا الجزار، وفي عام 1829م ارسل عبد الله باشا جيشاً بقيادة الأمير بشير الشهابي قوامه 20 الف

وبقي البطلان الشرقيان العظيمان يحاصران هذه البلدة الصغيرة بحجمها الكبيرة بنفوس أهلها مدة شهرين، ففتحت أبوابها للمحاربين لقلة الذخيرة والماء، ولكن على شرط صيانة الأعراض والأرواح والأموال، وبالوقت نفسه داخلنا الحزن العميق لما رأينا في البلدة من مظاهر الفقر. ولعل السبب فيه أن مشائخ آل جرار لم يكونوا يرون أنه يليق بهم أن يعملوا في الأرض كسائر الناس، فسرت عدوى الكبرياء منهم إلى المزارعين الذين يقطنون البلدة، كما سرت عدوى النشاط في السنتين الأخيرتين من القرى المجاورة إلى أهالي سانور شيوخاً ومزارعين، فجددوا في أراضيهم نحو 20 ألف غرسة زيتون ونحو 10 آلاف غرسة أخرى، وهم لا يزالون يجدون ويكدحون.

اتفق وصولنا إلى سانور قبل صلاة الجمعة فالفيناهم جميعاً في الجامع، وأعجبنا خشوعهم في الصلاة، وقد قلنا لهم بعد خروجهم منها إن النفوس الكبيرة التي تمردت على الأبطال يجب أن تتمرد على الفقر وتقاتله بالعمل في الحقول، وقلنا إنه يجب أن تتمرد [نفوسهم] على الفقر وتقاتله بالعمل في الحقول، وقلنا أنهم يجب أن يبقوا حصناً للأمة، ويجب أن يكونوا مرنين ويتقلدوا لكل حرب سلاحها، فحربنا اليوم اقتصادية وكل شجرة يغرسونها هي بمثابة حجر في حصن الوطنية فيجب أن يتابعوا الغرس.

عدد نفوس سانور 1300 وفيها مدرسة تحتاج إلى معلم آخر.

من الضروري إصلاح الطريق الصاعدة إليها من المرج الذي يحسن بالحكومة أن تبادر إلى تجفيفه خدمة للصحة وللزراعة.

أهالي سانور يشكون من ضِنِّ المجلس الإسلامي عليهم بتوسيع جامعهم من واردات أوقافه.

خلاصة

خلاصة ما كنا نقوله للمزارعين أن مستقبلهم في الحقول لا في المضافات والدواوين، وسلاحهم يجب أن يكون المحراث والمعول وحصونهم غابات الأشجار المثمرة، وأنه يجب أن يلتمسوا إصلاح حالهم الاجتماعية بتسوية خلافاتهم فيما بينهم بالتي هي أحسن لا بواسطة القضاء، أو اعتداء بعضهم على بعض، وأنه يجب عليهم أن يعولوا على

جندي، لفتح حصن سانور الذي صمد مرتين امام الجزار باشا وسليمان باشا، فحاصرت قوات عبد الله باشا الحصن من كل الجهات وارغمت الحامية على الاستسلام نتيجة الجوع [سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني، لقسطنطين بازيلي ص 108]

أنفسهم في جميع أمورهم لا على زعماء المدن الذين لم يبق لهم سلطة عليهم [إلا] بوساطة الأعشار أو بالمداخلات مع الحكام، وأنه يجب عليهم أن يؤمنوا مستقبل أولادهم بتعمير الحقول لهم، وبتعليمهم العلم العملي ليتقنوا زراعاتهم وسائر أعمالهم.

ملاحظات

كلما زاد اختلاط الوطني بالقرويين يتضح له أنهم على استعداد تام لقبول الإصلاح الأخلاقي والإصلاح الاقتصادي والزراعي، وأن ما فيهم من الميل للفساد والخصومات يتسرب إليهم غالباً من المدن، فإذا سلموا من هذا وأتيح لهم مرشدون صالحون تصلح أحوالهم وينهضون بالبلاد ويحيونها، هذا إذا لم تقاوم نهضتهم بمثل قانون الدخان، وبالضرائب الثقيلة، وبالمخمنين غير الصالحين، وبمديري الإدارة والبوليس غير اللائقين وغير الأكفاء.

نقولا سابا

لا يجوز أبداً أن نختم هذا المقال بدون أن نقول كلمة في نقولا سابا حاكم جنين الإداري السابق، ومفتش المالية الحالي في اللواء الشمالي، فإننا لم نخاطب أحداً في جنين أو في القرى إلا وأثنى على حسن إدارته ومقدرته ووطنيته وإرادته، حتى أن منتقديه القليلين اعترفوا له بحسن النية والكفاءة، ويكفي أنا سمعنا الرجل الصالح الحاج محمد القاسم يقول: وإن كان نقولا أفندي سابا دفَّعَني ربع حاصلاتي عشراً، فإني أغفر له هذه السيئة من أجل حسناته العديدة للمصلحة العمومية، فنحن نهنئ نقولا أفندي بالثقة التي أحرزها في مدة قصيرة من عموم أهالي جنين[118].

جبهة الحرب.. تنازل الفؤاد

واجب الصحافة اللبنانية

الحرب على أنواع مختلفة، ونوع الحرب في فلسطين اليوم بين الوطنيين من جهة واليهود الصهيونيين من جهة أخرى هي الحرب الاقتصادية ولها ضروب وفنون، وما نحن في صدده منها هو المزاحمة على امتلاك الأراضي.

---

(118) - الكرمل - السنة الثانية عشرة - العدد 1098 - 4 نيسان عام 1925.

خرجنا من جنين على رأس مرج ابن عامر من جهة الجنوب وسرنا شمالاً في جهة الناصرة، فأشرفنا فوراً على الجبهة، لأن كبار القادة والخواجات سرسق وتويني وخوري باعوا ويبيعون مواقعهم في الياجور وكفراتا وجدرو وطبعون والشيخ بريك وتل الشمام وجيدا والفوله والعفولة وجباتا وخنيفس وتل العدس وغيرها، وسلموها للعدو وتنازلوا باختيارهم عن حقهم في الوجاهة والقيادة الوطنية، ولم يبق لهم أدنى حق بشيء من ذلك على الوطنيين في كل البلاد العربية التي سوف تتضرر كلها أضراراً متفاوتة من تأسيس المملكة اليهودية، فمن واجب الصحف اللبنانية أن تفهم إخواننا في الشمال، ليس فقط أنهم في حل من مثل هؤلاء الزعماء الذين يساعدون متعمدين على تشكيل مملكة يهودية في قلب البلاد العربية بين سوريا ومصر والجزيرة، وسوف تشمر كل هذه البلدان بأضرارها وأخطارها، بل أنهم في شرع الوطنية آثمون إذا بقوا يزعمون هؤلاء القادة البياعين.

بعد بيع هؤلاء القادة وتمليك الخصم أراضيهم، التي كانت لولا ضعف إيمانهم الوطني جبهة منيعة في وجهه. وانتقلت القيادة إلى أهالي معلول والمجيدل ويافا[119] والناصرة من جهة الشمال، وإلى توفيق بك الفاهوم وعثمان آغا عون الله والمطران حجار في إكسال ودبورية وأم الغنم على ذيول المرج من الجهة الشمالية الشرقية، وإلى الريس وكساب وعبد الله الحسين الملاك في شطة وقومية من جهة الشرق، وإلى آل عبد الهادي في زرعين ومقيبلة في المرج من جهة الجنوب، وإلى نجيب بك المطران في زبوبة، والزيود والجرادات في السيلة، وسليم مصطفى الأحمد حوالي رمانة من جهة الغرب والجنوب الغربي، فنحن على اليقين أن يقدر هؤلاء القادة الموقف الحرج وعظيم المسؤولية الوطنية فيحصنوا مواقفهم في الجبهة تحصيناً فنياً بصد هجمات الخصم عليها، ولقد علمنا أن السيد سعيد العواد في معلول يحصن موقفه مع أهل بلده بالغرس الكثير، وسنزور المجيدل ونفاوض أهلها في موقفهم، كما أننا سنزور توفيق بك الفاهوم وهو على ما نعلم من أركان الوطنية ونقف منه على ما اتخذه ويتخذه من التدابير للثبات في موقفه. أما سيادة المطران حجار فلا نشك في أنه سينشئ في دبورية وأم الغنم مدرسة زراعية تكون كحصن فولاذي لا تؤثر فيه قنابل المدافع الضخمة، وأما السيد أمين عبد الهادي فقد علمنا أنه وضع في مقيبلة حرشاً فيه نحو 30 ألف غرسة، وغرس 15 ألف غرسة زيتون فأصبحت بمثابة حصن لا

---

[119] - المقصود قرية يافة الناصرة وليس مدينة يافا المعروفة

يؤخذ. وأما آل عبد الهادي في زرعين فقد أكد لنا بعضهم أنهم لا ينوون البيع مطلقاً، وقد نصحهم الحاج محمد أفندي القاسم بأن يعهدوا بزرعين إلى هيئة منهم تتولى تعميرها وإدارتها. وكذلك أكد لنا أهل السيلة والسيد سليم المصطفى الأحمد بأنهم لا ينوون البيع مطلقاً. أما موقف زبوبة وشطه فيبقى مشكوكاً فيه إلى أن يبرهن أصحابها على غير ذلك، وبناء على ما تقدم نستطيع أن نقول إن الجبهة الحالية من جهة الشمال بفضل إيمان قادتها الوطنيين وتنبههم الاقتصادي وجهادهم الزراعي منيعة جداً، فعسى أن لا يخيبوا الآمال فيهم. هذا فضلاً عن أن القائمين على حراسة الخطوط الخلفية عاملون على تحصينها بمئات الألوف من أغراس الزيتون، فهي ستصبح أمنع من عقاب الجو إذا حافظ القائمون على الخطوط الأمامية عليها وأوقفوا تقدم الخصم.

العفولة وما أدراك

اجتزنا الجبهة إلى العفولة التي ملكها السراسقة للخصوم، ولم يقبضوا إلا جانباً من ثمنها كما بلغنا، فإذا بأكواخ الفلاحين قد أصبحت خراباً، وتوقف التعويض عن بعض مزارعيها على ما بلغنا إلى أن يوقعوا على ورقة لا نذكر عنها شيئاً حتى يأذن لنا من عرضت عليه للتوقيع بنشرها. ذكرنا ما رأيناه من الخراب بما سمعناه، ورأينا مما يعانيه المزارعون الذين رحلوا عنها.

مصير العفولة

العفولة محطة هامة للسكة الحديدية الحجازية، تحيط بها المستعمرات اليهودية الحالية والمقبلة من جهة الشمال والشرق والجنوب، وقد خيل إلينا أنها ستصير مركزاً تجارياً لهذه المستعمرات، فتشاد فيها الأبنية وتقام الأسواق ويقطنها التجار عدا المزارعين، فتضارب في تجارتها حيفا والناصرة وجنين إذا لم ينتبه تجار هذه المدن إلى المحافظة على مراكزهم قبل فوات الفرصة. فالبلاد تحتاج إلى نهضة اقتصادية وأهلها بحاجة إلى تغيير ما بأنفسهم، وترك مقالاتهم وخيالاتهم ومنازعاتهم الفارغة ليشتغلوا في شؤونهم الجدية، ويتعاونوا على إنهاض المزارع وعقد شركات التعاون[120].

---

(120) - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1099. 8 نيسان عام 1925.

لقد وصفنا هذا الطريق بعض الوصف في مقالنا «لم يبق لنا سوى الطريق نمر فيه»، وبيّنا كيف أن الذين أثروا من هذا الوطن ومن عرق جبين أبنائه العاملين الفقراء باعوه وباعوهم، وعلى رأسه هؤلاء الباعة آل سرسق الذين لا يزال إخواننا في الشمال ينظرون إليهم كزعماء ويرشحون منهم لحاكمية لبنان، والذين لا يزال أنسباؤهم كالأمير حبيب لطف الله[121] يتكلمون بالنيابة عن ملك جدة الملك علي بكل وقاحة باسم العرب، ويساومون على فلسطين كما رأينا مما نقلته جريدة «فلسطين»[122] عن الجويش كرونكل[123] عن مندوب الوكالة[124] اليهودية في نيويورك، والذين لا يزال كثيرون منا ينظرون إلى الموجودين منهم بيننا كوجهاء، مع أن الذي يبيع أراضي وطنه لخصوم أهله يكون بهذا البيع قد تنازل فعلاً عن الزعامة والوجاهة في البلاد التي باعها وقطع

---

(121) - الأمير حبيب لطف الله، شخصية إشكالية في تاريخ المشرق العربي، وكان رجل المهمات السرية، وهو من أصول شامية ويحمل الجنسية المصرية، كان عضواً بالجمعية القحطانية المؤيدة للهاشميين، وقام بتأسيس البنك الأهلي الحجازي وكان أول مبعوث دبلوماسي من مملكة الحجاز إلى روسيا لبحث استقلال المشرق العربي عن السلطنة العثمانية، وتشير الوثائق البريطانية إلى انه اي حبيب لطف الله التقى مسؤولين في الخارجية البريطانية في لندن في العشرين من نوفمبر عام 1915 وقدم مخططاً يتلخص في فرض الحماية البريطانية على سوريا وفلسطين تحت أمير مسيحي وملكية عربية بمستشارين بريطانيين في بغداد تحت حكم الخديوي السابق الذي سيصبح الخليفة الإسمي كان الخديوي الاسمي المقصود هو الخديوي عباس حلمي المخلوع عن ولاية مصر. وكان حبيب لطف الله ممثلاً للشريف حسين في لندن، ثم ممثلاً له في روما. ويقال إن حبيب لطف الله عقد أربعة لقاءات مع موسوليني في روما لبحث المشروع الكونفدرالي العربي وكان حبيب فضل الله على ظهر البارجة التي نقلت الملك الحسين بن علي ملك الحجاز في تشرين الأول من عام 1924 منفياً إلى العقبة ثم قبرص بعد أن غضب عليه الانكليز، وولوا مكانه ابنه الملك علي بن الحسين

(122) - صدرت جريدة فلسطين في يافا عام 1911م، صاحبها عيسى العيسى المسيحي الأرثوذكسي الذي عرف عنه مناهضة الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية وكان هو الذي صاغ وثيقة مقاطعة البضائع اليهودية والدعوة إلى الإقبال على البضائع العربية وإشهار مقاصد «صندوق الأمة» لمنع بيع الأراضي عن طريق بعض العائلات الفلسطينية واللبنانية إلى اليهود، أما جريدة «فلسطين» اليافية، فقد امتازت خلال تلك الفترة المبكرة بالخبرة المهنية العالية كما يشير إلى ذلك مؤرخ الصحافة العربية في فلسطين، وكانت جريدة «فلسطين» قد بدأت تصدر أسبوعية بأربع صفحات ثم مرتين في الأسبوع وزادت فصارت بست صفحات ثم يومية بثماني صفحات، وبعد النكبة انتقلت إلى القدس الشرقية وأصبح رجاء نجل عيسى رئيس تحريرها، فظلت تصدر حتى آذار من العام 1967 حين اندمجت مع جريدة «المنار» المقدسية ومن اندماج الجريدتين ولدت صحيفة «الدستور» الأردنية المعروفة [راجع تاريخ الصحافة العربية في فلسطين، لأحمد خليل العقاد، والموسوعة الفلسطينية مادة عيسى العيسى]

(123) - (Jewish Chronicle) مجلة التاريخ اليهودي، ما تزال تصدر حتى الآن في لندن

(124) - وردت في النص الشركة اليهودية، وأما المصطلح المتداول فهو الوكالة اليهودية وهو ما أثبتناه في المتن

علاقاته بها وأصبح كالقائد الذي يسلم جبهة الحرب والجنود الذين تحت قيادته إلى أعدائهم.

ليس من يرى كمن يسمع، فمن يمر بهذه الأراضي على جانبي الطريق بين حيفا والناصرة ويرى أن بعضها انتقل إلى اليهود والبعض الآخر على وشك الانتقال، ويرى الأيدي العاملة الوطنية استبدل بها أيد يهودية، يبكي بكاء النساء على وطن أضاعه أشباه الرجال بإهمالهم وانغماسهم في الملاهي، وعدم رجوليتهم وضعف المبادئ الوطنية في نفوسهم، ولا يستطيع أن يحتفظ بشيء من الالتزام لهؤلاء الناس.

المجيدل

صعدنا إلى المجيدل على تلال الجليل القائمة إلى جانب المرج، ونزلنا في بيت السيد فرح الخوري، وبعد الغداء زرنا مدرستها وفيها نحو 50 تلميذاً، واجتمعنا ببعض الأهالي وتكلمنا معهم عن موقفهم المحاط، وقلنا إنه لا ينجيهم من الخطر إلا العمل المستمر في تسميد الأرض واتقان زرعها وغرس الأشجار فيها، ورجوناهم أن يؤسسوا ثروة خمسمائة غرسة زيتون لكل ولد من أولادهم، وأن لا يبيعوا شيئاً من أراضيهم لتجار المدن الذين باع بعضهم ما اشتراه من الأهالي، وأن يحاذروا التورط في الدين، وأن يعلموا الأولاد علماً وعملاً، وقد رأينا اليأس متسرياً إلى النفوس بسبب قلة المطر وإحداق الخطر بهم، فنشطناهم بذكر ما يقوم به إخوانهم في قرى جنين وطولكرم ونابلس من أعمال الغرس الكبيرة.

عدد نفوس المجيدل نحو ألف، ربعهم مسيحيون، وقد غرسوا نحو خمسة آلاف غرسة في السنتين الأخيرتين، وكان ما غرسوه قليلاً في هذه السنة بسبب الضريبة والقيود، وقد بدأوا بنقل الزبل إلى الحقول متأثرين بحث السيد نقولا سابا معاون الحاكم السابق، ولكنهم تراخوا مؤخراً، فهل للصحة والإدارة أن تؤثر عليهم.

في المجيدل مدرسة للبنات تديرها الراهبات.

المرج

برحنا المجيدل مشياً على الأقدام، فوصلنا بعد مسيرة نحو ميل إلى المطل الذي يشرف على مرج ابن عامر الخصب الفسيح الجميل، وتأملنا ما كان يمكن أن يكون؛ لو أحسن السراسقة إدارة زراعته، لسنا نعلم ما دام هؤلاء مع ما لهم من الوسائل،لم

يحسنوا استثمار أراض طيبة غنية كهذه، كيف يرجو أهالي لبنان أن يكونوا لهم قادة ومديري إدارة.

انكشفت أمامنا المستعمرات اليهودية بسطوحها القرميدية الحمراء التي رصعت بها المرج، والأموال التي تجبى من متهوسي اليهود وتنفق جزافاً غير مراعية فيها طرق الفن والاقتصاد، وهي محدقة بالخط الحجازي الموقوف لمسلمي العالم، ومقابلة لقرى الأهالي العابسة القاتمة الألوان، فتمثلت لنا المستعمرات بلونها القاني كأنها رايات استعمارية تنشرها السياسة الإنكليزية حول وقف المسلمين المتدينين، كما فتحت لنا صفحات تاريخية قديمة، وذكَّرتنا بوقفات وجوه العرب السمحة السمراء أمام خوذ ودروع الرومانيين والصليبيين اللامعة.

سكبنا دمعة حزن على هذه المشاهد والتذكارات المؤلمة، وتقدمنا إلى يافة ونحن نتأمل في ما يخبئه المستقبل في طياته المظلمة من الأهوال والمخاطر لهذه البلاد المنكودة، وما تجره على مصالحها في الشرق السياسة البريطانية، فتراءى لنا أن الدين والاستعمار والرأسمالية ستتصادم صداماً عنيفاً في هذا المرج وعلى شاطئ بحر الروم، ولا عجب فقد كان ها السهل مسرحاً لحروب قديمة عنيفة بين الشعوب والمبادئ.

يافة

وهي على مسيرة نحو ميل إلى الجنوب الغربي من الناصرة، وهي بلدة تاريخية قديمة ذكرها يوسيفوس في وقائع تيطس الحربية، أما اليوم فهي بلدة صغيرة عدد نفوسها نحو 80 نسمة، القسم الأكبر منهم مسيحيون، وهي تشد 65 فداناً، باع من أراضيها لليهود بعض أعيان مدينة الناصرة، ولا يزال فيها أراض تكفي أهلها إذا حافظوا عليها وأتقنوا زرعها وأكثروا من غرس الأشجار وأحسنوا تربية الحيوانات للحم والصوف. فيها مجلس بلدي، ولكنها تحتاج إلى نظارة الصحية عليها والتعاون مع الإدارة على حض الناس وحملهم على رفع المزابل إلى الحقول.

شربنا القهوة في بيت صديق لنا السيد سالم المسعد، واكتفينا لقصر الوقت بالاجتماع مع نفر قليل من المزارعين، فعلمنا أنهم نشطوا في العام الماضي لغرس الأشجار، ولكنهم تكاسلوا في هذا العام بسبب قلة المطر وضريبة الفرس وقيودها، ولأن اليأس تسرب إلى نفوسهم من إحداق اليهود بهم، فألقينا عليهم كلمات تشجيع، وإنا نلفت نظر جميع أهالي قرى الناصرة إلى ما سنكتبه في مقالاتنا عن الناصرة في موضوع اليأس. في

يافة مدرسة للاتين يعلم صغار الأولاد فيها رئيس البلدية، أما الأولاد الكبار فيتعلمون في مدرسة الناصرة.

البلد مَدين[125] بنحو أربعة آلاف جنيه، ويدفع فائدة عشرة بالمائة، وهذا من الأمور المؤلمة التي يجب على الحكومة أن تهتم لها[126].

الناصرة المتألمة

جئنا الناصرة فرأينا الكنائس الكبيرة كثيرة العدد واسعة الجوانب عالية القباب كثيرة الأجراس، وفيها الخوارنة والرهبان يروحون ويجيئون يحرقون البخور ويصعدون التراتيل والصلوات فتمتزج أصواتهم وطنين الأجراس بأنين الناس. فلم نعلم أهم يسبحون المسيح ويمجدونه على نعم أسبغها عليهم ومقامات وضعهم فيها وأديرة شادها لهم هي أشبه بقصور وقلاع في آن واحد وعيشة طيبة منحهم إياها؛ وهم في غفلة عما يجري حولهم وما يتوعد مستقبلهم وكنائسهم، أم هم يقرؤون صلاة الجناز على بلد سيدهم التي تتألم مع آلامه في يوم الجمعة الحزينة مما أصابها ويصيبها في عهدهم، ومن، سياسة حكومة مسيحية مدنية جاءت لتكون وصية عليهم.

جئنا الناصرة فوجدناها تعاني أشد الآلام من الربا الفاحش، الذي يأكل لحم أهلها ويقرض عظمهم ويذيب شحمهم ويستهلك مواردهم ويبتلع أراضيهم.

جئناها فوجدناها تتألم من السياسة التي تسمح بإفراغ ما حواليها من القرى للصهيونيين، وباستبدال المهاجرين بالمزارعين بحيث أصبح كثيرون ممن حواليها من سكان القرى غرباء عنها، وصار أهلها يخشون أن يصبحوا عما قريب غرباء عن محيطهم وهم في بلدهم.

جئناها فوجدناها تتألم من محافظة أهلها على تقاليدهم وعاداتهم، فكثيرون منهم لا يزالون محافظين وليس عندهم شيء من المرونة. تولاهم الفقر وأحدق الخصم بهم وهم قاعدون لا يشتغلون في تعمير حقولهم وتشجير أراضيهم وتسميدها، مع أنهم يعلمون أن لا نجاة لهم إلا بالعمل.

---

(125) - في النص: مديونة

(126) - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1100. 11 نيسان عام 1925.

وجدناها تتألم من اليأس الذي استولى عليها لكثرة الديون وفحش الربا وعدم إقبال المواسم ولهبوط الأسعار في السنين الماضية، ولعدم عناية الإدارة وعدم قيامها بما يجب من التشجيع والتدريب ولعدم شعورها معهم، مع أنها تقوم بهم وتتغذى منهم.

ماذا تحتاج الناصرة

أول ما تحتاج إليه الناصرة لتحفظ كيانها وتنهض؛ انقلاب في الأخلاق وانقلاب يبدل اليأس بالأمل والبطالة بالعمل، وهذا الانقلاب تحدثه إدارة حسنة الإرادة، وعلى رأسها رجل نشيط قادر على إيقاظ النفوس وحملها على الشعور بالواجب، وعلى توليد الرغبة في القيام به، فعسى أن تكون لاقت هذا الرجل في حاكمها الإداري السيد خليل عبد النور، وعسى أن يبذل من الجهود ما يستطيع بها أن يستأصل اليأس من نفوس الناس ويملأها بالأمل، ويحولهم من بطالين إلى عاملين.

لا يفيد قولنا هذا إننا نشكو من إدارة الحاكم الإداري السابق السيد الكارمي، فقد جاهد جهاداً حسناً في إحياء النهضة الاقتصادية وقد سمعنا ثناء عليه مستطاباً من كثيرين، ورأينا منشوراته في الحض على الغرس فأعجبنا بها.

والانقلاب المطلوب يحدثه شعور الزعماء بحرج الحالة وقيامهم لتلافيها بإنهاض همم الأهالي، وخصوصاً المزارعين وحثهم على العمل المستمر، فلا حياة إلا بالعمل المملوء بالأمل فإلى العمل أيها الناس.

وتحدثه نهضة جدية في الشباب تقوى على توليد حياة جديدة في نفوس الشعب مملوءة بالأمل وقائمة على الاعتماد على النفس، فعسى أن تجد الناصرة أمنيتها في نادي الشبيبة الإسلامية الذي تألف حديثاً، وعسى أن يقوم بأعمال مضمونة النتائج.

وبهذه المناسبة نذكر حزب الزُرَّاع في الناصرة بأن عليه واجبات هامة، ولا يستطيع بوجه من الوجوه التنصل من مسؤوليتها؛ عليه أن ينهض بالزراعة وبالمزارعين.

تحتاج الناصرة إلى اهتمام الإدارة بوضع موراتوريوم[127] على الديون كلها، وتقسيطها إلى خمس أو ست سنوات ليرتاح الأهالي من فكرة الربا الفاحش المهلكة، ويتفرغوا للعمل بجد لوفاء ديونهم، وتحتاج إلى تشجير وعرها وجبالها بشجر المشمش والتفاح وغيره، ليصير لها مردود تعيش منه. تحتاج إلى إنهاض القرى حولها لتكثر مواردها ويزيد عدد سكانها فيعود إلى سوق الناصرة رونقه.

---

[127] - (Moratorium) اي قرار رسمي بتاجيل الديون المستحقة

خلاصة القول: ننبه الإدارة إلى العار الذي يلحق بها إذا تركت البلدة التي تربى فيها مؤسس النصرانية تموت لتحيا الصهيونية، وخصوصاً لأن بريطانيا استفادت من التعاليم الدينية والمدنية المسيحية أكثر من سائر البلدان[128].

مدارس الناصرة

من يزر مدارس الناصرة يجد فيها دلائل حياة جديدة، وخصوصاً مدرسة الصبيان التي يديرها السيد قسطنطين فنازع وعصبة من المعلمين الناهضين، الذين تراءى لنا أنهم يشعرون بثقل المسؤولية الملقاة على عواتقهم ويعملون لتربية جيل مقبل عامل صالح للجهاد في معترك الحياة فهم يربون فيه الأخلاق الطيبة ويغذونه بمبادئ العلوم الصحيحة ويقوون في نفوسه فكرة الرغبة في العمل.

زرنا هذه المدرسة فوجدناها متقدمة عما كانت عليه في سنة 1922 في الانتظام والتعليم ونشاط التلامذة، عدد طلبتها 150 في ستة صفوف أربعة ابتدائية وصفان ثانويان.

مدرسة البنات

عدد الطالبات فيها 180 تديرها الأنسة متيل مرمورة.

مدارس القرى

في الناصرة 28 قرية فيها 12 مدرسة للحكومة ما عدا مدارس صغيرة للإرساليات في قرى يافة وطرعان وكفركنا.

المزارعون

زرنا في الناصرة من كبار المزارعين السادة توفيق بك وعبد الله بك الفاهوم، ومحمد سعيد الزعبي، وتحدثنا ملياً في ضرورة العناية بتسميد الأراضي وإتقان الزراعة وتكثير الغرس، أما شهرة عبد الله بك في خدمة الزراعة واتقانها فهي غنية عن البيان، ولكن رغبته في الغرس لا تزال قليلة، وممن يشكرون على إقبالهم على الغرس السيدان بشارة قعوار، وميلاد الفاهوم، فهما عاملان على إحداث جنائن من الأشجار المثمرة.

---

[128] - الكرمل - السنة الثانية عشرة - العدد 1101 - 18 نيسان عام 1925.

20 ألف جنيه

ومما لا ريب فيه عندنا أن وعر الناصرة لو شجر جميعه بشجر التفاح والمشمش وغير ذلك من الأشجار المثمرة؛ فلا يمضي وقت طويل حتى يصير يعطي إيراداً يتراوح بين 15 وعشرين ألف جنيه، فتنتعش الناصرة وتسترد شيئاً من حياتها. الخلافات بين الأهالي قليلة جداً.

الأمن العام في الناصرة

الأمن العام في الناصرة مستتب، ولا بد من القول إن السيد سليم الحنا معاون قومندان اللواء ومعاونه السيد علي يلدزدار هما من الأمثلة الصالحة لضباط البوليس، والأهالي يشكرون من طيب أخلاقهما مما يدل على أن الأخلاق العالية لا تتعارض مع وظائف البوليس.

بلفورات فلسطينية

لا تكاد تمر بقضاء من الأقضية حتى تسمع بأخبار عن بلفورات فلسطين أو عن العاملين على إتمام تصريح بلفور بإنشاء الوطن القومي، ومن هؤلاء المرابين الذين يستفيدون من شدة الضائقة الاقتصادية فيسلفون الناس بفائدة 20 بالمائة لسنة وأحياناً لثمانية شهور، وأحياناً لستة، وهذا مما يجب أن تنتبه إليه الإدارة وتقف حائلاً في سبيله، لأن الفلاح مهما ربح لا يربح ثلاثين وأربعين بالمائة، ولذلك فالربا يضطره لبيع أراضيه.

الزعبية

كما هو الحال مع عائلة الزعبية في الناصرة، التي لم يكن دينها على إثر الاحتلال يزيد إلى ستة آلاف ليرا، وقد تعسر تسديده بسبب المواسم وهبوط الأسعار، فبلغ الآن نحو ستة عشر ألف ليرا، واضطر القوم إلى عرض جانب من أراضيهم ليسدوا الدين لئلا يضطرهم الربا إلى بيع الكل.

الأخلاق في الناصرة

مما يجدر بنا تنبيه الجمعيات والنوادي والأحزاب إليه هو الاهتمام بتعليم الناس المبادئ الاقتصادية، ونهي طبقات العامة عن تعاطي المسكرات، وإيجاد وسائل تلهيهم

عنها، فقد بلغنا أن أكثرية الذين كانوا يشتغلون في بناء كنيسة جبل الطور التي كلفت 150 ألف جنيه كانوا ينفقون الجانب الوافر من أجورهم على المسكرات، ولم يوفروا منها شيئاً، فلما تم بناؤها وانقطعوا عن الأعمال وجدوا أنفسهم صفر اليدين، مع أن كثيرين منهم كان في وسعهم أو يوفروا ما يساعدهم على العمل لكسب المعاش في هذه الظروف الصعبة.

الخلاصة

إن الناصرة تحتاج لحياتها إلى تجدد في الأخلاق، إلى حياة عملية صرفة، إلى تشجير الوعر، إلى قفل الحانات، إلى منع بيع المسكرات، إلى تعمير القرى ليكثر عدد سكانها ويتضاعف إنتاجها، فتساعد على إحياء الناصرة فهل لحاكمها الإداري وعقلائها ورئيس بلديتها النشيط الطيب الاسم أن يتعاونوا جميعاً على إحداث انقلاب أخلاقي ونهضة عملية في الناصرة؟ ومن يعش ير[129].

بين الناصرة وطبريا

من الغريب أن لا ترى في قرى الناصرة مثل النهضة العملية الزراعية التي تراها في قرى جنين وطولكرم ونابلس، مع أن الخطر الصهيوني حول الناصرة أشد منه حول تلك الأقضية، وقد استولى الصهيونيون على معظم القرى في مرج ابن عامر وأحدقوا بالقرى الجبلية، التي كان يجب على أهلها أن يجفلوا من هذه الحركة ويهبوا من رقدتهم وينطلقوا في الأعمال الزراعية وتعمير الحقول ليستبقوا أراضيهم لهم، فبدلاً من أن يكون هذا حالهم فهم بين غفلة واستسلام وهي حالة نفسية خطرة جداً يجب معالجتها بعلاجات قوية فعالة.

لنستبدل بالخمول النشاط وبالغفلة اليقظة وبالبطالة العمل، وإلا جرف التيار الصهيوني الخط المرتفع عن المرج المؤلف من قرى معلول وعيلوط والمجيدل ويافة وعين ماهل والرينة والمشهد وكفركنا وصفورية وطرعان ولوبية وحطين والحدثة وبقية الشجرة. نعم يجب أن يستيقظ أهالي هذه القرى ويستبدلوا طرقهم القديمة طرق جديدة،

---

(129) - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1102. 22 نيسان عام 1925.

ويستبدلوا بالمضافات الحقول فيذهبوا إليها كل صباح ويعملوا فيها هم ونساؤهم وأولادهم إلى المساء ثم يعودوا ويتحدثوا بما عملوا في ذلك اليوم ليستفيد بعضهم من بعض، بدلاً من التحدث والاشتغال بالأمور العادية، وبدلاً من صرف الوقت بالبطالة.

في هذه القرى مزابل لو نقلت إلى الحقول لزادت في خصب الأراضي وعادت بألوف ليرات مؤلفة على الأهالي، ولكن بقاءها في أنوف السكان شاهد على كسلهم، ولقد سمعنا من كثيرين أنهم كانوا في فترة المستر بادكوك والسيد نقولا سابا قد بدؤوا بنقلها إلى الحقول؛ ولكنهم توقفوا بعد ترك هذين الحاكمين قضاء الناصرة.

الرينة

واقعة على مسافة ميلين إلى الشمال من الناصرة، جئناها صباح يوم مشياً على الأقدام، فأقبلنا عند العين التي أصلحت بمساعي السيد الكارمي، وأقبلنا على جماعة من الشبان النشيطين مستلقين على جنوبهم وظهورهم يتحدثون ويتمازحون، فهالنا أمرهم، وتجسمت أمامنا غفلتهم والخطر يدنو منهم بسرعة، فحييناهم وقلنا ماذا تفعلون هنا منذ الصباح لماذا لا تخرجون إلى الحقول وتعملون فيها؟ لماذا لا تعشبون أو تفلحون للصيفي أو تهيئون الأرض لغرس الأشجار. فأخذوا يعتذرون بأعذار واهية، وكذبوا علينا إذ قالوا لا فائدة من غرس الشجر؛ فالسيد حنا خميس غرس ثلاثمائة غرسة زيتون أكلها البقر وماتت. واتضح لنا بعد ذلك أن هذا القول غير صحيح، وأنه عذر من أعذار الكسالى، الذين يصيرون على الغالب فلاسفة ومحامين يجادلون ليسوغوا خمولهم وكسلهم.

مرض المنقلة

يظهر أن الرينة مبتلاة بمرض المنقلة[130]، فقد ذهبنا إلى بيت السيد حنا خميس فوجدناه متأثراً من العصبي وملازماً الفراش وعنده جماعة من الاختيارية حول المنقلة. فقلنا ما شاء الله الشباب يتبطحون تحت الشجر والشيوخ يتكومون على المنقلة، هكذا

[130] - المنقلة: لعبة شعبية كانت منتشرة في معظم مناطق بلاد الشام، وهي عبارة عن قطعة خشبية عرضها حوالي عشرين سنتمتراً وطولها بحدود سبعين سنتمتراً يضاف إليها قبضة شبيهة بالمثلث، سماكة اللوح الخشبي حوالي ثمانية سنتمترات وعليها صفان من النقر الدائرية، وفي كل صف سبع نقر وفي كل نقرة سبعة احجار ملساء، يلعبها لاعبان، ولها ثلاثة العاب تعتمد على الحظ [عوض سعود عوض، دراسات في الفلكلور الفلسطيني، دائرة الثقافة في منظمة التحرير، ص 74-75]

تعمر البلاد ويمثل هؤلاء الرجال تنجو من الغزوة الصهيونية. فقيل لنا إنه يوجد بضعة منقلات في البلدة، والناس يتكومون عليها ليلعبوا بها منذ الصباح فوجهنا انتباههم إلى ذلك.

أراضي الرينة

أراضيهم الوعرية واسعة وهي أغنى أراضي القرى الوعرية الصالحة لغرس الكروم والزيتون، وقلنا لو يستبدلون نقل حصى المناقل الذي يقتل وقتهم بلا طمع وفائدة بغرس الأشجار في الحقول، فلا تمضي سنون حتى يصير عندهم مئة ألف غرسة زيتون وعنب ترد عليهم عشرات ألوف الليرات، فيعمرون بيوتهم ويزينون بلدهم ويكثر عديدهم ويتأمن مستقبل أولادهم ويندفع الخطر عن أراضيهم، ويصبحون حصناً منيعاً يرد غارات الصهيونين عنهم.

عدد نفوس الرينة نحو ألف من المسلمين والنصارى، وتشد نحو 70 فداناً، وأراضي الرينة بسبب صلاحها للغرس تكفي أربعة آلاف نسمة، فعسى أن ينتبه لهذا الحاكم الإداري الجديد الهمام.

مدرسة الحكومة

في الرينة مدرسة للحكومة ناجحة مديرها رجل ناهض جداً اسمه ميشال حداد، وقد بنيت دارها بمساعي المستر بادكوك والسيد نقولا سابا. يهتم المدير بتربية الرغبة في الزراعة في نفوس الطلبة، وهذا خير ما يفعله معلمو القرى.

في هذه المدرسة فتى اسمه جميل أنسنا فيه رغبة لتعلم الهندسة الزراعية، فعسى أن يصير ركناً من أركان النهضة الزراعية في محيطه، وهو ابن السيد أيوب اليوسف من رجال الزراعة المجتهدين.

الرينة مدينة بألفي جنيه، وقد كان يجب أن يكون لها دين عدة آلاف.

في الرينة أيضاً مدرسة لدير اللاتين فيها 17 تلميذاً، أستاذها السيد نبيه راحيل ويعلم الإنكليزية فيها راهب إنكليزي.

وفيها أيضاً مدرسة للبنات فيها 32 طالبة تديرها راهبات الوردية اللواتي يشكرن على هذا العمل المبرور[131].

---

[131] - الكرمل - السنة الثانية عشرة - العدد 1103 - 25 نيسان عام 1925.

صفورية

ركبنا إليها مع السيدين الكريمين ذيب عبد الرحمن وحنا خميس من الرينة.؟
صفورية بلدة تاريخية، وقد كانت حصناً قديماً في عهد الرومانيين وبعده.

عدد نفوسها أربعة آلاف، تشد مئتي فدان وفيها نحو عشرين ألف غرسة زيتون قديمة تعطي في سني الحمل نحو 250 قنطاراً من الزيت، ولو اعتنى بخدمتها لأعطت مضاعف هذا المحصول، وفيها خمسمائة دونم بساتين.

يبلغ دينها نحو سبعة آلاف جنيه، ولعل سببه الخلافات الكثيرة التي قامت بين أهاليها وألهتهم عن واجباتهم الزراعية.

فيها بلدية رئيسها الشيخ أحمد الشريف، والبلدة نظيفة بعناية، وقد ظهر لنا أنه رجل عاقل رصين، إذا ساعدته الإدارة وعقلاء البلدة يحدث فيها نهضة زراعية طيبة.

شربنا القهوة في بيت السيد محمد الحاج، وقد سهل لنا حضرته الاجتماع بوجوه البلدة فبحثنا وإياهم كثيرا في ترك الخلافات التي خفت كثيراً عن ذي قبل. ذكرناهم أن قريتهم أكبر قرى قضاء الناصرة وأهمها، فيجب أن تكون حصن القضاء الاقتصادي والقومي، وخصوصاً لأنها بلد حمائل وأراضيها واسعة. وقد شعرنا أن فيها روح معارضة عند البعض لكل ما يقال في سبيل المصلحة والنهضة، ولعل هذه الروح تمكنت من النفوس بسبب الخصومات المزمنة. غير أن هذه الروح لا تخيف لأنها تدل على قوة في النفوس، فإذا وجهت في السبيل القويم نشأ عنها نهضة مباركة.

إلى نهضة صفورية نوجه عناية الحاكم الإداري الجديد، لأنه إذا نهضت صفورية نهضت القرى المجاورة وتحسنت أحوالها الاقتصادية وزاد عدد سكانها، وتأمنت حياة الناصرة.

مدرسة صفورية

مديرها السيد لطفي أبو غزالة ومعه معلم آخر وكلاهما مجتهدان يرغبان في ترقية الطلبة علماً وعملاً، في المدرسة 110 تلاميذ في أربعة صفوف. دخلنا على أحد الصفوف في دور الإنشاء، وكان سؤال الأستاذ ما هو الشيء الضروري لقرية صفورية؟ فرأينا أن الطالب السيد أحمد علي الموسى كتب مجيباً غرس الأشجار ومدرسة للبنات، وكتب السيد علي أحمد الحاج إصلاح الشوارع وجر الماء إلى البلدة.

برحنا صفورية ونحن نرجو لهذه القرية الكبيرة أن تصطلح حالها الاجتماعية، وأن

ترغب في غرس الأشجار لأن الرغبة في الغرس قليلة فيها. يشكو الأهالي من سماح الحكومة للغير بأن يقطعوا حطباً وفحماً من أحراشهم، ويخافون إذا بيعت رمانة وبعض كوكب أن يحيط اليهود بهم، فحثثناهم على شراء هذه القرى لأنها صغيرة كما أننا نرجو من أصحابها أن لا يبيعوا أو أن يرجحوا الوطنيين على غيرهم.

كفركنا

كفركنا على مسيرة خمسة أميال إلى الشمال من الناصرة، وهي قانا الجليل التي حول السيد المسيح الماء فيها إلى خمر.

عدد نفوسها 130 وتشد نحو 80 فدان ووعرها كوعر صفورية صالح لغرس الزيتون، وفيها بساتين رمان مشهورة وهي مجتهدة أكثر من سائر قرى الناصرة بالغرس، فقد غرست في السنتين الأخيرتين نحو ثمانية آلاف غرسة زيتون وتين ورمان، وهي مدينة بنحو ألفين وخمسمائة ليرا مصرية.

شربنا القهوة في بيت السيد مبدا العيد واجتمعنا مع بعض الوجوه ورجوناهم أن يهتموا بنزع خلافاتهم وتعليم أولادهم وتعمير أراضيهم.

لم نزر المدرسة لأنه كان يوم أحد وكانت المدرسة مقفلة.

المستر بومن والسيد شماس

ومما يذكر لمدير المعارف المستر بومن والسيد شماس مفتش المعارف في المنطقة الشمالية أننا رأينا المستر بومن والسيد شريف صبوح في جنين ثم رأينا المستر بومن والسيد شماس في مدرسة الناصرة، وسمعنا بزيارتهما لمدارس القرى التي زرناها فنشكر هذا السهر والعناية.

الخلاصة الفاجعة القومية

الخلاصة التي نوجه نظر كل وطني إليها هي أن الناصرة وما بقي حولها من القرى الوطنية البالغة العشرين أصبحت في خطر اقتصادي عظيم، فإذا لم نتلافه انتهى بفاجعة قومية، وهي انتقال القرى إلى أيدي اليهود واضمحلال الناصرة وتشتت الوطنين وانتقال الخطر إلى الأقضية الأخرى. ولا سبيل إلى تلافي هذا الخطر إلا بطرق عملية: الا وهي أن يتعاون رجال الإدارة مع الهيئات الوطنية والعقلاء والمفكرين في الناصرة وقراها على

إحداث يقظة في كل نفس من نفوس أهالي المدينة والقرى، وتنبه إلى القيام بواجباتهم والعمل الجدي للإنتاج، وإذا تنظمت حركة العمل والزرع والتزبيل والفرس تنظيماً صحيحاً لا تمضي سنون حتى تتحسن الحالة الاقتصادية في كل بيت وقرية وبالنتيجة في المدينة، فيعقبها انتظام الحالة القومية ويكثر عدد السكان ويزيد الإنتاج وتصان الأراضي وتصبح القرى المعرضة للخطر اليوم حصوناً منيعة في وجه الخصم، يرجع عنها مذعوراً كلما حدثته نفسه بمهاجمتها، وإذا بقينا على حالنا غير عابئين بما يحيط بنا ولا عاملين على تحسين موقفنا، فالفلاح يسقط ويعقبه سقوط المدني وسقوط الموظف العربي، وإذا وقع ذلك فلا نلوم إلا أنفسنا، فإلى اليقظة وإلى العمل منذ الآن، ليعمل كل واحد في واجبه وليدعُ جاره وصديقه إلى العمل[132].

من اليأس إلى الخمول

قلنا إن اليأس استولى على الناصرة وقضاها على إثر بيوع السراسقة الأخيرة للصهيونيين، ورجونا أن يكون هذا اليأس مؤقتاً وأن ينقلب فوراً إلى منبه يوقظ الناس ويدعوهم إلى النهضة وإلى التمسك بأسباب الحياة فيعمرون حقولهم ويحولون جبالهم إلى غابات شجر مثمر، وينظمون أمور معيشتهم فيستبدلون بالبطالة العمل، وباللهو الجد والنشاط، وبالفساد والقلقلة احترام المصالح والحقوق المتبادلة، والإسراف بالاقتصاد.

ورجونا من الإدارة ومن العقلاء في كل بلدة أن يرشدوا الناس إلى ذلك فما لم تتبدل الأخلاق وتنتقل الزعامة ممن يتزعمون بالفساد وبالربا الفاحش، وممن يعيشون من تعب الفقير ويحتالون على الضعفاء، إلى المخلصين العاملين بنشاط للمصلحة العامة، لا يمكن أن تنهض الأمة ولا أن تحفظ كيانها ولا أن تقاوم الخطر الذي يهددها.

انتهينا من قضاء الناصرة الذي نتمنى له الخير والنهوض ونتمنى أن يقتدي أهله بإخوانهم وجيرانهم في أقضية جنين ونابلس وطولكرم، بل نرغب في أن يذهب أناس من كل قرية من قرى الناصرة إلى الكفير والزبابدة وعتيل ودير الغصون مثلاً ليروا فيه ثمرات الاجتهاد والعمل، وليروا أن رجلاً بسيطاً عاملاً نشيطاً خير من ألف رجل مفسد لا يعيش إلا من خلافات الناس ومن «الهيلمة» على الضعفاء، كي يشاهدوا أن القيمة الحقيقية هي للرجل المنتج لا للرجل الذي يلبس البنطلون والأثواب الحريرية من أموال الغير.

---

[132] - الكرمل - السنة الثانية عشرة - العدد 1104 - 29 نيسان عام 1925.

إلى الخمول .. قرية لوبية

انتهينا من قضاء الناصرة ودخلنا في قضاء طبريا، فزرنا قرية لوبية وقد كانت أكبر قرى قضاء طبريا وأغناها، وكان أهلها كرماء أشداء غيورين شديدي التمسك بالتقاليد العربية الطيبة، وإذا بهم قد تبدلت أخلاقهم فصغرت نفوسهم وضعفت هممهم عن العمل وطالت ألسنتهم على بعضهم، ولم يعد صغيرهم يوقر كبيرهم فتولاهم الذل والخمول وعضهم الفقر بنابه، وصاروا يميلون إلى هضم حقوق بعضهم بعضاً وحقوق الغير.

فحصنا عما غرس من الأشجار في السنتين الأخيرتين في هذه البلدة التي تشد أكثر من مائة فدان، والتي تعد نحو ثلاثة آلاف نسمة، فوجدنا أنهم لم يغرسوا أكثر من ألف وخمسمائة غرسة. هالنا ما صارت إليه حالة أهل هذه القرية لأننا نحبهم ونحترمهم ونتمنى لهم كل خير، فزرنا مضافاتهم وتكلمنا معهم ولكن خيل إلينا أن القوم غارقون في خمولهم ولا يفقهون شيئاً مما يحكى لهم عن مستقبلهم، فعسى أن ينتبهوا قبل أن ينقرضوا.

[حطين]

إلى جانب لوبية حطين وهي القرية التي إلى جانبها وقعت المعركة الهائلة التي انتصف فيها السلطان صلاح الدين من الصليبيين، وكانت فاتحة لاسترداد البلاد منهم. وقد كان يجب على أهالي لوبية وطبريا وحطين والقرى المجاورة أن يعتبروا هذه الموقعة ويتعلموا منها أن الاعتماد على النفس والعمل بإخلاص يؤدي إلى أفضل النتائج. هذه القرية نشيطة بالنسبة إلى قرى قضاء طبريا ففيها مياه وبساتين وبعض أهلها من أكثر من عشرين سنة يدأبون على غرس الزيتون، ولكن أكثرهم لا يقرؤون ولا يعرفون بما يجري حولهم.

طبريا

هبطنا طبريا وهي منخفضة من سطح البحر بستمائة واثنين وثمانين قدماً، وهي في القسم الشمالي من غور الأردن واقعة على الجانب الغربي من البحيرة المنسوبة إليها، وقد كانت تدعى قديماً بحيرة جنيسارة نسبة إلى بلدة كانت تدعى بهذا الاسم.

على هذه البحيرة وإلى جوانبها صرف السيد المسيح الجانب الأوفر من حياته

العملية، وقام بكثير من عجائبه واختار أكثر تلاميذه الذين نشروا تعاليمه من صياديها، واليوم يعني بعد مرور ألفي سنة على تلك الحوادث البارزة في التاريخ الإنساني والديني والمدني، تحاول بكل وسيلة الأمة البريطانية المسيحية طمس آثار وتذكارات سيدها، لتحويل هذه البلاد إلى يهودية غير عابئة بما سيسطره التاريخ من الشهادات عليها.

بنى طبريا هيرودوس أنثيباس ابن هيرودوس الكبير الذي قتل الأطفال في بيت لحم ليقتل المسيح معهم، ولما كان قد نجا في ذلك الوقت عاد فصلبه اليهود في عهد بيلاطس البنطي أحد خلفاء هيرودس.

محاولات هيرودوس وبيلاطس والاسخريوطي واليهود في زمانهم لم تفلح في قتل المسيحية في مهدها لأنهم لم يكونوا سياسيين، ولو كانوا سياسيين كاللورد بلفور وحكومات بريطانيا التي تعمل على تطبيق سياسة صريحة لأفلحوا في مهمتهم وكفوا حكومة بريطانيا العظمى تمثيل هذه المأساة اليوم على مسرح المدنية وعلى مشهد من نحو سبعمائة مليون مسيحي.

طبريا اليوم عبارة عن بلدة عدد سكانها نحو ستة آلاف نسمة، نحو أربعة آلاف منهم يهود وأكثرهم من الذين كانوا يسكنونها قبل الاحتلال الإنكليزي، والألفان الآخران عرب أكثرهم مسلمون يعيش النصارى منهم من الصناعات البسيطة والمسلمون يعيش بعضهم من صيد السمك والبعض الآخر كان لهم نحو ستين فداناً من الأراضي باعوا جانباً منها قبل الاحتلال ليهود، وكنا نحسب أنهم يحتفظون بالباقي من بعد الاحتلال.

ولكن الأمل خاب لأنهم لا يزالون يبيعون القطعة بعد الأخرى مضطرين.

حسبنا أن عائلة الطبري الطيبة التي كان لها وجاهة كبرى في قضاء طبريا والغور بالنظر لما اشتهرت به من الكرم والاهتمام بشؤون الأهالي وفصل مشاكلهم، تتنبه إلى الخطر الصهيوني وتشعر بالمسؤولية العظيمة الواقعة عليها بعد أن تحقق الخطر وبعد أن علمت فريقاً من شبانها فأصبحوا مثلاً للنهضة الزراعية، وبدل المباشرة في غرس الشجر وتحسين تربية المواشي وإيقاظ مزارعي القضاء وإذا بهذه العائلة وأسفاه لا تزال تستعين ببيع قطع من أراضيها لسد عجز نفقاتها، ولا يهتم أحد منها بغرس شجرة واحدة أو بمشروع زراعي هام، فطبريا من حيث النهضة الزراعية والاجتماعية هي هي كما كانت قبل عشرين سنة، ولذلك فأهالي قرى قضاء طبريا الوطنيون لا يزالون كما كانوا خاملين كسالى خطر الانقراض يهددهم من كل جانب وكأنهم لا يشعرون، مع أنه كان في وسع واحد من أفراد عائلة الطبري أو من غيرهم من الناهضين أو يولدوا روحاً جديدة فيهم؛

فيعيد لهم الحياة العملية ويجدد نهضتهم الزراعية ويجعلهم أبطال إنتاج وأطواداً راسخة في أوطانهم، فعسى أن يتدارك الطبريون وغيرهم من العقلاء ما فات قبل الفوات.

لولا شيء من النمو العمراني في طبريا لقلنا إنه لا أثر للحياة فيها.

ماذا بقي

إذا استثنينا قرى المغاربة من قضاء طبريا التي يتسابق الأمير سعيد الجزائري وأصهاره إلى بيعها، لا يبقى في قضاء طبريا للأهالي سوى لوبية وحطين والحدثة وسمخ وبعض الصادية وبعض طبريا وكفركما للشراكسة ونصف جونة للإيرانيين، وقد وصفنا خمول لوبية التي لا تختلف عنها الحدثة.

الإدارة

على رأس إدارة قضاء طبريا السيد موسى ناصر، وهو من خيرة الشبان المتعلمين العاملين وذوي الإرادة الحسنة والخلق الكريم، ولكننا مع الأسف لم نر إلى الآن أثر نهضة في قرى الوطنيين بتوافق مع مقدرته، ولعل السبب في ذلك هو أنه لم يتول إدارة القضاء إلا منذ سنة، وقد كانت أشغاله في غضونها كثيرة وعدم استعداد الأهالي من جهة ووجود سلف لم يكن له في نهضة الوطنيين مصلحة. على أننا نعتقد أن هؤلاء المتعلمين على الغالب يدرسون الحالة ليرسموا لهم خطة قبل مباشرة الأعمال العملية، ولذلك نأمل أن نرى على أيديهم نهضة محسوسة مستعجلة، فالبقية الوطنية في قضاء طبريا مثلاً تحتاج إلى عناية إدارية فوق العادة لتحفظ كيانها، ونحن لا نتمنى لهذا العمل الخطير أفضل من السيد موسى ناصر[133].

المدارس في طبريا

في طبريا رجاء بالمدارس أن توقظ الشعور وتنبه إلى الواجب.

فمدرسة الصبيان مديرها السيد موريس خباز ومعه خمسة معلمين، وعدد التلامذة 146 في ستة صفوف. شكا المدير من آباء التلامذة أن كثيرين منهم يخرجون أولادهم حالما يبلغون الثالثة عشرة من عمرهم ولم يتموا دروسهم الابتدائية.

---

[133] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1105 . 2 ايار عام 1925.

ليس في المدرسة كشافة، وهذا مما يوجب الأسف ولكنها تهتم بتعليم الأولاد مبادئ الزراعة العملية.

مدرسة البنات

مديرتها الآنسة هيلدا نصار والمعلمة الأولى معها الآنسة زكية قعوار، عدد الطالبات 111 في خمسة صفوف، سررنا جداً بهذه المدرسة لأننا رأينا فيها ترتيباً ونظافة واجتهاداً أكثر مما توقعنا، ورأينا عناية خاصة بتعليم الخياطة والتفصيل واهتماماً بوضع مبادئ تدبير المنزل في رؤوس الطالبات. نتوقع من هذه المدرسة ومن غيرها من مدارس البنات خصوصاً أن يخرجن لنا جيلاً من البنات يعرف ما الواجب ويعمل لإتمامه، فحينئذ يرى الوطن أبناء بررة يخدمونه بأعمالهم وقلوبهم، غير من يراهم اليوم يخدمونه بألسنتهم ليشقوه ويضيموه بأعمالهم.

حمامات طبريا

إلى جانب طبريا من الجنوب حمامات معدنية شهيرة اعتنى بها الرومان والعرب والصليبيون وأرسل مياهها المرحوم الدكتور داود طرنس إلى أحد المعامل الكيميائية الشهيرة في اسكوتلندا فحللت وتحليلها لا يزال موجوداً في المستشفى الاسكتلندي بطبريا، وقد وجدت نافعة جداً للأمراض العصبية والجلدية والتورمات، وكان في وسع البلدية ولو كان في طبريا بلدية صالحة أن تبني هذا الحمام على الأصول، وتبني حوله نزلاً وتعلن عنه وتجعل بسببه وبسبب نشوفة مناخ طبريا مشتى لجميع أصحاب الأمراض العصبية والجلدية في العالم.

الإرسالية الاسكتلندية

أرسلت إحدى الجمعيات الخيرية الاسكتلندية منذ أكثر من 35 سنة إرسالية تبشيرية وطبية إلى طبريا وعهدت بإدارتها إلى رجلين طبيبين فاضلين المستر بوين سابقاً، وهو الدكتور بوين رئيس الجمعية اليوم، والدكتور داود طرنس فقام هذا بإدارة الأعمال الطبية وكان جراحاً ماهراً وعاملاً مجتهداً محباً للخير ولمواساة الفقراء، كما أن المستر بوين لا يزال أنقى مثال للإخلاص وبطلاً من أبطال الإنسانية، فعمل هذان الاثنان مع امرأتيهما اللتين فقدتا حياتهما في طبريا ومع أعوان لهما قاموا من اسكتلندا أيضاً سنين

طوالاً أشهروا فيها هذه الإرسالية في مقاطعات طبريا والناصرة وصفد وعكا ونابلس وجنين وجبل عجلون وحوران، وخدموا خدمات جليلة، ولكن اتّباع السياسة الصهيونية تكاد وأسفاه تقضي على تلك السمعة وعلى تلك الجهود التي بذلتها الإرسالية على الرغم من كونها مستمرة.

لقد بنت الإرسالية دوراً ومستشفى يديره الآن الدكتور طرنس الشاب وشقيقته نجلا الدكتور طرنس الكبير المتوفى.

لم نتوفق لزيارة المستشفى أثناء زيارتنا لطبريا لنكتب عنه كلمة مشاهدة عيان، ولكننا نعتقد أن نجلي الدكتور يسيران في إثر والدهما البار وعلى مبادئ جمعيتهما التي كان لها تأثير علينا في محبة البريطانيين واحترام مبادئهم، ولكن السياسة جاءت لتزيدنا اختباراً وتعلمنا أن نفرق فيما بين العلم والإنسانية البريطانية وبين السياسة البريطانية.

الحديث ذو شجون. عساه يتذكر

ترى أيذكر الدكتور بوين رئيس الجمعية اليوم الذي رافقناه منذ نحو ثلاثين سنة لحضور حفلة عيد السمرة حديثاً دار بيننا لما مررنا بمرج ابن عامر، إذ قال ما معناه لو أن هذه الأراضي بإدارة دولة أجنبية لكانت مورداً كبيراً للثروة ومظهراً من مظاهر العمران، فقلنا ما معناه كل ما نتمنى أن نبقى نحن ودولتنا العثمانية، فإذا جاءت دولة أجنبية وجاءنا معها المستعمرون يستولون على أراضينا قبل أن نعرف قيمتها، ونصير لهم عبيداً أما مع الدولة العثمانية فإنا نتقدم وإياها ببطء ونحتفظ بأراضينا، وإذا لم نبلغ من الرقي والعمران الغاية المطلوبة فاولادنا يبلغونها وينعمون بميراث آبائهم وأجدادهم. عساه يتذكر هذا الحديث الذي جرى بيننا في حين لم يكن هو ولا نحن نعلم أن حكومة بلاده ستكون يوماً القوة الإجرائية المنفذة لهذه السياسة الجائرة، أو كما نراها نحن الممثل لدور الجندي الروماني الذي ساق السيد المسيح قبل ألفي سنة إلى الصلب.

سمخ

بلدة واقعة على شاطئ البحيرة الجنوبي وهي المحطة الجديدة لصفد وطبريا وجبل عجلون، عدد سكانها نحو 1500 تشد 115 فداناً أهلها من خيرة المهاجرين المغاربة ومن مزارعي الأهالي الطيبين، فهم عاملون نشيطون ومقتصدون ولذلك لا تجد عليهم ديناً كسائر قرى المزارعين، ويؤمل بعد أن تطوبت أراضيهم أن يعمروها، وخصوصاً ما يروى

منها، تعميراً حسناً على سكة الحديد ولكون أهلها نشيطين ولا خلاف بذلك، مع أن سماسرة بيع الأراضي هم لعنة على بلادهم، ونحن نأمل من عقلاء المزارعين أن يجمعوا كلمتهم وينشطوا الضعيف منهم ولا يتركوه عرضة ليلعب به النافعون الذين لا يعيشون إلا على قبور أممهم.

مدارس سمخ

في سمخ مدرستان ابتدائيتان واحدة أميرية وأخرى أهلية، وسمخ تحتاج إلى أرقى منهما وإن كان المعلمان مجتهدين من الواجب أن نذكر المعلمين وأهل التلامذة دائماً بأننا نحتاج إلى مدارس عملية تعلمنا على الخصوص مبادئ الزراعة ومبادئ الاقتصاد، لا إلى مدارس تعلمنا حفظ الأشعار والأناشيد وقليلاً من العلم الذي ينفخنا ويطيرنا من البلاد.

شكاوي سمخ

عسى أن تكون الحكومة نظرت فيما قدمناه إليها من شكاوي [أهالي] سمخ الذين يطلبون وضع الكرنتينا على الحدود، و[يطلبون] من السكة الحديدية أن نُسيِّج الخط حوالي البلدة، و[يطلبون] من العسكرية أن لا تمنع الأهالي من المرعى في الأراضي التي سلموها لها ولو ليلاً.

وفي الختام نبارك لأهالي سمخ بتطويب أراضيهم وندعوهم للمحافظة عليها، وقطع نفوذ وتأثير السماسرة منها، وتعميرها ليكونوا قدوة صالحة للغور، فإلى الأمام أيها المزارعون النشيطون[134].

بين طبريا وصفد

تصعد الطريق من طبريا أو من الجليل السفلي إلى صفد وفي الجليل الأعلى نحو 3200 قدماً في مسافة نحو عشرين ميلاً فكأنك بقطع هذه المسافة تصعد من أجمل مشتى في العالم إلى مصيف عال في الجبال، وتمر الطريق بالمجدل على مقربة من طبريا، وهي بلد مريم المجدلية إحدى مريمات السيد المسيح، وقد باعها أنجال عبد الغني باشا

---

(134) - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1108. 17 ايار عام 1925.

بيضون إلى اليهود قبل نحو عشرين سنة، كما أن المرحوم والدهم باع أربعين فداناً من أراضي لوبية قبل نحو ثلاثين سنة، ولم يستلم اليهود هذه الأراضي إلا في العام الماضي. ولم تكن الصهيونية في ذلك الزمن معروفة وكانت غاياتها مستورة وكان الناس يصدقون ما يقوله زعماء اليهود عن أنهم يشترون بعض الأراضي ليسكنوا المضطهدين الفارين من روسيا واللاجئين إلى حمانا، طمعاً بمكارم أخلاقنا وحسن ضيافتنا.

ثم تجتاز الطريق الغوير أو الغور الصغير وقد باع جانباً منه علي آغا الكردي، أحد أعيان عكا لليهود منذ عهد قريب وبقي الجانب الآخر لأصحابه عرب السمايرة، ولأهالي قرية الرامة وللطابغة.

إن هذه البيوع سواء قديمة أم حديثة العهد كلها تؤيد نظرية الفيلسوف تولستوي على أن الأرض يجب أن تبقى ملكاً للفلاح الذي يفلحها ويزرعها ويستثمرها بيده، لأنها حالما تنتقل إلى أيدي التجار والمضاربين لا يهمهم إلى من يبيعونها. ولولا بيع التجار لليهود لما بلغ كل ما يملكه اليهود مما اشتروه منذ أربعين سنة إلى الآن من الفلاحين عشرين ألف دونماً، ولبقيت فكرة الوطن القومي خيالية. إذاً فاستيلاء التجار على الأطيان حرب على الوطنية وعلى الحقوق العمومية يجب أن تتحاشاها الحكومات والشعوب.

بعد الغوير تمر الطريق إلى جانب الطابغة وهناك دير لإرسالية ألمانية يظن أنه قائم على آثار بيت صيدا[135]، وإلى جانبها تلحوم أو كفر ناحوم المذكورة في الإنجيل، وهناك أيضاً إرسالية إيطالية لها أبنية قائمة إلى جانب الدير، أما أراضي العريان والصفديين فهي لا تزال كما عرفناها منذ ثلاثين سنة وتكاد تكون مهملة.

تصعد الطريق من تلحوم إلى الجاعونة وهي مستعمرة يهودية قديمة أجريت فيها بعض تجارب صناعية وزراعية من قبل الحرب فباءت بالخسارة، شأن سائر المستعمرات القديمة التي إذا رأيت فيها شيئاً من آثار العمران أو التقدم فاعلم أنه ناشيء عن الإعانات الكبيرة التي كانت تعطى للمزارعين، إما من البارون روتشلد[136] أو من جمعية الأيكا[137].

---

[135] - تم حسم الجدل حول مدينة بيت صيدا في أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، عندما تبين ان موقع التل على الجانب الشمالي الشرقي من بحيرة طبرية في الجولان السوري المحتل هو موقع مدينة بيت صيدا موطن تلاميذ السيد المسيح يعقوب ويوحنا واندراوس وبطرس وفيليب

[136] - البارون إدموند جيمس روتشيلد، اقتصادي ورجل اعمال، وأهم المشاركين في تنمية المشروعات الصهيونية في فلسطين وهو احد افراد اسرة روتشيلد، اشهر العائلات اليهودية المصرفية في العالم استقبل إدموند روتشيلد مشروع هرتزل في اول الأمر بفتور لاعتقاده ان فلسطين لا يمكن ان تستوعب هجرة جماعية ضخمة، وان إقامة دولة صهيونية قد يدعو كل المعادين

صفد

ومن الجاعونة تصعد الطريق إلى صفد، ويرجح أنها كانت مدينة قديمة، وأنها هي المدينة التي أشار إليها السيد المسيح في موعظته على الجبل «قرون حطين»[138] إذ قال لا يمكن أن تخفى مدينة قائمة على جبل.

كان أكثرية سكان صفد قبل الحرب من اليهود ولكنهم نزحوا في غضونها، فتناقص عددهم كثيراً وصارت البلد عربية.

في القضاء نحو 80 قرية وعدد سكانه نحو 35 ألفاً منهم نحو ستة آلاف يهود، أما نسبة الموظفين العرب إلى اليهود كنسبة 16 عرب إلى 7 يهود.

الحالة الاقتصادية

كما ذكرنا في رحلتنا السابقة سنة 1922 أن صفد تعيش من التجارة مع الجولان وبلاد بشارة، وأنها بسبب الحواجز السفرية خسرت جانباً كبيراً من موارد تجارة الحبوب

للسامية للمطالبة بطرد اليهود من البلاد التي يعيشون فيها، وكان يرى أن المشروع الصهيوني برمته غير عملي، وكان يفضل ان تتم عملية الاستيطان في فلسطين بشكل هادئ وتدريجي إلا انه كان مهتماً باعمال الاستيطان التي كانت تتم في فلسطين على يد حركة احباء صهيون، وقام بدعمها عن طريق المنح المالية، ومساهمته الكبيرة في المشاريع الاستيطانية اليهودية في فلسطين ففي عام 1882م، وهي السنة نفسها التي احتلت بريطانيا فيها مصر، نظّم البارون إدموند روتشيلد اول هجرة جماعية يهودية إلى فلسطين وفي الوقت نفسه، كانت اسرة روتشيلد، قد بدأت في جمع تبرعات ومساهمات طائلة لشراء اراضٍ في فلسطين، وكانت الواجهة الظاهرة لهذه العملية، مؤسسة للاستثمار في مجال الأراضي الزراعية في المشرق العربي وخلال عشر سنوات، اكتمل إنشاء عشرين مستعمرة كبيرة، ومستعمرات اخرى صغيرة وقد وصل إنفاق إدموند روتشيلد على المستوطنين خلال الفترة (1883 - 1899) حوالي 1.600.000 جنيه إسترليني، وقد اشترى روتشيلد ارضاً في فلسطين اواخر عام 1883م لإقامة مستوطنة زراعية نموذجية لحسابه الخاص أطلق عليها اسم والدته، كما ساهم في إقامة صناعات كثيرة لليهود في فلسطين، فقد اسس صناعة الزجاج والنبيذ وزيت الزيتون وعدد من المطاحن في حيفا وملاحات في عتليت، وساهم في تأسيس هيئة كهرباء فلسطين عام 1921م ولم يقتصر نشاط إدموند روتشيلد على الجانب الاقتصادي فقط، بل اسهم في برامج التعليم اليهودي، ومنها مساهمته بالمعونة اللازمة لإنشاء أول جامعة عبرية في القدس، وفتح عدد من المدارس التلمودية وبناء عشرات من المعابد اليهودية وقد وصل حجم رعاية روتشيلد ودعمه للمستوطنات إلى الحد الذي اكسبه لقب «ابو اليشوف» أي ابو المستوطن الصهيوني واستخدم نفوذه للحصول على موافقة فرنسا على وعد بلفور وعلى إدخال فلسطين تحت الانتداب البريطاني وقد اسس روتشيلد عام 1924م جمعية الاستيطان اليهودي في فلسطين .وفي عام 1929م عين رئيساً فخرياً للوكالة اليهودية التى كانت قد انشئت قبل ذلك بسنوات قليلة

[137] - وتسمى شركة إيكا وهي واجهة من واجهات حركة شراء الأراضي التابعة للحركة الصهيونية

[138] - قرون حطين هي التلال المشرفة على قرية حطين، ولا علاقة لصفد بها، لأن صفد كمدينة لم تنشأ إلاّ بعد استيلاء الصليبيين عليها ثم استعادتها منهم في عهد السلطان الظاهر بيبرس، الذي يعد المؤسس الأول لهذه المدينة عندما اصبحت في عهده مملكة تضم الجليل الفلسطيني وجنوب لبنان ومعظم الجولان

والصوف والسمن ورجونا من الإدارة يومئذ أن تسعى من أجل دفع الضرر في تسهيل السفر والمعاملات، فوجدنا في هذه المرة أن الحكومة قد اتفقت مع السلطة الفرنساوية على أن أهالي قضائي صفد وعكا من فلسطين وأهالي أقضية القنيطرة وصور ومرج عيون من سوريا، يسيرون على قاعدة حسن الجوار أي يسافرون من قضاء إلى آخر من هذه الأقضية كلما شاؤوا بجواز يعطى مجاناً مرة واحدة للعمر[139]، فحمدنا المسعى وإنا لنرجو أن لا تقتضر هذه المعاملة على الأقضية الواقعة على حدود البلدين بل أن تتعدى إلى كل سوريا والشرق العربي [شرق الأردن] وفلسطين لأن هذه بلاد واحدة في اقتصادياتها ومناسباتها ومعاملاتها، وإن فصلت السياسة بينها فلا يجوز الفصل في الاقتصاديات ولا وضع الحواجز السفرية بين الأهل والجوار.

أما أهالي صفد فنشيطون جداً في العمل لأنهم من أبناء الجبال والمناخ يساعدهم، غير أن طريقة العمل عندهم أصبحت تختلف عما كانت عليه قبل الحرب، ويجب أن يعودوا أنفسهم على طرق راهنة صحيحة كتعمير الأراضي وغرس الأشجار وإتقان زراعة التبغ وتصنيعه، والتجارة الحقيقية كتجارة الحبوب والسمن والأقمشة وغير ذلك. وأول ما يجب أن تنصرف أنظار عقلاء الصفديين وعقلاء أهالي قراهم إلى تكثير الإنتاج، فمتى زاد الإنتاج كثرت الأشغال التجارية وغيرها، وأهم عامل لزيادة الإنتاج هو تكثير الفرس، وما دامت الحكومة أخذت تشوقهم وتساعد على تنظيم حركة بناء الطرق فيجب أن يغنموا فرصة وجود حاكم المنطقة الشمالية والمفتش المستر بادكوك وحاكمهم الإداري رفيق بك، لأن هؤلاء الثلاثة شديدو الميل إلى العمران

---

(139) - وقع الانتدابان الفرنسي والبريطاني اتفاق تحديد الحدود الذي عقد في عاليه بلبنان في 23 حزيران عام 1925، اتماماً للاتفاق المؤرخ بـ 2 شباط 1922. وقد اشار نص الاتفاق المذكور إلى الوضع المأساوي المعقد الذي خلفه قرار تحديد «التخوم السورية الفلسطينية»، والمقصود هنا سهل الحولة والجولان تحديداً. وقد حاولت الحكومتان البريطانية والفرنسية تجاوز هذا الوضع، بإقرار عدد من القرارات تتعلق بسهولة الحركة على جانبي الحدود، وإتاحة إمكانية اختيار الجنسية السورية او الفلسطينية لأبناء هذه التخوم السورية الفلسطينية، بعد ضم الحولة إلى قضاء صفد ومما جاء في نص الاتفاق: «يسهل للأهالي الواقعين على جانبي الحدود السير من ملحقات منطقة عكا وصفد إلى قضاء صور ومرجعيون والقنيطرة والعكس بالعكس ولهذه الغاية سيستعاض عن طريقة الجوازات الحالية رخص او تذاكر هوية موقع عليها من قبل السلطات الإدارية في المقاطعات والأقضية اما شكل هذه الرخص وقوانين استعمالها، فسيعين باتفاق متبادل فيما بين السلطات لأجل إعطائهم هذه الجوازات في كلتا الحكومتين وتعفى حاصلات المقاطعات والأقضية المذكورة اعلاه الطبيعية، ومصنوعاتها المحلية التي ينقلها زارعوها او صانعوها او من هم في خدمتهم، من المعاملات الجمركية ورسوم الجمرك لدى اجتيازها الحدود، إذا كانت معدة للاستهلاك من قبل العائلة القاطنة في مقاطعات واقضية صور ومرجعيون والقنيطرة وعكا وصفد، ما لم يشتبه بسوء استعمال [مجلة العاصمة، (الجريدة الرسمية) العدد 257، 31 اب 1923م]

ويرغبون في تنشيطه فعسى أن يسرع الصفديون لبناء الطرق التي تربطهم بصور وبالقنيطرة، كما بنوا بنشاط حصتهم من الطريق التي تربطهم بعكا، لأن الطرق تساعد كثيراً على العمران ورواج التجارة وتنشط الزراعة وتوفر وقت الفلاح وتسهل عليه نقل حاصلاته.

مما يذكر أن الاستعمار اليهودي بدأ في صفد منذ أربعين سنة وإلى الآن لم يقو اليهود على أخذ أكثر من 12 مستعمرة صغيرة من ثمانين قرية[140]، من قرى هذا القضاء وهذه معظمها أخذوها من اصحاب الجفالك لا من المزارعين مما يدل على متانة موقف الأهالي في الشمال، ومما يشجع ضعاف المبادئ الذين ظنوا أن البلاد راحت بمجرد ما باع سرسق وتويني والأمير سعيد وغيرهم من أصحاب الجفالك بضع قرى. ومما يخرس السماسرة الذين يستهوون البسطاء بتضليلهم ويقولهم لهم الأفضل لكم أن تبيعوا فالبلاد راحت والثمن الذي تقبضونه اليوم لا تحصلون عليه فيما بعد أقاويل كاذبة من أفواه خائنة يجب على كل وطني أن يصم سمعه من دونها وأن يتمسك بأراضيه ويعمل لاستثمارها فالأرض فردوس المجتهدين.

مستقبل صفد

لصفد مستقبل مجيد إذا عرف أهلها كيف يغتنمون الفرص، فوجود مستر بادكوك مفتشاً ورفيق بك حاكماً إدارياً وكلاهما يرغب في إنهاض الزراعة وبناء الطرق وهذا يساعد أهالي صفد على تنظيم حركة نهضة كبيرة للعمران. ويساعد على هذه النهضة وجود علي رضا بك النحوي في صفد، وهو من ذوي الاختصاص بالإدارة وقد مارسها بنجاح عدة سنين، وفي كل قضاء أو متصرفية تولى إدارتها خلف آثاراً عمرانية يشكر عليها، فإذا وضع يده أثناء وجوده بصفد في يد الحاكم الإداري والمفتش يستطيعون وضع بروغرام [برنامج] جديد للطرق والماء والغرس وغير ذلك، ويستطيعون مباشرته بسهولة لوجود المعرفة وقوة الإرادة والنفوذ الحسن على الشعب، وهكذا يضعون أساساً قويماً لمستقبل صفد الزاهر.

ويسرنا أن يكون هذا البروغرام قد وضع وبوشر العمل في بعضه، فقد أخبرنا المستر

---

(140) - الفارق بين عدد قرى صفد في رحلة نجيب نصار الأولى عام 1922 والبالغ حينها ستين قرية، كما قال هو والعدد الحالي اي ثمانين قرية في عام 1925 يعود إلى ضم سهل الحولة إلى قضاء صفد خلال اتفاقية نيوكومب – بوليه لعام 1923م إذ كان سهل الحولة في معظمة يتبع قضاء القنيطرة، وجزء منه يتبع قضاء مرجعيون

بادكوك أن الطريق من صفد إلى جهة عكا توزعت على القرى وأكثرهما أتمت بناء حصصها، وبعضها على وشك الإتمام، وحصة بلاد صفد من هذه الطريق عشرون كيلومتراً، والحكومة تقدم المراقبين والأدوات والبارود لنسف الصخور والهندسة وتبني الجسور والعبارات والأقسام الصعبة من الطريق، والأهالي يفتحون الطريق ويرصفونها بالدبش ويحشونه بالصرار، ويضعون عليه ترابية فتدحله المداحل. أما التعبيد بالصرار فيبقى إلى عام آخر.

وبما أن صفد توشك أن تتم حصتها فقد بقي على أهالي عكا أن يبادروا إلى بناء حصصهم بالرغبة نفسها والنشاط الذي ظهر في صفد، وخصوصاً لأن المسجونين سيبنونها على ما سمعنا؛ من عكا إلى سيجور.

طريق آخر

وأخبرنا المستر بادكوك أن في النية الشروع ببناء طريق من صفد إلى عين الزيتون فالراس الأحمر، والفرنساويون يبنونها من صور إلى بنت جبيل فحدود قَدَس*[141]. فتتصل صفد بقراها الشمالية وبقرى بلاد بشارة إلى صور.

الماء

والبحث جار عن الماء لصفد في بيرية وأراضيها.

الغرس

وقد أخبرنا رفيق بك، ويظهر أنه على تفاهم مع المستر بادكوك، أنه عازم على جعل الغرس إجبارياً في قضاء صفد، وبما أن أراضي بلاد صفد قابلة للشجر نأمل، إذا لم تضع دائرة الزراعة قوانين تعرقل سير الغرس وتربط أيدي الحكام الإداريين الذين يقومون بوظائفها، نأمل أن نرى جبال بلاد صفد غابات جميلة ينطق حفيف أشجارها دوماً بالثناء على رجال العمران النشيطين.

وأبلغنا رفيق بك أن في نيته تأليف لجان صلحية في القرى لتحل خلافات الأهالي

---

[141] - وردت في النص القدس وهو خطأ نسخي، والصحيح قَدَسْ وهي قرية تقع في أقصى شمال قضاء صفد وكانت مدينة عظيمة قبل الفتوح الإسلامية وحتى الحروب الصليبية، عندما تراجع دورها لتحل صفد محلها كمركز لعموم المنطقة

وتعمل على نهضة قراها، وإنا على ثقة بأن آراء علي رضا بك وخبرته تفيدان كثيراً في هذه الأمور وتساعدان على تنفيذ هذه الخطط بنشاط[142].

صفد أيضاً . اتفاقية الأعشار

لم يكف أن البلاد الواحدة تجزأت بفضل السياسة والنفوذ، فبعض القرى أيضاً تجزأت إذ وقع بعض أراضيها في منطقة النفوذ الفرنساوي والبعض الآخر في منطقة النفوذ الإنجليزي ومن هذه القرى ما وقعت أبنيتها في إحدى المنطقتين وأراضيها في المنطقة الأخرى[143]، وكل ما فعلت الإدارتان على ما نعلم أنهما اتفقتا على كيفية جباية الأعشار في مثل هذه القرى على أن تجبي الإدارة التي تكون أبنية القرية واقعة ضمن حدود منطقتها أعشار تلك القرية، وفي نهاية السنة تجري المحاسبة بين المنطقتين على ما جبته كل واحدة من مثل هذه القرى، وتحسب النسبة ولكن هب أن إحدى القرى كانت واقعة ضمن حدود منطقة وكانت أراضيها واقعة ضمن الأخرى وحصل اعتداء على مزروعات أو أغراس تلك الأراضي من أناس في المنطقة التي فيها أبنية القرية، فأين ترى الدعوى أفي محل وقوع الجرم أم في محل إقامة المدعي والمدعى عليه؟ نعتقد أن الظروف التي ولدتها مناطق الانتداب تحتاج إلى شرائع شتى جديدة فهل لجمعية الأمم أن تدرس هذه الحالة التي تظهر بحد ذاتها طفيفة ولكنها في الحقيقة تقلق السكان على الحدود وتزعجهم كثيراً بما تولده من المشاكل؟ أوليس الأولى بالدول المنتدبة أن تتساوى فيما بينها فلا تشطر القرى إلى شطرين وتضعها تحت انتدابين أو بالحري تحت حكومتين شرائعهما مختلفة؟.

الجمرك وجواز السفر

شكا الأهالي في صفد مما كانوا يعانونه من متاعب جوازات السفر إلى القرى المجاورة، ولكنهم شكروا الإدارة على اهتمامها بجعل السفر في الأقضية المتجاورة حراً بجواز مجاني يخدم حامله بصورة دائمة، ونحن نشارك الأهالي في الثناء على الإدارتين من هذا القبيل، ونكرر رجاءنا بطلب رفع الحواجز السفرية بين سوريا وفلسطين والشرق

---

(142) - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1109 . 20 ايار عام 1925.

(143) - هذه المشكلة بقيت مستمرة حتى عام 1967 في منطقة الحولة والجولان، ابتداءً من الحمة والتوافيق جنوب بحيرة طبريا وحتى بانياس عند اقدام جبل الشيخ، ولم تحسم تابعية الكثير من الأراضي ولا جنسيات اهاليها، الذين ما يزال الكثير منهم يحملون جنسيتين سورية وفلسطينية

العربي تسهيلاً للتجارة والمعاملات بين الأهل والجيران ذوي العلاقات الكثيرة بعضهم مع بعض.

أما الجمرك فعلى الرغم من التسهيلات التي أجراها المستر بادكوك، فحواجزه لا تزال تحتاج إلى الدرس والتسهيل خصوصاً في مسائل المواشي والخضار والفواكه.

صفد بندر

كانت صفد بندر بلاد بشارة والجولان، أما الآن فقد خسرت بسبب التجزئة والرسوم والحواجز الجمركية جانباً كبيراً من أهميتها التجارية، وانتقل السوق بعضه إلى القنيطرة والبعض الآخر إلى بنت جبيل، فرطل السكر الناعم يباع مثلاً في بنت جبيل والقنيطرة بستة غروش ونصف، وفي صفد بتسعة غروش ومثل ذلك قُلْ عن عدة أصناف، وضعت حكومة فلسطين عليها ضرائب ثقيلة كالكبريت والتنباك وغير ذلك.

فهذه المعاملات وإن كانت تتفق مع الغاية الصهيونية، إلا أنها تمس السمعة البريطانية مساساً كبيراً وخصوصاً لأن البريطانيين اشتهروا بغيرتهم وحرصهم على ترويج التجارة.

تقع معاملات في الجمرك لا بد من السهر عليها لحمل المأمورين على اجتنابها، فقد قيل لنا مثلاً إن السيد محمد عبد الغني الأسدي اشترى عباءة من الشام، ودفع عليها مائة وخمسين غرشاً سورياً رسم جمرك، ولما استلمها وجد فيها عيباً فأعادها لتصلح، ولما أعيدت إليه أخذ عليها رسم آخر قدره أربعون قرشاً مصرياً.

فهذه المدينة في الداخلية تحتاج لتحفظ مركزها ولتنمو إلى محافظة، وإلى تسهيل المواصلات النقلية والمعاملات الجمركية، وتحتاج إلى تكثير إنتاج القرى التابعة لها، فهذا كله يجري الاهتمام به من قبل المستر بادكوك المفتش ورفيق بك بيضون الحاكم الإداري، ولا ننس أنه كان للسيد خليل عبد النور حاكم صفد سابقاً، والناصرة حالياً أيادي بيضاء على الأمور العمرانية في صفد.

الصحة العمومية

الصحة العمومية في قضاء صفد الأصلي جيدة جداً، ولولا حوادث ملاريا مزمنة لأمكن القول إنها أصبحت معدومة.

أما في قضاء الحولة الذي ألحق من عهد حديث بقضاء صفد، وحيث توجد

مستنقعات كثيرة، فالملاريا لا تزال موجودة بكثرة. في صفد نفسها نسبة المواليد إلى الوفيات كنسبة 2 إلى واحد . أما في القرى فنسبة المواليد كنسبة 3 إلى واحد من الوفيات. أما في الشتاء الماضي فقد زاد معدل الوفيات بسبب انتشار الأنفلونزا وتداعي القرى وقلة الأطباء فيها . يمكن القول أن الصحة العمومية في قضاء صفد في تقدم مستمر.

زراعة التبغ

التبغ مورد من موارد قضاء صفد الرئيسية، ولكن القانون الجديد وفشل المزارعين في السنة الماضية سيمنع كثيرين منهم من زرع التبغ، فالرجاء بالإدارة أن تنظر في انتقادات الأستاذ حسني بك عبد الهادي على هذا القانون، والرجاء من شركة تعاون الزراع أن تقدم ملاحظاتها للحكومة بهذا الصدد .

تربية النحل

اتصل بنا أنه صار عند اليهود نحو أربعة آلاف صندوق نحل تربى على الطريقة الفنية، وقد أعطت في سنة 1924 القليلة الأمطار والأزهار ستين ألف كيلو عسل، ومتوسط ثمن الكيلو بلغ سبعة غروس فتكون غلة الأربعة آلاف صندوق نحو أربعة آلاف ومئتي جنيه، فلماذا لا يهتم الأهالي بهذا المورد؟ نحن بحاجة إلى تكثير الإنتاج أكثر منا إلى تكثير الكلام. هذا السيد عفيف عبد الهادي في جنين يعنى كثيراً بتربية النحل، فلماذا لا يقتدي به كثيرون ويتعلمون منه؟.. فهو لا يبخل بالإرشاد على أحد . يجب أن نفتش عن الموارد ونستثمرها إذا كنا نتطلب حياة صحيحة. إن الأمة النشيطة تبحث عن جميع الموارد الاقتصادية وتستثمرها وتجتنب البطالة وكثرة الإنفاق.

خلاصة القول في صفد فرصة سانحة نعيد ذكرها ليعتبرها عقلاء الأهالي، ألا وهي وجود المستر بادكوك ورفيق بك ووجود علي رضا بك النحوي مؤقتاً في صفد، الذي نرجو من جنابه أن يستعمل نفوذه الموروث عن المرحوم والده الكريم ونفوذه الشخصي للتأثير على الأخلاق، فالأخلاق أساس لكل نهضة اقتصادية أو اجتماعية أو قومية، وبلا أخلاق لا يمكن للأمة أن تنهض بسرعة مهما كانت إدارتها طيبة، ومتى وضعت قواعد لتحسين الأخلاق يسهل كل عمل عمراني لأن الأخلاق مع سهر الإدارة توطد الأمن وتوجد الثقة وتحسن المعاملات[144].

---

[144] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1110 . 27 ايار عام 1925.

صفد. القلعة

في صفد قلعة جميلة يرجع أنها كانت في عهدي الإسلام والصليبيين، وقد حصنها الضواهرة[145]، واقعة في أجمل وأعلى مركز من المدينة المحيطة بها من كل الجوانب.

وضعت حكومة فلسطين يدها على هذه القلعة، مع أنها بموجب القانون العثماني المصدق من مجلس المبعوثين والمقترن بإرادة سنية ملك للبلدية، فلو تركتها الحكومة للبلدية التي إذا كان لها رئيس عمراني نشيط متعلم ومتفرغ يستطيع أن يجعل منها حديقة غناء تكون متنزهاً من أجمل متنزهات فلسطين الصيفية، وقد تكون من العوامل التي تنبه إلى جعل صفد مصيفاً للأغنياء من المصدورين وأصحاب الأمراض الجلدية، الذين لو بنيت حمامات طبريا المعدنية على طراز فني لاتخذوا طبريا مشتى وصفد مصيفاً، ولكن يظهر أن الحكومة اختارت لبلدية صفد رجلاً طيباً بسيطاً تشغله مشاغله التجارية عن الشؤون البلدية.

إن صفد تحتاج إلى بلدية نشيطة متعلمة لتكثر وارداتها وتجعل منها متنزهاً جميلاً يقصده الناس في الصيف، ولتجعلها مركزاً تجارياً في الداخلية ومبعثاً للإلهام العمراني والاقتصادي، فلا يزورها مزارع أو شيخ قرية إلا ويرى من آثار العمران والتشجير والتنسيق والتنظيم في أحيائها وشوارعها وعلى جوانب طرقها ما يوحي إليه بالدروس والعبر العملية المؤثرة، فيذهب إلى بلده ويحمل أهلها على التشبه فتعمر القرى وعمرانها يفيد المدينة ويكثر وارداتها.

نقول ليس على حساب بلدية صفد بل على حساب بلديات سوريا وفلسطين والشرق العربي كلها. إننا نريد من البلديات أن لا تكون ماكنات قديمة خربة تضع ميزانيات بالمعاشات والتنويرات والكناسة، وتظن أنها قامت بالواجب. البلديات في القرى والمدن يجب أن تكون كأمثلة الحياة والعمران والتنظيم، والرئيس أو العضو الذي لا يستطيع أن يكون قدوة ومعلماً للنهضة والعمران يجب أن لا يشغل الوظيفة. نحن مع حكومة لا تنظر إلى البلديات كمأموري زبالة، بل تنظر إلى البلديات كأحسن مثال يدل على الشعب، فالعضو أو الرئيس الصغير الذي يمثلنا جموداً وجهلة وأمواتاً يجب أن يستقيل، وإذا لم يفعل يجب أن تقيله الأمة.

الحكومة في صفد تحض الأهالي الآن على بناء الطرق وتشرف عليهم وتنظم حركاتهم، والحكومة عاملة على مساعدة البلدية وإرشادها لجلب الماء لصفد، وهذه مشاريع خطيرة يشكر عليها المفتش المستر بادكوك والسيد خليل عبد النور الحاكم

---

[145] - اي ابناء ظاهر العمر.

الإداري السابق، كما يشكر عليها رفيق بك الحاكم الحالي لأنه ساع بنشاط لإكمال هذه المشاريع وغيرها . فعلى البلدية أن تنظم الداخل وجوانب الطرق، وعليها أن تسعى لاسترداد القلعة وتحويلها إلى حديقة جميلة. وعليها أن تسعى بتكثير وارداتها وأن تقوم بكل ما ينمي التجارة، ويرغب الناس على القدوم إلى صفد وبكل ما يبعث حياة ونشاطاً في أهل القرى.

صفد والمدارس

في صفد ثلاث مدارس للصبيان، الأولى يديرها محي الدين الحاج عيسى وفيها 175 طالباً في ستة صفوف وعدد أساتذتها سبعة، والثانية مديرها الأستاذ سعيد أفندي مراد وعدد تلامذتها 160 في أربعة صفوف. والثالثة مدرسة تحضيرية أستاذها الشاب النشيط السيد صلاح الدين النحوي، ونعتقد أن هذه المدارس ناجحة وأساتذتها جميعهم مجتهدون وساهرون على واجباتهم.

بمناسبة المدارس نريد أن نكرر النصيحة دائماً أننا نرغب في تفهيم التلاميذ أنهم يتعلمون ليعملوا لا ليصيروا موظفين، فالوظائف لا تعمر البلاد ولكن الزراعة والفنون العمرانية كالهندسة والكيمياء العملية والتجارة الأصولية ترقي البلاد . نريد من المدارس عملة يفهمون في الحقول وفي التجارة وفي الكيمياء وفي الميكانيكيات. نحن لا ننتظر تعليم هذه الفنون من المدارس الابتدائية، ولكننا نرغب في توليد الرغبة فيها وفي تعليم مبادئها ومبادئ الاقتصاد . وبما أننا رأينا نشاطاً وسهراً وحسن إدارة من أكثرية المديرين والمعلمين في المدن والقرى التي زرناها، تجاسرنا ونتجاسر على تقديم المزيد من النصائح، لأننا ننتظر ممن يشتغلون في التعليم أن يخرجوا لنا جيلاً جديداً بمبادئ وأخلاق ورغبة في الأعمال الجدية، تكفل ثبات العنصر العربي في معترك التنازع.

مدرسة البنات

أما مدرسة البنات التي تديرها كريمتا الأستاذ فارس وبعض المعلمات الأخريات فقد رأينا فيها تقدماً بيناً منذ زرناها في سنة 1922 وبهذه المناسبة نشكر إدارة المعارف على اتخاذها لهذه المدرسة محلاً غير الأول.

بعد زيارة مدرسة طبريا ومدرسة صفد للبنات أستطيع أن أقول إن بنات المستقبل في بعض المدن، بفضل بعض المعلمات سيكن عوناً على تعمير البيوت وتنظيمها وتدبيرها

تدبيراً حسناً، ويهيئن الأولاد للمدارس تهيئة حسنة من حيث التربية والاستعداد لقبول التعليم، ولا بد من القول لمعلمات مدرستي طبريا وصفد إننا نشعر منذ الآن بأن البلاد تشكر لهن عملهن الصحيح، وسهرهن واجتهادهن على تقويم الأخلاق وتعليم البنات أن يكن كما يجب.

الكلية الاسكتلندية

في صفد مدرسة داخلية باسم الكلية الاسكتلندية واقعة في الغزاوي، أحسن موقع في صفد، وفي بناء صحي جميل للغاية مناظره جيدة والشمس والهواء يتخللان جميع غرفه وحوله حديقة فسيحة مفروسة أشجاراً.

فتحت هذه الكلية الجمعية البرسبتيرية الاسكتلندية[146] وعهدت برئاسة المدرسة وإدارتها للمستر سمبل وهو عالم فاضل ورياضي ممتاز، وعامل نشيط منصرف انصرافاً كلياً لهذه المدرسة ويجتهد في أن يجعلها معملاً حقيقياً للرجال من حيث العلوم العملية الرياضية والكيميائية والطبيعة، وللمدرسة عناية خاصة بالعربية وبتاريخ العرب وبالإنكليزية. زرنا هذه المدرسة وصرفنا فيها أكثر من ساعتين بين الصفوف وفي غرف التدريس نشاهد العمليات الكيميائية التي يفهم بوساطتها التلامذة دروسهم. خرجنا منها ونحن معتقدون أنها من المدارس القليلة أو بالحري النادرة التي يعول عليها في تربية الأولاد الأخلاقية والصحية، وفي تعليمهم علماً صحيحاً فنشكر المستر سمبل والمسز سمبل على عنايتهما وخدمتهما الشريفة للبلاد.

وإلى جانب هذه الكلية مدرسة أخرى داخلية للبنات لا تقل العناية فيها بالتعليم والتدريب عن أختها كلية الصبيان، فنوجه أنظار الوالدين إلى هذه المدارس.

آثار المجلس الإسلامي الأعلى

رأينا بدلالة السيد عبد الرحمن النحوي آثاراً طيبة للمجلس الإسلامي الأعلى في صفد، فقد رمم الجامع الأحمر ومدرسته، وأرسل دراهماً لبناء مقام العلامة صلاح الدين الصفدي[147].

---

(146) - هي ما تعرف بالعربية بالكنيسة المشيخية

(147) - ابو الصفاء صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبدالله الالبكي الصفدي الشافعي ولد في صفد سنة 696هـ. ولد لاسرة ثرية من اسر المماليك فقد كان والده اميراً. كانت موهبة الصفدي الادبية الثقافية، اول ما ولي كتابه الدرْج [وهو

مدرسة ميرون

لسنا نعلم سبب إقفال مدرسة ميرون من قبل دائرة المعارف، مع أن الأهالي قدموا داراً موافقة للمدرسة ريثما يتم بناء دارها.

الخلاصة

في صفد وقضاها إدارة طيبة وأهالي نشيطون إذ حصلوا على التدريب الكافي.

قضاء صفد هو الصلة بيننا وبين قضاء صور ومرجعيون والقنيطرة من أقضية الأم سوريا، فعلى أهاليه أن يحتفظوا به ولا يمكن الاحتفاظ به إلا بتعليم الجيل المقبل تعليماً عملياً وبتعميره بالغرس وبإحياء الموارد الاقتصادية كلها وبتعمير الطرق وبنزع جميع الخلافات.

وعلى الإدارة أن تعمم التعليم في القرى وتختار المختارين النزيهين الأذكياء وأن تلاحظ العدل في التخمين.

كما أن البلدية تحتاج إلى هيئة كبيرة بهممها، قوية بإرادتها، خبيرة بمعارفها وتجاريها، لتكون قدوة للأعمال العمرانية، وبصورة مخصوصة نرجو من الإدارة أن تحافظ على[148] معنويات الأهالي ورعاية عزة نفوسهم وأن يراعى ذلك في الأمور الصغيرة والكبيرة معاً[149].

غور بيسان

غور بيسان من سمخ على شاطئ بحيرة طبريا الجنوبي إلى بحيرة لوط [البحر الميت] طوله نحو 40 ميلاً إنكليزياً[150]، وعرضه يختلف بين ثلاثة وثمانية أميال، ويشطره

جدول فلكي فيه مواقيت الصلاة وتاريخ الأيام ومطالع الشمس والقمر] بصفد، ثم بالقاهرة، وباشر كتابة السر بحلب وقتاً، وبالرحبة وقتاً، والتوقيع بدمشق ووكالة بيت المال، واستمر بهما حتى وفاته، وتصدى للافادة بالجامع الأموي وتوفي الصفدي بدمشق، في ليلة الاحد العاشر من شوال سنة 764هـ بمرض الطاعون، ودُفن بمقابر الصوفية في دمشق من مؤلفاته (التذكرة الصَفديَة) او الصَلاحيَة، وهي اكبر موسوعة ادبيَة وتاريخيَة الّفها الصَفدي، وتزيد عن ستَة واربعين جزءاً، ولم يُطبع منها غير «المختار من ديوان شمس الديْن بن دانيال»، وهو الجزء الرابع عشر. إضافة إلى (الوافي بالوفيات)، و(أعيان العصر وأعوان النصر)، و(ألحان السواجع بين البادي والمراجع)، ومؤلفات أخرى زادت على الثلاثين

(148) - في النص: ترمي بمحافظة

(149) - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1111 . 27 ايار عام 1925.

(150) - الميل الإنجليزي، في نظام الإمبراطورية البريطانية يقابل 1760 ياردة او 5280 قدم و بالضبط 1609،344 م.

نهر الأردن إلى شطرين فالشطر الشرقي واقع في منطقة الشرق العربي والشطر الغربي في فلسطين.

الغور أوطأ نقطة في العالم لأن أوطأ نقطة فيه عند البحر الميت أوطأ من سطح البحر بألف وثلاثمائة قدماً وأعلى نقطة عند بيسان، ولعلها أوطأ من سطح البحر بستمائة قدم.

كان الغور في عهد الرومانيين وفي صدر الإسلام يدعى إهراء سوريا، ويوسيفوس وجيروم ويوسيبيوس[151] ومؤرخو الإسلام والصليبيون يذكرون فيه غابات النخيل الكبيرة وشجرة البيلسان، وفيه آثار عمليات ري كبيرة من عهد الرومانيين وفيه بقايا معاصر قصب سكر كثيرة.

خلاصة القول: إن الغور كان ولا يزال من أخصب بقاع الدنيا والحرارة فيه تساعد على سرعة نمو المزروعات والأشجار ونضوج الأثمار باكراً، بحيث يمكن بيعها بأسعار غالية.

وقاعدته منذ القديم بامسان أو بيسان التي اتخذها اليونان عاصمة للمدن اليونانية العشر التي كانوا يسمونها الديكابوليس ومن يرغب في معرفة أهمية بيسان فما عليه إلا أن يزور الأكروبوليس أو الحصن الذي بني لحمايتها على التل الواقع بجانبها، وأن يزور بعض المدن العشرة التي كانت تابعة لها كطبقة فحل وأم كيس وجرش وعمان فيحكم بما كانت عليه بيسان من عظمة العمران، ولا عجب فالمدينة المتوسطة في سهل خصيب كالغور، والتي هي مركز تجارة جبال عجلون يمكن أن تكون بما كانت سابقاً من أجل وأعز وأكبر المدن الداخلية.

بعد بيع السراسقة والتوينية وغيرهم أكثر أراضي المرج، وبعد استيلاء الصهيونين على جانب من الشواطئ البحرية، لم يبق للأهالي سوى الأراضي الجبلية والغور، فالغور اليوم حصننا الاقتصادي المنيع وهو فضلاً عن ذلك الجزء الذي يمنع توسع الصهيونية وامتدادها إلى الشرق العربي، فكل من يسهل للعدو التقدم نحو الغور من السماسرة أو من باعة الأراضي يخون القومية العربية والمبادئ الوطنية خيانة كبرى، ويجب أن يسجل اسمه في سجل الخونة إلى يوم يصح فيه الحساب.

وهو لا يزال شائع الاستعمال في البلدان الانغلوساكسونية

[151] - يوسيفوس: مؤرخ يهودي معروف عاصر سقوط القدس بيد الرومان، وجيروم او يرونيموس: مؤرخ كنسي عاش في بيت لحم في القرن الرابع الميلادي ووضع ترجمة لاتينية للكتاب المقدس في القبة كنيسة المهد، وله تأليف في سير القديسين وتاريخ الكنيسة اما يوسيبيوس او يوسابيوس القيصري فهو من مدينة قيسارية الفلسطينية واشهر مؤرخي الكنيسة في القرن الرابع الميلادي

لا تقتصر الخيانة على من يبيع أو من يسمسر بالبيع، بل تتعدى إلى كل من يملك أراضي في الغور ولا يعمرها ويستثمرها أحسن استثمار.

وتتعدى بصورة أخص إلى كل من يستطيع إيقاظ الأهالي وحملهم على التشجير والتعمير ولا يفعل، الحاكم الإداري ووجوه الأهالي والمهندسون الزراعيون ومعلمو المدارس ودعاة الوطنية، كلهم مسؤولون عن العمل لتعمير أراضي الغور وتشجيرها لتكثر وارداتها، عندها يستطيع أصحابها الاحتفاظ بها.

الخمول مسيطر على أهالي الغور وإيقاظهم يحتاج بادئ بدء إلى مجهودات عظيمة جداً، ومتى ذاقوا حلاوة ثمار العمل يستغنون عن كل تشويق.

لو كان الذين عمروا بيسان بالعظمة التي تشهد بها آثارها، والذين استثمروا الغور كما تشهد بذلك مطاحن السكر وبقايا غابات النخيل وعمليات الري، لو كانوا كسالى مثل أهالي الغور اليوم لما عمروا ولما صار الغور مخزناً لسوريا.

مدير الإدارة

مدير الإدارة في بيسان يجب- إذا كان عاقلاً وكبير النفس- أن يفكر أنه جالس على كرسي خلفاء الإسكندر[152]، ومن واجبه تحويل الغور إلى جنة وجعل بيسان مدينة غنية عامرة زاهرة، وأن يكهرب الناس ويحولهم إلى أبطال عمران ورجال نهضة قومية واقتصاد. مدير الإدارة في الغور إذا لم يعمل لإعادة بيسان إلى سابق حالها في عهد الرومان فهو غير كفؤ للإدارة.

المدير الذي يقيم في الغور قاضي لصوص، ورئيس كسالى، ويكثر حوله السماسرة والبياعون، خير له أن يستقيل ويطلب العيش من عمل آخر، لأنه لا يجوز لامرئ أن يشغل مركزاً فيه قابلية للعمران ويبقيه خراباً. لا يجوز للمدير أن يتولى حماية حصن وطني ويدع الخونة والكسالى يسلمونه وعينه ترى، خير له إن كان شريفاً وعاجزاً أن يستقيل ويلقي التبعة على غيره من أن يتحمل مسؤولية ضياع الوطن من أجل راتبه. كلامنا موجه إلى السيد عارف العارف[153] لأنه معروف بكونه وطنياً وهو مدرب على الإدارة، وها هو ذا في بيسان قد وضع على المحك، فأعماله سوف تبرز شهرته الوطنية وكفاءته أو تقضي عليهما.

---

(152) - في النص خلفاء الإسكندرية ولا معنى للعبارة عند ذلك، أما للإسكندر فالمعنى هنا يستقيم فمدن الديكابوليس كانت تحت سلطة خلفاء الإسكندر البطالمة، ونظن الخطأ مطبعياً.

(153) - سبق التعريف به في الرحلة الأولى عام 1922م عندما كان مساعداً لحاكم جنين

كان قبله رفيق بك بيضون، وقد سعى لتوطيد الأمن ولكنه لم يستطع أن يعمل كثيراً في سبيل العمران لأن الأراضي لم تكن مطوبة بعد، أما اليوم فقد بوشر التطويب فعسى أن لا يباشر البيع على الأثر وتسود صحيفة السيد عارف ورؤسائه. المديرون مسؤولون عن النهضة الاقتصادية والعمرانية، . المديرون من واجباتهم العمل لإسعاد الناس في أوطانهم، لا العمل لإشقائهم وحملهم على بيع أراضيهم والرحيل عن بلادهم، فلسوف نرى موقف السيد عارف بإدارة الكولونل سيمس كيف يكون في الغور.

بروغرام الحاكم

سألنا السيد عارف عن بروغرامه فقال إنه لم يضعه بعد لأنه كان قد جاء جديداً إلى بيسان لما زرناها، ولكنه يفكر في بناء الجسر الذي يربط بيسان بالشرق العربي من أجل المواصلات، وينوي الإسراع في بناء الطريق من البلدة إلى المحطة وفي بناء المدرسة التي جمع الجانب الأوفر من المال لبنائها الحاكم السابق رفيق بك، وينوي تأليف شركة لشحن الحليب في قطار الليل إلى حيفا ليباع فيها، قلنا له: هذه فكرة حسنة وجديدة، وقال إنه سيهتم بغرس الشجر. ويلاحظ أن الأهالي تنبهوا لهذا الأمر لأنهم صاروا منذ الآن يتنازعون على مياه الري.

قلنا له: هذا يجب أن يهتم له كثيراً في الغور ليقوم به الأهالي على مقياس واسع، ويجب أن يجرب غرس النخيل المصري والعراقي. وأن لا ننتظر تدابير إدارة الزراعة، لأنها برهنت إلى الآن أنها بطيئة. وغرس بيارات البرتقال بشرط أن تحمى البيارات من العوامل المناخية بغرس الكينا أو الحور والعنبر على دوائرها، وكذلك الموز.

أما الزيتون والعنب فيجب أن يغرس في الأراضي الوعرية، وإنا نقول بلسان الجميع سامح الله إدارة الزراعة بما تنفقه من الرواتب فقط.

نرجو منها أن لا يسمح لبعض موظفيها بوضع العراقيل في سبيل الناس، فالقيود والرسوم على أغراس الزيتون كثيراً ما يتخذها بعض الموظفين الغيورين سبباً للعرقلة، فلا يسلمون المزارع ما يريده في الوقت المحدد، وقد يعطلونه مع حيواناته الآتية للنقل ويجدون أسباباً مختلفة لجعله يسأم ويترك الغرس.

إن كانت الإدارة تغار على الأحراش فقد أهلكت كثيراً منها بما تعطيه من الرخص للفحامين، والذي نعتقده أن إيجاد الأحراج الجوية من الزيتون افضل كثيراً من أن تبقى شجيراته برية في الأحراش، فغاية ما نرجو من الإدارة أن تترك التحكم البارد في أغراس الزيتون البرية.

نحن نعلم أن للمستر سوير إرادة حسنة جداً، فنرجو منه أن يبذل كل ما في وسعه ويستعمل كل نفوذه لحماية النهضة الزراعية من النفوذ الصهيوني المعاكس.

وقد قال لنا حضرة حاكم بيسان الجديد أنه سوف يهتم بالدرجة الأولى بتأمين الأمن أساس العمران، فعسانا نرى من إدارة السيد عارف ومن مساعده الكولونل سيمس ما يزيل المخاوف القائمة في النفس على الغور. نحن ثقتنا بالمستر سيمس وبالسيد عارف كبيرة فعسى أن تتحقق الثقة وأن لا يضعف الأمل ببقاء الغور أرضاً عربية معمرة[154].

غور بيسان أيضاً

في بيسان حركة مباركة تدل على وعي الناس للغرس، فقد تجددت بضعة بساتين في هاتين السنتين وزرع عدد من شجر الزيتون، ولذلك نأمل أن تنمو هذه الحركة ويتسع نطاقها وتمتد إلى العشائر والقرى في الغور، وأن يكون الحاكم الإداري السيد عارف العارف مشرفاً عليها ومنظماً لها فنرى في الغور قبل مضي زمن غابات نخيل وبيارات برتقال وحقول زيتون وموز وخضار من جميع الأنواع، وحينئذ يصح القول إن هناك وطنية عملية مثمرة تختلف عن وطنيات الاحتجاجات والوطنيات الكلامية.

مدارس بيسان

في بيسان مدرسة للصبيان لم نزرها لأنها كانت مقفلة على إثر قدوم اللورد بلفور ثم فتحت، ولم نزر أيضاً مدرسة البنات.

بلدية بيسان

بلدية بيسان نظيفة، وقد ساعدت على تجفيف المستنقعات وذكرنا عمل رئيسها من هذا القبيل في حينه. إلا أننا نأمل من الحاكم أن يرشده على طرق التجدد العملية وينبهه إلى واجب مثال النهضة الأعلى.

الصحة العمومية

كانت بيسان مشهورة بأنها مركز لوباء الملاريا، أما اليوم فالصحة تتقدم فيها تقدماً مستمراً، وقد أصبحت نسبة المواليد إلى الوفيات كنسبة 3 إلى 1 بعد أن كانت

---

(154) ـ الكرمل ـ السنة الثانية عشرة ـ العدد 1112 ـ 3 حزيران عام 1925.

واحداً إلى واحد في السنة الماضية، وكثرة المواليد تدل على تحسن في صحة الرجال والنساء، ولا غرو فالعناية التي يبذلها الدكتور حداد في مكافحة الملاريا ومقاومة سائر الأمراض وتجفيف المستنقعات تستحق الشكر والتقدير. ويصح القول إنه هو الرجل الذي يجاهد في سبيل إتمام واجباته في بيسان.

غير أننا نتمنى من الصحية أن لا تتسامح مع الجمعيات اليهودية في مد نفوذها إلى دوائرها، فالمستخدم المرسل من قبل إحدى هذه الجمعيات مهما كان سهر طبيب الصحية عليه شديداً لا بد أن يجد طرقاً يضيق بها على الأهالي ليلهيهم عن أعمالهم ويكثر الجزاءات عليهم. يكفي الصحية ما تنفق من أموال البلاد فلا حاجة إلى الاستعانة بالجمعيات اليهودية.

اتفاقية الغور

نحن حمدنا الإدارة على عقدها اتفاقية الغور واعترافها للأهالي بحقوقهم في الأراضي، واعتقدنا يومئذ بحسن نيتها ونحب أن نبقى على هذا الاعتقاد، فنأمل أن لا تغير الإدارة شيئاً في شروط الاتفاقية مما يسهل بيع الأراضي قبل تسديد أقساطها كلها، لئلا يقال إن الحكومة اتخذت من أصحاب الحقوق في الأراضي سلماً، وطوبت الأراضي وقسطت أثمانها عليهم وسمحت لهم ببيعها قبل وفاء الأقساط حتى يبيع الأهالي الفقراء الذين لا يعرفون قيمة الأراضي، والذين أفقرهم الدين وأذل نفوسهم الاستبداد، وأضعفت آمالهم سياسة الحكومة الحالية الصهيونية، وبهذه الوسيلة تكون الحكومة خدمت الصهيونية فينتقل حق أصحاب الأراضي الأصليين في دفع بدل التطويب أقساطاً إلى الجمعيات الصهيونية، وبهذه الوسيلة تكون الحكومة خدمت الصهيونية أعظم خدمة على حساب الأهالي، إذ تكون سهلت لها امتلاك آخر بقعة خصيبة في فلسطين؛ يعلق الأهالي آمالهم بالبقاء في بلادهم عليها بأسهل الطرق وبواسطة الأهالي.

إن جواب وزير المستعمرات لوفد الصهيونية المتعلق بأراضي الغور يدعو إلى الشك والتخوف، وعلى كل نأمل أن تكون شكوكنا ومخاوفنا في غير محلها.

كما أننا نأمل من العقلاء والمسؤولين والحكام الإداريين أن يقوموا بما يجب عليهم لإحياء النهضة الزراعية والاقتصادية ولتنظيم حياة الأهالي الاجتماعية فيمتنع البيع في الغور.

مخاوف أخرى

يشاع أن في نية الحكومة أن تبيع سوق بيسان، ويخاف الأهالي من أن تكون الحكومة عازمة على بيعه صفقة واحدة، فحينئذ لا يتسنى لغير إحدى الجمعيات الصهيونية شراء السوق المذكور.

إن كانت الحكومة تنوي بيع السوق حقيقة فمن الواجب عليها احتراماً لمصالح السكان الأصليين ولحقوقهم الأولية[155] ومراعاة لمقدرتهم المالية أن تبيع كل دكان على حدة، لتمكن كل واحد من الباعة أو التجار أن يشتري له دكاناً ولا يضطر إذا اشترت الصهيونية السوق أن يصفي بضاعته بأبخس الأثمان، ويخسر ديونه ويرحل من أجل السياسة الصهيونية.

غريب والله أصبحت معيشة أهالي فلسطين العرب كلها مخاوف في مخاوف على الرغم من التصريحات الرسمية المطمئنة، فهل للإدارة أن تسير على خطة عملية توافق التصريحات الرسمية فتعيد شيئاً من الطمأنينة إلى نفوس الأهالي، وعلى كل حال يجب على الأهالي أن يسهروا على هذه المسألة ومسألة الترخيص ببيع الأراضي قبل تسديد الأقساط، فإذا تحققوا شيئاً منها يجب أن يعلموا الصحف ويستعدوا لرفع شكواهم إلى وزارة المستعمرات والبرلمان الإنكليزي وجمعية الأمم.

عرب البشاتوه

زرنا بعد بيسان عرب البشاتوة، ففريق الشحيمات غربي الأردن وفريق الشمالي منهم في شرقيه أحسنوا إلينا في مدة الحرب وخبؤونا أكثر من شهرين من وجه جمال باشا الكبير، ولذلك فنحن نحب هذه العشيرة محبة خاصة ونعترف بفضلها علينا ونرغب في زيارتها وتفقد شؤونها كلما لاحت لنا فرصة.

مع الأسف لم نر سوى تقدم يسير في الغرس عند فريق الشحيمات، فقد أنشأ أحد شيوخهم ضاهر أفندي المثقال بستاناً صغيراً، ولعله يعتني به أكثر في المستقبل ويكون قدوة لغيره.

أما الشيخ علي الشمالي في شرقي الأردن فقد غرس بستاناً كبيراً وغرس بضع مئات أغراس زيتون، وكذلك فعل كثيرون من مشائخ الغزاوية وصخور الغور[156] بفضل

(155) - في النص: وحقوق اولويتهم

(156) - عرب البشاتوة وعرب الغزاوية وعرب صخور الغور هم اشهر القبائل البدوية في منطقة الغور، ويذكرهم اكثر

مساعي ركابي باشا[157] واجتهاد الموظفين المحليين في حمل الأهالي على تنفيذ رغائب حكومة الشرق العربي العمرانية، وجدنا الفقر مخيماً على البشاتوه والخوف سائداً من تأخر المطر الذي تلفت بسببه أكثر المزروعات الشتوية، وقد عول كثيرون منهم على زرع قليل من الذرة ليقتاتوا بها في الصيف.

لا نظن أن المطر المتأخر أفاد مزروعات الفور كثيراً لأن أكثرها كان قد جف قبل سقوطه.

نكبة الشحيمات

بتنا تلك الليلة في بيت الشيخ فايز الشحيمات، ولما كان الوقت ضيقاً أرسلنا في طلب الشيخ علي الشمالي من خيمته في شرقي الماء لنراه ونسأل عن أحواله، فقدم وصرفنا ليلة أنس تذكرنا فيها الماضي وتحدثنا عن الأحوال الحاضرة، ولم يخل الحديث من شجون. فقد قص علينا شيوخ الشحيمات نكبتهم يوم سرقت خيل السيد مبارك الزعبي من سيرين في العام الماضي، وكيف أن الحكومة غلطت بتميينها مقتفي الأثر الذي أتبع أثر خيل من البشاتوه كانت في جسر المجامع، فظنها أثر الخيل المسروقة حولت بخيلها، وشددت عليهم النكير وأهانتهم وساقت بقرهم وغنمهم إلى بيسان، وحبسته عنهم نحو أسبوع حتى ظهرت خيل السيد مبارك المسروقة في الفحيص في الشرق العربي، وقد رووا لنا أنه لحقهم من الخسارة في هذه المعاملة أكثر من ستمائة ليرا ثمن ما خسروه من الحليب وما مات من البقر والغنم، وما أنفقه أصحابها على أنفسهم لما تبعوها إلى بيسان وقيمة ما تعطلوه عن الأعمال، فنرجو نظر الكولونل سيمس إلى هذه المسائل لتؤخذ عبراً

الرحالة الغربيين الذين زاروا المنطقة في القرن التاسع عشر.

[157] - ولد علي رضا باشا الركابي بدمشق في عام 1886م، وينتمي إلى اسرة دمشقية عريقة، عقب إعلان الثورة العربية الكبرى، ودخول الجيش العربي دمشق، عين رضا الركابي حاكماً عسكرياً للمنطقة الشرقية اي سوريا الداخلية تمييزاً لها عن المنطقة الغربية اي سوريا الساحلية التي تمثل لبنان وفلسطين ولواء اسكندرونة وجبال اللاذقية عندما اعلن المؤتمر السوري استقلال سورية، وتسلم زمام الحكم الأمير فيصل بن الحسين، ونودي به ملكاً على سوريا، عهد إليه بتشكيل اول وزارة عربية، فتسلم الركابي زمام الأمور، وشكل الوزارة، ولقب بالحاكم العسكري بعد معركة ميسلون غير المتكافئة، ودخول القوات الفرنسية إلى دمشق، وانتهاء العهد الفيصلي، رحل رضا الركابي إلى مصر. وانتقل منها إلى الحجاز، وهناك كلفه الشريف حسين بالذهاب إلى الأردن، لمساعدة ولده الأمير عبد الله بتأسيس وإدارة دولة شرقي الأردن عهد في عمان إلى الركابي في الثاني عشر من آذار 1922 الحكومة الأردنية الأولى وفي اوائل عام 1924 دعي رضا الركابي ثانية إلى تشكيل الوزارة في الأردن فاستجاب لهذه الدعوة، وشكل الوزارة ثانية وظل في منصبه هذا إلى حزيران من عام 1936، حيث استقال، وانتقل للإقامة بين حيفا والقدس طوال سنتين ونصف السنة وتوفي عام 1942م، بعد ان عانى من المرض طويلا، واصيب بالشلل

للمستقبل، فتتحاشى الإدارة إلحاق الضرر بالأبرياء، بينما تكون تسعى للحفاظ على الأمن وإرهاب الأشقياء، ولو أن الحكومة في ذلك الوقت لمجرد اشتباهها حبست رأسين من جياد الخيل بدل كل رأس مسروق، وتركت البقر والغنم ولم تسمح للبوليس بإهانة الأشخاص، لكان الضرر أخف، وجاز من أجل حسن القصد أن تتسامح في احتمال العمل وعدم الإشارة إليه ولو كان غير قانوني.

سيرين

زرنا بعد البشاتوة قرية سيرين، وكانت مشهورة بقمحها وسمسمها الجيدين وبإقبال مواسمها، أما اليوم يعني من بعد الاحتلال فقد خيم الفقر عليها، ولو أن المستر أمري زار بضعة قرى مثل سيرين وطلب بياناً بما كان يعطي فدانها من السمسم والقمح قبل الحرب، وبما صار يعطي بعده لصحح نظريته من حيث موقف البلاد الاقتصادي، ولم يستدل بالسيارات وبعض البيوت التي تتبنى على تحسن الحال الاقتصادية.

مدرسة سيرين

في سيرين مدرسة ابتدائية عدد تلامذتها 41 أستاذها شاب نشيط اسمه السيد عبد الله فرج، وهو يعلم الطلبة النشاط ويغرس في نفوسهم حب العمل مع تعليمهم مبادئ القراءة والكتابة والحساب والجغرافيا. وفي سيرين نهضة للغرس بفضل الشاب الناهض السيد مبارك الزعبي أكثر الله من أمثاله في القرى.

الخلاصة

الخلاصة أن الغور جورة ذهب وأهله كسالى، ولاستخراج الذهب من الأرض يجب أن يكون مديرو الإدارة والقادة قادرين على التأثير على الأخلاق وتبديلها، قادرين على إيقاظ الهمم قادرين على جعل كل فرد من الناس يعرف قدرة نفسه وواجبه ويقوم به.

إن كان في الأمة العربية جوهرة فأول ما يجب أن تظهر في الغور. فالغور يتطوب وحاكمه يقول عن نفسه ويقول عنه الناس ونقول عنه إنه وطني غيور، فعسى أن تتحقق الأقوال كما نرجو أن تتحقق الظنون الطيبة بالإدارة فلا تبرهن أن أعمالها هي غير أقوال رجالها المسؤولين، الذين لم ينشف بعد تصريحهم الذي سجلناه بأنهم يريدون أن يحفظوا

للعرب وطنهم القومي في فلسطين قبل كل شيء آخر، فعسى أن يحفظوا لهم في الغور ولكن ليس كما حفظ لهم في المرج.

وآخر كلمة نقولها للسيد عارف العارف حذار حذار من أن يهرب الغور من تحت كرسيك[158].

شفا عمرو

بعد أن زرنا بيسان اضطررنا أن نقيم في حيفا أياماً لنقضي مع أولادنا القادمين من المدارس فرصة العيد الكبير، فزرنا في غضون هذه المدة شفا عمرو وعبلين.

أما الطريق المؤدية إليهما فتمر في أراضي جدرو وكفراتا والدار البيضاء، وعلى مقربة من الحارثية وهي قرى لسرسق باعها إلى اليهود، ويتوسط في إغراء فقراء الأهالي المزارعين فيها على التنازل عن حقوقهم في هذه القرى على ما بلغنا بعض أعمدة الوطنية وأهل الوجاهة، فهل للإدارة أن تظهر بمظهر الوصي العطوف على هؤلاء القاصرين وتنزع مداخلات هؤلاء الوطنيين في شؤونهم، وتحافظ على حقوقهم ولا تسمح بإخراجهم من الأراضي التي يعيشون منها إلا بعد أن تؤمنهم في أراضي يزرعونها ويعيشون منها. نعتقد أن هذا من قوانين الإدارة التي ارتأى وضعها بعض رجالها المنصفين. فالمرجو تطبيقه وعدم ترك المزارعين البسطاء آلات بيد السماسرة، فالمزارعون جهلاء والسماسرة نفعيون، والإدارة الحكيمة الغيورة لا تترك هؤلاء الجهلة تحت رحمة النفعيين، إلا إذا كانت الإدارة تريد منا أن نعرف حقيقة من نزعُمهم.

شفا عمرو

عدد سكانها نحو 2500 نسمة نصفهم نصارى والنصف الآخر دروز ومسلمون. تشد 150 فداناً وتعطي خمسمائة قنطار زيت، يبلغ معدل مدخول شفا عمرو من الزيت والقمح والسمسم والبطيخ والفحم والكلس 12 ألف جنيه في السنة، فيكون معدل مدخول كل نسمة خمس جنيهات، وهذا قليل جداً بالنسبة إلى ذكاء الشفاعمرين وقابلية أراضيهم

---

[158] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1113 . 6 حزيران عام 1925.

وخصوصاً للزيتون. فقد رأينا أنه يمكن بسهولة لأهالي شفا عمرو أن يبلغوا محصول زيتونهم إلى ثلاثة آلاف قنطار زيت بدلاً من خمسمائة قنطار.

مشكلة الأراضي

في شفا عمرو مشكلة وأراضٍ مزمنة بين مسلمي شفا عمرو ودروزها، وبين السيد صالح المحمد من وجوه المكاويين.

وتحرير الخبر كما رواه لنا بعض الأهالي الحياديين أن نصف هذه الأراضي يخص النصارى، وقد أخذت منهم الحكومة السابقة أربعة آلاف دونم وأعطتها لمهاجري المغاربة الذين سكنوا خربة هوشة.

أما النصف الآخر فقد كان قبل الطابو بتصرف الدروز، ولما لم يكونوا يفلحون ويزرعون منه إلا جانباً يسيراً أخذ المسلمون يزرعون جانباً منه لأنهم اعتبروه محلولاً، وتصرفوا به طويلاً فخاف الدروز العاقبة وخشوا أن يستولي المسلمون على معظم أراضيهم أو جميعها، واتفقوا مع صالح أفندي المحمد على أن يعطوه نصف الأراضي المحلولة ليطوبها عليه ويطوب على الدروز النصف الآخر، وينزع يد المسلمين عنها، ومن هنا تولدت مشكلة أراضي شفا عمرو، والتي أزمنت وكبدت صالح أفندي ومسلمي شفا عمرو نفقات ومتاعب كثيرة، وأشغلت المحاكم مدة طويلة وإلى الآن لم تتحل، فعسى أن تحلها الإدارة الحالية حلاً حاسماً عادلاً يتصافى فيه المتخاصمون، فينقطعوا إلى أشغالهم ويتخلصوا من تكبد النفقات والمصارفات الكثيرة.

الأحراش

لا تزال الحكومة مصرة على الاستيلاء على الأحراش على الرغم من عدم وجود أحراش للحكومة في كل فلسطين، ولو وجد شيء من ذلك لكان له قيود في الطابو، والطريقة التي استولت بها الحكومة على الأحراش هي في نظرنا غير قانونية لأنها نزعت يد الأهالي عنها ووضعت يدها عليها بالقوة، وقالت إن كان للأهالي حق فليقيموا الدعاوي على الحكومة، في حين أنه كان يجب على الحكومة أن تقيم هي الدعاوي على ما تظنه ملكاً للحكومة لتثبت ملكيتها وإن كان لها ملكية بأحكام محكمة، ما دام لا يوجد في يدها كواشين طابو ولأنها لم تتصرف ولا تصرفت الحكومة التي تقدمتها بالأحراش.

وقد وضعت الإدارة الأحراش تحت مراقبة المستر وايزمان، وكفى بالاسم دليلاً على ما تنويه من الاستيلاء عليها.

كان الأهالي منذ سنة 1908 اتفقوا فيما بينهم على تقسيم الأحراش إلى قسمين، قسم يترك للاحتطاب والفحم والمرعى وقسم يصان. فوضعوا على هذا القسم من ذلك الوقت حراساً وصانوه، ولكن أيدي الفحامين صارت تصله بفضل إعطاء رخص إدارة الأحراش.

معمل الجبن

في شفا عمرو وعبلين مرعى جيد للماعز ويمكن أن يتأسس فيها معمل للجبن، على شرط أن يشدد على الرعاة في عدم التعدي على المغروسات.

الأهالي

لقد سررنا بما رأيناه من التنبيه واليقظة في أهالي شفا عمرو، وهم شاعرون بأنهم صاروا على الجبهة وأن عليهم مسؤولية الاحتفاظ بأراضيهم. والظاهر أن ما صارت إليه حال أهالي الناصرة وعكا، اللتين خسرتا مواردهما فبقي الأهالي يصرفون من رؤوس أموالهم وينتظرون ما تجلبه الأقدار، نبه أهالي شفا عمرو إلى موقفهم، فبعد أن رفعت الحكومة المديرية من بلدهم، وبيعت القرى المجاورة لهم وقلت معاملاتهم وتجارتهم مع جيرانهم انصرفوا إلى الغرس ليحيوا موارد جديدة لهم قبل أن ينفقوا رؤوس أموالهم، وهذا تنبيه يحمد عليه الشفاعمريون.

الحدود

ننبه الإدارة أن لا تسمح بإجراء فراغ الأراضي المجاورة، قبل أن تعين الحدود بينها وبين شفا عمرو وحسما للمنازعات.

البلدية

رئيسها السيد داود النجمي شيخ محترم من وجهاء القرية ولكنه طاعن في السن ويحتاج إلى الراحة، كما تحتاج البلدية إلى رئيس شاب نشيط قابل للتجديد يسعى لإيجاد موارد جديدة للبلدية وإصلاح البلدة.

ميزانية البلدية نحو 450 جنيهاً تنفق على المعاشات ما عدا 60 جنيهاً تنفق على الإنارة و65 على التنظيفات و92 للطبيب، والبلد قذرة ولا أثر فيها يدل على وجود هيئة بلدية.

تحتاج إلى رفع مائها إلى البلدة كما تحتاج إلى إصلاح الطريق عند مدخلها على الأقل.

المواصلات

شفا عمرو قريبة من عكا وحيفا، فالمواصلات في الشتاء بينها وبينهما تكاد تنقطع لكثرة الوحول ولعدم وجود طريق معبدة، فمن واجب الحكومة أن تفكر في ربط هذه البلدة بإحدى القصبات البحرية القريبة، وأظنها تريح من شفا عمرو أكثر كثيراً مما تنفق عليها.

المدارس في شفا عمرو

في شفا عمرو مدرسة أميرية كانت ناجحة جداً بإدارة مديرها السابق السيد هاني أبو مصلح، ولكن يظهر أن الإدارة فصلته من أجل وطنيته، وفيها مدرسة أخرى للكاثوليك يرأسها الخوري جرجي نوني وهي ناجحة وفيها 120 تلميذاً. وفيها مدرستان للبنات واحدة لراهبات الناصرة فيها 150 ابنة وواحدة لإرسالية برتستانتية فيها 25 تلميذة.

مدخول الفدان وعُشْر الحكومة

بما أن شفا عمرو بلدة زراعية نشيطة اجتهدنا في أخذ معدلات كلفة الفدان ومدخوله ونفقاته وحصة الحكومة منه.

وجدنا أن معدل متوسط كلفة الفدان في شفا عمرو بما فيه ثمن الحيوانات 150 جنيهاً، ومتوسط ما يدخله من حاصل ومحصول سنوياً من القمح والشعير والقطاني والسمسم والبطيخ 220 جنيهاً يخرج منها هوالك ربع حراث 55 جنيهاً وبذار وعدة ولوازم حصيد 90 جنيهاً وخمس أرض 27 جنيهاً ونقص مواشي 20 جنيهاً فيكون مجموع الهوالك 192 جنيهاً يطرح من الحاصل والمحصول البالغ 220 جنيهاً يبقى 28 كانت الحكومة تأخذ من هذا المبلغ 26 جنيهاً ونصف، واليوم صارت تأخذ 22 جنيهاً عشراً[159].

---

[159] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1114. 10 حزيران عام 1925.

عبلين

بلدة قديمة حصنها الضواهرة وسكنها الهنادي، ويظهر أن الحكومة العثمانية كانت تعتبرها مركزاً لحراسة وادي عبلين وحراسة قوافل الحبوب من الداخلية إلى عكا .

عدد سكانها 800 نسمة نحو ثلثهم مسلمون وهي تشد 45 فداناً وتعطي مئة قنطار زيت في سني الحمل، وفيها نحو ألفي غرسة زيتون جديدة وعدد من أغراس الأشجار الأخرى المثمرة وهي ليست مدينة.

وقد نشط أهلها كثيراً وانتبهوا للغرس في المدة الأخيرة ويؤمل لعبلين نهضة زراعية طيبة لا تقل عن نهضة الشفا عمرين بفضل وجهائها السيد توفيق ناصر الداود، وغيره من الرجال الطيبين النشيطين[160].

[شرقي الأردن]

السلط - راموث جلعاد

السلط أو راموث جلعاد[161] بلدة قديمة العهد غنية بالحوادث التاريخية قائمة على كتف غور الأردن الجنوبي وعلى علو نحو ألفين وأربعمائة قدم عن سطح البحر، فكأنها الحارس الذي لا ينام لذلك الوادي الخصيب والباب الموصد في وجه الطامعين في بلاد عشائر العمونيين والموآبيين التي استخلصها العرب بدمائهم من حكامها الرومانيين. عدد سكان السلط نحو عشرين ألفاً ثلثاهم مسلمون والثلث نصارى، والفريقان منهم لا يزالون بأزيائهم وعاداتهم وتقاليدهم العربية القديمة يشهدون للعالم والتاريخ بمروية نصارى الشرق.

موقف السلط

كانت السلط عاصمة البلقاء ومركز تجارتها، وبقيت كذلك إلى أن اختارت حكومة سمو الأمير عبد الله عمان التي تجركست[162] عاصمة بدلاً منها، فأخذت السلط تخسر

---

(160) - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1120 . 8 تموز عام 1925.

(161) - يرد هذا الاسم في الكتاب المقدس في أكثر من موضع ويشير إلى مرتفعات شرقي الأردن جنوبي وادي اليرموك ورامات أو راموث باللغة الآرامية تعني مرتفعات

(162) - أسكن العثمانيون الجركس في عمان عام 1879م

ما كان لها من النفوذ التجاري مع فلسطين والشام والبلقاء وسائر مقاطعات الشرق العربي، فبناء عليه يجب أن لا ننسى حكومة الشرق العربي أنها جنت جناية كبرى على مدينة عربية قديمة العهد.

والسلط الآن مركز حاكم إداري برتبة متصرف، وحاكمها الحالي (مسلم افندي العطار)، وهو من خيرة الشبان الوطنين الغيورين على مصلحة بلادهم وقومهم، وهو من الأشخاص القليلين الذين لا تؤثر العوامل الحزبية عليهم في أثناء إجراء الوظيفة، وقد كانت له يد طولى في تنشيط عملية غرس الشجر ولا سيما الزيتون في الشتاء الماضي، إلا أن قلة الأمطار حالت دون نجاح مساعيه ونشاط كثيرين من الأهالي.

ثروة السلط

السلط مشهورة بعنبها وزبيبها، وفيها كروم كبيرة واسعة مما يفسد حجة الكسالى الذين يحتجون بأنهم إذا غرسوا فمغروساتهم تتلفها الحيوانات. فالسلط واقعة في محيط بدوي تكثر فيه الماشية، وسيطرة الحكومة بقيت إلى زمن قصير ضعيفة. ومع ذلك فكروم السلط هي الأولى من نوعها في سوريا وفلسطين، ولذلك نرجو من أهالي كل بلد في فلسطين والشرق العربي أن لا يحاولوا اختلاق الأعذار ويتوقفوا عن الغرس الذي فيه نهضتهم الاقتصادية، كما أنا نرجو من السلطيين أن يكثروا من غرس الزيتون بين الكروم، فأراضيهم واسعة ومن الواجب عليهم أن يعوضوا خسارتهم في التجارة، بسبب صيرورة عمان عاصمة، بتكثير غرس الزيتون لئلا تنقص قيمة بلدهم، ونحن بحاجة إلى إنمائها لتكون حصناً اقتصادياً منيعاً على كتف الغور.

الغور

كما أننا نأمل من مفكري السلطيين أن يهتموا بحمل عرب العدوان وعباد والعشائر الأخرى على استثمار أراضيهم في الغور، ففي أراضي الغور ثروة كبيرة بسبب الماء وحرارة الهواء، وإذا زادت ثروة العربان كانت عاملاً كبيراً على نجاح السلط وتقدمها العمراني.

المتعلمون

الذين يقرؤون ويكتبون في السلط يؤلفون نحو سبع الأهالي، ويوجد منهم نحو اربعين قد أنهوا تحصيلهم الثانوي وعشرة من هؤلاء موظفون في دوائر الحكومة، ولا يوجد

واحد منهم يشتغل في الأراضي أو في التجارة، فكأن التعليم في فلسطين والشرق العربي هو للوظائف فقط، أو بالحري كأننا نتعلم لنصير عبيداً، ولذلك ننبه مديري المدارس وأساتذتها إلى وجوب تنبيه الأولاد وتعويدهم على الأعمال وإفهامهم أنهم يتعلمون ليكونوا منتجين لا عالة على الأمة وعبيداً.

مدرسة الصبيان للحكومة

وكيل مديرها السيد عبد الرؤوف الجوهري وتسعة معلمين وعدد تلامذتها ثلاثمائة في تسعة صفوف، فيها صف حديقة أطفال، وستة ابتدائية، وثلاثة تجهيزية، وفيها فرقة كشافة، مع أنه يجب أن يكون فيها ثلاث فرق كشافة.

مدارس البروتستانت

في السلط إرسالية بروتستانتية ولها مدرستان واحدة للصبيان وأخرى للبنات.

مدارس اللاتين

وفيها دير اللاتين ومدرسة للصبيان وأخرى للراهبات أيضاً. فنأمل من مدارس الإرساليات أن لا تدع حاجزاً بين أبناء الجيل المقبل من النصارى والمسلمين.

مدرسة البنات الأميرية

وفي السلط مدرسة أميرية للبنات فيها 62 طالبة، ومما يؤسف له أن مدارس البنات في الشرق العربي ترجع البنات إلى الوراء، لأنها كما يقولون تمدنهن وتدعوهن إلى استعمال الحجاب، لأن المدينة في عرفهن تستدعي التحجب.

عشائر البلقاء

عشائر البلقاء العدوان وبنو حسن وعباد والعجارمة والمشالخة، وبعض هذه العشائر يسكن الغور وغور أبي عبيدة وغور الكبد وأراضيهم موقوفة. وقد اشترى بعضها بعض سماسرة الصهيونيين من قطاع العهود وسنفرد لها مقالاً أو مقالات خاصة فيما بعد.

خلاصة القول: إن في غور البلقاء ونجودها ثروة عظيمة مدفونة، وفي عقول أهل البلقاء ذكاء وفي أجسامهم نشاط، وكل هذا يحتاج إلى إدارة نزيهة تستثمره.

كان مضيفنا في السلط حضرة الوجيه صالح باشا قاقيش، وقد تعرفنا بوساطته على عدد غير يسير من وجوه الأهالي وأعيانهم، وهم على العموم راضون عن إدارة الحكومة المحلية. أما نحن فنعتقد أن الحالة تتطلب أكثر من رضا الأهالي تتطلب إحداث تجديد في نفسية الأهلين وعقليتهم ونهضة زراعية عظيمة[163].

من عمان إلى مادبا

عنّت لنا زيارة قصبة مادبا في اليوم الثاني لوصولنا [إلى] عمان، فقصدناها لمشاهدة آثارها وتفقد شؤونها ودرس أحوالها على متن سيارة كانت تنهب بنا الأرض في طريق عبدتها السيارات والأرجل، تمتد بين سهول زراعية جيدة التربة، لا بأس بموسم الحنطة فيها رغم قلة الأمطار في هذا العام.

محطة القصر

لم نكد نبتعد عن عمان بضعة كيلومترات إلى جهة الجنوب حتى اعترضتنا قضبان سكة الحديد ومحطة القصر، وهي أولى محطات السكة الحجازية على خط عمان – معان، ولقد علمنا أن هذه المحطة كغيرها من محطات السكة الحجازية ما برحت خاوية خالية متروكة على الحالة الخربة التي صارت إليها عند انسحاب الأتراك، وأن القطارات لا تقف فيها أبداً، فساقنا بناؤها الجميل إلى تذكر أيام الحكومة التركية التي عملنا جهدنا للتخلص من نير عبوديتها أملاً بتحقيق الأماني الذهبية التي كنا نحلم بها، كلما صور لنا الوهم أن الحكومة التركية كانت علة تأخرنا وتقهقرنا في مضامير التقدم والعمران.

ذكريات وتخيلات

لم يسعنا عند قياس الحالة العمرانية التي عليها البلاد في عهد الأتراك، رغم ضعفها بالحالة التي آلت إليها في عهدنا، إلا الترحم عليهم والتأسف على أيام حكمهم، على الرغم من كل ما كان يجيش في صدورنا من حب العروبة وشوق لحياة الاستقلال الحرة. وذكرنا بالمناسبة رأياً كان أدلى به إلينا الطيب الذكر المرحوم جبران كزما عند

---

(163) - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1121. 11 تموز عام 1925

نشوب الحرب العالمية خلاصته أنه ليس بإمكاننا أن نستفيد من نتائج هذه الحرب مهما كانت ملائمة لنا، وذلك بالنظر لعدم كفاءتنا وتمرننا على إتقان مادة من المواد التي تتطلبها الحياة الاستقلالية، وأنه كان لا بد لنا قبل أن نعمل للاستقلال من التمرن لمدة عشرين عاماً على الأقل في ظل الأتراك على أمور العمرانية والإدارية والسياسية وغيرها، فكان لنا من منظر محطة القصر التي كانت آهلة في عهد الأتراك، وأصبحت خربة في عهدنا خير برهان على ما يتعلق بالعمران من نظرية جبران كزما رحمه الله.

ذكرنا مرآى الشجيرات عند محطة القصر، وهي الوحيدة من نوعها في تلك الأصقاع والسهول الجرداء التي اجتزناها فيما بعد في طريقنا إلى مأدبا، من كل ما تصح عليه تسمية شجر، [ذكرنا] بالخطر الاقتصادي المقبل الذي يهدد البلاد إذا بقيت على ما هي عليه من إهمال أصحابها غرسها وتشجيرها، واستدرجتنا الأحلام القومية إلى تخيل هذه الهضاب الكثيرة إلى جانب السهول الواسعة أنها أصبحت غابات أشجار مثمرة، فبرزت للأعين جناناً تسر الناظرين، فلم يسعنا أمام هذا الخيال الجميل الذي نعمل لتحقيقه عن طريق الدعوة للتشجير في رحلتنا هذه، إلا أن نتمثل بقول حسان بن ثابت شاعر الرسولﷺ في قصيدة يذكر بها هذه المواضع التي كانت منازل لجبلة ابن الأيهم الغساني عند قوله: [من البسيط]

النخل فالقصر فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

لم نتمالك أنفسنا عن التمثل بهذا البيت من القول حقاً إن النخل والقصر والجماء بينهما، إذا استحالت إلى غابات متصلة من أشجار النخيل والزيتون تكون أشهى إلى القلب من أبواب جيرون وجيرون[164]، هي اسم من أسماء دمشق الشام، وقلنا ما أدرانا أن هذه المواضع التي شبب بها الشاعر قبل أكثر من ألف عام وأصبحت اليوم قفراً يباباً نمر به كانت في ذلك العهد بجنائنها وبساتينها وأشجارها وغياضها في مكانة جعلت الشاعر يفضلها على مناظر أبواب جيرون. ولقد قوى فينا هذا الرأي ما أنبأنا به صديق لنا عن مشاهدته لآثار معاصر الزيت وجذوع أشجار الزيتون في خربة «خو»، التي يقال إنها أنقاض صرح الغدير[165]، والتي تقع شرقي الخط الحجازي قبل وصوله لعمان بين محطتي

---

(164) - في الحقيقة جيرون هو اسم موضع محدد في دمشق، وهو الجهة الشرقية من الجامع الأموي، قرب مقهى النوفرة، وباب جيرون هو الباب الموجود في هذه الجهة وآثاره ما تزال موجودة حتى اليوم

(165) - صرح الغدير: قصر بناه على أطراف حوران ثعلبة بن عمرو بن جفنة أحد ملوك الغساسنة، حسب الإخباريين العرب

الزرقاء والرصيفة، ومشابهة أراضيها وتربتها وخرائبها للأراضي التي كنا نجتازها في طريقنا إلى مأدبا، وتشبه هذه الخرائب والأراضي بخربة «خو» التي ذكرناها من حيث كونها كانت كلها من منازل بني غسان قبيل ظهور الدعوة الإسلامية[166].

بين الباقي والدارس

جرت بنا السيارة بعد محطة القصر على أطلال خربة نسق بنائها روماني أو روماني غساني، قائمة في وسط السهل وعلى قارعة طريق مأدبا يقال لها «قرية السوق»، ومن ثم على قرية اليادودة الأهلة بالسكان المعروفة بمزرعة أبي جابر من وجهاء نصارى السلط، وهي قرية حصينة قائمة على ربوة عالية تحيط بها سهول خصبة زرعت حبوباً منوعة، وقد اشتهرت هذه المزرعة بكرم أصحابها وبدفاعها الحسن عند غزوة الوهابيين للشرق في العام الماضي، ومن ثم مررنا على قرية «أم العمد» مزرعة مثقال باشا الفايز شيخ مشايخ بني صخر، وهي كأختها اليادوده قائمة على شبه ربوة مؤلفة من أكواخ حجرية وليس بها غير بيت واحد تلوح عليه مسحة البناء المنتظم هو بيت مثقال باشا الفايز. قارنا بين حقارة البناء الذي تتألف منه بيوت مزرعتي اليادوده وأم العمد، وبين عظمة الأنقاض التي ما برحت قائمة في «قرية السوق» كدليل ناطق على جد ونشاط من قدر لنا أن نكون ورثاءهم في هذه البلاد، فلم يسعنا إلا أن نصعد الزفرات أسى وأسفاً على الحالة التي تجعلنا، ونحن أبناء القرن العشرين عصر النور والمدنية والجد والنشاط نخجل من أنفسنا ومن مآثرنا الباقية متى قسناها بالرسوم الدراسة التي أبقتها لنا الأيام من آثار أسلافنا في سكنى هذه البلاد في القرون الأولى، التي لا تبعد كثيراً عن قرون التاريخ المظلمة[167].

أزمة المال والاطمئنان

لم تكد تقف بنا السيارة في أم العمد لحاجة عرضت لأحد ركابها؛ حتى خرج على دويها من كوخ قائم على يميننا بضعة أشخاص كنا نشاهد بنادقهم تخرج من باب الكوخ الذي كانوا به قبل رؤوسهم، فعرفنا منهم مثقال باشا الفايز شيخ مشائخ بني صخر، وسيدو الكردي أحد تجار عمان الذين اضطر مثقال باشا الفايز بالنظر

---

(166) - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1122 . 15 تموز عام 1925.

(167) - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1123 . 18 تموز عام 1925.

للضائقة المالية التي ألمت به إلى أن يستعين به على زراعة أراضيه واستثمارها، ومن هذا يمكن القارئ أن يدرك مبلغ الأزمة الاقتصادية التي يتخبط بها أبناء الشرق العربي، من جراء سوء تدبيرهم وتدبير الإدارات التي تعاقبت الحكم عليهم، لدرجة جعلت أحد كبار زعمائهم يستعين بغيره على شدد أراضيه، هذا على الرغم من كون الفلاح الأردني بصورة خاصة خرج من الحرب العالمية وهو أغنى فلاحي القطر السوري، ولذا قضت الظروف السهلة اللينة التي اضطرت الحكومة التركية لأن توجدها له فمهدت له سبل الاستفادة وجعلته بمعزل عن الصدمات التي كان غيره من أبناء سوريا معرضاً لها طوال مدة الحرب.

ومن تشبث مثقال باشا ببندقيته ذلك التشبث الذي وصفناه للقارئ، وفي قريته أم العمد، مع معرفتنا بأنه الشيخ المطاع في عشيرته وقومه، والعزيز الذي لا يجرؤ أحد على التفكير بمسه بسوء، يمكننا أن نستنتج فقدان الاطمئنان بين سكان هذه الجهات، وأن القلق ليس بناشئ عن احتمال اعتداء داخلي بدليل عدم إمكان تسربه إلى مثل مثقال باشا الذي هو أبعد الناس عن أمثال هذا الخطر، بل ناشئ عن اعتداء خارجي محتمل الوقوع في كل حين وآونة، ونعني به اعتداء الوهابيين الذي تكرر وقوعه في السنوات الأخيرة، وجعل الأهلين يكونون دائماً على حذر منه وعلى استعداد لصد طوارئه.

لم نكتم مثقال باشا الفايز استياءنا من ترك التلال والهضاب من أراضيه غير مغروسة بالأشجار، ومن عدم التشبث بغرسها حتى الآن، وأظهرنا له مخاوفنا من بقائها على ما هي عليه وشرحنا له الفوائد والمنافع الجمة التي تعود عليه وعلى أفراد عشيرته من تشجيع هذه الأراضي، والحالة التي ينتهي إليها أمره وأمر عشيرته فيما إذا بقيت زراعتهم محصورة بالحبوب وما شابهها من المحاصيل، التي لا يرجى منها للبلاد تقدم اقتصادي محسوس، لا سيما إذا تعاقبت على البلاد بضع سنين تقل فيها الأمطار كسنتنا الحالية.

الأعذار

لقد اعتاد كبيرنا وصغيرنا نحن معشر العرب على المكابرة في كل أمر وعدم الاعتراف بالخطأ الذي حصل مهما كان فادحاً، وكلما حادثنا إنساناً في أمر التشجير سرد لنا من الأعذار ما لا طائل تحته، بالوقت الذي لا يمكننا أن نتصور أن هناك عذراً صحيحاً لا يمكن إزالته، إذا ترك أبناء البلاد العربية الفلسطينية وغيرها التواني وعمدوا

إلى غرس أراضيهم والعمل على تنمية زراعتهم تنمية فنية تأتي بنتائج اقتصادية محسوسة. وكيف نطمئن لهذه الأعذار والأراضي التي نشجعهم في غرسها وتشجيرها هي من الأراضي التي يزرعونها حبوباً، والجهود التي تحتاج إليها زراعة الأشجار لا تفرق كثيراً عن الجهود التي تحتاج إليها زراعة الحبوب، وكل ما في الأمر أن الفلاح العربي لا يفكر في الثروة التي يكنها له المستقبل فيما إذا غرس أراضيه بل يكتفي ويقنع بما يحصله بصورة مستعجلة من زراعة الحبوب التي تفرض عليه زراعتها بأن يقضي ثلاثة أرباع السنة جائعاً وأن يكون أسيراً لفئة من التجار يضطره فقره وحاجته لمعاملتهم ومجاملتهم فيستنزفون قواه وجهوده.

اعتذر لنا مثقال باشا الفايز على إهماله الغرس بالظروف الإدارية التي كانت عليها البلاد في عهد الأتراك، وبالاضطرابات السياسية التي تلتها، وبفقدان الأيدي التي تعمل لتشجير هذه الأراضي واستثمارها في عهد الأمير عبد الله قائلاً لنا: «هات من يشجر لنا هذه الأراضي ويقاسمنا ملكيتها». استغربنا عذر الباشا الأخير الذي انتحله ليسوغ إهماله التشجير، وزال استغرابنا له عندما علمنا أن أكثر المزارعين الذين كانوا يعملون في قرى بني صخر هجروها إثر الغزوة الوهابية الأولى فأصبح أصحاب الأراضي وجلهم بدو حديثو العهد بالزراعة لا يجدون من يزرع أراضيهم ويقاسمهم محاصيلها ولو على النصف، هذا بعد أن كانت قرى بني صخر بصورة خاصة الملجأ الوحيد للمسترزقين عن طريق الزراعة من عديمي الأراضي في بلاد شرقي الأردن وأكثر قرى فلسطين، فكأن لم يكف البلاد العربية ما اقترفته وما تجره على أبنائها اختلافات زعمائهم من الأضرار السياسية، حتى تعززها الأضرار العمرانية والاقتصادية وتكون مطامع الزعماء التي هي الأساس في هذه الاختلافات حجر الزاوية لكل مصيبة تحل بنا، وكل ما ينتابنا من النوائب والخطوب، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو علمية.

تركنا أم العمد واستأنفنا السير جنوباً إلى مأدبا فمررنا على مزرعة تسمى منجة عليها مسحة القرى البشرية ومنها بدأت تميل السيارة بنا يميناً مع اتجاهها إلى الجنوب فبلغنا مأدبا قصبة البلقاء والسوق التجارية لعشائرها، وذلك بعد مضي ساعتين على خروجنا من عمان وكان الأهلون منهمكين بالحصاد ومواشيهم وحيواناتهم تروح وتغدو بين القصبة والحقول محملة بغلال القمح والشعير[168].

---

[168] ـ الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1124 ـ 22 تموز عام 1925.

مادبا

تتألف قصبة مأدبا من مئة وخمسين أسرة مسيحية هجرت أولاها قبل ثلاثين عاماً من الكرك، بسبب مناوشات عشائرية نشأت من زواج أحد المسلمين بفتاة مسيحية على الرغم من إرادة أهلها. ومن تعنت الزوج وتعنت أهل الفتاة وعدم نزولهم على عادات العشائر والصلح حسب الطرق المعروفة. والقصبة قائمة في سهل متسع وهي ذات أبنية جميلة بالنسبة لغيرها من قرى وقصبات البلقاء وفيها مركز حكومة من درجة قائمقامية وعلى رأس إدارتها الحاكم النشيط علي باشا الكايد، من الرجال المتمرنين على الأعمال الإدارية منذ عهد الأتراك.

الأمن

لم يكن في مأدبا وعلى الأخص ما يتعلق منه بحفظ المزروعات على ما يرام في السنين الخالية، وذلك بسبب وقوع أراضي مأدبا في سهل هو مراح لإطعام إبل[169] ومواشي شتى العشائر؛ كالصخور والعدوان والعجارمة وغيرهم. ولقد لاحظت الحكومة هذه النقطة المهمة في حياة مأدبا الزراعية فاختار قائد منطقة البلقاء النشيط خلف بك التل، وهو المسؤول حكومياً عن حفظ المزروعات بالدرجة الأولى، قصبة مأدبا مركزاً لقيادة منطقته منذ أواسط الربيع، وراح يسهر على حفظ الأمن وصيانة المزروعات وتطبيق قانون صيانة المزروعات، وهو من خيرة القوانين التي سنتها حكومة ركابي باشا تطبيقاً جعل ألسنة الأهلين تلهج بالثناء عليه، فعين نقاطاً حول أراضي القصبة حظر على العربان تجاوزها بمواشيهم، وأقام دوريات تتجول في الحقول وتمنع كل تعد يقع عليها، وفي الوقت ذاته عزز ملاك المخافر في الملحقات وخصص من أفرادها جنوداً لمساندة خفراء المزروعات، فرتع سكان مأدبا والقرى المجاورة في بحبوحة من الأمن وحسن الإدارة لم يظفروا بمثلها منذ جعلت قصبتهم مركزاً للحكومة.

الغرس

يسرنا أن ننوه باهتمام سعادة حاكم مأدبا كايد باشا عناية خاصة بالتشجير، فإنه قد نفذ التعليمات التي صدرت إليه بشأن الغرس تنفيذاً يشكر عليه، فكان من ثمار ترغيبه الأهلين أن أفرز كل منهم قطعة من الأرض حول القصبة، وغرسها بأنواع

---

(169) - في النص: بعير.

الأشجار، فأصبحت البلدة محاطة بعدة بساتين سوف تصبح إذا زيدت بهجة مأدبا، وهو يبذل جهداً يحمد عليه لحملهم على الاستعداد لموسم الغرس المقبل منذ اليوم، ونؤكد لأهالي مأدبا بهذه المناسبة أن الزمن الذي كانوا يحجمون فيه عن الغرس لتخوفهم من اتخاذ العشائر التي كانت تهاجمهم فيما مضى وتخرب ما يغرسونه من الأشجار، هذه الفترة لن تعود لأن الغرس هو معقل لصد هذه الهجمات، فما عليهم إلا أن يقبلوا على تشجير أراضيهم كلها بكل ما أوتوا من قوة في الإرادة ورغبة في السعي.

البلدية

في مأدبا شوارع رئيسة متسعة منها ما تتجاوز سعته ثمانية الأمتار وكلها مرصوفة بحجارة نظيفة رصفاً حسناً يدل على عناية البلدية ونشاطها، ورغماً عن عدم وجود طبيب خاص بالحكومة في مركز مأدبا فالبلدية تراقب الحالة الصحية في البلدة وتعمل على تنظيف الشوارع وإنارتها ليلاً باللوكس وتمنع كل ما من شأنه الإضرار بالصحة العامة، وحبذا لو أن بلدية مأدبا تقتفي أثر بعض بلديات فلسطين وتجبر الأهلين على نقل المزابل القائمة حول القرية إلى أماكن الفلاحة، فتخدم بتشبثها هذا الصحة والزراعة معاً.

واردات بلدية مأدبا لا تتجاوز الثلاثمائة جنيه بين رسوم وضرائب بلدية يصرف خمسها على الرواتب والمصاريف الضرورية للبلدة، وما تبقى منها يصرف في تحسين حالة البلدة تحسيناً نتمنى مثله لكافة مدن وقرى الشرق العربي، ولقد علمنا أن للسادة إبراهيم جميعان رئيس البلدية الحالي، والذي تنتهي مدة انتخابه في هذا الشهر، ولأخيه السيد يعقوب جميعان نزيل القدس والذي تولى رئاسة بلدية مأدبا أمداً طويلاً أيادٍ بيضاء على البلدية.

الآثار القديمة

إن قصبة مأدبا هي من المدن التاريخية الشهيرة، وقد ورد ذكرها في التوراة باسم «ميدبا» ويقال إنها إحدى المدن اليونانية العشر الشهيرة، ولهذا فهي من المدن الفنية بآثارها التاريخية، وقد عثر الأهلون فيها في أثناء حفرياتهم لبناء بيوتهم على رسوم قيمة من الفسيفساء منها رسم خارطة فلسطين على مصطبة هي اليوم من ضمن بناء الكنيسة الأرثوذكسية[170]، ورسوم أخرى عثر عليها بعض أصحاب البيوت وبينها رسوم ظهرت

---

[170] - خريطة مادبا (Madaba Map)، هي اقدم خريطة اصلية للأرض المقدسة، والتي يعود إنشاؤها الى سنة 560 م وتوجد هذه الخريطة التي صنعت من الفسيفساء في الكنيسة الأرثوذكسية واسمها كنيسة القديس جورجس وقد بنيت

حديثاً والأهلون الذين ظهرت في بيوتهم هذه الرسوم شديدو الحرص على حفظها والاحتفاظ برونقها الفني وقد أخذت الحكومة عليهم تعهدات بهذا الخصوص وفرضت رسماً معيناً يتقاضونه من الزوار الذين يطرقون بيوتهم للتمتع بجمال هذه الرسوم الموزاييكية[171].

مادبا. التجارة

إن قصبة مادبا هي السوق الوحيد الذي تؤمه عشائر البلقاء لابتياع حاجاتها وتصريف منتوجاتها من حبوب وصوف وسمن وغير ذلك، وتجلب إليها الخضار والفواكه من سيل حسبان الذي يبعد عنها ساعتين لجهة اليمين، ومن هذا السيل تستقي مواشي أهالي القصبة والعشائر المحيطة بها في السنين القليلة الأمطار أما مياه الشرب فتؤمنها الآبار التي يحفرها الأهلون، ولنا كبير أمل بحكومة ركابي باشا أن تعمل لحمل الأهلين في مادبا وغيرها من المدن والقرى التي تعول في شربها على مياه الأمطار، على حفر آبار ارتوازية.

المدارس

في مادبا ثلاث مدارس فيها ما ينوف عن المئتين وخمسين تلميذاً، منها مدرسة الحكومة الابتدائية وهي مدرسة من درجة نموذج ذات ستة صفوف يديرها الأستاذ عبد اللطيف شاكر شقيق الوطني المرحوم عمر شاكر، عدد تلاميذها مئة وعشرون تلميذاً يساعده في التعليم أربعة أساتذة. لم يتسن لنا أن نشهد سير المدرسة ونجاح التلاميذ عن قرب بالنظر للعطلة المدرسية، فاكتفينا بما سمعناه من أفواه أولياء التلاميذ من امتداح سيرة المعلمين ونجاح أبنائهم على أيديهم، وهناك مدرسة ثانية لآباء الكنيسة اللاتينية فيها ما يقرب من مئة تلميذ وتلميذة، وهي ابتدائية تبشيرية تابعة لمراقبة مديرية المعارف، ويوجد غير هذه المدرسة للطائفة الأرثوذكسية يبلغ عدد تلاميذها العشرين تلميذاً.

هذه الكنيسة في عام 1896 م فوق بقايا إحدى الكنائس البيزنطية، وكانت الخريطة قد صنعت أساساً لتغطي أرضية هذه الكنيسة وخريطة الفسيفساء للأرض المقدسة تمتد من المدن الفينيقية في الشمال إلى مصر في الجنوب، ومن البحر المتوسط غرباً إلى الصحراء شرقاً.

[171] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1125 . 25 تموز عام 1925.

العزيزات

بين أهالي مأدبا عشيرة اسمها العزيزات تمت بنسبها إلى الغسانيين الذين كانوا يسكنون تلك البلاد من قبل الإسلام، وهذه العشيرة على ما يظهر كانت تسكن قرية مؤتة وهي من القرى الأولى التي هاجمها العرب في غزوتهم لسوريا، وقد لاقوا فيها مقاومة عنيفة جداً من الرومانيين الذين قتلوا عدداً كبيراً من أبطال العرب، وتعاقب ثلاثة من قواد المسلمين على قيادة العرب في هذه المعركة وكانوا كلما قتل واحد منهم يتولى القيادة آخر إلى أن انتهت القيادة في الموقعة الرابعة إلى خالد بن الوليد، وحينئذ لم يعد العزيزات يطيقون صبراً على رؤية إخوانهم العرب يكرون ويرتدون، وفي كل مرة ينقص عددهم ويتساقط أبطالهم، فثارت نخوتهم وغلى دمهم في عروقهم وهجموا على الرومانيين لما هاجمهم خالد ابن الوليد من الجهة المقابلة، وأصلوهم حرباً شرسة فانكسر الروم وانتصر العرب، وكانت هذه فاتحة انتصارات ذلك الجيش العربي في سوريا الذي جاء ليحررها ويطرد الروم منها، وقد تم هذا الفوز باتحاد العرب المسلمين والنصارى، كما أحرز النصر في موقعة اليرموك الفاصلة على يد العرب المسلمين والنصارى، أي على يد الجيش القادم من الحجاز وعرب بني غسان الذين كانوا يسكنون هذه البلاد[172].

ذكرى هذه الحوادث الطيبة يجب أن تحرك فينا النعرة العنصرية[173]، وتعلمنا أن لا قيام لنا ولا جامعة ما لم نبن نهضتنا على القواعد العنصرية، ويجب أن لا يبرح عن ذهن أحد منا أن الدين الحنيف هو دين قومي عربي، وقد رمى إلى حمل من يتدينون بالإسلام

---

[172] - هذه الرواية التي يأتي على ذكرها نجيب نصار لم نعثر لها على اثر في المصادر العربية الإسلامية، فالواقدي في الجزء الثاني من كتابه (المغازي) الصفحة 755، والذي يعد اقدم كتب التاريخ العربي المدون، قال: (بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عُمَير الأزدي ثم احد بني لهب إلى ملك بصرى وهي من اعمال الشام بكتاب، فلما نزل مُؤتة عرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغسّاني وهو من كبار بلاط قيصر، فقال: اين تريد؟ قال: الشام، قال: لعلك من رُسُل محمد؟ قال: نعم، انا رسول رسول الله فامر به فاوثق رباطاً، ثم قدّمه فضرب عنقه صبراً فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فاشتد عليه، وندب الناس واخبرهم الحارث ومن قتله، فأسرع الناس وخرجوا فعسكروا بالجرف إلخ الرواية) ويذكر ابن الأثير ومعظم المؤرخين العرب والمسلمين ان معركة مؤتة وقعت بين الروم والعرب النصارى من جهة وبين العرب المسلمين من جهة اخرى، اما قصة العزيزات فلم نعثر لها على اثر إلا في كتاب نجيب نصار هذا، ومرويات شفهية تتعلق بعشائر الأردن، وفي الجزء الرابع من كتاب المؤرّخ الأردني روكس بن زائد العُزيزي (ت 2004) (معلمة للتراث الأردني)، حيث يذكر ان عشيرة العُزيزات في مؤتة و الكرك ساعدوا خالد بن الوليد في انسحابه من مؤتة، فمنحوا امتيازات ما يزال بعضها مرعياً.

[173] - العنصرية هنا بمعنى القومية (nationalism)، وليست المصطلح المقيت (Racialism او Racism) الذي يعني احتقار جنس او عرق معين او التفرقة العنصرية، فهذا المصطلح لم يكن قيد التداول في اللغة العربية بهذا المعنى، وقد بدأ استعماله في لغة الضاد اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، إبان صعود الفاشية والنازية ثم الصهيونية

من غير العرب ليكونوا سنداً للعرب، وإذا لم يكونوا كذلك فيجب على العرب أن يبرأوا إلى الله منهم، كما أنه يجب على العرب أن لا يدعوا الدين يفرق فيما بينهم، وأن يعلموا أولادهم والبسطاء منهم أن العرب النصارى والمسلمين إخوان منذ ظهور الإسلام.

أول نهضة العرب قامت على العنصرية، ويجب أن تجدد بالعنصرية وذكرى الماضي يجب أن تغذي الحاضر.

أما ذكرى العزيزات فيجب أن تبقى حية في ذهن كل عربي، ويجب أن توحي بالاتحاد إلى كل مسلم ومسيحي[174].

بين عمان والكرك

المسافة بين عمان والكرك نحو 130 كيلومتراً، والطريق القديمة كانت تمر بمأدبا، فعرب الحمايدة، فوادي الموجب المسمى في التوراة وادي أرنون، فأراضي عرب المجالي قرية مواب، فالكرك وهذه الطريق على رغم جودة الأراضي إلى جانبيها ليس فيها شجر البتة.

أما الطريق الحديثة فتسير إلى جانب الخط الحديدي حتى محطة القطراني، والأراضي حول القسم الأول منها حتى محطة الجيزة صالحة للزراعة، أما القسم الثاني من الجيزة إلى محطة القطراني فأراضيه غير صالحة على الرغم من كونها سهلية، أما الأراضي من القطراني إلى الكرك فكلها خصبة، ولكن لا شجر فيها على الإطلاق وهذا مما يحزن ويدل على عدم نشاط الأهالي من جهة، وعدم عناية الحكومة العثمانية من قبل والحكومات التي تلتها بتوطيد الأمن وبترغيب الناس في الغرس واستخراج كنوز الأراضي، ولهذا فالبلاد فقيرة وتضطر أن تضع بوليسها ودركها وجيشها تحت أمر الحكومة المنتدبة لتتفق هذه عليه، ومتى كانت المالية والقوة الإجرائية تحت سلطة حكومة أجنبية لا تبقى لحكومة البلاد صفة استقلالية بتاتاً.

الطريق بين القطراني والكرك

إلا أن الحكومة العثمانية كانت تهتم بالأمور العمرانية أكثر من الحكومات العربية التي تلتها، فلتلك الحكومة الخط الحجازي الذي يربط عمان بدرعا وحيفا والشام، ويسير من عمان إلى معان بطريق القطراني، وهي أقرب محطة إلى الكرك التي تبعد عن هذه

---

(174) - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1126 . 29 تموز عام 1925.

المحطة نحو 40 كليو متراً، وقد فتح الأتراك الطريق بين القطراني والكرك وأعدوا لها الحصى لتعبيدها، ونعتقد أنها كلفتهم لا أقل من أربعين ألف جنيه، وقد مضى على إخلاء الأتراك لتلك البلاد نحو سبع سنين تعاقبت عليها حكومتان عربيتان، رؤوفتان بنا غيورتان على مصالحنا راغبتان في عمران البلاد لأنهما منا، وقد كانت الأولى مستقلة والثانية كانت قبل سنة شبه مستقلة، وكانتا تنفقان على الرغم من فقرهما بلا حساب على الرواتب وغيرها، ومع ذلك لم تفكر واحدة منهن بإتمام ما عمله الأتراك، وإن كان لا يكلف أكثر من بضعة آلاف جنيه فنساعد على عمران الكرك وتسهيل مواصلاتها وترقية تجارتها، إهمال يدل إما أن شكاياتنا من إدارة الأتراك لم تكن في محلها، وإما على أن شكاوينا لم تكن من أجل المصالح العامة بل من أجل المنافع الخاصة. فلما غادر الأتراك البلاد سعى طلاب الاستقلال إلى تأمين مصالحهم وأهملوا المصالح العامة فخسروا الأمنيتين.

إن بقاء هذه الطريق مفتوحة والحصى إلى جوانبها من عهد الأتراك إلى اليوم أكبر شاهد على إهمالنا وعلى عدم عناية الدولة الوصية أيضاً بغير مصالحها، فعسى أن تبادر حكومة ركابي باشا ودار الاعتماد[175] إلى إزالة ولو واحدة من العيوب الشاهدة على مبلغ عدم اهتمامنا بالعمران.

لا ننكر أننا قطعنا في تلك البلاد المقفرة نحو 80 كليو متراً من دون أن نرى إنساناً، ومع ذلك لم يخالجنا أدنى خوف من خطر يداهمنا به اللصوص أو قطاع الطرق، وذلك لأن الأمن مستتب ولا ندري هل استتبابه ناشيء عن طبيعة الأهالي الهادئة أم عن انتظام حال الإدارة.

من يرى مئات الكيلومترات من الأراضي في الشرق العربي قاحلة من الأشجار، ومن يرى الفقر سائداً في البلاد، يدرك مقدار الواجب الملقى على الإدارة الوطنية وعلى الدولة الوصية، ويدرك ماهية التقصير في ذلك الواجب.

المكتوب يقرأ من عنوانه

لو كانت هناك همم عالية ورغبة في العمران والرقي؛ لرأى المسافر أثراً على الأقل يدل على أن في النية القيام بعمل ما. كلا، فإن محطات السكة التي بناها الأتراك مهملة

---

[175] - دار الاعتماد البريطاني، هي اكثر من قنصلية ومن سفارة، وكانت مهمتها في الدول العربية التي تحت الانتداب او الحماية البريطانية بمنزلة حكومة احتلال إلى جانب الحكومات المحلية في الخليج العربي وعدن والعراق وشرقي الأردن

وخربة، والطرق التي فتحها الأتراك وهيؤوا لها وسائط التعبيد خربت من الإهمال. إن المدارس والجوامع التي بناها الأتراك خربة. فمهما قلنا إن العرب يحبون بلادهم ويطلبون استقلالها، وأن الأوصياء عمرانيون لا يمكننا إخفاء هذه الحقائق الناطقة.

المشاغبون حول الإدارة

من يمر بعاصمة الشرق العربي ويرى فرق المشاغبين مع الإدارة وعليها، ويقطع إلى البراري والقفار ولا يرى يداً تعمل لعمرانها، يحكم على أغراض المشاغبين وغاياتهم وعلى ماهية مشاغباتهم.

من يحب وطنه يا قوم يعمل لترقيته ويدل الناس على طريق عمرانه، فالشعب المجد الذي يعتمد على سواعده وعقوله، والذي يعيش من خيرات أرضه وحاصلاتها، يستطيع أن يقوم حكومته مهما كان شكلها، أما الشعب الضعيف الجائع فهو مسكين وحكومته، إما أن تكون مثله مسكينة وإما أن تكون غاشمة، ولا قوة له بتقويم اعوجاجها.

شاغبوا واعملوا لعمران بلادكم، ودعونا نرى لمشاغباتكم أثراً. إن المشاغبات من أجل الوظائف تخرب البلاد وتصغر نفوس أهلها وتقطع أرزاقهم.

تنبهوا

إذا أردتم خير أنفسكم فاطلبوه من العمل لخير بلادكم، اقتدوا بالأمم الحية واعلموا أن الأمم تحيا بالعلم والعمل، فلا تطلبوا أن تكونوا عالات على البلاد.

البلاد تنهض بمن يدعمها لا بمن يطلب أن يكون عالة عليها[176].

الكرك

فاتنا أن نذكر أننا مررنا في طريقنا من عمان إلى الكرك بالقسطل، وهي قرية صغيرة تختص اليوم بمشهور ابن فايز أحد شيوخ بني صخر، وقد كانت قديماً من منازل بني غسان، وكان يتردد عليها الشاعر المشهور حسان بن ثابت الذي كان يتغنى بجبلة بن الأيهم[177] ومن أقواله فيها: [من الطويل]

---

[176] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1127. 1 اب عام 1925.

[177] - لم يذكر حسان بن ثابت جبلة بن الأيهم في قصائده، بل ذكر اسماء ملوك آخرين من الغساسنة منهم عمرو وحجر والحارث والنعمان، اما القصيدة المنسوبة إليه حول جبلة بن الأيهم فهي من الشعر الموضوع، واتت تكملة لقصة

سقى الله حيا بالموقر دارهم		إلى قسطل البلقاء ذات المحارب

وفي هذه البلدة نشأت عائلة قعوار المتفرقة اليوم فيما بين السلط والفحيص وعمان والناصرة.

ومررنا أيضاً بالجيزة التي هي زيزاء العرب الأقدمين وسوق قبائل البادية، فليت عرب اليوم يعيدون لهذه الديار التي يطيب ذكرها مجدها ورخاءها القديمين.

أما الكرك اليوم فهي مدينة صغيرة في البرية قائمة على منبسط أو سطح تل تحيطه الأودية يعلو نحو 2500 قدم عن سطح البحر ويشرف على الغور حول البحر الميت، اصطفاها الرومانيون فالعرب فالصليبيون حصناً، وقد كان منيعاً جداً ولعل أول من اصطفاها المؤابيون فقد وجدوا كتابة منقوشة على الحجر المؤابي المشهور[178] يقول فيها «إن ملك مُؤاب» حفر الخندق بين الحصن والمدينة.

وقد كان اسم هذه المدينة المؤابي (قيرمؤاب) ولكنها لم تكن عاصمة المؤابيين لأن العاصمة كانت «ربة مؤاب» على مسافة بضعة أميال إلى الشمال من الكرك وآثار أبنيتها لا تزال موجودة وهي تدعى اليوم باسم «الربة» وترجمته السيدة.

أما الكرك فقد كانت المعقل العظيم، وقد رصف الرومانيون إليها طريقاً من مأدبا ماراً بوادي الموجب الذي يسميه العرب اليوم سور الكرك، وقد ربطوا الكرك بواسطة هذه الطريق أيضاً بالطفيلة وبوادي موسى عاصمة مملكة الأنباط، ولا تزال آثار هذه الطريق الرومانية المرصوفة تبدو هنا وهناك. وعلى مقربة من الكرك عند مؤته غلب العرب كما

جبلة ابن الأيهم في القسطنطينية المختلقة الواردة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والتي تعدها من الخيال الأدبي وليست من التاريخ

[178] - قصة الحجر المؤابي مشهورة ومثلت –حسب وجهة نظر المؤمنين بها- نقطة افتراق في تاريخ البحث الأثري (الكتابي) التوراتي، وهذا الحجر يعده المؤرخون اليهود ومن ينحو نحوهم انه احد الأدلة الحاسمة على تاريخية الأحداث الواردة في اسفار العهد القديم، والحجر المؤابي او ما يسمى (مسلة ميشع) منسوب للملك ميشع، ملك المملكة المؤابية التي ظهرت في وسط الأردن في القرن التاسع قبل الميلاد، و يعد من اقدم المسلات التاريخية في بلاد الشام و التي يخلد فيها انتصاره على بني إسرائيل في عام 850 ق.م اكتشف الحجر في ذيبان عاصمة المؤابيين في عام 1868 على يد احد الرهبان الألمان العاملين في القدس وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر في باريس و يتكون من 34 سطراً منقوشاً على الحجر البازلتي الأسود، يبلغ ارتفاع الحجر 124 سم وعرضه 71 سم وهو مقوس من الأعلى النقش مكتوب بالحرف الأرامي القديم، وقد زعم ان البدو كسّروه وحرقوه وحاولوا محوه من الوجود، وجرى جمع حجارته وإعادة بنائها من جديد!، والغريب ان النص في صياغته التي قدم فيها وكأنه يرد على المشككين فيذكر اسماء ووقائع تواريخ مرتبطة بأسفار العهد القديم وكل هذه الحيثيات تجعل مصداقية هذا الحجر موضع شك من قبل نفر غير قليل من العلماء الأثاريين الذين يشككون بحقيقة وقائع العهد القديم التاريخية [للتوسع في قصة اكتشاف الحجر المؤابي راجع كتاب (بحثاً عن إله ووطن) لنيل سلبرمن، الترجمة العربية صدرت عن دار قدمس في دمشق وبيروت]

قلنا سابقاً بقيادة خالد بن الوليد الروم بعد معارك عنيفة خسر العرب فيها عدداً كبيراً من أبطال حربهم وقوادهم، وبعد أن انضمت إليهم عشيرة المزيزات من عرب بني غسان وعاونتهم على غلب الروم.

أما الكرك في أيام الصليبين فقد كان حاكمها السبب الأكبر في موقعة حطين الكبرى بين العرب والصليبين[179]، التي انتصر فيها صلاح الدين انتصاراً مبيناً على الصليبين وأسر آخر ملك من ملوكهم مع حاكم الكرك الذي قتله براً بيمينه. وتفصيل الخبر هو أن شرذمة من حامية الكرك اعتدت على قافلة من العرب وسلبتها، فجاء رجال القافلة إلى حاكم الكرك الصليبي ورفعوا إليه أمرهم وطلبوا أن يرد لهم مسلوباتهم وجمالهم فطردهم، وقذف بحق سيد العرب العظيم، فغضب صلاح الدين لأن حاكم الكرك خالف شروط الهدنة وتطاول، ولما لم يحصل على الترضية التي طلبها استأنف الحرب وأقسم أنه سيقتل بيده حاكم الكرك إذا ظفر به، وهكذا فعل.

موقع الكرك

الكرك على ما يظهر كانت من قديم الزمان مفتاحاً من مفاتيح البلاد السورية وحارساً للقسم الجنوبي من الغور، وهي على ما نعتقد كمركز عاصمة للشرق العربي تفضل عمان كثيراً لموقعها الحربي ولتوسطها في بلاد الشرق العربي بعد أن ضمت إليه العقبة ومعان، ولأنه يوجد فيها وفي السطوح الفسيحة القريبة منها مجال لبناء مدينة كبيرة على الأصول الفنية، بخلاف عمان التي بسبب وقوعها في واد ضيق لا تصلح لتكون عاصمة بلاد لها مستقبل عمراني كبير، هذا فضلاً عن أن مناخ الكرك أفضل من مناخ عمان. إذا قيل إن الكرك منحرفة عن الخط الحجازي، نقول إن مستقبل البلاد الاقتصادي والعمراني الباهر يستدعي ربط مصر بالعقبة وبالكرك وبالقطراني بخط حديدي يساعد على العمران وترقية التجارة.

لنا ملء الأمل أن حكومة الشرق العربي مع دار الاعتماد تدرسان هذه الفكرة درساً فنياً واقتصادياً وتضعان فيها مشروعاً يحقق أماني بعيدة النظر من أبناء البلاد العربية، لأن هؤلاء لا يرون في عمان تلك العاصمة الطبيعية لمملكة عربية وتقوم على أنقاض الفتوحات العربية في صدر الإسلام وعلى أنقاض مملكة الأنباط العربية التي تدل آثارها عليها[180].

---

(179) - المقصود الكونت أرناط كما يرد في المصادر العربية، او ارنولد في المصادر الصليبية

(180) - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1128 . 5 آب عام 1925.

الكرك أيضاً

نرجو من قراء الكرمل أن لا يملوا إذا أسهبنا قليلاً في الكتابة عن الشرق العربي وخصوصاً عن الكرك، ففي تلك الربوع عروبة أصيلة غير مشوهة ومظاهرها في النصارى والمسلمين متشابهة بل لا تختلف.

عدد سكان القصبة أربعة آلاف، وعدد سكان القضاء عشرون ألفاً، ما عدا عرب الحجايا الذين يعدون وحدهم خمسة آلاف نسمة. وهذا الإحصاء التقريبي لا يتناول العرب الرحل.

أما سكان الكرك والقضاء الأصليون، يعني غير التجار الآتين من الخارج فكلهم عشائر عربية، ونحو ثلث أهالي الكرك نصارى وهم عشائر مثل العربان المسلمين، ومنهم العزيزات الذين ذكرنا عنهم في أعدادنا السابقة والحجازيين نسبة إلى الحجاز، والمدانات نسبة إلى مداين صالح، والهلسة من أفخاذها القسوس وعشيرة الزريقات، والصناع والحدادين، وأصل هذه المشيرة من لبنان والبقاعين وغيرهم.

أما عشائر العربان المسلمين فهم من المعايطة، ومن أفخاذها العبيد والشمايلة والطناشات [الطنشات] والمحادين والذنيبات، وعشيرة الحباشنة، وعشيرة الصعوب، وعشيرة الطراونة، والصرايرة، وعشيرة الذمور [الضمور]، ومنها الشحيمات وعشيرة المجالي، التي لها زعامة الكرك.

النصرانية والإسلام في الكرك

بقيت الكرك وضواحيها مستقلة وغير خاضعة للدولة العثمانية إلى قبل نحو أربعين سنة لما دخلها حسين باشا برضى أصحابها، وصارت سيادة الدولة عليها اسمية وكذلك كانت سيادة حكومة الملك فيصل وحكومة الأمير عبد الله إلى قبل نحو عامين، ومع ذلك فقد عاشت هذه العشائر النصرانية وغيرها بعضها مع بعض قبل ظهور محمد ﷺ وما زالت إلى اليوم لا تفرق بينها المذاهب مطلقاً، ودليل ذلك انتصار العزيزات النصارى لخالد بن الوليد على الروم، وانقسام العشائر الإسلامية والنصرانية إلى قسمين شرقي وغربي، وكل فريق يتألف من بضع عشائر من المسلمين والنصارى، وكثيراً ما كان هذان الفريقان يختصمان ويتحاربان فيقتل المسلم والمسيحي معاً. من هذا الفريق المسلم والمسيحي من الفريق الآخر. ففي هذا أكبر دليل على أن التعصب الديني لم يكن معروفاً عند العرب ولم يكن موجوداً في النصرانية العربية قبل الصليبين ولا في الإسلام الحقيقي

بعد محمد ﷺ. وقد أدخل التعصب الديني إلى البلاد الصليبيون وضعاف العرب وضعاف موظفي الأتراك، وكانوا كلهم يستعملونه لاستمالة الناس إليهم ولستر أطماعهم وأغراضهم. أما الدين النصراني فهو دين محبة وتساهل وليس فيه شيء من التعصب كما أن الدين الإسلامي هو دين قومي اجتماعي بحت، ولا أثر للتفرقة فيه بين أبناء العنصر الواحد.

فالشرق العربي لم يدخله التعصب إلا من طريق المدن والسياسة ومن صغر نفوس بعض الموظفين، ولكن تأثيره على نفوس الأهالي لا يزال ضعيفاً، فإذا قاومته حكومة الأمير الحالية ومن مصلحة الأمير أن يقاومه بكل قوته. وإذا لم تشجعه دار الاعتماد، بقي الشرق العربي خير مثال للقومية العربية الحقيقية.

قد يقول البعض إن خطف أحد المسلمين ابنة من عشيرة العزيزات المسيحية، الذي أدى إلى رحيل العزيزات وبعض العشائر المسيحية من الكرك إلى مادبا وتعميرها، لأكبر دليل على أن التعصب كان موجوداً. قلنا إن الخطف كان ولا يزال موجوداً عند العرب بدون تفريق بين المسلمين والنصارى، وإن العزيزات لما خطفت بنتهم رحلوا وقتلوا من عشيرة الخاطف ونهبوا من حلالها واستردوا ابنتهم وحصلوا على الترضية على حسب التقاليد، ولم يتحزب العرب المسلمون لعشيرة الخاطف. ولا تألبوا ضد العزيزات، وعندنا أن التعصب لو كان موجوداً في الشرق العربي وخصوصاً في الكرك لكان في وسع المسلمين قبل أن امتدت سيطرة الحكومة أن يفنوا النصارى، [و]أن يرحلوهم لأنهم أكثر كثيراً منهم، ولكن تعايش الفريقين قروناً عديدة حياة إخاء بدون قوة غريبة تسيطر عليهم يدل على أن العصب لم يكن معروفاً عندهم.

صبحة الحجازية

روى لنا بعضهم أن إبراهيم باشا المصري استولى على الكرك وكان زعيمها يومئذ شيخ المجالي إسماعيل، فحدث يوماً أن صبحة إحدى بنات الحجازيين (عشيرة نصرانية) كانت تستقي من بئر فمر بها أحد جنود إبراهيم باشا وراودها فانتهرته، ثم اتفق أن مر بها الشيخ إسماعيل المجالي فألقى عليها السلام فلم تجبه، فسألها عن السبب فقصت عليه حكاية الجندي المصري وقالت له: ما دمت لا تستطيع حماية النساء فلا سلام عليك، فغضب وجمع أهل الرأي من قومه وفاوضهم في الأمر فقرروا الانتقام من جنود إبراهيم باشا، وانقضوا عليهم وأجلوهم عن الكرك بعد قتال عنيف خسر فيه الفريقان

خسارة كبرى، وقد حاولت الحكومة المصرية القبض على إسماعيل المجالي فلم تفلح، فأوعزت إلى عرب الحويطات ليقبضوا عليه ووعدتهم بالمكافأة، فانتظر هؤلاء فرصة ذهاب إسماعيل إلى عمان وحلوله ضيفاً فيها فقبضوا عليه وساقوه من طريق غير عادية إلى القدس وسلموه للحكومة المصرية التي أمرت بإعدامه، فجاء الجلاد ليضرب عنقه فلم يقطعه سيف الجلاد فأوعز إسماعيل إلى الجلاد أن يقتله بسيفه ففعل، فنشأت عن ذلك حرب بين الكرك والحويطات دامت 25 سنة وانضمت معان الشامية والشماخ والشراة والشوبك للكرك، كما انضمت معان الحجازية ووادي موسى والطفيلة للحويطات.

أما إسماعيل المجالي هذا فهو شقيق عبد القادر المجالي جد رفيقان باشا المجالي زعيم الكرك الحالي.

قام في المجالي شيوخ بواسل وعقلاء، ومنهم الشيخ محمد المجالي الذي كان لا يزال حياً لما دخلت الحكومة العثمانية إلى الكرك قبل نحو أربعين سنة، وهذا سن للكرك قوانين عشائرية عادلة وطبيعية وملائمة لأخلاق وطبائع الأهالي.

إلى الآن نرى مضارب الزريقات والحجازيين النصارى مع منازل المجالي، ومثل ذلك قل عند غيرهم، فمن يدرس هذه الحالات الروحية يلقي تبعة كل تعصب يقع في الشرق العربي بين النصارى والمسلمين على حكومة الشرق العربي وعلى الموظفين والتجار، الذين يأتون من فلسطين وسوريا، وعلى الأمير إذا سمح بانتشار مثل هذا التعصب، الذي لا يوافق سياسة البيت الهاشمي الذي يجب أن تكون عربية مطلقة.

نحن يجب أن نعمل كلنا لعروبة خالية من كل شائبة.

محمد ﷺ والنصارى

ومن أجمل ما رأينا أن بعض النصارى لا يزالون في الكرك يسمون أولادهم محمداً ومنهم السيد عبد الله العكشة من الطائفة اللاتينية، فله ولد اسمه محمد وقد زرناه وأعربنا له عن استحساننا، فقال: إني سائر في إثر الأولين فقد كان العرب النصارى في الجاهلية يسمون أولادهم محمداً وكمحمد بن سفيان بن مجاشع أحد أساقفة تميم، ومحمد بن حمران من نصارى مذجح، ومحمد بن خزاعي من زكوان من بني سليم، فتأمل في تمسك هؤلاء النصارى بعروبتهم وتأمل في شر الذين يدخلون التعصب إلى ديار هذه أحوالها القومية[181].

---

[181] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1129 . 8 آب عام 1925.

الكرك أيضاً

قلنا إن الزعامة في الكرك حقيقية، وليست كزعامات سائر مراكز الحكومة في سوريا وفلسطين، التي كانت معظمها مستمدة من الحكام.

زعامة الكرك قامت على قوة الزعماء في أنفسهم وعشائرهم ومن يلتجئ إليهم، وبقيت كذلك إلى حين دخول الحكومة العثمانية إلى الكرك قبل نحو أربعين سنة، فاضطر الزعماء حينئذ أن يراعوا خواطر رؤساء الدوائر إلى درجة ليسدوا الطريق على خصومهم، فلا يتقرب هؤلاء من الحكام ويكشفوا لهم عورات الزعماء. فمنذ ذلك الحين إلى اليوم أخذت زعامة الكرك تهوي، غير أن الوقت لم يكن طويلاً وكافياً لإفساد عزة نفوس الزعماء، فهم اليوم إذا لاقوا من يرشدهم من ذوي العلم والتجربة والإخلاص يصبحون أجدر الناس بالزعامة المحلية.

اجتمعنا بفريق من المجالي في الكرك فأعجبتنا هيئاتهم العربية الوقورة ومظاهر عزة النفس والكبرياء المقرونة بالسذاجة العربية، وشعرنا أنهم في حيرة وارتباك لأن حكومة ركابي باشا، التي تعتمد على إرشاد دار الاعتماد ومشورتها إلى الآن، لم تختبرهم الاختبار الكافي ولا هم اختبروها، وهم يخافون منها على نفوذهم كما تخاف هي من دوام هذا النفوذ ووقوفه عثرة في سبيل اجراءاتها، فقد نحت منهم بعض المديرين، وإنا لنعجب لتنازلهم لقبول وظائف صغيرة كالمديريات وهم ليسوا متمرنين ولا متعلمين أصول الإدارة الجديدة، وإن كانوا أخبر الناس بإدارة الشؤون على أصول العشائر.

انفردنا برفيقان باشا المجالي وأحببنا أن نبحث المسألة معه بحثاً حقيقياً، فقلنا ما مضمونه، كنتم يا صاحبي حكام البلاد وكنتم تديرون إداراتها هلى حسب عاداتكم وتقاليدكم. وكان لكم بحسب هذه العادات من رسوم تتقاضونها على كل مشكلة تفصلونها أو اعتداء تمنعونه، وهذا كان بمنزلة الضرائب التي تتقاضاها الحكومة. فاليوم يوجد حكومة تستند إلى قوة دار الاعتماد، وهذه الحكومة تريد أن تتولى هي الإدارة مستقلة وأن تستوفي هي الضرائب والشعب لا يستطيع أن يدفع الضرائب مرتين، فأنتم من أجل استبقاء نفوذكم يجب أن تتنازلوا عن كل رسوم كنتم تجبونها وتنصرفوا إلى استثمار أراضيكم وأطيانكم الواسعة، فيصبح دخلكم أكثر كثيراً من الموارد الأخرى، وبالوقت ذاته تبقون على رأس الشعب وتدربونه بالاشتراك مع المتعلمين المخلصين في طرق الحياة العملية، وتطالبون الحكومة بخدمة مصالحه وباحترام حقوقه، وتسهرون على الإدارة بواسطة مجلس نيابي لتحفظ الأمن ولتحيي المواصلات وترقى الزراعة والمعارف فتعظم زعامتكم وتثمر، ويزيد احترامكم في نظر

الشعب والحكومة ودار الاعتماد، وبينا لرفيقان باشا كما بينا لغيره رأينا في ضرورة جمع الكلمة واجتناب التحزبات المبنية على أغراض ومنافع شخصية والانقسامات الدينية التي لم تكن الكرك تعرفها قبل دخول الحكومات عليها. فألفينا الرجل واسع المدارك بعيد النظر مستعداً لأن يسير بعشيرته ومن يلتجئ إليها وبالكرك وقضائها في هذه الطريق، ولقد سررنا حقيقة لوجود مثل هذا الزعيم في تلك الديار القصية.

الإدارة في الكرك

أرادت الحكومة العثمانية أن تطور الكرك فأنشأت فيها داراً ومركزاً للحكومة ومركزاً للدرك وسجناً، وأنشأت مكتباً كبيراً يحتوي على نحو 36 غرفة فسيحة في طابقين في أجمل بقعة في البلدة، وأنشأت جامعاً كبيراً، وفتحت الطريق من القطراني إلى الكرك، وأعدت الحصى لتعبيدها، ولكنها شغلت بالحرب التي انتهت بجلائها عن البلاد فتعين من قبل الحكومة العربية حاكم عسكري للكرك علي خلقي باشا[182]، متصرفها الحالي وفتح فيها شارعاً فسيحاً وأصلح دار الحكومة ولكن مدة حكمه لم تطل وتلاه متصرفون آخرون منهم معين بك الماضي فلم يتمكنوا من القيام بعمل يذكر لأن فترة حكمهم كانت قصيرة وقوة الحكومة كانت ضعيفة، ولما سقطت تولى إدارة الكرك رفيقان باشا المجالي فسار بها على طريقة العشائر فبقيت الحال سائرة سيراً طبيعياً مدة نحو سنتين حتى ظهرت بوادر ثورة فعينت حكومة عمان جميل بك المدفعي حاكماً فأسرع إلى الكرك بنحو مئة دركي فأخمد بحكمته الفتنة قبل التحاق القوة السيارة به.

ثم خلف جميل بك في حاكمية الكرك الإدارية نبيه بك العظمة وهو الرجل الذي لقبناه بالحركة العمرانية الدائمة وحالاً وضع لنفسه خطة وهي تعبيد طريق القطراني وإصلاح المكتب وترميمه، وضخ الماء من مسيل الكرك إلى المدينة، وفتح الطريق إلى البحر الميت لتقريب المواصلات مع القدس ولكن سياسة حكومة مظهر أرسلان التي ابعدت نبيه

---

(182) - علي خلقي الشرايري، ولد في إربد عام 1878م، وفي العام 1902 م كان ضابطاً في الجيش العثماني، واصبح حاكماً عسكرياً لمنطقة مكة المكرمة، وهناك التحق بالثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف الحسين بن علي، وبعد خروج الملك فيصل من سوريا، عمد الشرايري إلى تنظيم قوة عسكرية في شمالي الأردن واجزاء من جنوب سوريا، ونظم مؤتمراً عاماً في ام قيس من اجل إنشاء هذه الحكومة المحلية التي ضمت وجهاء عشائر إربد ومحيطها وضمت ايضاً احمد مريود عن منطقتي الجولان وحوران، وتعد هذه الحكومة ممهدة لقيام إمارة شرقي الأردن، بقيادة الأمير عبد الله الأول ابن الحسين، حيث نص احد بنودها على تاسيس حكومة عربية وطنية مستقلة برئاسة امير عربي هاشمي وفي سنة 1923م، دخل علي خلقي الشرايري حكومة حسن ابو الهدى، حيث اصبح ناظر المعارف

العظمة عن إربد قضت أيضاً بفصله عن حاكمية الكرك، فخلفه رشيد باشا المدفعي الذي بدأ بجمع الإعانات من الأهالي لرفع الماء من المسيل إلى المدينة الذي بوشر برفعه اليوم تحت إشراف مديرية النافعة[183] في عمان ومتصرف الكرك الحالي على خلقي باشا.

علي خلقي باشا الذي عهد إليه بإدارة شؤون الكرك اليوم عسكري كبير من أبناء المنطقة، أي من إربد وهو رجل عامل نشيط وحازم أيضاً، ولكنه ككل جندي باسل متسرع على ما نظن في إنجاز الأعمال المتعلقة في تطوير المنطقة.

نعتقد أنه سيكون في وسع علي خلقي باشا أن يتفاهم مع رفيقان باشا وسائر زعماء الكرك بعد أن تتجلي الحقائق ويتبين لرفيقان باشا وغيره أن إجراءات الإدارة ليست من أفكار علي خلقي باشا، بل هي من مقتضيات الإدارة العمومية الجديدة، بعد أن يتبين لرفيقان وسائر الزعماء هذا، يتفاهم معهم علي خلقي باشا ويعملون معاً لترقية شؤون الكرك العمومية، فالكرك محتاجة إلى مواصلات وتسهيلات وتعليم وترويج تجارة، وهو موضوع قابل للتعاون فيه، وعلي خلقي رجل مخلص يرغب في خدمة بلاده وفي أن يرى نتيجة أعماله.

ومن الضروري تنبيه الإدارة إلى أنه يصعب عليها العمل بدون مساعدة رؤوساء الأهالي، وحتى يطمئن لها الرؤساء بعد أن أخذت تعمل على انتزاع ما بأيديهم من السلطة والنفوذ القديمين، يجب أن تصرفهم إلى ما يلهيهم وينسيهم، أي يجب أن تعودهم على العمل والربح من تعمير الأراضي، ويجب أن تساعدهم على تنظيم زعاماتهم وشؤونهم بواسطة مجلس نيابي[184].

الكرك أيضاً

إن من ينظر إلى الأبنية الهامة التي شادتها الدولة العثمانية في الكرك، كدار الحكومة والسجن محل الدرك والثكنة العسكرية التي يستعملونها مكتباً الآن، والمكتب الكبير الفسيح والجامع الذي يبلغ طوله نحو 40 متراً وعرضه كذلك، والذي لا يزال بلا سقف، كما أن المكتب لا يزال مهدماً يدرك أن الحكومة العثمانية كانت تنوي تنظيم الكرك

---

(183) - هي الدائرة المتخصصة بالأشغال العامة، وفي العام 1939م تم إلحاق دائرة النافعة الأردنية بوزارة المواصلات واستمرت بالعمل كدائرة من دوائر وزارة المواصلات حتى العام 1954م حيث اصبح لها اسم خاص وكيان مستقل وسميت بوزارة الأشغال العامة.

(184) - الكرمل - السنة الثانية عشرة - العدد 1130 - 12 اب عام 1925.

والنهوض بها وبقضائها، وإذا أضفنا إلى ذلك الطريق التي فتحتها من القطراني إلى الكرك ووضعت الحصى إلى جانبيها لتعبدها، نستدل على أن تلك الحكومات كانت راغبة في تعمير تلك المنطقة القصية التي أهملت إهمالاً تاماً في عهد حكومة الملك فيصل وحكومات الأمير عبد الله، فعلى الرغم من الضجيج الذي ملأ به اللاعبون على مسارح تلك الحكومات عنان السماء، والتبجح بمدنية العرب ومجدهم وتاريخهم وتراثهم.

واليوم يزداد الإنسان دهشة واستغراباً عندما يرى أن الدولة البريطانية العظيمة المنتدبة وضعت حكومة الشرق العربي تحت المراقبة الشديدة، ومع ذلك لا يشاهد من العمران والانتظام ما يتفق مع شهرة تلك الدولة وعظمتها.

طريق القطراني والمكتب الكبير والجامع في الكرك بمثابة الأنصاب والتماثيل التي تقام لتذكير الناس بأعمال أصحاب تلك الأنصاب العظيمة، وهي تذكرنا بيقظة الأتراك في دورهم الدستوري إلى العمران وبعملهم الجدي له، كما تذكرنا بأن نهضة العرب كانت إلى الآن كلامية هزلية وليس فيها شيء من الجد، والحقيقة أن البريطانيين لم يقوموا بعد بأعمال عملية تدل على مبلغ اهتمامهم بعمران البلاد ورقيها. غير أننا نأمل أن يكون عهد اللورد بلومر والكولونل كوكس والمستر ردنغ عهداً تتجلى فيه الأعمال العمرانية أكثر من العهد الذي تقدمه، والذي كان عهداً صهيونياً أكثر منه إنكليزياً فضعضع العرب وأضعف آمالهم وثقتهم ببريطانيا.

ماء الكرك

تعمل اليوم شركة يهودية على رفع الماء من مسيل الكرك إلى المدينة، وهذه الفكرة قديمة من عهد الأتراك وقد أنعشها نبيه بك العظمة وباشر تطبيقها رشيد باشا المدفعي متصرف إربد الحالي والكرك سابقاً، وهي تطبق اليوم في عهد علي خلقي باشا متصرف الكرك الحالي.

نحتج ونتهم الإدارة التي فوضت هذا المشروع إلى شركة يهودية من أجل مناقصة عشر جنيهات. كان يجب أن لا تنظر إليها في جانب تحاشي الخطر الصهيوني في بلاد لا تزال مسدودة في وجه الصهيونية.

من يذكر أن الإعانة التي جمعت من أهالي الكرك لرفع هذه المياه هي ثالث إعانة، وأن المكتب الكبير والجامع الكبير بنيا بإعانات جمعت من الأهالي يستدل من هذا على استعداد العرب للقيام بالمشاريع العمومية وعلى رغبتهم في العمران إذا وجدوا منظمين

صالحين أكفاء، ثم إنه يقبل عذراً لحكومة فيصل ولحكومات عبد الله، على تهاونها في إحياء النهضة العمرانية الاقتصادية وإحياء الشعب أيضاً وتزيد واردات الإدارة.

بلدية الكرك

رئيسها الحالي دليوان باشا المجالي، وهو رجل شهم عالي الجناب لا يتأخر عن تعمير البلدة والنهوض بها إذا كان إلى جانبه متصرف عمراني يدريه على زيادة واردات البلدية وطرق إنفاقها، فقد بدأ بتبليط الشوارع والساحات حول دار الحكومة بما لديه من التوفيرات من ميزانية البلدية.

ميزانية البلدية تسعمائة جنيه، وهي قليلة جداً بالنسبة إلى حاجة الكرك إلى العمران، فعسى أن يستطيع علي خلقي باشا والرئيس إيجاد مورد أو موارد ثابتة للبلدية تمكنها من أن تكون قدوة الأهالي في العمران.

نزلنا في الكرك ضيوفاً على السيد جرجس الحدادين، لأننا سافرنا إليها في سيارة واحدة مع ابن عمه السيد متري الحداين، وقد وجدنا من مضيفنا ومن جميع أعيان الكرك وأكابرها ما أطلق لساننا بالثناء على مكارم أخلاقهم العربية وحسن معاملاتهم.

الأمن في الكرك

حالة الأمن حسنة وتحتاج إلى زيادة عناية، كما أنه يحسن السهر على رجال الدرك حتى لا يخرجوا عن دائرة القانون.

القضاء

أما القضاء في الكرك فهو نزيه على ما لمسناه، وبعيد عن الرشوة، غير أنه لا يخلو في الكرك، كما في غيرها من البلدان العربية، من التأثر بالعوامل الحزبية والطائفية التي نرجو من أفاضل رجال القضاء أن يتغلبوا عليها لأن القضاء فوق كل شيء ونرجو من رجال القضاء في الكرك أن لا يعتبروا هذه الملاحظة خصيصاً إليهم، وإنما بيناها بالمناسبة لعموم رجال القضاء من العرب.

الكرك عاصمة

غادرنا الكرك وفي النفس غصة، لماذا لا تكون هذه البلدة العربية البحتة عاصمة

الشرق العربي وفيها كل ما يؤهلها لذلك من موقع جغرافي وماء واستعداد للعمران، فنأمل من الأمير وحكومته ودار الاعتماد أن يفكروا في ذلك.

عدنا من الكرك إلى عمان برفقة رفيقان باشا المجالي، وشيخ الحجايا وهو رجل عربي كريم ساذج [عفوي]، وقد كان يرافقنا في كل جولاتنا في الشرق العربي الكاتب الوطني الأديب الفاضل السيد مصطفى وهبة التل[185] فقطعنا مسافة الطريق الطويلة من الكرك إلى عمان ونحن نتحدث في شؤون الشرق العربي العمرانية والاجتماعية والاقتصادية[186].

من عمان إلى اربد

الطريق من عمان إلى إربد تمر بصويلح ومنها تسير وسط جبال وأودية جميلة جداً بمناظرها الطبيعية وبهوائها الجيد، والسيارة تسير في طريق فتحتها مديرية نافعة عمان الجديدة النشيطة والمخلصة.

جرش

إحدى المدن اليونانية العشر، وهي مدينة فيها خرائب غاية في العظمة والإتقان، وفيها مسرحان كبيران وهيكل للشمس وهيكل آخر وسوق قائم على الأعمدة لا يزال بعضها قائماً، طول السوق يبلغ نحو كيلو متراً، أما البلدة الحالية ففيها جالية جركسية تبلغ 150 عائلة وفيها نحو 60 عائلة للتجار والعمل، وهي مركز مديرية وفيها قاضي صلح نزيه.

إن ما في جرش من آثار تدل على مدنية القدماء واهتمامهم بالعمران لأكبر عبرة لحكومة الشرق العربي العربية الفتية، ومثال للحكومات والأمم التي تود أن تعمل للعمران وللمدنية والتطور.

---

[185] - مصطفى وهبي صالح التل (1899- 1949) عرف باسم عرار. ولد في مدينة اربد سافر إلى دمشق عام 1912 م نفي إلى حلب حيث أكمل دراسته الثانوية من المدرسة السلطانية في حلب. درس القانون في أواخر العشرينيات، واجتاز فحص وزارة العدلية ليحصل على إجازة المحاماة عام 1930 م أتقن التركية وتعلم الفرنسية والفارسية. حصل على وسام النهضة من الدرجة الثالثة من ابنائه وصفي التل الذي شغل منصب رئيس الوزراء في المملكة الأردنية الهاشمية خلال السبعينيات من القرن العشرين وسعيد التل الذي شغل منصب نائب لرئيس الوزراء في المملكة الأردنية الهاشمية خلال التسعينيات

[186] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1131 . 15 آب عام 1925.

أما الطريق من إربد إلى جرش فقد مهدها تمهيداً حاكم إربد الإداري السابق نبيه بك العظمة،[187] وحاكم جرش السابق الأمير فايز شهاب.

الأراضي على جانبي الطريق كلها عارية من الشجر فيما خلا صويلح وجرش حيث توجد بعض البساتين وبعض الأحراش البرية أيضاً.

النعيمة

مررنا بأراضي النعيمة وأراضي الحصن فإذا التي زرعت منها شتوياً لا تزال حمراء لم ينبت فيها زرع ولا عشب لعدم سقوط المطر، ولم نر بيادر ولا أثراً لها في الحصن الأمر الذي يدمي الفؤاد حزناً على أهالي القرى الذين لم تنبت بلادهم زرعاً وليس عندهم ماء.

إربد

عاصمة اللواء التابع لها و المسمى بلواء عجلون. عدد نفوسه يبلغ نحو مائة ألف نسمة وقراه يبلغ عددها 96 فيها 18 مدرسة فقط ما عدا مدرسة القصبة، وللواء خمس مديريات وهي جبل عجلون والكورة وأم كيس والغور والرمثا.

القرى التي تضررت من قلة المطر

عدد القرى التي تضررت من قلة المطر في لواء عجلون 27 قرية، وهي تحتاج إلى 60 ألف جنيه مصري على الأقل، وذلك تعديل لتموين أهلها ولمشترى بذار. ولم يبد من حكومة الشرق العربي بعد ما يدل على أنها مهتمة اهتماماً فعلياً لإنقاذ الأهالي من حالة اليأس التي بلغوها، فبعضهم باع حيواناته لأن ليس لديه تبن يطعمها ولا ماء يسقيها، وهو يحتاج إلى ثمنها ليسد به جوعه ويكسي عريه، وبعضهم رحل ليشتغل في قرى فلسطين ومدنها وقرى الشرق العربي التي هي أحسن حالاً من القرى المصابة.

---

[187] - نبيه العظمة (1886-1972م) زعيم استقلالي سوري، ينتسب إلى عائلة العظمة الدمشقية نشأ في اسرة برزت في المجال العسكري في العهد العثماني فأعمامه (زكي وطاهر ويوسف) وصلوا إلى مناصب عالية في عملهم العسكري التحق نبيه بالمدرسة الحربية في اسطنبول عام 1905 قامت حكومة الانتداب الفرنسي بنفيه من دمشق إلى القدس، فاستطاع ان يصير صلة وصل بين المجاهدين في سوريا والمجاهدين في فلسطين واصبح رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين، في سوريا. كان من الضباط السوريين الذين اسهموا في تشكيل الوحدات العسكرية في الجيش السعودي النظامي تولى حقيبة الدفاع في اول حكومة سورية بعد الاستقلال، ثم تولى رئاسة الوزراء مرتين الأولى عام 1948 والثانية عام 1954. اخوه الأصغر هو عادل العظمة، وابوهما هو عبد العزيز الأخ الأكبر لوزير الحربية الشهير في حكومة الملك فيصل الشهيد يوسف العظمة

يجب أن تهتم الحكومة اهتماماً كبيراً بدفع الضائقة الاقتصادية عن هذه القرى لتمكنها من استئناف زراعتها، وإذا لم يكن لها سبيل إلى عقد قرض فمن الضروري أن تعقد قرضاً بدون فائدة تستوفيه من معاشات الموظفين على أربعة شهور أو خمسة، فالذين معاشهم دون العشر ليرات مثلاً تستقرض ربع المعاش في كل شهر، والذين معاشهم فوق العشر ليرات تستقرض ثلثه، وإذا لم تفعل ذلك يقع عجز في الميزانية في هذه السنة والتي بعدها، وتتضعضع حالة الحكومة الإدارية ويخسر الموظفون معظم معاشاتهم في السنة المقبلة، وتتوقف حركة الإدارة والعمران.

بلدية إربد

رئيسها السابق السيد عبد القادر التل، وهو رجل نشيط يميل إلى العمران، بنى دائرة البلدية وبنى لها أوتيلاً وبلط جانباً من أسواقها، وكان يعمل لإيجاد الماء فحفر الآبار الارتوازية، وقد فصل لأسباب إدارية إن لم نقل سياسية نرجو أن تكون قد زالت الآن.

تدار رئاسة البلدية اليوم بالوكالة، وكيل الرئيس السيد عبد الرزاق الشرايري، وهو من الرجال النشيطين أيضاً.

ميزانية بلدية إربد ألف وثلاثمائة جنيه ينفق منها على الرواتب 250 جنيهاً، وعلى التعميرات 250، وعلى التنوير والتنظيف 30، وعلى الطرق 800 جنيهاً، وعلى الصحية 50 جنيهاً، وستعمر في هذه السنة مسلخاً بأربعين جنيهاً، وتدفع ضرائب على أملاكها 60 جنيهاً، وفي النية إنشاء بضعة مخازن لزيادة وارداتها، وستشترك في نفقات حفر بئر ارتوازية، وتنوي أيضاً عمل خارطة للبلدية، فنأمل أن تنشط بلدية إربد وتكون مثالاً للعمران لأهالي البلدة ولسائر أهالي القضاء، فالبلديات في البلدان المتمدنة عنوان النشاط والتنظيم ومثال الاجتهاد الذي يقتدى به، وكذلك مثال الحرص على المصالح العامة، ومن أجل هذا سلمتها الشعوب إدارة شؤونها[188].

إربد أيضاً

إربد أيضاً متأثرة من الخلاف بين ركابي باشا والأمير، والخلاف محسوس في دوائر الحكومة، وهي أيضاً من القرى التي أصيبت بضربة قلة المطر، ولكن أهلها يهتمون للخلاف الحزبي أكثر من اهتمامهم لمصيبتهم من الضائقة الاقتصادية، ولو أن هذا

---

[188] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1132 . 19 آب عام 1925.

الخلاف حزبي حقيقي لما وجد المرء مجالاً للانتقاد، ولكنه في الغالب تشيع للأشخاص يضر بالمصلحة الوطنية وبمصلحة الأشخاص الذين ينحاز لهم الأهالي وبمصالح الأهالي أنفسهم، فالعقلاء في بلد يجب أن يحملوا الشخصين الكبيرين على ترك خلافاتهم والعمل لمصلحة الوطن، والأهالي يستطيعون ذلك إذا انصرفوا هم للاهتمام بالأمور الوطنية العامة، وألحوا بطلب المجلس النيابي وحصروا اهتمامهم بالعمل فيه لتنظيم شؤون بلادهم وخدمة نهضتها الاقتصادية.

في إربد رجال تدربوا على الإدارة مثل نيازي بيك التل، وعلى العسكرية مثل علي خلقي باشا، وفي لواء عجلون عدد غير يسير من الشبان يمكن تدريبهم على أعمال الحكومة فيصيرون من خيرة الرجال العاملين.

مدرسة الصبيان في إربد

في إربد مكتب للصبيان مبني إلى جانب دار الحكومة في أحسن موقع من البلدة فيه 14 غرفة، وقد بني في عهد عبد الحميد وأصلحه نبيه بيك العظمة، وتباشر الإدارة تصليح بعض غرفه لاستخدامه في السنة المقبلة.

اتفق وصولنا إلى إربد في المساء الذي اشترك فيه تلامذة مدرسة الحصن مع تلامذة مدرسة إربد بتمثيل رواية فتح القادسية، وقد تجلى فيه انتصار العرب النصارى من تغلب لإخوانهم المسلمين في هذه الموقعة كما في غيرها.

المدرسة ناجحة بهمة مديرها وأساتذتها، وقد سررنا جداً بما يبثونه من الروح والمبادئ العربية في نفوس الطلبة، غير أننا نتمنى لكل من مدارس المدن في الشرق العربي وفلسطين أيضاً مرشداً أمريكياً يبث في التلامذة روحاً جديدة، ويرشدهم ليأخذوا بأسباب وطرق التربية والتعليم المتبعة في أمريكا.

مدرسة البنات

أما مدرسة البنات في إربد فقد انتعشت بإدارة مديرتها كريمة الأستاذ الفاضل أمين أفندي فارس، كما كانت مدرسة بنات الناصرة زاهرة في عهد إدارتها. وصلنا إلى إربد لما كانت المدارس مقفلة فلم نستطع زيارتها، ولكننا سمعنا الثناء المستطاب على مدرستي الصبيان والبنات في إربد.

مدنية بالرجوع القهقرى

لاحظنا في السلط وإربد أن البنات في الشرق العربي، عندما يتعلمن في المدارس ويصرن يجدن القراءة ويعرفن بعض مبادئ العلوم، تتوق أنفسهن إلى تغيير ملابسهن الوطنية الجميلة، وهي الثوب الطويل والعصابة الحريرية وسلطة الجوخ، فيستبدلنها بالحبرات والحجاب، وهكذا ينتقلن بما نسميه مدنية من الحرية إلى التقيد، فليت الإدارة أو الآباء والأمهات ينتبهون إلى هذا ويحملون بناتهم على المحافظة على أزيائهن الوطنية وإيجاد بعض التحسين فيها من دون الرجوع إلى الحجاب، الذي يقيد المرأة ويحرم المجتمع من كثير من خدماتها ومواهبها.

الغرس

نشطت إربد في هذا الموسم للغرس نشاطاً كبيراً، غير أن ما غرسوه مات كله لقلة المطر.

الأحراش

كان في جبل عجلون بقية أحراش مسنة، وكانت تحلي المناظر الطبيعية وتحسن الهواء والمناخ وتحرك الرياح لجلب الأمطار، فأعطت حكومة مظهر أرسلان امتيازاً لسعد الدين باشا شاتيلا فأفنى هذا الأحراش وتعدى إلى الأحراش الخاصة كأحراش قرى مندح والطيبة وزبدة، ولم يكن للهيئة الفنية أقل سلطة عليه ولو لم تلغ هذا التضمين حكومة ركابي باشا لما بقي للأحراش أثر في لواء إربد، ومع ذلك فحالة الأحراش اليوم تدمي الفؤاد وإنا لنستغرب أعمال الحكومات التي تتقيد بإرادة الفرد، فكثيراً ما تخرب بلاداً من أجل رجل فرد عادي لا عمل له إلا الاستنزاف والتخريب وذلك لمجرد كونه لامعاً.

نزلنا في إربد ضيوفاً على المحامي صالح أفندي التل، فرأينا من كرمه وكرم أعيان إربد وحسن معاملتهم ما يجعلنا نوصي بالمحافظة على حسن الضيافة العربية.

الحصن

زرنا قرية الحصن وهي واقعة على مسافة ستة أميال إلى جنوب إربد. عدد نفوسها أربعة آلاف، ثلثاهم نصارى من بقية الغسانيين، والحصن هي إحدى مراكز النصارى الأربعة في الشرق العربي، والنصارى في الحصن لا يختلفون في سحنهم

وأخلاقهم وعاداتهم عن إخوانهم المسلمين، وللحصن وقائع وحروب مع الفائز والخرشان من بني صخر، ولو صار لهذه القبائل من يرشدها إلى واجبها نحو إخوانها لكانت في مقدمة من يعطف على العرب النصارى من جيرانها، لأنها تتأثر بالعوامل القومية أكثر من تأثرها بأي من العوامل الأخرى. ولكن مصالح المتنفذين والذميمي الأخلاق كثيراً ما تستفيد من سذاجة البدو فتحرضهم باسم الدين ليعتدوا على إخوانهم وجيرانهم النصارى، فتقع بينهم معارك وحروب وسلب ونهب عسى أن يكون عهدها قد انتهى بوجود حكومة منظمة.

كانت الحصن في مقدمة القرى التي نشطت للغرس في لواء إربد في الموسم الماضي ولكن مغروساتها يبست لقلة المطر، وقد تقدم القول إن الحصن كانت من القرى التي أمحلت في هذه السنة.

مكتب الحصن

في الحصن مكتب كبير للحكومة عمره نبيه بيك العظمة بإعانات الأهالي فيه 180 طالباً، وفيه ثلاثة مكاتب أخرى أيضاً لها هذا العدد من الطلبة.

أيدون

عرجنا من الحصن إلى أيدون وزرنا فيها السيد محمود الحمود من وجهاء قضاء إربد المعروفين بنزعتهم الوطنية ومن التجار الطيبي المعاملة. أما البلدة فصغيرة وفيها مكتب حسن، ولقد ساءنا أن رأينا الطريق التي بناها الأتراك من إربد إلى جبل عجلون وفرشوا الصرار على جانب كبير منها؛ ولا تزال غير مدحولة على الرغم أنه مضى عليها نحو ثماني سنين في عهد حكومات فيصل والأمير عبد الله العربية.

الجنود والعصابات

سمعنا أخباراً مؤلمة عن أعمال الجنود الذين أنيط بهم سابقاً التحري عن رجال العصابات في منطقة إربد، فقد ضربوا الأهالي وحملوهم على أن يعلقوا للخيل راحة الحلقوم وأن يقدموا دخاناً بكثرة للجنود، فرجاؤنا أن يسهر بيك باشا على الضباط من بعد الآن فلا يعودون إلى ارتكاب مثل ما شاع وذاع أنهم ارتكبوه في ذلك الزمن[189].

---

[189] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1133. 23 آب عام 1925.

عمان

كانت يوماً تدعى «ربة عمون» عاصمة العمونيين، وكانت في ذلك الحين خطراً على الإسرائيليين كما كانوا خطراً عليها، وحاربوها مراراً وأشهر حروبهم معها الحرب التي قتل فيها أوريا الحثي أحد أبطال الجيش الإسرائيلي تحت أسوار المدينة، وقد قتل بوسيلة ليتمكن الملك داود من ستر جريمته وأخذ امرأة ذلك الأجنبي المجاهد في سبيل الإسرائيليين ضد أهل بلاده على رواية التوراة، وعندنا أن أوريا استحق هذه الميتة لأنه حارب ضد أهل بلاده مع الغرباء، كما أن داود ترك مثالاً صريحاً يدل على معاملة اليهود للذين يخدمونهم ضد مصالح بلادهم وأقوامهم، وإنا نتمنى أن يراجع كل من يقرأ الكرمل هذه القصة في التوراة[190].

قلنا إن ربة عمون كانت خطراً على الإسرائيليين كما كانوا خطراً عليها، وما كان أبعد خطرهم عنها وعن غيرها لو كان أهل البلاد يومئذ عقلاء وبعيدي النظر، وتألبوا في غربي الأردن وشرقيه على دفع الهجرة الإسرائيلية من عبودية مصر إلى فلسطين. صار اليهود خطراً على ربة عمون وكل بلاد العمونيين والمؤابيين لتخاذل أهل البلاد وتفكك عراهم وتركهم اليهود يغزونهم ويحاربونهم ويتغلبون عليهم ويتملكون بلادهم قرية قرية ومدينة مدينة وعشيرة عشيرة، فلو اجتمع يومئذ العمالقة في جل الخليل واليبوسيين والحثيين والكنعانيين والفلسطينيين وغيرهم من العشائر في غربي الأردن مع المؤابيين والأدوميين

---

(190) - قصة داود مع أوريا الحثي وزوجته مشهورة جداً وهذا نصها كما ورد في صموئيل الثاني: (وكان في وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحمّ وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه بثشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثّي فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهّرة من طمثهاثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلى. فأرسل داود إلى يوآب يقول: أرسل إلي أوريا الحثي، فأرسل يوآب أوريا إلى داود. فأتى أوريا إليه وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك. ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر. فلماذا لم تنزل إلى بيتك فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي؟ وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر. فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضاً وغداً أطلقك، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل، وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول :اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه، فيضرب ويموت وكان في محاصرة يوآب المدينة: أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضاً. فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنًا، وأما الأمر الذي فعله داود فقَبح في عيني الرب) [صموئيل (2)11]

والعمونيين في شرقيه، ووقفوا في وجه اليهود لما عبروا الأردن ولألقوهم في النهر واستراحوا من حروب كثيرة، وكنا قد استرحنا اليوم من غزوة صهيونية تهدد الجزيرة كلها.

صارت عمان إحدى المدن اليونانية العشر، فبنيت على نمط المدن اليونانية وأنشئت فيها الملاعب والأبنية الفخمة والهياكل وسوق الأعمدة، وبني لها حصن منيع لا تزال آثاره شاهدة على عظمته على التل المشرف على المدينة، وصار اسمها في ذلك العهد فلادلفيا، غير أنها لم تحتفظ بهذا الاسم لأن الاسم الشرقي القديم عاد فتغلب بعد زوال سلطة الرومانيين وتغلب العرب.

صارت عمان عاصمة إمارة «الشرق العربي»، وهو اسم وضعناه لهذه الإمارة لتوجيه الأنظار والقلوب ولحمل العرب على الحنين إليها.

مر حلم في رؤوس العرب المخلصين ألا وهو أن هذه العاصمة ستحيي آمال العرب وأمانيهم التي أضاعوها في الشام بسوء الإدارة، ولكن هذا الحلم لم يلبث أن تبدد كما تتبدد الغيوم أمام الرياح العاصفة، وذلك لاعتماد أمير تلك البلاد في توطيد إمارته على القوى والعوامل الغربية وانغماسه في ملاذه ومحاولته إدارة البلاد إدارة كيفية، ولعدم اعتبار رجال حكوماته ما عدا نفراً يسيراً منهم بالعبر التي مرت بحكومة فيصل العربية، فجعل الأمير وحكوماته عاصمتهم عمان سياجاً للوطن القومي الذي حالما بدأت سياسته تتوطد أخذ يقضي على حيثيتهم ومكانتهم، وتصبح الصهيونية خطراً ليس فقط على العاصمة عمان بل على الشرق العربي كله بل على الحجاز ونجد والعراق واليمن وفارس أيضاً. وهذه نتائج طبيعية لسياسة التخاذل التي يحاول الأخ أن يستفيد بها من مصائب أخيه.

عمان عاصمة الشرق العربي الذي أصبح واأسفاه باستسلام أميره وحكوماته تحت رحمة السياسة الإنكليزية – الصهيونية، نحن ما كنا نخاف من السياسة الإنكليزية البحتة لو أن ساسة العرب كانوا مرنين ولو أخلص زعماؤهم وم يكونوا نفعيين ولم يتسلحوا بالتعصب الديني لإخفاء أغراضهم الدنيئة عن العامة، ولكن ما دامت الأحوال غير ملائمة والمبادئ غير قويمة والشعب مستسلماً فنحن نخشى أن لا يبقى من الشرق العربي غير اسمه للعرب.

عمران عمان

يرى الداخل إليها فيها دلائل العمران، فقد تقدمت كثيراً عما كانت عليه لما زرناها في أواخر سنة 1922 وشرعت الحكومة ودائرة الهندسة توسع شوارعها وتنظمها.

أما الأبنية في عمان فتزداد بكثرة وبعضها جميل وفخم، ولكن لدى السؤال عن الأبنية الفخمة يتبين أن معظمها للعسبلي أو الأنسي وسعد الدين شاتيلا وأبناء ملحس وغيرهم من المقربين للأمير الخبيرين بطرق التزلف. من يرى هذه الأبنية الفخمة لهؤلاء المقربين ويرى أن الحكومة لا تزال في غرفتين ثلاث حقيرة بنتها الحكومة العثمانية داراً للمديرية التي كان مركزها عمان، ويسمع أن سمو الأمير مدين ببضعة آلاف جنيه في حين أن الإشاعات متواترة على أن كل من هؤلاء وفر ثروة، يعجب لسلامة طوية الأمير واستسلامه لمقربيه المتزلفين، ويحكم بأنه كان هناك تبذير كثير إن لم نقل غير ذلك. وإن الإدارة كان زمامها الحقيقي في يد النفعيين، ويشفق على سمو الأمير الذي لم يجن من وراء ذلك سوى السمعة السيئة، ويعجب كيف أنه لا يزال محافظاً على رفقة هؤلاء ومتمسكاً بهم على الرغم من كونهم السبب الأكبر في إضعاف نفوذه وتقييد سلطته[191].

عمان أيضاً

قلنا إن عمان عاصمة الشرق العربي، وهي في الحقيقة بلدة أعجمية ولا تصلح أن تكون عاصمة إمارة عربية.

منحت الحكومة العثمانية عمان لمهاجري الجركس فاتخذوها مع جرش ووادي السير مقراً لهم، فهي في الحقيقة قرية جركسية وقد كثر الغرباء فيها بعد أن اختارها أمير البلاد مقراً لإمارته، وصاروا أكثر من سكانها الأصليين، فسكان عمان اليوم عبارة عن خليط من الجركس والأكراد والعرب والأرمن النازحين إليها من مختلف البلدان، والبلد التي سكانها خليط من أجناس وعناصر مختلفة لا تصلح قاعدة إمارة تبنى على أسس القومية لتكون سياجاً قوياً يرد هجمات الاستعمار الصهيوني الإنكليزي من جهة، والاستعمار الفرنساوي من جهة أخرى عن قلب شبه الجزيرة العربية، ورقيباً على ما يجري في منطقتي النفوذ اليهودي والفرنساوي العربيتين، ومركزاً يوحي القوة إلى أهليهما العرب، ويذكرهم بالروابط القومية التي تربطهم بإخوانهم، فيشجعهم على الثبات والمقاومة فلا تتغلب عليهم العوامل الاستعمارية والعناصر الغريبة. فعاصمة أهلوها لفيف من عناصر مختلفة لجؤوا إليها بقصد المعيشة أو الربح، لا يمكن أن تكون مصدراً للوحي أو مبعثاً للقوة والقومية.

ومن البديهي أن العناصر الغريبة التي غرضها المعيشة والربح لا يروقها أو لا

---

[191] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1134 - 26 آب عام 1925.

يتفق مع مصالحها صيرورة العنصر صاحب البلاد قوياً، فهي في موقع عمان بين سياسات عربية وإنكليزية ويهودية وفرنساوية ومسيحية وإسلامية، تجد مجالاً كبيراً للتلون بحسب ما تقتضيه مصالحها. ويخرج منها جواسيس ودساسون وخصوم ومعارضون يعملون كالسوس في جسم البنيان العربي، فيدكونه قبل أن يعلو عن وجه الأرض. وزد على ذلك فالعرب اللاجئون بقصد الارتزاق أو الحماية أو الاتجار إلى عمان لا يعول عليهم كثيراً في بناء القومية ودرء الخطر عنها، ولا يمكن للإمارة اعتبارهم قوة مدافعة، لأن أمثال هؤلاء يهمهم في الدرجة الأولى سلامة نفوسهم وفي الثانية رواج مصالحهم وتوفير مكاسبهم.

أما موقع عمان الطبيعي فهو في واد ضيق غير متسع لعاصمة لها مستقبل اقتصادي كبير، لأنه لا يساعد على النمو فضلاً عن أن ضيق الأودية يجعل الهواء فيها مزعجاً في الصيف والشتاء، ولذلك نرى أن الأمير أخطأ من وجوه مختلفة في اختيار عاصمة إمارته، وإذا كان البريطانيون نصحوه بجعلها عاصمة فقد أخطؤوا هم أيضاً، ولا نعتقد أن الرجلين الكريمين من البريطانيين الذين قد يكون لهما رأي في مركز العاصمة الذي لم يبق مستقراً بعد الضم الجديد، وهما الكولونل كوكس والمستر ردنغ يسيران في سياستهما على طريق الاستعمار القديمة المألوفة، وهي الاستناد إلى إضعاف القوميات وبلبلة الآراء، فهذه سياسة صارت ممقوتة من جميع الشعوب وتلقى مقاومات عنيفة في كل مكان، وما الثورات والفتن التي تظهر من حين لآخر في بلدان مختلفة إلا نتائج طبيعية لهذا النوع من السياسات الاستعمارية.

نحن بقدر ما نسمع من علو جناب الكولونل كوكس ونعلم عن حسن نيات المستر ردنغ وصفاء سريرة الرجلين، نعتقد أن الشرق العربي لايطاله الأذى، ولا يلاقي العراقيل في سياسته القومية إن لم ينل المساعدة منهما على شرط أن ينتبه الأمير وحكومته إلى تسيير هذه السياسة في طريق الحكمة والكفاءة والاعتدال.

بل نحن على مثل اليقين بأن هذين الذاتين الكريمين سينهجان في سياستهما في الشرق العربي منهاجاً جديداً يخلق علاقات متينة بين العرب والبريطانين تؤدي إلى التآخي والتحالف القويين، وذلك بالعمل لتأمين المصالح البريطانية من وراء مساعدة العرب على إحياء قوميتهم وتأليف جامعتهم وتحبيبهم بالبريطانيين الذين يساعدونهم. وذلك لا يتم طبعاً إلا بشد أزر المخلصين المجربين من العرب ونبذ المنافقين والمتزلفين الذين ينهشون لحم الأمة ويشربون من دمها.

سيفتح المعتمد[192] ومعاونه الحاليان في الشرق العربي طريقاً جديدة للعلاقات بين بريطانيا والشرق الأوسط، يجدها الرأي البريطاني إن شاء الله أسهل الطرق وأقربها وأقلها كلفة وأضمنها نتيجة.

وما دامت نبالة القصد ظاهرة فأول ما يفكران به أمر العاصمة ليكون لهما فيها وحولها كتلة عربية سليمة صالحة تصح أساساً للعلاقات، فلا يعارضان الأمير وحكومته بل يساعدانهما إذا أرادا أن يختارا عاصمة للإمارة بلداً عربياً صرفاً تكون في وسط المنطقة بعد أن ألحقت بها العقبة ومعان، كالكرك مثلاً التي أهلها النصارى والمسلمون من أقحاح العرب ومن عشائرهم العريقة والقديمة[193].

عمان والعمران

قلنا إن عمان التي صارت بغير حق عاصمة الشرق العربي أخذت في السنتين الأخيرتين تتقدم تقدماً مطرداً في العمران، وهذا التقدم يكفله ويستعجله المواصلات والتنظيم العمراني والصحة العمومية والأمن والقضاء والزراعة والمعارف، وبالنتيجة الثقة بالحكومة.

المواصلات والتنظيم

دخلت النافعة منذ عهد حكومة ركابي باشا للمرة الثانية في طور فني عملي صحيح، فقد عين لها مديراً المهندس عبد الله أفندي غريب، وعين مساعداً له السيد نصير إلياس وهما شابان عاملان نشيطان تخرج الأول منهما في أميركا والثاني في ألمانيا فعرفا معنى العمران والتنظيم، وهما يعملان بكل ما أوتيا من قوة وبكل ما لديهما من الوسائل على تنظيم عمان، ولعلهما يفكران بتنظيم سائر المدن وبإحياء المواصلات، فالذي يرى عمليات الطرق في وادي شعيب بين الغور والسلط، وبين عمان وجرش لا يسعه إلا الإعجاب بنشاط هذين الشابين وشكرهما، وخصوصاً إذا علم أن ميزانية دائرتهما لا تزيد عن 18 ألف جنيه في السنة، وأن بعض الدوائر تجتهد في تقييد حريتهما الفنية.

نحن نقترح على حكومة ركابي باشا أن توسع دائرة اختصاص السيد غريب، وأن

---

[192] - هو مسؤول مكتب الاعتماد البريطاني وهو كما قلنا أكثر من سفير أو قنصل

[193] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1135 . 29 آب عام 1925.

تزيد من مخصصات دائرة الأشغال (النافعة) زيادة تذكر لتستفيد من هذين العاملين، اللذين لو اقتدى بهما كل رجال دوائر حكومة الشرق العربي لحق لنا أن نقول بملء أفواهنا إننا نستطيع إدارة شؤوننا بأنفسنا.

الصحية

أما دائرة الصحية فيسوؤنا أن لا نستطيع أن نقول فيها ما قلناه في دائرة النافعة، فهي تدار برئاسة الدكتور توفيق رضا الملقب بفيلسوف الأتراك، والدكتور على ما ظهر لنا إما لاه بفلسفته، وإما ناقم على بلاده وعلى البشرية معها، ولا يروق له منها على ما يظهر سوى أعمال «أبناء الصهيونية» فقد قيل لنا إنه يبشر بها أحياناً في الشرق العربي.

ليس للدكتور أدنى سيطرة على أطباء الصحية ولا اهتمام بأمور الصحة.

خرج عالم!

ويدلك على ذلك أنه اتفق أن جمعنا وإياه مجلس في حضرة رئيس الحكومة، فسأله الرئيس عن «كينا» يستجلبها من الشام لا نفع فيها، فأجاب حضرته «خرج عالم»، فأجفل الرئيس من هذا الجواب، وجرى بينه وبين الفيلسوف محاورة بالتركية فهمنا مضمونها فيما بعد، وهو أن هذه العلاجات العاطلة هي خرج العالم الذين تعطى لهم ليستعملوها، فاستغربنا كيف يحتقر فيلسوف قوماً آووه وحموه بعد أن خذله قومه، وأرادوا أن يقتلوه. متى عرفت هذا لا تعود تعجب إذا رأيت حالة عمان قذرة، وكنت لا تنام من لسع «الناموس والبرغش»، فيها ولولا أن مدير النافعة أصلح مجرى السيل وسط المدينة لكانت الملاريا أضعاف ما هي عليه. متى عرفت هذا لا تعجب إذا رأيت أطباء الصهيونية في عمان يديرون دفة السياسة ويحافظون على مراكزهم بالمشاغبات والفساد الكثير.

لولا أن في عمان مستشفى له إدارة حسنة بقدر ما يساعد البناء، وفيه طبيب حاذق مواظب رفيق بالمرضى الدكتور حنا القسوس من أبناء المنطقة؛ لما رأيت أثر للصحية.

صيدلية في العاصمة

ليس هناك سوى الصيدلية التي هي أشبه بدكاكين العطارين التي كانت من قبل تبيع الأدوية.

طبيب في فلسطين

ولعل ركابي باشا ودار الاعتماد أدركو هذا الخلل في الإدارة الصحية، فطلبوا من إدارة فلسطين طبيباً ينظم لهم الصحية فأرسلت لهم حضرة الوطني الغيور الحاذق الدكتور حليم أبو رحمة، الذي نتوقع أن يتمكن من إجراء الإصلاح المقتضى وسط الأدوار السياسية والمشاغبات التي يقوم بها أطباء الصحة في عمان.

إن إهمال أمر الصحة في الشرق العربي له تأثيره في تأخير الرقي والعمران واشتغال الأطباء في غير وظائفهم أيضاً له تأثير على الأخلاق والإدارة. فيجب أن تحزم حكومة ركابي باشا ولا تدع سياسة «خاطر إيجون»[194] تسيء لسمعة إدارتها، وبعبارة أخرى تبرهن لدار الاعتماد التي تراقب هذه الأمور بعين نقاده أنها لا تصبر على بعض رجال الفن منا الذين يجلسون على كراسي وظائف ويشتغلون بغيرها ولا تسكت عنهم.

نعتقد أنه يوجد أطباء من أبناء المنطقة يستطيعون أن ينظموا إدارة الصحة أكثر مما رأيناها لما كنا في عمان، ففي بعض الأنحاء كحي المهاجرين يوجد أماكن لا يستطيع الإنسان أن يمر بها من الوحول والمستنقعات في الصيف، ناهيك عن الأقذار القريبة من دار الاعتماد.

الخلاصة

إن الصحية يجب أن تكون إدارة فنية بحتة، ومتى كان الأطباء يشتغلون بالسياسة فيجب أن يتخلوا عن الطب. والصحة في الشرق العربي تحتاج إلى عناية والأطباء يحتاجون إلى درس وتعمق وتخصص وتجارب، فإذا لم يفعلوا يجب أن يعيشوا على نفقة أنفسهم وأن لا يكونوا عالة على الأمة. لسنا نعلم إذا كان الدكتور أبو رحمة لا يرى رأينا في أن الصحية في عمان تحتاج إلى جماعة عمل، وأنه لا يستطيع إجراء إصلاح كبير إلا إذا كان يعمل مع من يعرف الواجب ويقوم به[195].

الصحية أيضاً

قلنا إن لعمان مستشفى وأنه هو المؤسسة الوحيدة التي تدل على وجود أثر للصحية في عمان، والفضل في ذلك يعود إلى طبيبه الدكتور حنا أفندي القسوس الساهر على واجباته، والذي يعمل بإخلاص في نطاق عمله بعيداً عن السياسة.

---

(194) - اي بانتظار ان يأتوا، والمعنى الذي اراده نصار سياسة التسويف والميوعة

(195) - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1136 . 3 ايلول عام 1925.

للمستشفى 20 سريراً وله عيادة يؤمها المرضى بمعدل 50 يومياً، والمستشفى عبارة عن ملجأ للمرضى الفقراء وللعريان الذين انتشر بينهم مرض السفلس وهم لا يدركون، ومن حظ المستشفى أن الدكتور القسوس تخصص مدة سنتين في باريس بالجراحة بعد الحصول على شهادته الطبية، ويستعمل آلاته الخاصة في العمليات الجراحية التي يجريها في المستشفى.

موقع المستشفى صحي ولكن البيت حقير وغير منظم، ومع ذلك فأجرته السنوية غالية جداً، وقد كان في إمكان الحكومة أو البلدية أن تبني مؤسساتها قبل أن يبني الأفراد قصورهم ودورهم الكبيرة من أموالها.

الحكومة التي يحوم حول رؤسائها أفراد لا يلبثون أن يصيروا أغنياء وتبقى هي فقيرة، مثل هذه الحكومة لا تكون صالحة لإدارة البلاد. فيجب أن تنظر الإدارة الحالية ودار الاعتماد في هذا، وأن لا تكون الدوائر الفنية خرطبيلية. فبمعاش رئيس أطباء الصحة يمكن استخدام أطباء لمأدبا وعجلون، وحتى يثمر عمل الأطباء فيجب أن يكون هناك صيدلية صالحة لا دكان عطار، ويجب أن ينحصر عمل الأطباء ضمن دوائر اختصاصهم، أو أن تكون ثمار تلك الأعمال ظاهرة، وخصوصاً في بدء تأسيس الحكومة. فجلاوزة البلدية مثلاً لا يقومون بإدارة صحيحة في عاصمة حكومة جديدة والأطباء منقطعون عن السياسة.

البلدية في عمان

ميزانية بلدية عمان ثمانية آلاف ومائتي جنيه، ينفق منها على المعاشات خمس المقرر لذلك.

باشرت البلدية بالحفريات من أجل الماء وبفتح الشارع إلى المقر وعرضه عشرون متراً، وستفتح شارعاً آخر من دار البلدية إلى دار الحكومة بعرض عشرين متراً أيضاً، وشارعاً آخر من دار البلدية إلى دار الحكومة بعرض عشرين متراً أيضاً، وشارعاً آخر من الجبانة إلى الجسر الروماني طوله مئتا متر.

حصرت البلدية ماء السيل من الجسر الروماني إلى جسر دار الحكومة في قناة واحدة عرضها متران وطولها [ارتفاعها] 50 سنتمتراً، ولكنها غير مبنية على أصول الفن الذي تستدعيه قوانين الصحة. خلاصة القول إن السيد يوسف عصفور وكيل رئيس البلدية رجل حسن الإدارة كما كان سلفه، ولكنه يحتاج إلى إدارة صحية عاملة وتعرف

واجباتها في حكومة جديدة وفي بلد تتحمس بسرعة إلى العمران، فلو وجدت هذه الإدارة فإنها تلاقي في رئيس البلدية إرادة حسنة وفي النافعة ميلاً شديداً إلى العمل.

الجامع العمري في عمان

هذا الجامع فسيح وقد أمر بإعادة بنائه ملك الحجاز السابق حسين بن عون[196] فأرخه الشيخ سعيد الكرمي[197] بالأبيات التالية: [من الطويل]

حسين ابن عون من بني مجد عدنان — فصار أمير المؤمنين بلا ثاني

أعاد له حق الخلافة بعدما — ثوت زمناً بالغصب في آل عثمان

وعندنا أن الشطر الثاني للبيت الأول يجب أن يستبدل لما فيه من التورية المستهجنة.

الجامع أثر حي للملك حسين يذكره فيه المصلون دائماً كما يذكرون بانيه الأول عمر [ابن الخطاب ﷺ].

ومن النكات الجميلة التي قيلت بمناسبة تصحيح المستر فلبي[198] لمكان المحراب القديم بواسطة الإبرة المغناطيسية، وقبول الأمير عبد الله هذا التصحيح وصدور أمر بتعديل مكان المحراب، ما قاله السيد طراف حيمور أحد الذين لجؤوا إلى عمان من عهد حكومة فيصل وهذا هو:

---

(196) - هو الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون الحسني الهاشمي القرشي، من أحفاد ابي نمي الثاني أول من نادى من الحجاز باستقلال العرب عن الإمبراطورية العثمانية، والحاكم قبل الأخير لمكة من الأشراف الهاشميين ولد في إسطنبول سنة 1270هـ1854م، وكان ابوه منفياً بها. وانتقل معه إلى مكة، وعمره ثلاث سنوات قاد الثورة العربية الكبرى عام 1916. وفي عام 1924م عزله الإنكليز وولوا مكانه ابنه الشريف علي بن الحسين ونفي هو إلى قبرص حيث مات هنالك

(197) - الشيخ سعيد الكرمي نسبة إلى طولكرم في فلسطين، عالم مشهور واحد طلائع رجال النهضة العربية المعاصرة، كان فقيهاً بالدين واللغة، وشاعراً وأديباً يجيد الخطابة، هو والد الشاعر الفلسطيني المعروف عبد الكريم الكرمي ابو سلمى.

(198) - هو هاري سانت جون فيلبي، المعروف باسم «جاك» والشيخ عبد الله فلبي ولد في سيلان عام 1885م، رحالة ومستشرق ومغامر بريطاني زار الجزيرة العربية كرحالة ومستكشف، وتقرب من عبد العزيز آل سعود واشهر إسلامه، وقام بعدة رحلات في الجزيرة العربية، ووضع كتباً من خلال رحلاته، وكان لديه وهم بأنه هو الأب الروحي للمملكة العربية السعودية، فصار يتدخل في سياساتها ويحاول ان يملي رايه على الأمير فيصل بن عبد العزيز وهو ما اثار حفيظته وصار يتحاشاه، فقرر الإقامة في بيروت التي توفي فيها في سبتمبر سنة 1960م، ومن اشهر تلاميذه ومريديه الكاتب المستشرق البريطاني باتريك سل.

سيدنا مثل القمر	يضوي شرقي مع غربي
ترك لقبلة عمر	واتبع قبلة قلبي

تحوم شكوك كبيرة حول بناء هذا الجامع فالشائع على السنة عموم الناس أن البناء لم يكلف نصف ما يقال إنه أنفق عليه، ولذلك يتوقع الجمهور من الحكومة أن تجري تحقيقاً دقيقاً وتظهر الحقيقة وتعلنها على الملأ بالأرقام والوثائق.

لا يكتفي الناس ببيان تمويهي كأن تقول الحكومة دققنا حسابات الجامع فوجدناها مضبوطة، بل يريدون أن يكشف على البناء هيئة فنية وتثمنه وتحاسب الهيئة على كل ما أنفقته حساباً دقيقاً وتدرس المقاولات التي جرت على البناء واللوازم وتدققها ومن ثم تعلن نتيجة التحقيقات بالأرقام والوثائق، لأن الشكوك يجب أن لا تحول حول كيفية صرف أموال الأوقاف.

إذا أرادت حكومة ركابي باشا أن تثبت فعليها أن تكون شديدة في الحق، حريصة على أموال المنطقة، وأن لا توالي غير الأكفاء والأمناء وإلا فما هي بالحكومة التي تستطيع اكتساب ثقة الأهالي، وثقة دار الاعتماد التي تراقب بدقة أعمال رجال الإدارة، ولا بالحكومة التي تعتمد لتأسيس إمارة أو مملكة محترمة تشوق العشائر إلى الحضارة والنظام والمدنية[199].

المعارف وتأثيرها في نهضة البلاد. اقلبوا البرامج إلى عملية

برنامج المعارف في الشرق العربي لا يختلف اختلافاً جوهرياً عن برامج فلسطين وسوريا، وبرامج هذه لا تختلف كثيراً عن برامج مصر وأوروبا .

خلاصة القول: نحن على الغالب نقلد دون تفكير فالبرامج في أوروبا تعد الطلبة للمدارس العالية ولتعلم الفنون، ومن يكتف بالتعليم الابتدائي لا يتوقف بل يتعلم الصناعات والأشغال اليدوية لأنهم يعدون الأمية جهلاً وعاراً. أما عندنا فمتى صار التلميذ يقرأ ويكتب ولو قليلاً يعد نفسه عالماً وصالحاً لكل شيء ويطلب أرقى الوظائف، وإذا لم ينل ما يريد انقلب مشاغباً مفسداً يفسد الأرض ومن عليها .

نحن الشرقيين كسائر الأمم بحاجة إلى تعليم ابتدائي لنتخلص من ضرر الأمية ولنحسن إدارة أعمالنا ونتقنها وننظمها، وإلى تعليم فنون عالية لنخدم مصالح العامة

---

[199] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1137 . 5 ايلول عام 1925.

فيخرج منا أطباء يخدمون الصحة العامة ومهندسون يبنون الطرق وسكك الحديد والبيوت الجميلة، وميكانيكيون يحسنون استخدام البخار والكهرباء فيستفيدون ويفيدون ويساعدون على ترقية البلاد وعمرانها، فيتلذذون برؤية البلاد تجني ثمار علومهم.

ولكننا في غنى عن التعليم الذي يشبه تعلم الغراب تعلماً ناقصاً لم يمكنه من تقليد الحجل وأنساه مشيه. نعم نحن في غنى تام عن تعليم قليل ناقص لنلبس السترة والبنطلون ونحمل الباستون ونجلس في المقاهي نتشدق بالسياسة وبالانتقادات والمشاغبات، إلى أن نعطى وظيفة لا تغني من جوع فنعمل فيها كالعبيد أو كالآلات ونترك العمل في الأرض وإحيائها بغرس الأشجار واستخراج الأثمار والخضار والحبوب، أو بالحري باستخراج الدفائن من قلبها.

اقلبوا البرامج

اقلبوا برامج المعارف في الشرق العربي ما دام الأمر لكم وبأيديكم إلى برامج عملية. لسنا بحاجة إلى أفندية يكرهون العمل في الأرض فتكرههم فيطلقونها وتطلقهم طلاقاً بائناً لا رجوع بعده.

اقلبوها واجعلوا لكل مدرسة في كل قرية أو مدينة من خمسمائة إلى ألف دونم، أرض بحسب اللزوم من أراضي البلدة وقفاً على المعارف، وخصصوا الوقت من الصباح إلى الظهر للدروس الابتدائية واجعلوا بعد الظهر للعمل في الأرض، لغرس الأشجار وتربيتها، وللتعليم على البستنة واستغلال الخضار ولترقية زرع الحبوب.

إن تعليم المدارس الحالي يخرج أفندية صفاراً «منزوعين» معارفهم محدودة، يطلبون وظائف فلا يجدون، ويسعون ليكونوا عالة على البلاد، فيشاغبون حتى يعجزوا، فيمقتون البلاد وتمقتهم ويبيعونها وتقذفهم.

اجعلوا التعليم عملياً نافعاً، اجعلوا الولد يتعلم ليحسن العمل، ومرنوه على العمل الطيب المتقن في الأرض. حببوها إليه ليعلم أن حياته مربوطة بها ومعيشته متوقفة عليها، وهناءه وشقاءه منوطان بإتقان العمل وعدمه فيها، فيحييها وتحييه ويعشق كل ذرة من ترابها وينظر إلى كل غرسة فيها كرفيق بل كصديق مخلص يجود عليه في الضيق ويفتح عينيه على ما في الطبيعة من جمال ونعم.

خلاصة القول: نحن بحاجة إلى تعليم عملي، ولسنا بحاجة إلى تعليم تقليدي ميت، نحن بحاجة إلى رجال يعملون على إحياء البلاد وتعمير الأراضي وإخراج كنوز الثروة منها،

لا إلى عاطلين ومخربين. فاقلبوا برامج المدارس وخصصوا لها مساحات الأراضي وخرجوا فيها مزارعين مدربين نشيطين أذكياء، يكفي نصف النهار لتعليم القراءة والكتابة والحساب والجغرافيا والتاريخ، وليكن النصف الثاني لتعليم الزراعية العملية فلا يمضي وقت طويل إلا وللبلاد جيش مدرب على العمل في الحقول، ويعرف قيمة الأراضي وما فيها من الخيرات فيحافظ عليها.

هذا فضلاً عن أن هذه الحقول التي تخصص للمدارس تمكن بمدخولاتها المعارف، وفي وقت قصير، أن تجعل التعليم إجبارياً وتحارب الأمية وتقضي عليها وعلى البطالة معاً.

فأسرعوا يا أصحاب الشأن في الشرق العربي إلى قلب برنامج التعليم الحالي الرث وإلى جعله عملياً، وإلا كانت عواقب تعليمكم وخيمة على البلاد، فهذه فلسطين تبيع أرضها وترسل أبناءها إلى أميركا. وهذه مصر الفنية يحتار المتعلمون من أبنائها الذين لا يجدون وظائف في الحكومة فيما يشتغلون.

إذا صممت فلتعط القوس باريها

إذا صممت حكومة الشرق العربي على إحداث الانقلاب الذي أشرنا إليه في برنامج معارفها، لتجعل حقول المدارس نماذج للقرى ينسجون على منوالها في حقولهم، ولتجعل المدارس مزارع نحل تجني عسلاً من أزهار العلوم العملية، فما عليها إلا أن تنظم إدارة زراعتها، لتلافي هذه الخطوة العظيمة ولا نظنها تجد رجلاً له من المعرفة الفنية والتجارب العملية والإرادة والكفاءة العمليتين المقتبستين عن الأمريكان مثل المهندس الزراعي السيد سليم فرح من الناصرة، الذي ذهب حديثاً إلى الشرق العربي ليقابل ركابي باشا بناء على إشارته.

ربما كان ركابي باشا يفضل تقليد الوظائف الكبرى إلى أناس من أخصائه ومن الذين يشتغلون بالسياسة على الطرق القديمة، لأنه تعود على ذلك وأتقنه من قديم الزمان، ولأنه يحسب أن مثل هؤلاء يساعدونه على مقاومة خصومه. أما نحن فنعتقد أن الأمر بالعكس وأن رجال الفن العاملين يبرهنون للشعب ولدار الاعتماد ولسائر الأجانب عن كفاءة حكومة ركابي باشا، ويصرفون الناس عن المشاغبة إلى الأعمال والمكاسب، ويزيدون موارد الخزينة وثروة البلاد ويسرعون بعمرانها بعد إنقاذها من الأزمة الاقتصادية. أما الذين قد يظن ركابي باشا أنهم يكونون من أنصاره فيناصرونه ولكن

بالكلام وبالمشاغبات، ولكنهم يحملونه تبعات التقصير والعجز ونتائج أعمالهم الشخصية كما هو الواقع. فرجاؤنا أن يبيض ركابي باشا وجوه العرب بتقليده الوظائف الفنية على الأقل إلى أربابها، وأن لا ينظر إلى سائر الاعتبارات السخيفة التي يحتقرها كبار الرجال، والتي يجب على الذين يأخذون على عواتقهم تسيير سفن إدارة البلاد أن يتخلصوا ويخلصوا البلاد من قيودها[200].

زراعة الشرق العربي

الشرق العربي مساحته من درعا إلى العقبة ومن نهر الأردن إلى الحدود البرية نحو 15 مليون دونم منها نحو تسعة ملايين دونم صالحة للزراعة.

الزراعة في الشرق العربي لا تزال تمارس على الطريق القديمة ولم يطرأ عليها أي تحسين يذكر، لأنها لم تلق أدنى اهتمام لا من الأتراك ولا من حكومة فيصل ولا من حكومات الأمير المتعاقبة المختلفة، سوى اهتمام قليل بغرس الشجر بذله الحكام الإداريون على غير قاعدة أو نظام في هذه السنة، بناء على الأوامر المشددة التي أصدرها ركابي باشا رئيس الحكومة، ولكن هذه المساعي كانت عقيمة لقلة ما سقط من المطر، ولو استمرت عليها الحكومة لا يكون نجاحها إلا محدوداً لأنها غير مرتبطة بنظام زراعي موضوع للبلاد لتسير عليه بإدارة فنية خبيرة نشيطة لا تشتغل بغير الزراعة مطلقاً. قلنا لا تشتغل بغير الزراعة لأننا نعلم أن في الشرق العربي مرضاً وهو الاشتغال بالسياسة، وهو مرض ينتقل بالعدوى إلى جميع الموظفين في ذلك القطر، فيصرفهم عن واجباتهم ويجعلهم عالة ويضرون بالبلاد.

وأحسن علاج لهذا الداء المميت أن يخرج كل مأمور فني يمتزج بالسياسة ولو قليلاً.

مورد الشرق العربي الرئيس، إن لم يكن الوحيد من الزراعة، وهذا المورد فقير جداً وفي وسع الحكومة تنميته بالتدريج من مئة ألف جنيه إلى خمس مائة ألف جنيه في 15 سنة، ولكن الحكومة التي تستطيع ذلك هي الحكومة التي يهتم رجالها لمصلحة البلاد أكثر من اهتمامهم بقبض الرواتب (ولهط) جميع الوظائف.

أقرب الطرق وأصحها لترقيه هذا المورد التي تتوقف عليه حياة البلاد وحياة الحكومة معاً هي:

1- أن يعهد بإدارة الزراعة إلى مدير فني خبير نشيط يعرف أسباب ترقية الزراعة

---

(200) - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1138. 9 ايلول عام 1925.

العملية وطرق تكثير وارداتها بزرع الأصناف التي تلاقي رواجاً في أسواق العالم وبالاهتمام بحمايتها من العاهات وبتعمير الأراضي الصخرية وغير ذلك من الأمور الفنية والإدارية.

2- أن تقيد الإدارة يد هذا المدير وتراقب تدبيره.

3- أن يخيم الأمن في البلاد وتمنع التعديات على المزروعات والأشجار منعاً قطعياً.

4- أن تؤمن الحقوق بجعل القضاء بعيداً عن السياسة ومحترماً، فآفة الشرق الرئيسة ليست الرشوة كما يقولون، بل هي تدخل السياسة في القضاء وتدخل القضاء في السياسة.

5- أن تعاون الإدارة دائرة الزراعة على صرف الناس كلياً إلى الاشتغال بالزراعة والاهتمام بها، وأن لا تكون الإدارة علة صرف الناس عن الزراعة إلى السياسة.

لا نعتقد بوجود واحد من هذه الشروط متوفراً في إدارة الشرق العربي، ولذلك فالحالة الاقتصادية سيئة جداً وتسير إلى أسوأ في كل سنة.

هل من سمع أن قوماً كأهالي حوران بما عندهم من الأراضي الخصبة الفسيحة التي تزيلها العربان بجمالها في كل سنة، يهجرون بلادهم بالمئات والألوف ليشتغلوا للقمة العيش في فلسطين لمجرد كون بلادهم لم يسقط بها المطر سنة واحدة فقط.

ألا يقف شعر ركابي باشا ذلك الشيخ المحنك عند التفكير في حالة المنطقة الاقتصادية وإلى أي درجة من السوء بلغت في هذه السنة؟ وما دام الأمر كذلك فلماذا لا يهتم جنابه بتنظيم دائرة الزراعة الفنية والاقتصادية قبل كل شيء آخر؟ نحن لا نريد أن نعتقد إلا أنه سيعين لها رجلاً فنياً خبيراً ويساعده بكل ما لدى الإدارة من قوة على العمل لترقية مورد الزراعة قبل أن تفلس البلاد نهائياً[201].

زراعة الشرق العربي

قلنا في الرسالة السابقة إن الزراعة في الشرق العربي هي المورد الرئيس إن لم يكن الوحيد لهذه المنطقة، وإن فيها نحو تسعة ملايين دونم صالحة للزراعة وإن بعضها يروى بمياه الأنهر والينابيع وبعضها بعل. والمناخ فيها جيد ويختلف كثيراً بين الحار والمعتدل كما في فلسطين فقسم من الأراضي الزراعية واقع في الغور وقسم واقع على سطوح الجبال وأوديتها.

وقلنا إن استثمار هذه الأراضي يحتاج إلى مدير فني خبير متعلم في محيط كالمحيط الأمريكاني أو الألماني، حيث يقترن التعليم بالعمل وحيث يرسخ في ذهن المتعلم

---

[201] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1141. 11 ايلول عام 1925.

أمثلة عديدة من التطبيقات الزراعية الفنية وحيث يشاهد نتائج عظيمة جداً للعمليات الزراعية الفنية، وحيث يرى طرق التشويق العملية التي تصرف الأهالي إلى الاشتغال بالزراعة واتقانها.

المدارس والزراعة

قلنا تحت عنوان «المعارف» إن المدارس في الشرق العربي يجب أن تحول إلى معامل زراعية، بحيث يخصص لكل مدرسة من خمسمائة إلى ألف دونم يتمرن فيها الطلبة على الزراعة كل يوم بعد الظهر، فيربون الزيتون وسائر الأشجار المثمرة والخضار والحبوب المختلفة ويعملون فيها مستنبتات للقرى، فينطبع حب الزراعة في نفوس الطلبة ويتدربون على طرق الزراعة الفنية فيشوقون ذويهم وهم لا يزالون في المدرسة على اتباعها ويرشدونهم إلى كل تجربة ناجحة.

مدارس البنات

أما مدارس البنات فيجب أن لا تحرم من هذا التعليم بل يجب أن تحفر لها آبار كبيرة ويصنع لها أحواض وتوضع عليها ماكنات أميركية هوائية لرفع الماء، في وسط قطع أراضي تخصص لزرع الخضار، ويجب أن يكون للبنات مدارس عملية لتربية الطيور والنحل وحسن معاملة الحيوانات لتسمن ويزداد درها وصوفها.

مستقبل البلاد

إذا وجدت إدارة زراعية على رأسها مدير فني قدير يستطيع أن يضع بمساعدة مديرية المعارف نظاماً كهذا للمدارس، ويسهر عليه سهراً مستمراً ليكون العمل فيها صحيحاً وناجحاً من أساسه، فلا تلبث البلاد أن تتقلب في بضع سنين إلى معمل زراعة فني غني، فتخضر السهول ويغطى عري الجبال وتلبس الطبيعة حلة الجمال، وتتظف القرى من المزابل وتتسع شوارعها وأزقتها وتنظم بيوتها وينشط أهلها وتمتلئ بيوتهم خيراً، وتتحسن أخلاقهم وتتظف عقولهم فيقلعون عن الفساد والنميمة والحسد والخصومات إلى العمل والبحث عن الأمور النافعة المريحة، وترتاح الحكومة وتفرغ السجون وتزيد واردات الخزينة فتنفق في سبيل العمران كإقامة المعارض الزراعية وبناء الطرق وإحياء مشاريع الري وغير ذلك.

ركابي باشا

لـو حـاول ركـابي باشـا أن يجعـل شـيخوخته بركـة علـى الـبلاد بتـنشيط المعـارف والزراعـة ليعمـر الـبلاد بهمـا، عنـدها يحفـظ لـه التـاريخ والأهـالي هـذا العمـل العمرانـي وتتحـول أفكـار الـبلاد إلى الأعمـال وتنـصرف عـن الفـساد ويبطـل مفعـول الدسـائس الـتي تحوم حوله، فحينئذ يقال فيه إنه يستطيع حقيقـة أن يسير ماكنـة الحكومـة بنظام جديـد نافع يخلق الشعب خلقاً جديداً وينقذه من أخلاقه الرثة البالية.

هذه عملية صعبة جداً على ركابي باشا، لأن خلقه قديم وطباعه قديمة، كما أن أخلاق الشعب وطباعه قديمة، ولا يستطيع الركابي أن يجربها عملياً ما لم يصمم ويتسلح بإرادة قوية ويحيط نفسه باختصاصيين فنين نشيطين مخلصين، فيسير بإرشادهم غير مبال. وإذا اجتاز العقبات الأولى أي إذا وضـع الأسـاس المتين في العمق وبلـغ سـطح الأرض فيستطيع حينئذ السير بسهولة إلى الغاية السامية.

. يا حضرة الشيخ الجليل نريد في هذه البلاد مصلحاً حقيقياً يضع لنا خططاً عملية ويسير عليها فكن أنت ذلك الرجل، فحقلك صالح لنهضة المعارف العمليـة والزراعـة الفنيـة، لأن الـشعب بـسيط وطيـب والأراضـي جيـدة والمنـاخ أجـود، ونجلـك متخـصص في الزراعة ويستطيع أن ينبهك إلى ما هو صالح من أعمال الفن، وفوق كل ذلك أنت تعتمد، على ما نعتقد، على المعتمد البريطاني ومعاونه وهما بقدر ما نعلم من خيرة الناس، فإذا لمسوا فيـك عمرانيـاً حقيقيـاً سـاندوك بكـل مـا لـديهم مـن القـوة، فـلا تعـود تـؤثر عليـك المنازعـات، فـاحزم واعتـزم وكـن ذلـك المـصلح العمرانـي المرتجـى واجعـل في الـبلاد خمـيرة صالحة ولك ذكراً بين المصلحين[202].

(حذار حذار).

الأراضي في الشرق العربي

تقسم الأراضي في الشرق العربي إلى قسمين، أراضي الغور والأراضي الواقعة على سطوح الجبال وسفوحها وفي الأودية التي بينها، فهذه الأراضي أوسع من الأراضي الغوريـة وهواؤها جيد وتربتها جيدة، ولكنها بعلية وصالحة لزرع الحبوب بأنواعها، وسفوح الجبال يجـود فيهـا الكرمـة والزيتـون والأشـجار المثمـرة كالتفـاح والخـوخ والمشمش والـدراق وغـير ذلك.

---

[202] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1142. 19 ايلول عام 1925.

فعلى الإدارة أن تهتم بنشر الأمن التام في تلك الربوع وتحث الناس إلى الغرس والتشجير، وإذا كانت هناك إدارة زراعية فنية فهي تستطيع أن تدخل زراعة السمسم وتعتني بها، فتكون مورداً كبيراً للبلاد ولخزانة الحكومة، ويسرنا أن يكون رئيس الحكومة ركابي باشا بدأ يهتم بترويج تجارة الزبيب.

أراضي الغور

أما أراضي الغور فحصة الشرق العربي منها لا تعادل عشر أراضيه الجبلية في المساحة، ولكن بما أنه يمكن وضع أراضي الغور تحت أنظمة ري، وبما أن الحر في الغور شديد فأراضيه إذا نظمت زراعتها على القواعد الفنية تعطي وادرات مع صغر مساحتها أكثر من الأراضي الجبلية على الرغم من جودتها.

إن من يراجع يوسيفوس ويقرأ عن غابات النخيل الفضة في الغور وعن عظمة الري الكثيرة في عهد الرومانيين ومن يرى آثار مطاحن السكر من أيام الصليبيين والإسلام يعجب من إهمال أراضي الغور كل العجب، والظاهر أن السلف الصالح عرف أن الحر في الغور يجعل الناس كسالى ويقعدهم عن العمل والجد، ولذلك أصبحت وقفاً أراضي الغور، حتى لا يبيعها الساكنون فيها إلى أن يأتي دور يفيق الأهالي ويعمروها ويحرثوها بأنفسهم.

ركابي باشا

لقد أحسن ركابي باشا باهتمامه بأمر بعض هذه الأراضي الوقفية وتأجيرها، ولكن قد كان يجب أن لا يتقدم نجله رأساً إلى المزايدة فيتأخر الراغبون خوفاً من نفوذه كرئيس حكومة وتتضرر مصلحة الوقف. أما الحق في هذا فليس على ركابي باشا ولا على نجله لأن نجله كشاب تربى في بلاد الإنكليز تربية عملية يريد أن يشتغل بدون اهتمام كثير للأمور الخيالية والاعتبارية، وليس من خصائصه مراعاة مثل هذه الأمور، ولكنها من خصائص مدير الأوقاف، ولعل هذا أراد أن يتساهل إرضاء لركابي باشا الذي كان يجب أن يفصله إذا كان قد أهمل. أما العمل الأساسي الذي يتضمن إثبات وقفية هذه الأراضي وتأجيرها لتعميرها فهو عمل صالح لسببين:

أولاً- لأن الأراضي إذا بقيت بتصرف المتصرفين الكسالى، فإنهم يبيعونها بأول فرصة كما باع جيرانهم لأحد التجار المضاربين، وكما يبيع بعض من نالوا حقوقاً من اتفاقية الغور في فلسطين وهم لا يستحقونها.

ثانياً – لأن الأراضي إذا ثبتت وقفيتها فإنها تبقى آمنة من خطر الوقوع في أيدي سماسرة السوء الذين ينقلونها إلى [صندوق] الوطن القومي [اليهودي] بلا رحمة ولا شفقة.

بالمناسبة

وبهذه المناسبة نقول أن بعض السماسرة المضاربين، الذين جاؤوا إلى الشرق العربي وفلسطين من قبل ليعيشوا فاستخدموا في مديريات المال وراتبها كان حوالي خمسمائة قرش تركي، وأثروا واشتروا أطياناً في فلسطين وصاروا تجاراً كباراً وما كفاهم ذلك حتى مدوا أيديهم إلى غور الشرق العربي، واستفادوا من سذاجة أهله وجهلهم وكسلهم وعدم ملكيتهم وفساد نظام الطابو، واحتال بعض موظفيه فاشتروا عشرات الألوف من الدونمات الموقوفة كما بلغنا بأثمان بخسة، وتركوها على رجاء أن يأتي وقت ليبيعوها بمئات ألوف الليرات بعد أن اشتروها بمئات من الغروش[203]. فيجب على حكومة الشرق العربي إذا كانت حكومة صحيحة قوية رشيدة لا أن تفسخ القرار بوقفية الأراضي التي استأجرها نجل ركابي باشا، بل أن تفسخ قرار الإجارة فقط إذا كان فيه غبن، وأن تفسخ هذه البيوع لهؤلاء المضاربين وتنقذ أملاك الوقف من خطر الوقوع في أيدي الغير، وتحافظ على سلامة البلاد العربية من خطر الوطن القومي [اليهودي].

إن الاهتمام بتخليص هذه الأراضي والسهر على سلامة الوطن محك الحكومة ركابي باشا، يبين إخلاصها من جهة وكفاءتها من جهة أخرى، وإذا استطاع مدير الأوقاف أن يكفر عن سيئته الأولى بتخليص هذه الأراضي التي قيل إنها بيعت في قضاء إربد ووقفيتها مسجلة في قضاء السلط، فإننا نعتقد أن الأمة تغفر له الزلة الأولى على شرط إصلاحها، ولكننا نخشى أن يحول الضعف وعوامل الصداقة دون التشدد في هذا العمل الذي يحتاج إلى رجولة وتفان في العمل.

سنعود ونفرد لهذا الموضوع فصولاً خاصة، ونبين خطورته وأهميته لسلامة إمارة الشرق العربي ولعمرانه.

والخلاصة نقول: إن الاهتمام بتعمير الأراضي الجبلية والغورية ضروري، ويجب أن

---

[203] - هنا يشخص نجيب نصار بدقة بالغة آلية انتقال آلاف الدونمات من الأراضي الوقفية والأميرية في فلسطين إلى موظفي المالية السابقين في أواخر العصر العثماني، أمثال تويني وسرسق وخوري وأميوني وفرنسيس وبيضون وغيرهم ممن باعوا عشرات آلاف الدونمات من الأراضي لليهود، وتحولوا إلى باشاوات وأصحاب أموال ومناصب فيما بعد.

يباشر منذ الآن بل يجب أن يتحول الشرق العربي إلى حال عملية في الزراعة كحال خلية نحل في فصل الربيع، وبهذا تعمر البلاد وتترقى وتنهض الحالة الاقتصادية.

الثروة الثابتة هي في الأراضي، فيجب العناية بتأمين مواردهما قبل كل شيء آخر[204].

الاقتصاديات في الشرق العربي

الحالة الاقتصادية في الشرق العربي سيئة كما في فلسطين، ففي فلسطين كانت إدارتها السابقة تعمل لإفقار الأهالي ليبيعوا أراضيهم ويسددوا ديونهم وعوزهم. أما في الشرق العربي فالإدارة كانت تعمل لأغراض وأهواء الرؤساء وبدون نظام فساءت الحالة كثيراً، وأصبح من الصعب جداً تلافيها إلا بإدارة حازمة رشيدة تقدر قيمة الفن والاقتصاديات.

ضربة الكورة

أول ما ضربت منطقة الشرق العربي في الكورة بسوء الإدارة في عهد متصرفية السيد أمين التميمي على إربد، إذ وقع الخلاف بين أهالي الكورة والإدارة على أمور تافهة، وبدلاً من تلافيها بحسن السياسة والمعاملات اللطيفة استعمل المتصرف ووافقته إدارة المركز الشدة، فرد الأهالي الحكومة على أعقابها، فلجأت بعد حين إلى الإنجليز فأنجدوها بمدفع وطيارة أو اثنتين، وأرسلت الحكومة إلى الكورة جيش الشرق العربي بقيادة قائده الإنكليزي، فنكل بالكورة تنكيلاً وفرضت الإدارة عليها غرامة الظافر المنتصر على عدوه بضعة آلاف جنيه غرامة حربية. فباع القوم حيواناتهم وبذارهم وأمتعتهم وبعضهم باع بناته ليسدد أقساط الضريبة، وعاش كثيرون منهم في تلك السنة على البلوط، وهذا ثالث موسم مر على هذا الحادث وإلى الآن لم تنهض الكورة من تلك الضربة، التي لم ينحصر تأثيرها في محلها بل تعدى إلى كل المنطقة.

ضريبة الوهابيين

كذلك أثرت على البلاد الضريبة التي وضعها الأمير ليغزو بها الوهابيين، مع أنه لم يكن بين الوهابيين وبين أهالي الشرق العربي عداوة لولاه. وقد كان يجب أن يأتي

---

(204) - الكرمل - السنة الثانية عشرة - العدد 1142 - 23 أيلول عام 1925.

بالمال من عند والده وأن لا تكلف المنطقة الفقيرة بارة واحدة، والأنكى أن أكثر هذا المال صرف على رحلة الأمير إلى بلاد الإنكليز تلك الرحلة التي قابل بها الجمعية الصهيونية وزعماء الصهيونين وعاد إلينا منها بفكرة الاتفاق مع اليهود وتكوين الحلف العربي وإدماج فلسطين فيه ومنحها حكومة وطنية مع الاعتراف بوعد بلفور، فسببت هذه الرحلة زيادة على الأضرار التي ألحقتها بالشرق العربي، إفساد عقيدة فريق من المشتغلين بالحركة الوطنية في فلسطين، ومالت نفوسهم إلى الوظائف فشايعوا هذه الفكرة وكانوا أكبر سبب في الانقسامات التي حدثت في صفوف الوطنيين في فلسطين.

حادثة العدوان

ثم حدثت حادثة العدوان التي نتجت عن سوء الإدارة وتحيز الأمير إلى عشيرة من دون أخرى، فأفضت بخراب [عشيرة] العدوان بالغرامة الحربية التي وضعت عليهم، وبخراب البلقاء بالنهب الذي أغضي عنه حتى أن خسارة البلقاء تقدر بأربعين ألف جنيه، فشلت أيدي المزارعين وتوقف الأخذ والعطاء ورجعت المنطقة إلى الوراء بدلاً من أن تتقدم إلى الأمام.

حوادث العصابات

ثم حدثت حوادث العصابات التي أطلقت فيها أيدي الدرك والجنود فضربوا واضطهدوا وأكلوا الخرفان والدجاج وبطروا في شرب الدخان، وقيل إنهم علقوا لخيولهم راحة الحلقوم، فشلوا حركة الزراعة ودب الرعب في قلوب الناس وخسروا في تلك المقاطعة مبالغ، وعقب ذلك الفساد بين الركابي والأمير وتحيز الأهالي لهذا أو لذاك، ولا يخفى تأثير حركات الفساد هذه على الحالة الزراعية والاقتصادية.

قلة المطر

وعقب ذلك كله عدم سقوط المطر على كثير من بلاد حوران، فخسرت 28 قرية من قرى إربد في الشرق العربي زراعتها، ولم ينبت فيها حشيش لرعي حيواناتها، ولا نزل عليها مطر ليشرب أهلها، وقد قدرنا أن أهالي هذه القرى يحتاجون إلى ستين ألف جنيه إعانة لمشترى بذار ومونة وحيوانات، وطلبنا أن تحسب عليهم ديناً بلا فائدة من

معاشات الموظفين، فكان من الإدارة أن نشرت منشوراً طلبت لهم فيه المعونة، ولا عجب فنحن نريد أن نستقل بالاحتجاجات وإداراتنا تريد أن تدفع الضائقات الاقتصادية بالمنشورات.

لو لم تكن المنطقة مصابة بحوادث الكوره والعدوان وبضريبة ضرب الوهابين، لكان في وسعها أن تتحمل ضربة قلة المطر. ولكن إنهاك قوة البلاد الاقتصادية في تلك الأمور جعل هذه أن تكون القاضية على قضاء إربد، إن لم تتلافها الحكومة قبل فوات الفرصة.

ومع ذلك

ومع ذلك ترى الذين يحيطون بالأمير يبنون القصور، ويودعون الأموال في المصارف، ويلعبون القمار ويسرفون ويبذرون كأنهم من رجال البورصات، والأنكى أن الأمير ليس لديه شيء من المال المدخر.

لم تفت الفرصة

نحن لا نذكر هذه الحوادث لنوبخ المسؤولين عنها بل لننبه القابضين على زمام الإدارة إلى أن الوقت لم يفت بعد، فمن يريد أن يعمل يجد الفرصة أمامه سانحة، وإن كانت هذه الصدمات التي ذكرناها أخرت اقتصاديات البلاد بضع سنين إلى الوراء. الطريق مفتوحة أمام المديرين الذين يريدون أن ينهضوا بالبلاد، وما عليهم إلا أن يسلموا المعارف والنافعة والزراعة إلى اختصاصيين، ويساعدوهم على وضع نظام يصرف الأهالي إلى العمل المنظم في الزراعة، ويشجعوا النافعة على تمهيد المواصلات وخصوصاً في داخل المنطقة ومع البلدان المجاورة، وأن لا يحاولوا مطلقاً تسخير الفن[205] للسياسة أو تضحية المصالح العامة في سبيل مصالحهم ونفوذهم وأغراضهم.

إن بلاداً كالشرق العربي أهلها بسطاء عاملون وموردها الرئيس من الزراعة تحتاج إلى مديرين أمناء عقلاء متفانين، وإلا جلبوا لها الويل، وما دامت التجارب الأولى كانت سيئة فنطلب من وكلاء الدولة الوصية أن لا يهملوا واجب السهر[206].

---

[205] - وردت عبارة الفن اكثر من مرة في هذه الرحلة، والمقصود فيها الجانب التقني من العمل، وليس الفن بالمعنى المتعارف عليه

[206] - الكرمل - السنة الثانية عشرة - العدد 1143 - 26 ايلول عام 1925.

مالية الشرق العربي

ليس للشرق العربي واردات تذكر من غير الزراعة، وحصة الجمارك على ما يرده من البضائع بطريق سوريا وفلسطين.

لا نعتقد أن حصة الجمارك تربو على الخمسين ألف جنيه سنوياً، كما أن الحصة العشرية التي هي ضريبة ظالمة لا تزيد على السبعين ألف جنيه، على الرغم من سعة أراضي الشرق العربي.

قلنا إن الحصة العشرية التي هي 12 ونصف بالمائة ظالمة، لأنها تستوفى من كامل محصول الفلاح بدون خصم البذار والمصاريف الهالكة وغير ذلك، ولكنها غير ظالمة في كل منطقة الشرق العربي لأنها تستوفى في بلاد السلط كاملة، أما في بلاد إربد فنصف كاملة، وفي بلاد الكرك تستوفى على طريقة غير عادلة، فصاحب العشرة آلاف دونماً مثلاً يدفع ضريبة بقدر صاحب الخمسين دونماً لأن الضريبة مفروضة في الكرك على المساحة وليس على المحصول، ولا يخفى ما في ذلك من الخلل في نظام هذه الضريبة التي يجب أن تخفض في السلط وتتعدل في الكرك إلى أن تتساويا مع إربد، وأن تكون كلها ضريبة على نسبة مساحة الأراضي.

من يسمع بأن معدل مدخول الشرق العربي الذي مساحته نحو 15 مليون كيلو متراً مربعاً لا يربو على مئة وعشرين ألف جنيه سنوياً، ويبلغه أنها إمارة وفيها وزارة ووزراء أصحاب فخامة ومعالي ونحو ستين أو سبعين باشا يأخذه العجب وتعتريه الدهشة، ويظن أن في الأمر لغزاً غير قابل للحل، ولكن متى ذهب الإنسان إلى تلك البلاد وتأمل في حالة حكومتها ووزارتها وتجول فيها ووقف على حالة أهاليها وروحياتهم وعمران أراضيها يدرك أسباب التأخر والتقهقر، كان الأمير عبد الله لا يهمه من أمر البلاد إلا أن تخضع له صاغرة خضوعاً أعمى، وأن يستغلها وينفق أموالها فيما يشتهي وعلى حسب ما يريد فبلغت نفقاته في بعض السنين 60 ألف جنيه، وفي بعضها أكثر كثيراً. وهي إلى الآن لا تزال كثيرة لأن مخصصاته الحالية التي حددها له الإنكليز بعد وضع مالية الشرق العربي تحت مراقبتهم لا تنقص عن 18 ألف جنيه. أما أصحاب الفخامة الوزراء؛ فوزير المالية هو ابن المرحوم السيد أبو الهدى الصيادي شيخ السلطان عبد الحميد، وهو مولع بالتشريفات، ويقال إنه يحب المقامرة كثيراً وليس له أدنى إلمام بالاقتصاد وبتنمية الموارد، ولا يوجد في المنطقة إدارة اقتصادية فنية ولا إدارة زراعية عملية، أما العدلية ورئاسة الوزارة فيشتغل رجالهما على ما تراءى لنا بالسياسة أكثر من اشتغالهم باختصاصهم وبصرف الأهالي إلى محاريثهم وصناعاتهم وتجارتهم.

وضعت الدولة الوصية الشرق العربي تحت الوصاية، ثم وضعت المالية تحت مراقبتها، وهي تعجل على تنظيم الميزانية، ولكنها إلى الآن لم تفلح ولا ظهرت بوادر تدل على أن الواردات سوف تنمو في عهد قريب، بسبب الضربات التي ضربت بها المنطقة من سوء الإدارة السابقة.

عينت دار الاعتماد الشاب الأديب النشيط المخلص السيد باز قعوار مراقباً مالياً، وهو مجتهد جد الاجتهاد في تنظيم المالية في وضع نظام صالح لها وحمل موظفيها على اتباعه، وهو يدرس لذلك آراء كبار الماليين ويطالع مؤلفاتهم ولكنه يلاقي صعوبة كبيرة على ما لاحظنا في حمل الموظفين على ضبط معاملاتهم، وقد بلغنا أنه ينذر الموظف قبل عدة أيام أنه سيجيء ويفتش أوراق معاملاته ويدقق حساباته، وعلى الرغم من هذه الانذارات السابقة فقد اكتشف عدة مخالفات وسوء معاملات وإهمال وسرقات، وقد حضرنا محاكمة أحد مديري مال ملحقات إربد لما كنا فيها، وحكم عليه بالاختلاس. فمن هنا يستدل على مقدرة واهتمام ناظر مالية الشرق العربي واختصاصه. فلو كان هنالك نظارة مالية بمعنى الكلمة لاستخدمت الاختصاصيين وحافظت بدقة على أموال الحكومات واهتمت بترقية الموارد وطالبت بميزانية مالية مقدارها 120 ألف جنيه وتقع فيها اختلاسات ومخالفات وغلطات تحتاج إلى شاب ابن 24 سنة ليكشفها وينظمها. لو كان هناك نظارة مالية حقيقية لما رضيت ببقاء الميزانية على هذه الحالة من الفقر بل لاجتهدت في تنمية الواردات ولضاعفتها في كل سنة إلى أن تبلغ نصف المليون جنيه عل الأقل.

عبثاً يحاول الكولونل كوكس تحسين الحالة الاقتصادية في الشرق العربي بهذه الآلات العتيقة. تقول بعض الصحف الناقمة على ركابي باشا إن سمو الأمير سيقيل ركابي باشا ويعهد بتأليف الوزارة إما إلى حسن خالد باشا ناظر المالية، وإما إلى إبراهيم بك هاشم ناظر العدلية. فالحالة تسوء جداً على ما نعتقد إذا وقع هذا التبديل، لأن ركابي باشا بالرغم من علو رتبته يعرف أشياء من أصول الإدارة وأساليبها، ويهتم بتطبيقها على أساليبه.

إذا أريد نجاح الشرق العربي فلا بد له من إدارة مالية اختصاصية منظمة، ولا بد من إطلاق يد السيد باز قعوار في المراقبة، ولا بد أن يكون إلى جانب المالية إدارات اقتصادية فنية تتعاون مع المالية على إنماء موارد البلاد[207].

---

[207] - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1144. 30 ايلول عام 1925.

القضاء في الشرق العربي

القضاء أقوى العوامل التي تمهد السبيل إلى الرقي والعمران، وتجعل الصلات بين الشعب والحكومة متينة، ولذلك فكل حكومة عاقلة تفكر أول ما تفكر في تأليف دوائر القضاء من علماء خبيرين ليس فقط بفن الحقوق بل بأخلاق الناس وروحياتهم وعاداتهم وطبائعهم، ومتصفين بالنزاهة والجرأة وسمو المبادئ.

فالقضاء في الشرق العربي عهد برئاسته إلى إبراهيم أفندي هاشم، وهو من المتخصصين بعلم الحقوق والمعروف عنه أنه بعيد عن الرشوة، ولكن يقال إنه من الذين يشتغلون بالسياسة واشتغاله بها لمصلحة نفسه لا لمصلحة وطنه، فقد قيل لنا إنه من أعضاء حزب الاستقلال وقد شعرنا من الأمير ميلاً خاصاً إليه في حين أن الأمير يكره كل رجال حزب الاستقلال.

ولسنا نعلم إذا كان ما سمعناه يفسر هذا الاستثناء، فقد قيل إنه أقسم اليمين لحزب الاستقلال، وأقسم أيضاً للأمير وأقسم لركابي باشا، وقد يكون في هذه الأنباء تحامل على إبراهيم أفندي هاشم، ولكن الناس يعجبون من شدة تمسكه بالاستقلاليين يوم كانت الكلمة لهم، ويعجبون من شدة تقربه من الأمير اليوم الذي يرغب في منحه رئاسة الحكومة.

كنا عند السيد باز قعوار ففتحنا كتاباً في الحقوق كان ملقى على الطاولة فوجدنا مكتوباً عليه هكذا «إلى المالي القدير صاحب السعادة باز قعوار من صاحب الأثر إبراهيم هاشم»، فخطر لنا أن الذي ينعت شاباً ابن 24 سنة وإن كان مجتهداً وقديراً بنعوت صاحب السعادة والمالي القدير، وما كان ليلتفت إليه لولا أنه من موظفي دار الاعتماد، لا يمكن أن يكون إلا من محبي التزلف، وفهمنا سر تمسكه بحزب الاستقلال قبلاً وتقربه من الأمير فيما بعد. وعندنا أن الذي يتولى رئاسة أو نظارة العدلية في حكومة فتية يجب أن يكون أقوى إرادة وأكثر اعتماداً على نفسه وأقل اكتراثاً براتب الوظيفة، لأنه هو الذي ينتقي الحكام الذين يقولون حكمت بالإعدام وبالسجن وبالحق لهذا أو لذاك. فهؤلاء يجب أن لا يتأثروا لا بالعوامل السياسية ولا الحزبية ولا المعاشية، بل يجب أن تكون نفوسهم أرفع من نفوس البشر وأقرب إلى نفوس الآلهة، وإراداتهم أثبت من الجبال الراسيات.

خيل إلينا على الرغم من اعتقادنا بنزاهة كثيرين من رجال القضاء في الشرق العربي أن القضاء يتأثر بالحزبية تأثراً كبيراً، ومصالح الناس بسبب ذلك معرضة للخطر، وليس للناس ما يرغب فيه من الثقة بالحكومة وهذا كما لا يخفى يؤثر تأثيراً كبيراً على

موقف الحكومة وموقف الأهالي تجاهها، ويقلل من رغبتهم في العمل والعمران، فإذا كانت حكومة ركابي باشا ضعيفة إلى حد أنها لا تستطيع فصل القضاء عن السياسة الحزبية – لا الوطنية – وكانت هي نفسها تحاول استخدام القضاء في الحزبية، وإذا كان الأمير لا يقدر معنى ترفع القضاء واستقلاليته فعلى الأمة أن تطالب بمجلسها النيابي ليسهر على هذه الأمور الحيوية، وعلى رجال دار الاعتماد أن ينصحوا الحكومة بضرورة وضع القضاء في أيدي رجال لا تهمهم الوظائف ولا يختلطون بالأحزاب.

إن بلاد الشرق العربي بحاجة إلى نهضة عمرانية اقتصادية، ولذلك يجب أن يكون فيها قضاء معروف عند الناس، ولا يتأثر بغير الحق هذا، وما دام يوجد في الشرق العربي مدير أو ناظر عدلية فما الحاجة إلى قاضي قضاة ولا يوجد في كل المنطقة سوى خمسة قضاة يمكن ربطهم بقاضي العاصمة إذا كان عالماً فاضلاً، وهذا يرتبط بناظر العدلية.

خلاصة القول: كانت منطقة الشرق العربي مستقلة استقلالاً تاماً، ولكن عدم حنكة الأمير وضعف الحلقة التي أحاطت به فتح المجال لتدخل البريطانيين ووضعهم المنطقة تحت الانتداب والمراقبة، بحجة تخليصها من الفوضى وإصلاح الإدارة وإيجاد الثقة بين الحكومة والشعب، ووضع خطط وأنظمة تكفل نهضة الأهالي اقتصادياً وعمرانياً واجتماعياً. فإذا أهمل رجال الانتداب هذه الأغراض السامية وتركوا أحوال المنطقة فوضى عامة والحزبية تدخل في القضاء والطب والهندسة والزراعة والإدارة والأكل والشرب والنوم واللعب، فلا ريب في أن الناس يدركون أن مداخلة البريطانيين لم تكن سوى تثبيت لمصالحهم، وأن ما انتحلوه من الأسباب لم يكن سوى حجج لتسويغ المداخلة[208].

الجيش في الشرق العربي

كان الجيش في الشرق العربي مقسوماً إلى قسمين: قوة درك مؤلفة من نحو مئة نفر كانت تابعة لحكومة الشرق العربي، وقوة سيارة تناهز الألف يرأسها الضابط بيك باشا، الذي صار كولونيلاً بسرعة البرق، ولا غرابة إذا ارتقى ضابط كهذا في الشرق العربي لأن القوة بيده وإدارة الأمير تحتاج إلى هذه القوة في أحيان كثيرة، كما احتاجت إليها في حادثة الكورة وحادثة العدوان وحوادث الوهابيين.

فلكي تكون المناسبات حسنة بين الأمير وقائد القوات أغدق عليه هذه الرتب بسرعة. ورجال العسكرية يحبون على ما يظهر المظاهر ولذلك خصهم رجال السياسة

---

[208] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1145 . 3 تشرين اول عام 1925م

لإرضائهم وامتلاك قلوبهم بالرتب والبدلات الرسمية والشرائط الحمراء والمقصبة وبالنجمات النحاسية، فإذا رأيتهم وخصوصاً في الحفلات الرسمية يرفسون الأرض بأرجلهم وينظرون تارة إلى الناس عجباً وتارة إلى الشرائط التي على أذرعهم وأخرى إلى السماء، وإلى سيوفهم تحكم في مقدار تأثير هذه النجمات والشرائط على النفوس وتعجب لهؤلاء الساسة الذين اخترعوها، غير أن بيك باشا لا نظنه يفتر كثيراً بألقاب شرقي الأردن، وخصوصاً إذا التفت إلى ما حواليه ورأى عدد الباشوات الكثير وأحوال بعضهم الاقتصادية.

على إثر حوادث العصابات ضمت قوة الدرك إلى القوة السيارة ووضعت المراقبة البريطانية على المالية، وبالطبع الإدارة لا تحرك ساكناً بدون مشورة دار الاعتماد، فلم يبق حراً طليقاً سوى القضاء. والإنكليز صابرون على وجوده في أيدي ضعيفة، كما صبروا على المالية والقوة التنفيذية ليضعوهما تحت مراقبتهم أيضاً. نحن لا نقول هذا لننتقد البريطانيين بل لننبه رجالنا إلى وجوب المحافظة على ما بأيدينا ليتسنى لنا المطالبة بعين قوية بالحقوق الأخرى، لأننا على مثل اليقين أن البريطانين كانوا يودون لو تمكن الأمير من المحافظة على استقلاله وعقد محالفة معهم تصون مصالحهم.

تكوين القوة

لاحظنا أن الجركس والشاشان في قوة جيش الشرق، سواء من الأنفار أم من الضباط أكثر كثيراً من نسبتهم العددية.

لم أعتقد بصواب ذلك من الوجهة الاقتصادية ولا من الوجهة الإدارية، ولكننا لا نعلم أكان حدوث هذا عفواً أم أن بيك باشا تعمده وتمشى على القاعدة الاستعمارية التي تميل دائماً إلى استخدام الأغراب في الجيش والدرك ليقاوموا بهم النزعات الوطنية، وليستخدموهم كمراقبين أو جواسيس على الوطنيين المخلصين.

نحن بوجود الكولونل كوكس والمستر ردنغ في دار الاعتماد في الشرق العربي نأمل أن تتمشى السياسة البريطانية على طريقة جديدة، على أساس التفاهم والولاء الصحيح المتبادل لتمشية المصالح وتبادل المنفعة، فتكون مثالاً يحتذى وتريح من حروب ونفقات ومخاصمات ومنازعات وتعقد مشاكل كثيرة.

ينظر الوطنيون بعين الاستياء الشديد إلى حرمانهم من حقوقهم الكاملة في بلادهم، ويعتقدون أن إعطاء الجركس والشاشان أكثر من حقوقهم في الجندية على حسب

نسبتهم العددية أمر مقصود من الضابط البريطاني ومن دار الاعتماد، لأنهم لا يثقون بالعرب ويريدون عند الحاجة أن يعتمدوا على غيرهم، فمجرد هذا الاعتقاد ينفر قلوب الأهالي من السياسة البريطانية ويجعلهم يمقتونها وينظرون إلى البريطانيين كغير أصدقاء، فيرتاب البريطانيون في موقفهم اتجاههم، وتتسع شقة الخلاف، ويولد عنها مشاكل لا تنتهي. هذا من الوجهة الإدارية، أما من الوجهة الاقتصادية ففي مثل هذه السنة الرديئة الموسم كل جندي يستطيع أن يقتر على نفسه ويوفر ثلث معاشه ليعاون به أهله على مشترى بذار أو حيوانات لزراعة. أما الجركس والشاشان فليسوا في حاجة من الوجهة الاقتصادية إلى مسابقة الأهالي على مثل هذه الرواتب التي تجعلهم محسودين وممقوتين من الأكثرية، وخصوصاً إذا اعتمدوا على سلطة الحكومة وأساؤوا استعمال وظائفهم، وبذلك لا نعتقد أن مصلحة الجركس وحسن الجوار تقتضيان أن يتولوا أكثر من حقوقهم في الوظائف والأعمال، وعلى كل فإننا نرجو إدارة تنظيم الجيش ودار الاعتماد مراعاة الاعتبارات التي قدمناها والنظر في انتقاء صغار الضباط من رجال الأخلاق الرفيعة والمبادئ القويمة كبعض الذين على رأس الجيش من كبار الضباط، ونرجو كذلك أن يعتنى كل العناية بأخلاق الجنود ويسهر عليهم، فعلى سلوك الجنود ومعاملاتهم يحكم الناس على الإدارة البريطانية. والعقلاء أمثال كوكس وردنغ بيك لا يفوتهم أن حوادث الدهر واحتياجات القوي إلى الضعيف وكثيراً ما تجعل الضعيف قوياً، وأن المصلحة البريطانية في الشرق تروجها صداقة العرب الصميمة[209].

الإدارة في الشرق العربي

حالنا في عهد حكومة فيصل — الحق لم يكن علينا

الإدارة في الشرق العربي هي كل شيء، فلو أتيح لهذه المنطقة إدارة صالحة منذ كانت تابعة لحكومة الملك فيصل، أو منذ صارت إمارة الأمير عبد الله لبلغت شأناً ظاهراً من الرقي العمراني والزراعي والتجاري، ولظهر النجاح في معارفها وازدهرت أحوالها الاقتصادية والاجتماعية، ولكن الأمر المؤسف المحزن أن حركة التقدم وقفت فيها منذ تخلى عنها الأتراك، فإذا تفقدتها رأيت جوامع ومدارس وطرقاً وغير ذلك من المشاريع التي باشرها الأتراك موقوفة ورأيت الفقر شاملاً والفساد عاملاً وشاملاً، وليس هناك سوى ألقاب ضخمة يوازي عددها ما كان في الأستانة على عهد عبد الحميد، والناس كانوا يواخذون عبد

---

[209] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1148 . 14 تشرين اول عام 1925م

الحميد على ألقابه ورتبه وأوسمته الكثيرة في سلطنته الكبيرة الواسعة، فكيف بهم اليوم متى رأوا أكثر من ستين باشا في متصرفية فقيرة من متصرفيات تلك المملكة الواسعة، إن في هذه الألقاب لدليل على ماهية الإدارة وسقمها وضعفها وعجزها، فقد كانت تحاول أن ترشي أو تسترضي كل ذي نفوذ يركض وراء رتبة أو وسام.

عهد حكومة فيصل

رأى رجال مملكتنا العربية القصيرة العمر مُلكاً أمامهم لم يعملوا لتأسيسه ولا جاهدوا أو عانوا متاعب ومشاق ولا ضحوا شيئاً في سبيل قيامه بل كل ما هنالك أن بعضهم انتقل إليه رأساً من رئاسة الجمعيات الاتحادية وخدمة الوظائف في الحكومة التركية، فأخذتهم دهشة المُلك والتهوا بعظمته وراحوا يقلدون رجال المملكة العثمانية في الأستانة، وانغمسوا في نعم وملاذ جاءتهم عفواً ونسوا واجباتهم نحو تكوين الملك وإحياء الملحقات، ولم يهتموا أو يقدروا حراجة موقفهم ولا اهتموا بالأخطار التي كانت تحيط بهم، فكانوا يعملون على زيادتها غير مفكرين. نذكر أننا قصدنا مرة إلى الشام لندرس الحالة، فلما بلغنا درعا وجدنا الماجور سمرست مرابطاً بجيش بريطاني فيها «فسألنا لم هذا فقيل لنا لمحافظة الأمن ومنع وقوع حوادث بين بني صخر والفلاحين، والذين قتلوا الشيخ صالح شيخ الخرشان. قلنا وأين الحكومة العربية والجيش العربي ومساعي الوطنين فأجاب قائلاً: «قدامك في أوتيلات الشام ومتنزهاتها».

بلغنا الشام فرأينا شبابنا ما شاء الله عنهم في عظمتهم وملاهيهم ومجدهم، فذكرنا ما شاهدنا في درعا وقلنا ما شأنكم هنا لماذا لا تتوزعون في الخارج وتنظمون الملحقات وتعملون على قيام الملك اجتماعياً وعمرانياً واقتصادياً، فأنذرنا صديق في اليوم الثاني قائلاً: لا تكثر من انتقاد القوم فقد ساءهم حديثك بالأمس وأخذوا يشيعون أنك جاسوس إنكليزي ليوسخوا سمعتك فلا يكون لانتقادك تأثير عليهم، قلنا يظهر أنها صناعة ورثها غلمان الأستانة عن أسيادهم وجاؤوا يعلمونها لأهل البلاد وقد نجحوا فيها، وبينما كنا بعد ظهر ذلك اليوم نجادل بعض الأصحاب أقبل شاب وأخذ ينصت لحديثنا خارج الغرفة، ولما سأل وأخبروه عن اسمنا قال ألا يكفيه جنوناً في فلسطين حتى جاء يتجنن علينا هنا؟

خلاصة القول: صرفنا أياماً في الدرس والمقابلات، فخيل إلينا أن أبناءنا وجدوا في مملكة فيصل مائدة عليها من جميع أنواع الأطعمة والأشربة، فجلسوا يشربون ويأكلون ويلعنون كل من يحاول إزعاجهم.

ومن الغريب أنهم كانوا يعتقدون أن من واجب بريطانيا العظمى أن تعاملهم معاملة الله للإسرائيليين لما خرجوا من مصر، أي أن تظللهم بعمود سحاب نهاراً وتضيء عليهم بعمود نار ليلاً، وتقاتل أعداءهم، وتقدم المال لملكتهم، وتتركهم في لهوهم وتتجاهل ما يفعلون، (التهى) القوم بما لاقوا ولم يلتفتوا إلى الملحقات ولا إلى وجوب ربطها بالمملكة وتنظيمها وتعميرها وإقالة أهلها العثرات وإحياء الاقتصاديات، فأهملوها كل الإهمال، فجاء وقت ضاعت فيه العاصمة وضاعت الملحقات، ولم يبق من آثار تلك المملكة وذكراها سوى المؤلفات المحزنات، وهكذا لم يترك رجال حكومة فيصل أي أثر عمراني أو زراعي أو علمي أو اجتماعي في ملحقات مملكتهم وأسفاه. فليت كل واحد منا يبحث عما كان يستطيع القيام به في المركز الذي كان يشغله ليرى قصوره ويعمل على تلافيه اليوم بإصلاح نفسه على الأقل وإعدادها، إن لم يكن لخدمة البلاد فتتحاشى أذاها وليكون قدوة صالحة للغير، فالذي لا يستطيع أن يقود الشعب أو فريقاً منه للعمل فيكفي البلاد منه أن يكون هو عاملاً صالحاً فيها.

ربما لم يكن الحق كله علينا فيما كان من لهونا وإهمالنا الذي أضاع منا بقطنية يونان «مملكة فيصل» بالنظر لتربيتنا وعدم تجربتنا، أما وقد كانت الخسارة جسيمة فيجب أن نعتبر ولا يجوز وضع اللوم على فريق خاص أو على الذين كانوا على المسرح، فاللوم والتبعة يلحقان كل فرد من أبناء الأمة الذين يعملون في القيادة والمنقطعين على أعمالهم، فالصانع والحراث والزارع ومعلم المكتب، كل واحد منهم إذا أهمل واجبه مسؤولون. إذا كان الأفراد صالحين ناهضين حريصين على المصلحة العامة، فلا يسع القابضون على زمام الإدارة أو القيادة إلا أن يكونوا ساهرين مثابرين على الأعمال ليراها أصحاب العيون المفتوحة، ويرضى عنها أصحاب العقول السليمة من مجموع الأمة.

إذا كان التاريخ يعذرنا فيما مضى فلا يعذرنا بعد التجربة، وليس لأحد أن يبرئ نفسه من أي تقصير يقع فيما بعد فكلنا مسؤول[210].

تابع إدارة الشرق العربي

سقطت مملكة فيصل أو بقطينة يونان فاستولى الفرنساويون عليها حتى درعا وانفصلت عنها المنطقة الشرقية التي هي عبارة عن بلاد إربد والسلط والكرك، فقام في كل من هذه المدن حكومة محلية لا تعرف لها مرجعاً فاستدرك الإنكليز ووضعوا إلى جانب

---

[210] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1149. 17 تشرين اول عام 1925م

كل واحدة من هذه الحكومات الثلاث مستشاراً ثم أعلنوا استقلالها بواسطة السر هربرت صموئيل واستعدادهم إسداء المشورة ومنحها حرية التجارة مع فلسطين.

بقيت هذه المنطقة حرة، والإنكليز لا يجدون مبرراً لإدخالها رسمياً في انتدابهم، إلى أن قدم الأمير عبد الله إلى معان، وأقام فيها فهرع إليه فريق من الوطنيين المخلصين لأنهم علقوا على قدومه آمالاً كباراً وظنوه آتياً ليصلح ما أفسده أخوه الملك فيصل، الذي سحب الجيش من مرابطه في مجدل عنجر وجمع سلاحه وفضه وسلم البلاد للفرنساويين، وترك لهم دمشق بما فيها من سلاح وعتاد وجاء إلى فلسطين، وسافر منها إلى أوروبا يطلب تاجاً آخر من بريطانيا. ولما سأله صاحب هذه الجريدة لم لم ينسحب بجيشه وسلاحه إلى حدود البرية ولم لا يفعل ذلك الآن بدلاً من الذهاب إلى أوروبا؟ أجاب: «هذا شغلي وما هو شغلك» فهذه سوريا اليوم تسفك دماؤها وتعذب نساؤها وشيوخها وأطفالها يتيتمون ونساؤها يثكلن ويترملن لأجل استرداد بعض ما خسرت من الحرية الغالية. نحن نحب أن نعتقد بأن عيني فيصل تدمعان حزناً على ما يجري في سوريا بسبب سوء تدبيره.

لاقى الأمير عبد الله في معان بعض المخلصين من الوطنيين من ملكيين وعسكريين، وتبعهم لفيف من المرتزقة المتسترين بثوب الوطنية، فكان يمنيهم بالوعود المبهمة، وكان الوطنيون يستنتجون منها أنه سيقودهم في سبيل المجد إلى تحرير بلادهم، وكان السكان يأملون بانه سيفتح لهم باب الوظائف فيستأنفون عيشهم الهني الذي تعودوا عليه في عهد فيصل، ويلقبون أنفسهم برجال المملكة مرة أخرى.

بقي القوم في معان حيناً حتى وثق الأمير عبد الله من أن الإنكليز لا يمانعون في تقدمه إلى عمان وتوحيد إدارة شرقي الأردن، وفي كتاب «عامان في عمان» لشاعر الشام وأديبها السيد خير الدين الزركلي[211]. يقول إن الأمير عبد الله بقي في معان حتى وردته برقية من والده هذا نصها:

«إن وزير المستعمرات المستر ونستون تشرتشل على أهبة السفر إلى الشرق وسيقابلك ويفاوضك».

---

[211] - هو خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي كاتب وصحفي سوري ولد في عام 1893م في ببيروت من اب وأم دمشقيين، وكان والده تاجراً نشأ في دمشق ودرس فيها. قام بإصدار مجلة (الأصمعي) إلا إن الحكومة العثمانية منعتها. ثم قام بتأسيس جريدة (لسان العرب) لكنها أقفلت كذلك. وكانت له مشاركات ادبية في إصدارات سوريا وجهات أخرى. وبعد الاحتلال الفرنسي حُكم عليه غيابيا بالإعدام ومصادرة املاكه بيد إنه كان قد خرج إلى فلسطين ثم إلى مصر ثم إلى الحجاز وتجنس بالجنسية العربية فيها. وقد تم إلغاء هذا الحكم لاحقا مما مكنه من الرجوع إلى دمشق ثانية، تقلد مناصب عديدة في عدة دول اشهر كتبه الأعلام وله ديوان شعر في مجلدين ورحلته (مار رايت وما سمعت) وكتاب (عامان في عمان)

فبعث سموه على الفور بالأستاذ المحامي عوني بك عبد الهادي وحمله رسالة إلى السر هربرت صموئيل في القدس وأخرى إلى المستر تشرتشل في مصر.

قدم الأمير عبد الله إلى عمان وزار القدس واتفق مع المستر تشرتشل أن يكون موظفاً يحمي حدود فلسطين ويمنع الغارات عليها من الشرق العربي، ومما قاله الأمير أنه سيبني الوطن القومي بسلام، وأحضر الحاج رشيد بك طليع الذي كان متصرفاً في حوران ومبعوثاً ثم والياً في حلب، وقلده رئاسة الحكومة فأراد رشيد بك أن يديرها إدارة عربية صالحة فلم يتمكن من ذلك لأن الأمير كان غرضه إرضاء السر هربرت صموئيل مندوب فلسطين السامي «الصهيوني الصميم»، والمندوب كانت غايته أن يدار الشرق العربي كجزء من «أرض إسرائيل» مما اضطر رشيد بك إلى الاستقالة، ونحن نعتقد أنه لو كان مندوب فلسطين السامي غير صهيوني لما تعذر على رشيد بك والأمير عادل أرسلان أن يديرا الإدارة والمقر الأميري إدارة تسير بالبلاد في مسالك الرقي والعمران.

بعد استقالة رشيد بك تولى رئاسة الحكومة بالتعاقب مظهر بك رسلان من حمص وحسن خالد باشا ابن المرحوم السيد أبو الهدى شيخ السلطان عبد الحميد، فكانت الإدارة في عهديهما ضعيفة تدار بإرادة الأمير المطلقة مع أن الأمير كان بحاجة مطلقة إلى حكومة قوية الشكيمة شديدة الإخلاص واسعة الاختبار تضطره إلى التقيد بالأحكام الدستورية والتعود عليها.

أما الرئيسان حسن خالد ومظهر فقد كانا آلات صماء تديرهما إرادة الأمير المطلقة، ولذلك لم تحسن حكومتاهما الإدارة إن صح أن يقال إنه كان هنالك إدارة. فأهملت التربية الزراعية وأعمال النافعة والمعارف ولم يقرر للبلاد ميزانية مالية لأن أكثر أموال الإدارة كانت تنفق بإرادات أميرية على المقربين وفي الطرق التي يختارها أميره.

لا نريد أن نقول إن الأمير كان يأخذ هذه الأموال لنفسه. كلا فإنه لم يدخر منها شيئاً له أو لأولاده، بل كان ينفقها جميعها في الطرق التي كان يظنها صالحة، فإذا ترك المنطقة اليوم لا يحمل معه شيئاً من مالها بل قد يحتاج إلى أن يأخذ من والده ما يسد به ديونه، ولذلك لا يمكن تحميل الأمير تبعة ما أنفقه وإنما تقع التبعة على حكوماته الضعيفة باستثناء حكومة رشيد طليع.

صرفت أموال المنطقة فلم تستفد منها المعارف إلا ما أنشأه نبيه بك العظمة حاكم إربد الإداري من المدارس على نفقة الأهالي، وكذلك الطرق، ولم تطبق الأسس التي وضعها لها الأتراك ولم تخط الزراعة خطوة واحدة إلى الأمام، وفضلاً عن ذلك فقد نما

الفساد والخصام والشقاق، وتعقدت الخلافات المزمنة فانفجرت حوادث الكورة والعدوان والكرك عدا الحوادث الصغيرة التي أرجعت البلاد القهقرى بدلاً من أن تتقدم تقدماً أخلاقياً واجتماعياً وعمرانياً واقتصادياً.

انتهت هذه الإدارة بحوادث العصابات والله يعلم من الذي دبر أمورها بنظر قصير ولغاية شخصية خسيسة غير وطنية، وهي حمل الفرنساويين بعد تداخلهم تلك المداخلة التي لم يكن لها معنى في شؤون الخلافة على تبديل سياستهم، فكانت نتيجة هذه الحوادث تقييد الأمير واستدعاء الركابي باشا لتأليف الحكومة ووضع المالية والقوة تحت المراقبة وتحميل زعماء حزب الاستقلال[212] تبعة ما حدث وإخراجهم من الشرق العربي[213].

تابع إدارة الشرق العربي

قلنا فيما سبق أن الإدارة التي اتبعها سمو الأمير وحكوماته قضت بتقييده واستدعاء ركابي باشا ليؤلف الحكومة.

جاء ركابي باشا وهو رجل حكومي بكل معنى الكلمة وحازم وله خبرة بشؤون الإدارة التركية، فوجد أن البريطانيين يريدون تنظيم المالية فترك لهم ذلك، ويريدون نشر الأمن فعمل له بشدة وثبات تقتضيها حالة المنطقة وظروفها ونجح في مهمته هذه، وأراد أن ينهض بالزراعة فعمم أوامر بوجوب ترغيب الناس في غرس الشجر بل شدد في وجوب إجبارهم على الغرس، فغرسوا كميات وافرة ولكن لم يسقط مطر كاف في الموسم الماضي فيبس معظم ما غرس.

إن فشل السنة الماضية يجب أن يضاعف المساعي في السنة الحالية، ويجب أن تبدأ هذه المساعي منذ اليوم بحفر الجور وإعدادها لتروى من المطر المبكر، ولكي لا تشغل الفلاح في موسم الزرع.

---

(212) - تأسس حزب الاستقلال العربي في 15 / 2 / 1919 ليكون مظهراً علنياً لنشاط جمعية العربية الفتاة السرية، وكان اشهر اعضائه شكري القوتلي عزة دروزة واحمد مريود وعادل ارسلان واحمد حلمي عبد الباقي، والكثير من نخبة السياسيين العرب في الشام والحجاز، وكان هذا الحزب يعتبر نفسه وصياً سياسياً على الدولة العربية الناشئة في سوريا ايام الملك فيصل بن الحسين وحاول أن يلعب الدور نفسه عشية تأسيس إمارة شرقي الأردن لكن هذا الحزب اعتباراً من اواسط العشرينيات تراجع دوره واضمحل إلى أقصى درجة وتوزعت رموزه على الحركات السياسية في الدول المتشكلة من تقسيم بلاد الشام، وفي عام 1932 تأسس في القدس حزب باسم حزب الاستقلال العربي وكان مؤسسوه عوني عبد الهادي، ورشيد الحاج إبراهيم، ومعين الماضي، ومحمد دروزة، وصبحي الخضرا، وسليم سلامة، وفهمي العبوشي

(213) - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1151 . 24 تشرين اول عام 1925م

إن العمل في سني الضيق يساعد على إنعاش معنويات المزارع التي كاد يقضى عليها بسبب قحط الموسم السابق، نعم يجب إيقاظ الهمم وإنعاش الآمال عند الخوف من اليأس وبغير هذا لا تنهض الشعوب.

مسألتان هامتان مرتبطتان ولا غنى للواحدة منهما عن الأخرى؛ إنهاض الاقتصاديات، وبسط الأمن. فإذا لم يكن الأمن ثابتاً لا يطمئن الناس للعمل في الاقتصاديات، ولا يأمنون على أشجارهم إذا غرسوها من الرعي والقلع والقطع، وإذا لم تكن الحالة الاقتصادية في البلاد حسنة فالحكومة لا تستطيع أن تنفق ما يجب إنفاقه لتوطيد الأمن، وبناء على ذلك فركابي باشا شعر أنه بحاجة إلى الأخذ بالوسيلتين معاً فشدد في أوامر الغرس وسهر على الأمن حتى أنه عمل قانوناً خاصاً يتعلق بمحافظة الزرع، وقد منع بوساطته في هذه السنة جمال العربان وغنمها من مضايقة المزارعين، وخصوصاً في موسم الحصاد، وهو يحتاج إلى قانون صارم لحماية الأشجار والمغروسات وإلى صرامة تطبيقه، كما يحتاج إلى تعميم غرس الأشجار في كل قرية ومزرعة في المنطقة، وإلى تعمير بلاد الشرق وبسط الأمن فيها وربطها بالعاصمة وبالكرك وبفلسطين وبالعقبة والحجاز. لا ننكر على ركابي باشا ما بذله من المساعي لنشر الأمن ولنهضة الزراعة، وإن يكن تأثير هذه المساعي لم يظهر بعد بسبب رداءة موسم المطر كما قلنا سابقاً، وبسبب التهاون في إدارة الحكومتين السابقتين.

ونذكر له بالشكر إثبات وقفية أراضي الغور فقد أنقذها من البيع إلى السماسرة، ونرجو أن يبذل المساعي في استرداد ما بيع من قبل بعض بسطاء العرب الذين لا يعرفون أن حقوقهم تنتهي ببداية حقوق الغير، وأن للوطن حقاً لا يعتدي عليه إلا كل خائن، فهؤلاء باعوا أراضي في الغور موقوفة إلى بعض شيوخ السماسرة الذين لو وضعت أراضي الغور ومياه الأردن كلها في بطونهم لبقيت جوفاء، بل أجوف من وادي الأردن نفسه. فلأجل التمكن من تحسين الإدارة والسير بها وبأهلها في معارج الرقي والعمران، يجب المحافظة على الأراضي وعدم السماح بانتقالها إلى أيد غريبة تضع إصبعها في كل شأن من شؤون البلاد.

كما اعترفنا لركابي باشا ببعض ما بدأ وما نأمل أن يستمر في السير عليه، لا بد لنا من انتقاد ما نعتقد أنه يستوجب الانتقاد.

عاد ركابي باشا ليتولى حكومة الشرق العربي للمرة الثانية، وبينه وبين الأمير عبد الله بقية خلاف من عهد رئاسته للحكومة في المرة الأولى، فخيل للأمير الذي غلت يده

عن التصرف بالمالية والإدارة، أن الركابي عدو وانه هو سبب هذا التقيد، وبدلاً من أن يعمل الركابي على إزالة هذه الفكرة من رأس الأمير ويبرهن له بالفعل على عكس ذلك، وأن مصلحة الأمير نفسه تقتضي ضبط الإدارة وتسييرها على نظام دستوري، استفاد هو أيضاً من موقف الأمير وربما عمل على تقليم أظافره، وهكذا أخذ الزعيمان في الشرق العربي يتناوأان فانحاز إلى ركابي باشا الذين كانوا مستائين من الأمير، وبقي مع الأمير الذين كانوا مسرورين من التفاته، والذين كانوا يأملون أن يتولوا إدارة الحكومة مطلقين بعد خروج رجال حزب الاستقلال من المنطقة. ويقال مع الأسف إن الفريقين استعملا لنكاية بعضهما بعضاً طرقاً كانوا في غنى عن استعمالها على مشهد من البريطانيين، فأساؤوا إلى المنطقة، وصرفوا جهودهم التي طلبت منهم المنطقة على صرفها في خدمتها لقاء رواتب كبرى تدفعها لهم في غير مصلحة المنطقة، وليس ذلك فقط بل حولوا كثيرين من الموظفين عن واجباتهم إلى الاشتغال بالحزبيات، كما أشغلوا بها فريقاً من زعماء الأهالي أيضاً، وهؤلاء الزعماء يتبعهم مريدوهم فالمنطقة الفقيرة التي تجتاز أزمة اقتصادية شديدة تخسر في كل يوم بسبب حزبيات الأمير والركابي شيئاً كثيراً من الجهود التي كان يجب بذلها في تلافي الأزمة، وحتى لا تخسر خسارة كبرى أخلاقية واجتماعية في موقفها الحرج على خط الدفاع الثاني في التنازع القومي، فإذا بقي الأمير والركابي مهتمين بهذه المنازعات الحزبية ويشغلان بها رجال الإدارة وخصوصاً رجال القضاء وزعماء البلاد فهما يجنيان على مستقبل العرب جنايات لا تغتفر.

خير لهما أن يتفاهما ويتعاونا على العمل للنهضة الاقتصادية والاجتماعية ولاستقلال القضاء عن السياسة، ولتعمير البلاد ولترقية الأخلاق ليكون الشرق العربي حصناً يصد هجوم الصهيونية على البلاد العربية[214].

الكلمة الختامية

تنازل واقرأ هذا يا سمو الأمير عبد الله

نكتب هذه الكلمة عن سمو الأمير عبد الله وموقفه تجاه الأمة والبلاد بعد تفكير، ونرجو أن يكون في ما نكتبه ما يساعد على خدمة المصلحة العامة.

لكي يفوز الإنسان يجب أن لا يستهتر بالأسباب التي جعلته محترماً، بل عليه أن يقدرها بإجلال ويحرص على العمل بإخلاص لتبقى هذه القيم قوية وإلا خسرها وأضاع منزلته.

---

(214) - الكرمل. السنة الثانية عشرة. العدد 1152. 28 تشرين اول عام 1925م

للأمير احترامان، أحدهما موروث والآخر مكتسب، أما بالنسبة للموروث فيساعد على وصول صاحبه إلى المسرح واجتذاب قلوب المشاهدين إليه. أما المكتسب فهو ما يقوم به من الأعمال العظيمة التي تحمل أفراد الأمة على مشاركته في القيام بها برغبة وإخلاص ونشاط يكفل نجاحها، ليكون لكل واحد منهم نصيبه من الربح المادي والمعنوي.

إذاً مكانة الأمير ونفوذه مستمدان من الأمة التي تأمل أن يستخدمها للمصلحة العامة وليست للخاصة.

لما رأى الإنجليز مقام الأمير المحترم في قومه ساوموه على مصالحهم، [و]قد كان يجب عليه أن يدخل معهم في المساومة، وأن لا يفرط في مصلحة قومه ويقبل كرسياً أو يلتمس عرشاً عربياً من غير العرب، بل يسعى للتوفيق بين المصلحتين، وأن لا يتنازل عن شيء حتى ينال للأمة مقابله.

لو ينتبه الأمير ويطلب تأسيس مجده وبناء عرشه من طريق إحياء مجد العرب لا من طريق ما يعتقد أنه يناله من الإنجليز، أو مما قد وعده به الصهيونيون من منافع شخصية على حساب المصالح العربية في الشرق العربي وفلسطين.

الإنجليز يحترمون من يحترم نفسه ومن يخلص لقومه ولشعبه، ويعرف كيف يوفق بين مصلحة قومه ومصالح الغير، ولكنهم يستفيدون من الدلالين الخونة الذين يبيعون مصلحة أمتهم وشعبها، أما الصهيونيون فقد استفدنا مما اختبرناه إلى الآن على أن التجارة معهم غير رابحة، بل إذا استمرت فسوف نخسر أراضينا ووطننا ونحن سنستيقظ بعد فوات الأوان.

يا أعوان الأمير ورجال حكومة الشرق العربي انتقدناكم انتقاداً مؤلماً لا للإساءة بل لنوقظكم ولتبتعدوا عن كل التحزبات والخصومات والتفسخ واللامبالاة. انتقدناكم لتتنبهوا لما يجري من حولكم ومطامع الغرب وسياسته الاستعمارية، فإذا كنتم يقظين تعملون بوعي وحكمة فسيضطر الغرب إلى تعديل سياسته وتغييرها معكم.... لهذا استفيدوا من الفرص متى لاحت حتى يرجع للعرب مجدهم[215].

---

[215] - الكرمل . السنة الثانية عشرة . العدد 1153 . 31 تشرين اول عام 1925م

خير الدين الزركلي في حيفا هارباً من الفرنسيين

تمثل رحلة (ما رأيت وما سمعت) لخير الدين الزركلي وثيقة نادرة ومهمة عن المرحلة الحرجة في تاريخ بلاد الشام لحظة احتلال دمشق من قوات الجنرال غورو الفرنسي، وقد بدت نغمة اليأس والضياع في كلمات هذه الرحلة وأظهرت الصورة الحقيقية للملك فيصل بن الحسن الساعي للحصول على تاج بأي ثمن. ويمكن عدّ هذا النص دليل إدانة للملك الذي لم يحسن الحفاظ على مُلكه، كما اعترف بنفسه، ولا ندري كيف كان له أن يحتفظ بهذا المُلك؟ أبالموافقة على وعد بلفور؟!.

ولد خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي[216]، في بيروت في 25 حزيران 1893م حيث كان والده تاجراً هناك، والده وأمه دمشقيان.

نشأ الزركلي في دمشق، وتعلم في مدارسها الأهلية، وأخذ عن معلميها الكثير من العلوم خاصة الأدبية منها، كان مولعاً في صغره بكتب الأدب، وقال الشعر في صباه. أتم دراسته (القسم العلمي) في المدرسة الهاشمية بدمشق، ثم عمل فيها مدرساً بعد التخرج، كما أصدر مجلة (الأصمعي) الأسبوعية فصادرتها الحكومة العثمانية. انتقل إلى بيروت لدراسة الآداب الفرنسية في الكلية العلمانية (اللاييك)، بعد التخرج عين في الكلية نفسها أستاذاً للتاريخ والأدب العربي.

بعد الحرب العالمية الأولى، أصدر في دمشق جريدة يومية أسماها (لسان العرب) إلاّ أنها أُقفلت، ثم شارك في إصدار جريدة المفيد اليومية وكتب فيها الكثير من المقالات الأدبية والاجتماعية.

على إثر معركة ميسلون ودخول الفرنسيين إلى دمشق حُكم عليه من قبل السلطة الفرنسية بالإعدام غيابياً وحجز أملاكه إلاّ إنه كان مغادراً دمشق إلى فلسطين، فمصر فالحجاز.

---

[216] - الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1992، ج8/ (267- 270) معجم اعلام المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة اولى 1992، ص(220)

سنة 1921م تجنس الزركلي بالجنسية العربية في الحجاز، وانتدبه الملك حسين بن علي لمساعدة ابنه (الأمير عبد الله) لإنشاء الحكومة الأولى في عمّان، حيث كلّف مفتشاً عاماً لوزارة المعارف ثم رئيساً لديوان الحكومة (1921. 1923).

ألغت الحكومة الفرنسية قرار الإعدام على الزركلي فرجع إلى سورية، ومن ثم غادرها إلى مصر، وهناك أنشأ (المطبعة العربية) حيث طبع فيها بعض كتبه وكتباً أخرى.

أصدر في القدس مع رفيقين له جريدة (الحياة) اليومية، إلاّ أن الحكومة الإنجليزية عطّلتها فانشأ جريدة يومية أخرى في (يافا)، واختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1930.

عينه الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود سنة 1934 مستشاراً للوكالة ثم (المفوضية) العربية السعودية بمصر، كما عُيّن مندوباً عن السعودية في مداولات إنشاء (جامعة الدول العربية)، ثم كان من الموقعين على ميثاقها.

مثّل الأمير فيصل آل سعود في عدة مؤتمرات دولية، وشارك في الكثير من المؤتمرات الأدبية والاجتماعية، وفي عام 1946م عين وزيراً للخارجية في الحكومة السعودية متناوباً مع الشيخ يوسف ياسين، وكذلك متناوباً معه العمل في جامعة الدول العربية، واختير في العام نفسه عضواً في مجمع اللغة العربية بمصر.

عام 1951م عين وزيراً مفوضاً ومندوباً دائماً لدى جامعة الدول العربية، فاستقر في مصر، وهناك باشر بطبع مؤلفه (الأعلام).

من عام 1957م وحتى عام 1963، عين سفيراً ومندوباً ممتازاً (حسب التعبير الرسمي) للحكومة السعودية في المغرب كما انتخب في المجمع العلمي العراقي سنة 1960.

منحته الحكومة السعودية بسبب مرض ألمّ به إجازة للراحة والتداوي غير محدودة، فأقام في بيروت وعكف على إنجاز كتاب في سيرة عاهل الجزيرة الأول (الملك عبد العزيز آل سعود) وأخذ يقوم من حين لآخر برحلات إلى موطنه الثاني السعودية ودمشق والقاهرة وتركيا وإيطاليا وسويسرا. توفي الزركلي في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام 1976، وله من المؤلفات : كتاب (ما رأيت وما سمعت)، سجل فيه أحداث رحلته من دمشق إلى فلسطين فمصر فالحجاز. وهو الكتاب الذي بين أيدينا. والجزء الأول من ديوان أشعاره، وفيه بعض ما نظم من شعر إلى سنة صدوره (1925). وكتاب (عامان في عمّان)، مذكرات الزركلي أثناء إقامته في عمّان وهو في جزأين. وماجدولين والشاعر، قصة شعرية قصيرة. وكتاب شبه الجزيرة في عهد الملك بن عبد العزيز. وكتاب (الأعلام)،

وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين يقع في ثمانية مجلدات. و(الملك عبد العزيز في ذمة التاريخ). و(صفحة مجهولة من تاريخ سوريا في العهد الفيصلي). والجزء الثاني من ديوان أشعاره (1925ـ 1970). وقصة تمثيلية نثرية أسماها (وفاء العرب).

لقد نقل لنا الزركلي في الصفحات القليلة التي تحدث فيها عن سمخ وحيفا، جانباً من الوضع الأمني والسياسي في فلسطين إبان الانتداب البريطاني، فلمحنا رجال الأمن يتجسسون على أحرار العرب، والقبضة الأمنية أشبه بحبل حول العنق، وهي شهادة تستحق أن تُقرأ بتمعن وتوضع في سياقها التاريخي المناسب.

ما رأيت وما سمعت

خير الدين الزركلي

من دمشق إلى مكة

ليلة ميسلون في القطار. في حيفا. من حيفا إلى القاهرة

ليلة ميلسون :

أنـــا لا أشـــكو ونـــىً في أمـــتي ويقـــومي كـــان إدلال الفخـــور!

إنمـــا توشـــك أن تبكـــيني غفلـــة القـــادة فينـــا والـــصدور!

رحماك اللهم ربي! ورافتك، بأمة أسلمت زمامها المقادير إلى زعماء خبطوا بها خبط عشواء، وقادة كانوا حطاب ليل، ونذر ويل، وتقحموا بها مجاهل الأمور على غير هدى، تسيِّرهم الأهواء والنزعات، وتلعب بهم الأغراض والنزعات، طالب منصب، وعابد درهم، وعاشق تاج! لا يبالون من أية الطرق كان لهم ما يبتغون، يكون!

قضي الأمر، وأراد التردد والضعف وعمى البصيرة أن تتفق وزارة الشام مع ملكها فيصل بن الحسين على تسريح الجيش إجابة لرغبة القائد الفرنسوي الزاحف على ميسلون، ونزولاً على حكمه، واستشعر أهل دمشق في حكومتهم إذعاناً للطارق الداهم، فأنفوا الاستسلام وأبوا إلا أن يتركوا أثراً من الدم في صحيفة ذلك اليوم.. فثاروا!

واضطرب المتربعون على كراسي الحكم في دمشق، فعمدوا إلى قمع الثورة بالعنف، فسادت الفوضى ظلام ليلة 21/20 يوليو (تموز) 1920 وأقبل الجند المسرحون، منتشرين في أحياء دمشق، يهتفون للاستقلال والدفاع، تحت رصاص الرشاشات التي كان يطلقها رجال الأمن في المدينة، وانصرف الغوغاء إلى نهب ما في مستودعات الحكومة من أرزاق وذخائر وعتاد، وأصبح الناس فجر يوم الخميس (21 يوليو) والقتلى ممددة في الشوارع والأزقة، والجرحى محمولون إلى بيوتهم ومستشفياتهم.

ذلك حديث الأهلين. وأما الحكومة، وكبيرها الملك فيصل، فقد حسبت أنها أحسنت الصنع بتفريق ما كان مجتمعاً لها من قوة الجيش، وسارعت إلى إعلام المعتمد الفرنسوي في دمشق (الكولونيل كوس) بقبولها ما أراده لها الجنرال غورو.. إلا أنها لم تلبث أن تلقت جواب خطابها على غير ما كانت تخال.. كان الجواب تقدم القوة الإفرنسية المعسكرة في (مجدل عنجر) على مقربة من (رياق) إلى الشرق. وعلمت حكومة الملك فيصل أن زلفاها من المغير، لم تعد تنفعها. فبادرت إلى استماع ما يقوله الملك فإذا هو يعلن الحرب..!

أعلنت الحرب بين دمشق والجيش الإفرنسي.. وليس في ساحة ميسلون، جبهة الدفاع، غير مئة وستين جندياً لم يبرحوا أماكنهم حين تسريح الجيش العربي السوري، ترافقهم كوكبة من الهجانة، ومعهم ستة مدافع من عيار 7.5 ورشاشات لا يزيد عددها على الأربع..!

هذه هي القوة التي أعلن بها الملك فيصل حرب سورية على الإفرنسيين، وهي القوة نفسها التي ثبتت في خنادقها ست ساعات أمام الجيش الزاحف المؤلف من أربعة آلاف جندي أفرنسي وبين يديه ما استطاع نقله من عدد وذخائر!

اللهم، وما أنس لا أنس اندفاع جماعات الأهلين، هذا يحمل زاد يومين، وذاك جعبة رصاص، وذلك رافع علماً يقسم به أن يموت دونه!

كانت وقعة ميسلون، وتغلب الأكثرون، وأصبح يوم الأحد (25 يوليو 920) وقائد الحملة الإفرنسية (غودن) يستعرض جيشه في شوارع دمشق وساحاتها!

ليس من شأني هنا أن أعدد ما اقترفه قادة ذلك الجيش من قتل الأسرى صلباً على جذوع الشجر ورمياً بالرصاص وما حاولوا أن يكذبوا به على الخلق من بثهم صنائعهم في بعض الفنادق ليرشقوهم بالرياحين، فيقال: دمشق تفتح صدرها للمستعمرين..!

وليس من شأني أيضاً أن أسرد تفاصيل تلك الفاجعة ومقدماتها ونتائجها في هذا الكتاب. ولكن حسبي أن أقول: إن صديقاً لي لا أسميه الآن، رآني عصر ذلك اليوم، وقد خرجت لأبصر ما استقرت الحال عليه، فأخبرني بأن قائمة أسماء اطلع عليها خلسة، يريد المحتلون سوءاً بمن فيها، وأنه قرأ اسمي في منتصفها، وحذرني أن أبيت تلك الليلة في منزلي. فشكرته، وأطعته!

في القطار :

أصبحت يوم 26 يوليو (تموز) 920 متهيئاً للسفر، أخشى أن تقع علي عين واش فيصدني عن سبيلي، فبعثت بحقيبتي إلى القطار، وأقبلت ـ وهو على وشك السير ـ فلم يكد يهتز اهتزازة الانطلاق حتى كنت فيه، وفي الصدر وساوس وفي النفس اضطراب، لولا أن هوّن علي علمي بأن يد الغاصب لم تزل بعيدة عن إدارة تلك السكة ـ سكة الحجاز ـ وأن المحطة لم تبرح في مأمن من سيطرته حتى تلك الساعة.

شعر بي شاب، أذكر أني رأيته قبل ذلك، فأقبل عليّ مسلماً، والقطار يجري متجهاً نحو (محطة القدم)[217] فعرّفني أنه أحد موظفيه، ودعاني إلى الطمأنينة! فعجبت لأمره وتظاهرت بأن ليس هناك ما يدعو إلى الاضطراب.. ولكن سرعان ما أدركت أنه واقف على دخيلة أمري، وأنه أخوف عليّ مني، فنبهني إلى أن ضابطاً وأفراداً من الأفرنسيين قد نيط بهم النظر في راكبي هذا القطار، وأنهم ربما كانوا ينتظرونه في القدم. وأردف ذلك بقوله: أما أنا فقد هيأت لك مكاناً تختبئ فيه. قلت: أين؟ فأشار إلى موضع الفحم في القاطرة... وانصرف بعد أن شكرت له غيرته.

كنت لابساً في ذلك اليوم بذلة بيضاء، فجعلت أنظر إليها وأتساءل في نفسي: كيف تكون هذه بعد دخول بيت الفحم؟! وغرقت في بحر من الخواطر والهواجس فإذا القطار يصفر، فنظرت، فإذا نحن على مقربة من محطة القدم.. فعاودني الذعر!

تخطينا المحطة وليس فيها إفرنسي. وجاءني ذلك الشاب يهنئني. فسألته عن اسمه، فلم يكتمه، واطرد لنا السير في سهل (الكسوة)[218] الرحيب، إلى أن قاربنا (المسمية)[219] فلاح لنا عن بعد شبح جمع كبير من الخيالة قد اكتنفوا الخط الحديدي من جانبيه، ودنونا، فشهدنا بنادقهم، وهدفها القطار، فعلا ضجيج الركاب من الخوف، وكان إلى جانبي ضابط عربي ـ من جيش الشريف ـ حوراني الأصل، رأى ما رأى الناس فألقى «فيصليته»[220] عن رأسه، وظهرت وفرته وجدائله[221] وأطل من النافذة يصيح بلهجة القوم، مشيراً لهم ـ والقطار متثاقل في سيره ـ: أن كفوا! فتعادى بعضهم نحونا، وقد عرف صاحبنا أحدهم فناداه باسمه، فأجابه ذلك صائحاً (وايش

---

(217) ـ اول محطة بعد دمشق في خط دمشق ـ حيفا.

(218) ـ بين دمشق وحوران جنوباً تبعد محطتها عن دمشق 25 كيلو متراً.

(219) ـ محطة في جنوب دمشق تبعد عنها 56 كيلو متراً.

(220) ـ الفيصلية: قبعة كالخوذة كان يلبسها ضباط العرب في سورية ايام إمارة فيصل

(221) ـ الجديلة في عرف بادية الشام اليوم: الضفيرة وفي اللغة: جدله أحكم فتله

جابك[222] معهم؟) فصاح به: (ما هنا أحد!) ـ وكنا قد بلغناهم. فأمالوا أفواه بندقياتهم واكتفوا بنظرات كانوا يلقونها على كل عربة من عربات القطار.

وعرفنا بعد ذلك أن جمهور «الحوارنة»[223] كان قد علم بما صارت إليه حال دمشق، وأصبح يترقب زحف الإفرنسيين إلى احتلال حوران، فتهيؤوا للدفاع، وأزمعوا اعتراض قطار هذا اليوم إن كان فيه أحد منهم، ووصلنا بعد نحو ساعة إلى (إزرع)[224] وقد بدأت مخاوفنا تتبدل أمناً وهواجسنا تنقل اطمئناناً، فجددها حادث لم يكن في الحسبان!

ذلك أن خصاماً قديماً كان بين طائفتين من قاطني بلاد حوران، اتفق أن رجلاً من إحداهما كان راكباً معنا فنزل يريد دخول القرية فاعترضه آخر من الطائفة الثانية، فتنازعا وتلاطما، وعمدا إلى السلاح، فانتصر للأول فتى كان لم يزل في القطار فشهر مسدسه وأطلق منه بضع طلقات تهديداً لخصم رفيقه ومن كان قد انضم إليه يعينه، فتألب عليهما جمع، فاستدبر الرجلان القطار، وتتابع إطلاق الرصاص حولهما، وارتفع الصراخ وخشي الراكبون. وصاح صائح فينا: «يا راياط[225] يا شباب!».. فرأينا الحكمة في ما رأى، فأهوينا منبطحين، نعفر ثيابنا بتراب الأقدام! خشية أن تعلق بأحدنا رصاصة طائشة تلدها الفوضى العمياء!. وانحدر أناس من القطار، لا يهتدون إلى أين يفتدون! ومضى آخرون إلى سائقه فهددوه بالنار إذا هو لم يمض بقطاره، فاضطر إلى موافقتهم وبرح بنا موقف الفتنة..

كل هذا حدث في بضع دقائق وكان الوقوف المعتاد في هذه المحطة ربع ساعة لحمل ما يراد نقله من حبوبها. ولم نبتعد عنها مسافة 300 متر حتى رأينا دخاناً كثيفاً تصاعد من خلفنا وسمعنا دوياً لم نعرف حقيقته إلا بعد أن بلغنا المحطة التالية (خربة الغزالة)[226] وتقاطر علينا من بها مبتهجين بنجاتنا قائلين: إن لغماً قد انفجر بعد مضيكم فنسف خط المحطة. فحمدنا الله وذكرنا فضل حادثة الخصام التي فررنا منها وتمثل أكثرنا بقوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾!

واستأنفنا المسير فبلغنا (أذرعات)[227] وأهل الشام يسمونها (درعا) وأهلها والبداوة

---

(222) - اي شبه جاء بلك

(223) - سكان حوران

(224) - محطة في حوران تبعد 96 كيلو متراً عن دمشق

(225) - لفظة تركية اصلها «يره ياط» اي «من على الأرض» ويريد بها العسكريون الانبطاح على البطن

(226) - على 111 كيلو متراً من دمشق جنوباً.

(227) - على 128 كيلو متراً من دمشق جنوباً.

يقولون (ذرعاة) فإذا مطعمها غاص بطائفة من أحرار سورية. علمت منهم أن الملك فيصلاً عاد صبيحة اليوم نفسه إلى دمشق بعد أن كان قد انسحب منها إلى (درعاة) (أذرعات) فقلت: لعل له عذراً وأنت تلوم!

تناولت طعام الظهر مع طليعة المهاجرين.. وحدثت بعضهم بما شاهدته في طريقي من دمشق. فلم يشك أحد منهم في أن فوضى حوران ستتصل بأذرعات. فاتفق أكثرهم على الرحلة إلى حيفا. فقصدناها يزيد عددنا على العشرين بيننا خالد الحكيم وأمين معلوف وسعيد حيدر وفؤاد سليم وبهجة الشهابي وتوفيق اليازجي ورياض الصلح وتوفيق مفرج ومعين الماضي. ومضت لنا ساعات في القطار إلى أن بلغنا (سمخ) وهي الحد الفاصل بين المنطقتين الشرقية والجنوبية من سورية المجزأة. وإن شئت فقل الحد الفاصل بين مستعمرتي فرنسا وإنكلترا في سورية الممزقة..!

طال وقوف القطار في (سمخ) المحطة الجافة القاحلة، فانتظرنا مكرهين، مع المنتظرين، وجاءنا بالأخبار من لم نزوّد.. فعلمنا أن حكومة حيفا قلقت لدنوّ هذا الوفد الكريم من أرضها.. فلم يسرها أن يسرح في مغانيها ثوّارٌ فوضويون هائمون مطاردون منكوبون.. والتمست وسيلة للخلاص من شرهم.. فلم تجد، فأوفدت لاستقبالهم سبعة من عيونها وأرصادها يقال إن أحدهم مدير شرطة (بوليس) حيفا لا وفد ترحيب وتأهيل وتسهيل! بل وفد استراق حديث والتماس هفوة وتجسس خبر!

قدم الوفد أفراداً غير مجتمعين، وقد تهيأنا لاستقبالهم بانقسامنا إلى أربع جماعات لكل جماعة منا عمل، فريق يمثل فصلاً من رواية (العدل أساس الملك) من روايات ككش. وفريق يتناشد الأشعار. وفريق يتغنى بأنواع الغناء (البلدي). وفريق يراقب حركات الوفد القادم. وجعلنا آية دخول (أحد القادمين) في إحدى جماعاتنا أن ترتفع أصواتها بما كانت عليه..

وكان الظن أن سنلقى رجالاً من ذوي المظاهر الخداعة يندسون بيننا، فرأينا عمالاً مساكين أحدهم مشقوق القميص وليس على منتصفه الأعلى سواه. والثاني منتفخ البطن وقد لبس سروالاً رمادي اللون رث الشكل. وبقية الجمع على هذا النمط البديع. فاستمررنا في أعمالنا وهم مبهوتون متحيرون. ولو نطقت ألسنتهم لسمعناهم يقولون: أيطرب هؤلاء بالتمثيل والغناء وقد ذهبت بلادهم وضاع طارفهم وتلادهم؟ أم تراهم كسواهم من فوضويي هذا العالم لا نظام يجمعهم ولا قانون يردعهم؟ أم هم قوم لا يشعرون!

لم تكن مدة السير من سمخ إلى حيفا أكثر من ساعتين. ولقد برحنا الأولى منذ صعد إلينا أضيافنا أو مضيفونا. فبلغنا الثانية والليل ينتصف، بتنا بقيته في بعض الفنادق. ثم تفرقنا في الصباح، زائرين ومزورين، وجائلين ومنزوين.

في حيفا :

رافقني في حيفا صديق حميم! مغرم بمحادثتي! مغرى بملازمتي! مولع بمماشاتي زعم أن صداقتي معه غير حديثة العهد بل ترجع إلى تاريخ طويل سرد لي مبادئه وخواتيمه.. ولكن، قبح الله ذاكرتي فقد خانتني. فكأني لم أعرفه ولم أره قبل رحلتي هذه. وقد حاولت كثيراً، وكثيراً حاولت - كما يقول بعض كتابنا اليوم - أن أذكر شيئاً عن هذا الصديق العتيق في أيامي الخالية فلم ألهم. فعدت إلى تقدير أن اجتماعنا كان في غير هذا الجيل ولعله في صورة غير صور البشر على رأي القائلين بالتناسخ..!

رأيت في هذا الصديق حباً للأدب وإكراماً للضيف عجيبين. فقد بلغني وأنا لا أزال في حيفا أن معروفاً الرصافي الشاعر المشهور قد أرست به إحدى البواخر في ذلك الثغر، وأنه لا ينوي النزول به. فعزمت على زيارته. فنهضت باكراً. ومشيت متوارياً أريد الشاطئ فكأني والصديق العتيق على ميعاد!...

قال: أين وجهتك؟ فقلت البحر! قال: وما تصنع؟ قلت: أزور صديقاً لي فقال: ومن هو؟ قلت الرصافي - وما أتممتها، حتى صاح صيحة خلت أن الله قد أراحني منه بالإغماء عليه فيها.. وأردفها بقوله: الرصافي! الأديب، الشاعر هنا؟ هلّم إلى زيارته.. فلنخض البحر للتمتع بأدبه.. فمضينا..

ووقفنا على الشاطئ فأردت أن نركب مع جماعات الراكبين. فأبى عليّ ذلك وأسرع فنادى صاحب إحدى السفن الشراعية قائلاً: الانفراد أفضل! تفضل يا سيدي! ليس من الجائز - وأنت ضيفي! - أن أوافقك على الجلوس في ذلك المزدحم. فتمتمت كلمات، ونزلنا بعد أن دفعت الأجرة جنيهاً. ولقينا الرصافي، فسلمنا وتكلمنا والتحفظ ملء أفواهنا..!

سألني معروف عن بيت قلته في دمشق: [من الكامل]

لا التاج ينفعه ولا استقلاله	إن لم يحلّ وثاقه وعقاله

فقال: لقد سمعت هذا البيت وعجبت منك كيف لم تردفه بثان، فقلت:

بل هو مطلع قصيدة. قال لم أسمع غيره وقد زدت عليه هذا البيت:

ملك نزا نزو الغراب وإمنا	في الرأس لا في رجله عقاله!

فضحكت لما في بيته من النكتة وانصرفت مع صاحبنا .. مودّعين!

الصديق العزيز لم يكتف بأن لازمني بضعة عشر يوماً في حيفا بل أراد أن يخدمني في غيرها أيضاً .. وهذه غاية الوفاء والإخلاص في الود!!

علم مني أن في نفسي الرحيل إلى مصر فوثب متطوعاً فكتب رسالتين إلى رجلين زعم أن له بهما صلة ودّ في مصر، أوصاهما بي! فتناولت الرسالتين متظاهراً بالشكر. ولم ألبث أن مزقتهما بعد أن قرأتهما ..

وفي حيفا علمت أن الملك فيصلاً ما كاد ركابه العالي يهبط دمشق آيباً إليها من (درعاة) حتى تناول في قصره بأقصى (المهاجرين)[228] كتاباً بالإفرنسية هذه ترجمته:

(دمشق في 27 يوليو 920).

(من الكولونيل تولا[229] رئيس البعثة الفرنسوية إلى صاحب السمو الملكي) الأمير فيصل بدمشق:

(أتشرف بإبلاغ سموكم الملكي قرار الحكومة الفرنسوية وهو أنها ترجو منك مغادرة دمشق بأسرع ما يستطاع بسكة حديد الحجاز مع عائلتكم وبطانتكم وسيكون تحت تصرف سموكم والذين معكم قطار خاص يبرح محطة الحجاز غداً 28 يوليو الساعة الخامسة. وأرجو يا صاحب السمو الملكي أن تقبلوا مزيد احترامي) ـ تولا ـ

ولما لم يكن لجلالته مناص من الموافقة، أذعن مضطراً، وبرح دمشق، صباح 28 يوليو متجهاً إلى درعاة حيث تلقى مع رئيس وزراته (قبل ثلاثة أيام) علاء الدين بك الدروبي برقية يقول فيها:

(إن السلطة العسكرية تبلغ جلالتكم أنها تطلب خروجكم من حوران، وأنها وضعت تحت أمركم قطاراً فإذا لم تفعلوا ذلك ضربت قنابل طياراتها قرى حوران..).

فرد عليه رئيس أمناء جلالته قائلاً:

(إن جلالة الملك لا يريد أن يصيب الأهلين ضررٌ ما بسببه).

وتبع ذلك تحليق عدد من الطيارات الإفرنسية في سماء حوران ألقت على أهلها منشوراً تنذرهم فيه بوجوب رحيل (الأمير) فيصل قبل انقضاء عشر ساعات وإلا أصلتهم نارها الحامية وخربت قراهم وبيوتهم. فأبرق جلالته إلى حكومة دمشق بعزمه على مغادرة حوران مساء السبت (31 يوليو سنة 1920) وأصبح يوم أول أغسطس (آب) في حيفا.

---

(228) - من احياء دمشق.

(229) - كان تولا مرافقاً (ياوراً) للملك فيصل

أخبرني من لا أشك بصدقه أنه رأى الملك فيصلاً يتمشى في منزله بحيفا ويتمثل قائلاً: [من البسيط]

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته   وكل من لا يسوس الملك يخلعه..!

من حيفا إلى القاهرة :

عز على حكومة حيفا بعد أن وقفت على حقيقة وفدنا الكريم واختبرت أخلاقه وآدابه بما نقله إليها أمثال صديقي ـ العتيق ـ أن تأذن لنا بالانصراف والبراح. وأبت إلا التعلق بأذيالنا واستبقاءنا إلى حين فكان مثلها معنا مثل الإنسان يبكي يوم يرى العالم ويبكي يوم يفارقه!

ألححنا بسؤالها الإذن فلم يجد الإلحاح، وتوسط في الأمر ناس فلم ينفع التوسط، قلنا: ومتى يحلّ العقال؟ فقال: حتى يأذن الله واللنبي[230].. فعمدت إلى الحيلة، وقد سئمت الانتظار والتريث، ورأيت من آثار برودة الدم الإنكليزي ما لا طاقة لي به ولا صبر عليه.. فتهيأ لي بعد التفكير والكدّ، والتشمير عن ساعد الجدّ أن أختلس السفر خلسة والقوم في غفلاتهم، فكتمت الأمر إلى قبيل نصف الليل، وحملت حقيبتي مهرولاً إلى موقف القطار، فقطعت جوازاً بالركوب (تذكرة سفر) في الدرجة الأولى، وما كانت عادتي أن أركب في غير الثانية ولكن خلوّ الثانية من سرير للنوم ألجأني إلى اختيار الأولى. فنمت!

واستغرقت في النوم ـ أو في السرير ـ حتى أصبح الصباح واستوى المسافرون على مقاعدهم في القطار، وأنا مزّمل بدثاري أراقب الذاهب والآيب أكاد أحلم يقظاناً كما يقول السيد البكري[231] شفاه الله: [من البسيط]

قد كنت أحلم قبل اليوم في سِنَةٍ   فصرت أحلم بعد اليوم يقظانا!

تظاهرت بالنوم خشية أن يراني من يعرفني ولا سيما الصديق العتيق.. فيستوقفني قبل أن أستلم الطريق!

وتحرك القطار فتحركت. ومشى فجلست. وليس في خبر الرحلة من حيفا إلى القاهرة ما يجدر بي أن آتي عليه إلا وقفة صغيرة في القنطرة:

---

(230) - اللورد اللنبي المندوب البريطاني السامي بمصر، وكان حاكم حيفا قد كتب إليه يسأله عما يصنع بالقادمين مع الملك فيصل

(231) - السيد توفيق البكري شاعر فحل وأديب كبير أصيب بمرض في أعصابه فكان هذا البيت آخر ما قاله من الشعر قبل دخوله مستشفى «العصفورية» في بيروت حيث لا يزال إلى اليوم

للحكومات حق في أن تسأل الركاب عن الأماكن التي سينزلون بها . وفي عملها هذا فائدة للأمن وللصحة العامة. ولكن القوانين قد لا تراعي الأحوال التي يسمونها (الاستثنائية) فهي تعتبر كل قادم على بلد عارفاً بمحله ومرتحله منظماً برنامجه، حاسباً حسابه.. ولا تلتفت إلى أن عدداً يكاد يبلغ حد الوفرة من المسافرين، يضربون في البلاد ضرب المقامر، همهم أن يلقوا عصا التسيار ويبلغوا وجهتهم من الديار! وهناك لا يبالون أين ينزلون. يأتون المدينة فيمترضهم صاحب فندق فيمضي بهم أو صاحب بيت فيمضون معه أو يلتمسون في فجاجها مأوى يؤويهم ما داموا فيها.

ولقد كنت لسوء الحظ من الفريق الثاني في رحلتي هذه . فقط . فأقبل المفتش يسألني أسئلته المعتادة حتى انتهى إلى السؤال عن المكان الذي أنوي النزول فيه. فحرت بماذا أجيبه.. وترددت قليلاً.. ثم لاح لي أن أحد من أعرف في حيفا كان قد سمى لي فندقاً بالقاهرة اسمه «ناسيونال» وآخر سمى لي فندقاً ثانياً اسمه «الكلوب المصري» فذكرتهما للمفتش. فعجب ثم ابتسم! فسألته عن سبب عجبه فقال: لقد سميت لي فندقين مختلفين في حالهما كل الاختلاف. وأبان لي ما بينهما من الفرق في عرف المسافرين وأهل مصر فاعتذرت إليه بجهلي المكان الذي أختاره بعد بلوغ القاهرة. فقبل عذري ولكنه (مراعاة للأصول) قيدني في زمرة من سينزلون في «ناسيونال» وإن لم أزمع ذلك..

رحلة خليل مردم بك إلى فلسطين عام 1923

تختلف نظرة الشاعر والسياسي السوري خليل مردم بك حول فترة الحكم الفيصلي في سوريا، عن نظرة نجيب نصار، ففي حين عدها خليل مردم لحظة فردوسية حققت الكثير من الانجازات في فترة قصيرة، رأى فيها نجيب نصار حقبة مظلمة في تاريخ الأمة، بسبب تسلق الانتهازيين و ركوب المنتفعين في قاطرة الثورة، وهؤلاء كما كان يرى هم الذين تسببوا في نهاية الحكم العربي الفيصلي في سوريا .

وقد وصف الأستاذ خليل مردم بك، النهضة المباركة، في مقال نشر له في جريدة لسان العرب 9/ نيسان عام 1919. تحت عنوان بوارق النجاح، نقتطف منه ما يلي: (نشاهد كل يوم من أعمال حكومتنا العربية، ما هو دليل واضح على صعودها سلم الارتقاء، وسلوكها السبل الموصولة إلى مستوى الحضارة، فقد يسّر الله لها في بضعة أشهر ما عسُر على الحكومة البائدة في سنيها العديدة من الأعمال، وشتان ما بينهما، هذه تدأب على إعادة مجد غابر، طوت الأيام صحفه ظلماً وعدواناً، وتلك تود الإجهاز على ذمائه[232]، والقضاء على ما بقي منه)... إلى أن يقول: (فكان من أبر أعمالها، تأسيس المدرسة الحربية والمدرسة الطبية، وفرعها الخاص بطب الأسنان والإكثار من عدد المدارس في العاصمة والملحقات، والشروع بتأسيس متحف، ومكتبة، ونقابات صناعية، وجمعيات الرفق بالحيوان، وغير ذلك، مما يضيق المجال دون استقصائه...).

وكان لسقوط هذه الدولة أثر كبير على مردم بك الذي علق آمالاً كبيرة على تلك الدولة.

زار مردم بك فلسطين عام 1923م ضمن رحلة له شملت بلاد الشام، ونشرها على حلقات في الجرائد الدمشقية، وقام عدنان مردم بك بجمع أخبار هذه الرحلة في كتاب اصدره قبل سنوات في دمشق عن مؤسسة الرسالة بعنوان (دمشق والقدس في العشرينيات) وعنه أخذنا هذه النصوص.

---

(232) - ذماء: بقية النفس

أيام في فلسطين

- 1 -

لا أذكر في مقالي هذا كيف دعتني الدواعي وحفزتني الحوافز إلى السفر. ولا مواقيت الرحيل وكيف نعب القطار بالبين، وكيف بلغت فلسطين. ولا أتعرض لوصف مدنها وعدد سكانها وتجارتها وزراعتها، ولا أبحث في طبيعة الإقليم وتأثيره بسكانها، ولا أتكلم عن الآثار والمعاهد المقدسة فيها، ولا آتي على ذكر الصهيونية وخطرها، لأن كل من أمَّ فلسطين كفيل بذلك، وإنما أذكر ما علق بذهني (لحسنه ولقبحه) مما رأيت أو سمعت في ذانك القطر، وهو لا يخلو من تفكهة إن خلا من فائدة.

سيدي

في محطة سمخ[233]، دنا من القطار رجل مصري، فنزل إليه كثير من الركاب وازدحموا عليه وهو يأخذ من واحد تلو واحد، وثيقة السفر ويسأله بقوله: (إلى أين تريد أن تذهب سيدي، أإلى سماخ سيدي، خذ، وثيقتك سيدي، مع السلامة سيدي).

فعلمت أن الرجل مأمور الجوازات، وأنه يعبث بالدمشقيين لما اشتهر عنهم من تكرير كلمة سيدي. وبعد أن فرغ من هؤلاء الذين يريدون النزول في سمخ، صعد القطار، وبدأ يجمع الوثائق من الركاب وهو ينادي بأعلى صوته (باسبورت، باسبورت)[234] وكان يمشي، معه ضابطان إنكليزيان وبعد أن جمع الوثائق بدا له أن يقعد في غرفتي، فسلّم عليَّ واستأذن بالقعود وأخذ يقرأ الوثائق واحدة واحدة، حتى أتى عليها، وأخذ خلاصتها، ومذ انتهى من عمله أعاد نظره على تلك الخلاصة، وهو يقول: (مملكة الحجاز! مملكة العراق! سلطنة نجد! دولة دمشق! دولة حلب! دولة العلويين! دولة لبنان الكبير! دولة جبل الدروز! دولة فلسطين! دولة شرقي الأردن!

قُلِ اللهم مالكَ الملك تؤتي الملك من تشاء....).

---

[233] - سمخ: قرية في الأراضي الفلسطينية بها محطة للقطار الحديدي

[234] - باسبورت: كلمة دخيلة، تعني جواز السفر.

الغلام الأسود

أممت القدس بسيارة، كان بجانب سائقها غلام أسود، يستعين به السائق، فبعد أن اجتزنا نابلس[235]، طرأ على السيارة ما أوقفها إلى ما بعد الغروب، فلما عاودت السير، كان نور مصباحها يضؤل، الحين بعد الحين، فينزل الغلام الأسود، ويضرب المصباح عدة ضربات، فيشع نوره، وهكذا عدة مرات، فقلت له: ما لهذا المصباح لا ينير إلا بعد أن يضرب على رأسه؟ فقال: وهل نحن إلا كذلك؟ لا ننتبه إلا إذا ضُربنا على رؤوسنا. فقلت له: الأمر كما ذكرت، والآن انتبهت.

طبق الأصل

رفع بعضهم دعواه إلى القاضي الإنكليزي في القدس[236]، فسأله القاضي بواسطة ترجمانه عن دعواه، فقال: إسقاط جنين.

فغُمَّ على الترجمان (الفطن) معنى جنين[237]، وظنها بلدة جينين[238] فقال له: إسقاط جينين، فلما سمع القاضي ذلك، أخذته العزة البريطانية، وانتصب قائماً، وضرب بيديه على منضدته، وقال: كيف سقطت جينين ومتى؟ وهل يجسر أحد على ذلك، والجيش البريطاني مرابط في فلسطين؟!.

فانحنى الترجمان على المدعي باللائمة، ونصح له بأن يعتذر، ويترك دعواه، ويبرح المحكمة.

فلله براعة المترجمين[239]

---

[235] - نابلس: مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين، مستطيلة لأعرض لها، كثيرة الحياة، لأنها لصيقة في جبل، تبعد عن بيت المقدس مقدار عشرة فراسخ، وبها الجبل الذي تعتقد اليهود ان الذبح كان عليه حين امر الله جلّ وعلا إبراهيم (ع) بذبح ابنه، ولليهود في هذا الجبل اعتقاد كبير واسمه مزيرم [لعله جرزيم]

[236] - القدس: عاصمة فلسطين، وهي من المدن القديمة المشهورة، فيها أسواق كثيرة وعمارات حسنة، وبها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، فتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب واحتلها الصليبيون سنة 1099م واسترجعها السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي سنة 1187م وقد وصفها البشاري المقدسي في اخبار بلدان الإسلام بأنها متوسطة الحر والبرد وقل ما يقع فيها ثلج

[237] - الجنين: الولد ما دام في الرحم

[238] - جينين: بسكر الجيم وسكون ثانية ونون مكسورة، بليدة حسنة ما بين نابلس وبيسان وبها عيون ومياه

[239] - نشرت في جريدة الف باء العدد (739) الصادر 13 شباط 1923 السنة الثالثة

العربية في فلسطين

الوطنيون في فلسطين لا ينتسبون إذ ذكرت الأنساب، إلى قطر أو مقاطعة أو جيل بائد، وإنما يَمُتُّون إلى العربية ليس غير.

هؤلاء المعتصمون بعصبيتهم العربية تكاد تكون لغة العرب الصحيحة غريبة في قطرهم، اللهم إلا في زوايا المدارس الوطنية وصدور بعض الأدباء.

يستدعي العجب، ويثير الدهشة، تلك اللوحات المنصوبة على ظاهر الحوانيت، فكل لوحة مكتوبة باللغات الثلاث: الإنكليزية فالعربية فالعبرانية. أما الإنكليزية والعبرانية، فترى حروفهما حسنة الشكل، مستوفية قسطها من حدود الخط، وأما العربية، فتراها مرسومة بحروف ذات عوج، بعيدة عن التناسب والتناسق، كأنها الحروف المسمارية، عدا ما في مجموعها من الخطأ الفاحش في التركيب المعنوي، وإليك مثالاً من ذلك:

(اتياب شغل)، يريد: شغل الثياب

و(محل تعمير السنان)، يعني: طبيب السنان.

دمشق والقدس

. 2 .

و(فورون)، يعني: فرن.

و(الشركة الكراج السوري)، إلى غير هذا من الأغلاط الفادحة التي لا يكاد يخلو منها مكان، حتى القبور، فقد رأيت قبر احمد[240] باشا الجزار بعكا. وقد كتب عليه: (هذا قبر المرحوم له....).

وكأن هذه العدوى سرت إلى من يؤلفون الكتب أيضاً، فإني رأيت في أول كتاب: الحياة في تهذيب الفتاة ما نصه:

---

(240) - احمد باشا الجزار: باشا عكا وأمير الحج، كان من الولاة القساة ايام العثمانيين، عهد إليه بتأديب البدو في مصر، فذبح منهم جماعة كبيرة، فنعت بالجزار، ولما هاجم الجيش الفرنسي عكا بقيادة نابليون بونابرت دافع الجزار عن عكا بضراوة وظل مقاوماً مما حمل نابليون على فك الحصار عنها وتركها.

(تنبيه: لما رأيت الحاجة لمثل هذا الكتاب، فلذلك وإظهاراً لمحاسن الإسلام نحو المرأة توكلت على الله وفعلت).

فإلى تلافي هذا الأمر، نستجيش حمية أدباء فلسطين، كالنشاشيبي[241]، والسكاكيني، والكرمي[242]، والبدوي[243]، ورجال حلقة الأدب في حيفا وغيرهم.

إن الحديد بالحدي يفلح

رأيت ذات ليلة في أحد فنادق القدس، جماعة من الوطنيين، مجتمعين للسمر، وكان تجاههم منضدة قعدت أمامها سيدة إنكليزية، تقرأ صحيفة، بحيث سدت الطريق، فتقدم إليها أحد الوطنيين، وطأطأ رأسه قائلاً: هل تسمحين لي بأن أنقل كرسيك إلى زاوية أخرى من هذه المنضدة؟ فأجابت: لا بأس، فما كاد ينقل كرسيها ويرجع إلى محلة، حتى انتصب أمامه إنكليزي واضعاً يديه في جيبه ورافعاً بأنفه نحو السماء، وشرع يلومه على فعلته هذه. وقد ثارت به العنجهية، وبدت إمارات الغضب على سحنته.

فحاول الوطني أن يفهمه الأمر، فأبى، فلما برم الوطني به، قال له: اغرب عني الآن، وإلا لقيت مني ما يسوؤك، واعلم أنك غريب في هذه البلاد، فكن أديباً، لم آت شيئاً فرياً، في عرف الآداب الشرقية، والعادات الغربية، فمالك لا تزداد إلا تمادياً في غيّك؟ أتظن أن إنكليزيتك تخولك أن تتعدى حدود الإنسانية مع من أنت في بلاده، والله إن عربيتي أشرف من إنكليزيتك.

ولما انتهى العربي من شجاره إلى هذا الحد، أدبر الإنكليزي، وانتبذ زاوية من الردهة، وما هي إلا كما ولا، حتى رأيت ذلك العربي وذلك الإنكليزي، على مائدة واحدة يشربان على شرف الأمة العربية، والعربي يقول: (إن الحديد بالحديد يفلح).[244]

---

[241] - النشاشيبي، الكاتب المعروف إسعاف النشاشيبي من أعضاء المجمع العلمي العربي انفرد بأسلوب من البيان ونعت باديب العربية ولد 1885 في القدس وتوفي بها 1948 له من الكتب، الإسلام الصحيح، مجموعة النشاشيبي ونقل الأديب

[242] - الكرمي، الشيخ سعيد الكرمي من أدباء فلسطين ولد سنة 1852 بطولكرم وتوفي في عمان سنة 1935 كان فقيهاً بالدين وفقيها باللغة وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي ووالد الأديب أحمد شاكر الكرمي صاحب جريدة الميزان

[243] - البدوي: من أدباء فلسطين المعروفين في ذلك الوقت

[244] - نشرت في جريدة الف باء العدد 742 السنة الثالثة الجمعة/ 16 شباط 923.

- 3 -

مما يستدعي النظر في بيت لحم[245]، أن نساءها يضعن على رؤوسهن طرابيش طويلة، ومن فوقها أغطية بيض، وما أظن ذلك عادة حديثة، ولكن يصح أن يتفاءل بها على نهضة النساء الأخيرة، وتعليق الآمال عليهن بعد أن أخفقت الرجال...

سكر الإنكليز

من الأمثال السائرة قولهم: (سكرة إنكليزية)، فلقد رأيت ذات ليلة، في الفندق الذي نزلت به جماعة من الإنكليز، ما زالوا عاطفين على بنت الحان، حتى خرَّ أحدهم إلى الأرض، وانكب الثاني على وجهه، وكسر الثالث أواني الخمر، وخطر الرابع في البهو، حتى بلغ جوقة الموسيقيين ويقترح عليهم توقيع الأغاني والأناشيد، ويرفع بها جوقة المنكر، إلى أن أزعج الحاضرين، وأيقظ النائمين، فقلت رحم الله الأوقص المخزومي قاضي مكة ليلة أشرف من عليته على ذلك السكران الذي كان يتغنى ويلحن في غنائه فقال له: يا هذا، شربت حراماً وأيقظت نياماً، وغنيت خطأ.

عناء السفر

كان آباؤنا الأولون يقولون: السفر قطعة من سقر، وذلك لما كانوا يكابدونه من طول المساوف[246]، واضطراب أسنمة[247] الإبل وصهوات الخيل في قطعها، فلما سُخرت لنا القطارات والسيارات والطيارات. قلنا هذا مثل نسخ حكمه، ولكن أبي الدهر ذلك، فالمسافر اليوم يعاني أضعاف ما كان يعانيه الأولون.

إخراج الوثيقة، وما أدراك ما إخراج الوثيقة؟ تذكرة النفوس، وشهادة تلقيح، ورسوم المسافر، مع رقعة تطوف ثلث دوائر الحكومة، فمن دائرة الشرطة. إلى مخفر الثمن، إلى شعبة التحصيلات، إلى مأمور الجوازات في الشرطة، إلى قسم التحري، إلى البعثة

---

[245] - بيت لحم: بلدة صغيرة في فلسطين تبعد قليلاً عن القدس وهي من الأماكن المقدسة ولد بها السيد المسيح عليه السلام

[246] - المساوف: جمع مسافة

[247] - أسنمة: جمع سنام وهي حدبة في ظهر البعير

الفرنسية، إلى القنصل الإنكليزي، إلى مفوض الشرطة في الخطوط الحديدية بالمحطة، إلى من يفتش الصناديق والحقائب، إلى مأمور الجوازات في درعا، إلى مثله في سمخ.

ولا تظن أن ذلك في الذهاب، يغنيك عن مثله في الإياب، فلقد رأيت مفوض السفر في عودتي إلى دمشق، والناس مزدحمة على باب غرفته في القطار، يطلبون إعادة وثائقهم إليهم، بعد أن ظلت عنده أكثر من أربع ساعات، وهو يلهو بحديث مع رفيق له، لا يعطف رأسه نحوهم، بل لا يرد تحية لأحد منهم. ظل الناس كذلك حتى بلغ القطار محطة القدم، فالتفت المفوض، وقال: انفضوا الآن، وخذوا وثائقكم غدا من (أبو رياح) في دار الشرطة، قالوا: ولماذا؟ قال: عساه لم يرها حين خرجتم من دمشق! قالوا: رآها (وراسك...) فتململ وأحالهم على شرطي غيره.

هذه المعاملة الباردة، عومل بها كل الوطنيين، أما الأجانب، فلقد رأيت الشرطي بعيني رأسي، أتى إليهم في غرفتهم، ووقف بابها بعد الاستئذان، وطأطأ رأسه، ونصب يده عليه، وهجم بصدره، وتقهقر بعجزه، وأطن[248] بمهمازه[249]، تحية واحتراماً وتكرمة وإجلالاً، ثم دفع إليهم وثائقهم وانصرف، فعجبت لذلك، ولكني حمدت الله على قرب الانتهاء من السفر وعنائه.[250]

---

[248] - أطن: جعل له طنيناً.

[249] - المهماز: حديدة في مؤخر خف الرائض تجمع على مهامز ومهاميز.

[250] - نشرت في جريدة ألف باء العدد 745 السنة الثالثة الصادرة/ 20 شباط 923.

رحلة عبد المؤمن الحكيم إلى القدس عام 1923م

قام عبد المؤمن كامل الحكيم وهو محرر في جريدة الأهرام القاهرية وتوفي سنة 1925م/1344هـ برحلة إلى فلسطين ولبنان وسورية 1923/1341. ووضع أخبار رحلته في كتاب عنونه بـ(رحلة مصري إلى فلسطين ولبنان وسورية ومناظر المسجد الأقصى وجميع المشاهد الدينية والأثرية والعمرانية) والذي صدر عام 1924م عن المطبعة السلفية في القاهرة.

زار عبد المؤمن الحكيم، القدس في سبتمبر/أيلول سنة 1923م إذا وصل إليها قادماً بالقطار من مصر وقد مكث في القدس فترة زار خلالها المسجد الأقصى وبعض المشاهد الدينية ثم رحل إلى بيروت وغيرها من مدن لبنان، ثم اتجه منها إلى دمشق، فقضى فيها فترة قصيرة عاد بعدها بقطار السكة الحجازية إلى حيفا ومنها إلى مصر.

وقد وصف الحكيم القدس وصفاً مفصلاً ودقيقاً وإذ غلبت على رحلته الصبغة الدينية السياحية، ولكنها رحلة تزودنا بصورة عن القدس في تلك الحقبة، وهو ما لم يتسن لنجيب نصار في رحلته التي شملت شمال فلسطين فقط. ولذلك فهذه الرحلة مهمة من هذه الناحية، كونها تتحدث عن القدس في العشرينيات بشكل مفصل اعتمد فيه كاتبها على معلومات دقيقة.

رحلة مصري إلى فلسطين ولبنان وسورية
ومناظر المسجد الأقصى
وجميع المشاهد الدينية والأثرية والعمرانية

متى وصل المسافر في طريق القدس إلى «وادي صرار» مستقبلاً بيت المقدس، موجهاً وجهه نحو قبلة المسجد الأقصى تنفعل نفسه انفعالات شتى، مرجعها إلى طبيعة الأرض التي بارك الله حولها. وقد ورد في القرآن الكريم ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾[251].

يرى الراكب - في القطار - الجبال الكثيرة السامقة وعليها الشجر القائم من الزيتون والأراك والتين والبرتقال والليمون. ويرى العنب بين طيات الجبال ومرتفعاتها على أبواب المغارات أو في أنفاق بعيدة ترتفع عنها السكة الحديدية بخمسين من الأمتار أو أكثر من ذلك. ويرى أن الجبال الصفر والسود والغرابيب من الأرض مورد رزق لأهل (دير الشيخ) وسكان (بتير) وسكان (القدس) والبلاد المجاورة لها. ويرى الخضر على اختلاف أشكالها تنبت وتثمر في أحواض من الأرض تكتنفها الجبال. ويرى الزراع يحرثون الأرض وهي غير مستوية ويقيمون عليها «البتون» وهي كلمة اصطلح عليها الزراع في الوجه البحري بدلاً من كلمة الحد أو الحدود. حتى لا يتسرب الماء منها إلى الزراعة التي بجوارها أو أسفل منها. ويرى الرجال يملأون الروايا أو «التنكات» من الآبار يبيعونها لسكان المدينة ويرى النساء والبنات وهن يحملن المشنات بالخضر أو الفاكهة على رؤوسهن. كل ذلك من هذه الأرض التي باركها الله.

نزلنا من القطار إلى محطة القدس التي بناها الأتراك قبل الحرب، وكان في استقبالي من محطة «بتير» مندوب شركة مصايف لبنان. وبعد أن نقل المتاع ركبنا عربة صعدت بنا في طريق صعب المرتقى، حتى استوينا على طريق ممهدة أمام باب القلعة التي

---

[251] - سورة الإسراء، الآية 1.

بناها السلطان سليمان القانوني. وهذا الباب أشبه بباب الفتوح في سور القاهرة. وخرجنا منه إلى الفندق. وبعد أن استرحت قصدت إلى المسجد الأقصى، وسلكت من طريق مسقوف منحدر ومبلط بالحجر الصغير وهو سوق البلد وهو يشبه سوق الفحامين وشارع التربيعة والحمزاوي ويقرب من خان الخليل في مصر أو قصبة رضوان في بعض أجزائه. والسالك إلى المسجد يرى الطريق مزدحماً بأناس من الأمم المختلفة في اللون والشكل والملابس ويعرف منهم أهل الخليل والقدس بملابسهم وعمائمهم. فإذا وصلت بعد هذا الانحدار الكثير إلى سبيل السلطان سليمان الموجود على باب من أبواب المسجد وجدت طائفة كبيرة من السائلين لا يسألون الناس إلحافاً.

ودخلنا ذلك الفناء الرحب الذي يجتمع فيه لصلاة الجمعة جميع المسلمين من سكان القدس والبلاد المجاورة. فما هي إلا نظرة إلى ما نحن فيه والتفاتة إلى ذكرى ما مضى من الأثر، حتى يمتلئ القلب هيبة وتخشع النفس وتذرف العين الدموع.

وصلت قبل ازدحام المسجد بالمصلين وتخطيت الصفوف حتى وصلت إلى المنبر ونظرت إلى الجنوب فماذا وجدت؟ وجدت نحو نصف هذا المسجد الأثري المنعدم النظير مسدوداً بألواح من الخشب، ونظرت من شقوقها فوجدت البواكي الجميلة (وسأصفها فيما بعد) مصلوبة على أعمدة من الخشب لتقيها شر السقوط. والسكينة مخيمة على الجزء من المسجد فتزيده هيبة. مع أن هذا المسجد هو المصلى الوحيد لأهل القدس وقاصديها من بلاد العالم، فإن الأهالي لا يستطيعون عمارته من دون معونة تأتيهم من الخارج.

أدينا النوافل وسمعنا قارئاً مصرياً يقرأ سورة الكهف بصوت جميل وبجانبه جلس قراء من المسجد من الأشراف ينتظرون وقت الآذان ليقوموا بالدعاء للمسلمين ولولاتهم وللمحسنين منهم ولمن يتبرع بعمارة المسجد، ثم يصلون على النبي وآله بأصوات مليحة جهورية قبل خطبة الجمعة ثم يدعون لحمزة والعباس والحسن والحسين. مما ليس له اثر في مصر.

وصعد الخطيب المنبر وهو يلبس كما كان يلبس مشايخ السادات في مصر قبل أن تزول آثار هذه الطريقة. وخطب بعد أن حمد الله وصلى على النبي لا كخطبة أئمة المساجد في مصر المشتملة على ألفاظ محفوظة في الوعد والوعيد بل ضرب على الوتر الحساس وأوصى الناس بالاتحاد وعدم التفرقة وجمع الكلمة لأن الفرقة سلاح العدو. وأوصى الناس بتبادل الثقة وتأدية الأمانات إلى أهلها والتعاون على البر والتقوى وعدم

التنابز بالألقاب وأن لا يأكل أحدهم لحم أخيه، وكلمات أخرى تنفع الناس في معاشهم ومعادهم. ثم ذكرهم بعمارة المسجد الأقصى ودعوة الناس إليه في اقطار العالم فقال:

(أيها الرجل قم ودبر المال لعمارة هذا المسجد. نعم دبر المال لأجل مصلاك هذا كي تربح وتغنم فإنه ثاني القبلتين وإلا فستجد في المستقبل القريب جدرانه تشكو إلى الله بخل الإنسان.

أخاطب معاشر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وأطلب منهم التصدق ببعض أموالهم لعمارة المسجد الحرام [الأقصى]. وأقول للبخيل منهم إلى متى هذا البخل عن مد يد المساعدة لإصلاح هذه الجوهرة اليتيمة، فالركعة هنا كما تعلمون بثواب 500 ركعة في مساجد أخرى.

فلأجل ذلك الثواب يحق لنا أن ننظر نظرة شفقة وإقدام فنتدبر في جمع ما يلزم من مال واجتماع وحث المسلمين على جمع الأموال والإعانات من مصر ومن سائر الأقطار. وبذلك أيها المسلمون يرضى الرب ويتجدد هذا المسجد).

ولما قضيت الصلاة عدت إلى الفندق وأنا متأثر من بكاء الناس وأقول: «يا لله ما أفعلَ الاعتقاد في القلوب»، وتمنيت أن يذكر الواقفون في أوقافهم والمتصرفون في صدقاتهم ورجال وزارة الأوقاف في مصر ورجال الدولة فيها وولاة أمورها بر المسجد الأقصى ومراعاة علمائه والتبرع بشيء من الأموال لعمارته. ويكفي أن التبرع هو لعمار المسجد الأقصى.

فلسطين والخليفة

كانت فلسطين قد أوفدت إلى الأستانة وفداً للسعي في لفت أنظار مسلمي تركيا إلى تجديد ما تداعى من بناء المسجد الأقصى وذلك كالوفود الأخرى التي أوفدتها إلى بعض الأقطار الإسلامية. وأن الرجل الذي اعتمده المجلس الإسلامي الأعلى في القدس لأداء هذه المهمة في الأستانة هو عبد اللطيف بك صلاح أحد أفاضل فلسطين وأماثلها. فزار حضرة الخليفة في قصر (ضولمه باغجه) ورفع له مجموع صور أولى القبلتين وثالث الحرمين وقدم له قطعة من خشب قبة المسجد وذكر له الحاجة الماسة إلى تعميره وإصلاحه وقرار المجلس الأعلى في فلسطين المتعلق بمشروع التعمير والإصلاح. ثم رجا من حضرة الخليفة إعلان دعوة رسمية لمساعدة هذا المشروع. فلقي من مقام الخلافة كل تشجيع وتأييد. ومما قاله حضرة الخليفة:

(إن هذه الغاية التي تسعون إليها جميلة ومقدسة. وأعدّ فألاً حسناً أن تكون مؤازرتي لكم فيها فاتحة أعمالي. وسأصدر منشوراً بالحث على معاونتكم في تعمير هذا المسجد فاجعل فاتحته آية ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ فأكون قد وفيت بذلك وظيفتي الدينية. وأهنئ أعضاء المجلس الإسلامي بما أظهروه من حسن التدبير والسياسة وبرجوعهم في هذا الأمر إلى مقام الخلافة وبيان ارتباطهم به. وأكرر لكم تفاؤلي بهذا العمل. فبشروا بذلك مسلمي فلسطين ومصر).

وقد مضى على نشر هذا التصريح في صحف الأستانة عدّة أشهر ومع ذلك فإن المنشور الذي وعد حضرة الخليفة بنشره لم يظهر بعد. ولعل هنالك موانع حالت بين حضرته وبين إذاعة هذا المنشور.

❖ ❖ ❖

يدعو أهل فلسطين في خطبة الجمعة باسم حضرة الخليفة عبد المجيد بعد نعته ويقولون عنه أنه خادم الحرمين الشريفين ويقلدهم أهالي بيروت. أما أهالي دمشق فيكتفون بالدعاء للخليفة ولجميع ملوك المسلمين بدون ذكر اسم أحد منهم. وعلمت من أخبار حلب أنهم يذكرون الخليفة بالاسم ويدعون له بالخير والتأييد.

❖ ❖ ❖

يرى الزائر للقدس الشريف معاهد الخير منتشرة في أحسن وأصح نقطة في المدينة أسستها الدول المسيحية أو الأغنياء منهم الذين عملوا بوصايا دينهم. وعرفوا أن الإنسان لا يعيش لنفسه بل يعيش لسواه وعملوا بقول أبي العلاء المعري:[من الوافر]

ولو أني حبيت الخلد فرداً — لما أحببت بالخلد انفرادا

فأنشؤوا هذه المعاهد وعززوها بالملاجئ ويدور العجزة حباً في منفعة سكان القدس من الطوائف المسيحية أولاً ثم باقي السكان من المسلمين واليهود ثانياً. ويرى الزائر ملاجئ كثيرة لإيواء الغرباء من زوار القبر المقدس وإطعامهم وأكثرها للأمريكان ثم طوائف اللاتين ثم الأرثوذكس من الروس والأروام والأرمن والألمانيين والنمساويين والإيطاليين

ويرى عيادات طبية. ولليهود كذلك محلات خيرية للتعليم وملاجئ للعجزة ويوجد في المدينة عدة مستشفيات داخل قصور فخمة للعلاج وإسعاف المرضى والوالدات وعمل العمليات الجراحية يحيط بها حدائق غنّاء ولهذه الملاجئ والمعاهد والمستشفيات إيرادات ثابتة من غلة بعض الأراضي الموقوفة ومن التبرعات والإعانات المستمرة ولها إدارات تشرف عليها وتحافظ على كيانها.

ومما يؤسف له أنك مهما قلبت نظرك في هذه المدينة التي هي أحق بعطف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لأنها مهبط الرحمة ومبعث الأنبياء والتي توجد فيها قبلة المسلمين الأولى لا تجد للمسلمين. الذين لهم هذه القبلة الموجودة بداخل المسجد الأقصى المعروف قديماً بتل موريا، والذي له منزلة دينية سامية من أقدم أزمنة التاريخ، قدسها الوثنيون أولاً ثم اليهود ثم المسيحيون ثم المسلمون. إلا أشياء تافهة كمدرسة لتربية الأيتام الموجودة في دار من دور الحكومة التركية داخل المدينة وبعض معاهد أولية. وللمسلمين في هذه البلاد العذر لأنهم فقراء ولأن أوقافهم لا تكفي إلا لإقامة شعائر الدين في المسجد الأقصى ومسجد عمر بن الخطاب في القدس وفي بيت لحم ومسجد الخليل وبعض مساجد ومزارات أخرى ومسجد الصخرة الذي لا يوجد مثله في البلاد. فعسى أن مصر التي اشتهرت بالإحسان من قديم الزمان والتي لها الأثر الخالد في الحرمين الشريفين والمزارات والمساجد تمد يدها أولاً لترميم الحرم الشريف القدسي ومسجد الصخرة. ولبناء تكية ومدرسة في القدس الشريف يلجأ إليهما الفقراء فيجد العاجز منهم بلغة تقيه شر الجوع ومكاناً مصرياً يأوي إليه ومدرسة يتعلم فيها الأبناء العلم. وتقر بها عين الشرق كما قرّت عين الغرب بما فيها من معاهد العلم التي أشرنا إليها. بارك الله في همة أبنائها الذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم.

❖ ❖ ❖

وصف المسجد الأقصى

جمال الحرم ـ وجلال مبانيه

للمباني التي يتألف منها الحرم الشريف جمال وجلال يشعر بهما حالاً كل من يتاح له التمتع بمشاهدته أياً كان سواء في ذلك العالم والجاهل الكبير والصغير، المسلم وغير

المسلم. فإذا سرح الطرف متأملاً في عجائب صنعتها ازداد تأثره واتسع شعوره، وحلق وجدانه مرتقياً من الحسن إلى الأحسن ومن السامي إلى الأسمى، فيخشع قلبه وتحل عليه روحانية لطيفة تسمو بنفسه إلى إدراك حقائق الدين ودقائق معانيه ونبيل مقاصده، إلى غير ذلك مما يدل على بلوغ فناني العرب والمسلمين الغاية القصوى في الإتقان والإبداع.

فالداخل إلى الحرم المكرم من أي باب من أبوابه المباركة تأخذه روعة المقام الشريف إذ ينبسط أمامه مشهد من مشاهد السعة والصفاء رحب فسيح، ينشرح له الصدر، وينجلي بمرآه الذهن، فلا يلبث النظر أن يرسل رائده إلى ما حوله من المباني الفخمة المتنوعة بتناسب تام من مربع إلى مسدس إلى مثمن إلى مستطيل إلى كروي إلى اسطواني... على أشكال وأوضاع متلائمة آخذ بعضها برقاب بعض تسر الناظرين، وتسبّح بحمد رب العالمين.

وترى أروقة ممتدة على جوانب الساحة يتخللها النور والهواء فتنزل على النفس السكينة والهناء، وقباباً عظيمة تحنو على ما تحتها من المعابد ولا حنوّ الأم على فطيمها، وأساطين شاهقة ترفع ما فوقها بقوة ومتانة، وأعمدة هيفاء مختلفة الأشكال والألوان، قامت صفوفاً متزاوجة توحي إلى القلوب الاحترام وحب النظام، ومآذن تخترق الفضاء، وتمعن في العلاء لتكون رسولاً بين الأرض والسماء، ومنادياً ينادي الناس كل يوم خمس مرات «بحي على الصلاة، حي على الفلاح» ومقاصير وفساقي، وأدراجاً ومراق، ومنابر خاشعة، تتلى عليها المواعظ الحسنة، ومحاريب ساكنة يستقبل فيها المصلون وجه ربك ذي الجلال والإكرام، ويذكرون فيها اسمه تبارك وتعالى في الغدو والآصال.

وكل ذلك قد أحكم بناؤه من حجر منقوش، أو مرمر مسنون، أو خزف مصقول، أو خشب منجور، أو صفر مطلي، بالفضة او مكسو بالتبر، أو فص مذهب يعلوه التزيين والتلوين، والتشجير والتزهير، والتذهيب والترصيع، والوشي والزخرفة والتنميق.. فإذا أشرقت الشمس وامتزج نورها بتلك التراكيب الهندسية البديعة رأيت لها لألاء يأخذ الأبصار ويملأ الجوانح وينقل النفوس إلى نعيم قدسي لا يدرك كنهه، لا يعرف سره، فتبارك الله أحسن الخالقين

◆ ◆ ◆

المساحة - السور - الأبواب

يقع الحرم القدسي الشريف على مساحة مربعة طول الجهة الغربية منها (490) متراً والشرقية (474) متراً والشمالية (321) متراً والجنوبية (283) متراً يحيط بها سور يتراوح ارتفاعه بين (30) متراً (عند الزاوية الشمالية الشرقية) و(40) متراً (في الجنوب الشرقي) ويبلغ بعض الحجارة فيه نحو خمسة أمتار طولاً في أربعة أمتار عرضاً.

وحول السور من جهة الغرب والشمال أروقة فسيحة معقودة يتخللها بعض أبواب الحرم وهي 14 باباً المشروع منها أحد عشر وهي:

1 . في الجهة الشمالية: باب الأسباط، وباب حطة، وباب شرف الأنبياء أو الدويدار (العتم).

2 . في الجهة الغربية: باب العوانمة (وكان يسمى قديماً باب الخليل) وباب الناظر أو البصير (كان يسمى قديماً بباب ميكائيل) وباب الحديد، وباب القطانين، وباب المتوضأ، وبابا السلسة والسكينة (وهما متلاصقان). وكان باب السلسلة يعرف قديماً بباب داود، وباب المغاربة (وكان يسمى بباب النبي).

ومن الأبواب غير المشروعة بابا الرحمة والتوبة المعروفان بباب الذهب وهما في السور الشرقي للحرم الشريف، وباب آخر في السور القبلي.

قبة الصخرة

شيد جامع الصخرة الشريفة على صحن مربع مفروش بالبلاط المصقول طوله من القبلة إلى الشمال أكثر من عرضه من المشرق إلى المغرب وارتفاعه 3 أمتار يصعد إليها بأدراج من الجهات الأربع: اثنان منها في الجهة الشمالية، وواحد في الجهة الشرقية، واثنان آخران في الجهة الجنوبية، وثلاثة في الجهة الغربية، وقد عقد على كل درج من أعلاه قناطر هيفاء، محمولة على أعمدة من رخام وأركان من البناء، فكأن كل قنطرة منها إطار يبدو منه للرائي عن كثب منظر جامع للقبة وبدائعها الرائعة. والقبة قائمة على بناء فخم مثمن، ذرع كل تثمينه منه (29) ذراعاً وثلث ذراع أو 20 متراً و40 سنتيمتراً، وقد كسي القسم السفلي من ظاهرة بالرخام الأبيض المشجر والقاشاني البديع الذي يترقرق فيه ماء الألوان المتزاوجة من لازوردي صاف، وأخضر قاتم، وأبيض ناصع، يعلو ذلك شبه إفريز رسمت عليه آي القرآن الكريم بخط جميل، وقد نصع هذا القاشاني العجيب في أيام السلطان سليمان القانوني سنة 969 للهجرة.

وللقبة سقفان من خشب (التنوب) أحدهما فوق الآخر بينهما خلاء متسع فأما الخارجي منهما فمكسو بشقائق الرصاص من الخارج وأما الداخلي فمدهون مذهب، وسيأتي وصف ذلك.

وتحتوي كل تثمينة من البناء على سبع طاقات للتي لا باب فيها وعلى ست للتي لها باب والطاقات المحاذية لأطراف التثمينات مسدودة كلها والأخرى مركب عليها الزجاج والشبابيك الحديد. وشكلها الحاضر يدل على أنها جددت في القرن العاشر الهجري (أي في القرن السادس عشر للميلاد).

ولجامع الصخرة أربعة أبواب مزدوجة داخلاً وخارجاً مربعة الشكل بعقود مقوسة وهي: .

باب الجنة في الشمال، وباب النساء في الغرب، وباب داود أو باب السلسلة في الشرق، وباب القبلة في الجنوب. وأمام هذا الباب الأخير من الخارج رواق مفروش بالرخام عليه سقف مكسو بالقاشاني في وسطه قنطرة معقودة والسقف محمول على ثمانية أعمدة من الرخام مختلفة في النوع واللون، وللباب المذكور مصراعان ملبسان بالنحاس الأصفر المنقوش، عليها أقفال نفيسة متقنة الصنع. وأما الأبواب الثلاثة الأخرى فيرجّح أنها كانت مثل الباب القبلي وهي الآن لا أروقة لها.

ويبلغ دور البناء من الداخل 53 متراً، وهو مقسم إلى ثلاث دوائر يفصل بعضها عن بعض صفان مستديران من الأعمدة والأركان يتألف الأول منهما من ثماني سواري مسدسة الأضلاع و16 عموداً منها (ابيض وأزرق) عشرة، و(أخضر مرسيني) ثلاثة، و(شحم ولحم)[252] ثلاثة، والصف الثاني مؤلف من أربع سوار مربعة الأضلاع، واثني عشر عموداً، منها سبعة (أخضر مرسيني) وخمسة (شحم ولحم).

والسواري ملبسة بالرخام المشجر والملون البديع، والأعمدة قديمة جداً وأكثر تيجانها تدل على أنها من الطراز الروماني أو البيزنطي القديم، ويربط أعمدة الصف الأول بعضها ببعض وبالسواري (بساتل)[253] ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش المذهب وتحمل هذه الأعمدة مع جدار الجامع سقفاً مائلاً بعض الميل مدهوناً بأنواع الدهان قائماً على قناطر مرصعة بالفص المذهب متصلاً طرفه الأعلى بكرسي القبة.

---

(252) - المراد بالشحم واللحم ما كان حجرها ذا بقع بيض وحمر على هيئة الشحم مع اللحم

(253) - جمع (بستلة) وهي عارضة من حديد تصل ما بين الأعمدة ولعلها فارسية وقد وردت في كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري

ويزين باطن القبة مجموعة لا نظير لها من الفصوص الملونة تمثل 64 شكلاً من الزخارف على نحو ما كان يصنعه فنانون البيزنطيين، وهي مركبة على سطح موشى بالذهب يأخذ ببصر الناظر ولبه. وفي كرسي القبة ست عشرة طاقة زجاج مذهبة يعلو كلاً منها طبقة من الجبس مقسمة عيوناً مغطاة بقطع الزجاج المختلفة الألوان والأشكال تنفذ منها أشعة الشمس صافية ملطفة بفضل ألواح الزجاج الخارجية والمشبكات المصنوعة من القاشاني. وعلى هذه الطاقات نقوش تدل على أنها صنعت في زمن السلطان سليمان سنة 945 هجرية، كما أن المرمر الذي يكسوها إنما ركّب في زمن (السلطان صلاح الدين) وجدد في أيام السلطان سليمان المذكور.

والصخرة الشريفة واقعة داخل درابزين[254] من خشب منقوش مدهون بأنواع الدهان طولها 17.70 متراً وعرضها 13.50 متراً وارتفاعها عن الأرض يبلغ نحو 1,25 متراً إلى مترين وينزل إلى المغارة التي تحتها بإحدى عشرة درجة من جهة القبلة، وعند باب المغارة قنطرة معقودة بالرخام العجيب على عمودين وبباطنها محرابان كل محراب على عمودي رخام لطيفين. وأمام المحراب الأيمن صفة تسمى مقام الخضر يواجهها عمود رخام قائم للسقف وآخر راقد، وفي الركن الشمالي منها صفة تسمى مقام الخليل.

وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام. وفي وسط المغارة بلاطة مستديرة ينبعث عنها إذا نقر عليها رنين تتجاوب أصداؤه. وهذا يدل على خلو ما تحتها. وحول الدرابزين الخشبي مصلى النساء وهو محاط بالقضيب الحديدية من جميع جهاته، وله أبواب أربعة لا يفتح منها عادة إلا الباب الغربي الموازي لباب النساء وهو من عمل الصليبيين إبان احتلالهم بيت المقدس.

صفة المسجد الأقصى

يقع المسجد الأقصى جنوبي جامع الصخرة وطوله 80 متراً وعرضه 55 متراً ما عدا ما أضيف إليه من الأبنية.

وأول ما يقابلك من المسجد الأقصى عند الدخول إليه من الجهة الشمالية رواق كبير أنشأه الملك المعظم عيسى بن أبي بكر ابن أيوب صاحب دمشق سنة 634 هجرية وجدد من بعده. وهو مؤلف من سبع قناطير عقدت على ممر ينتهي إلى سبعة أبواب كل

---

[254] - الدرابزين كلمة اعجمية يمكن ان يجعل محلها كلمة كفاف بالكسر.

باب يؤدي إلى (كور) من (أكوار) المسجد السبعة، وللمسجد عدا هذه الأبواب باب في جهة الشرق، وآخر في جهة الغرب ومدخل إلى المكان المعروف بجامع النساء، فيكون مجموع ما للمسجد من الأبواب عشرة. والبناء قائم على خمسة وأربعين عموداً منها ثلاثة وثلاثون من الرخام واثنا عشر مبنية بالأحجار. وهي تحت (الجملون)[255] والعمود الأخير مبني بالحجارة أيضاً وموضعه عند الباب الشرقي تجاه محراب زكريا، وهذه الأعمدة قديمة نقلت في الغالب من أنقاض أبنية متنوعة أقدم عهداً من الحرم، وفوق الأعمدة قناطر عريضة حديثة العهد يربط بعضها ببعض أخشاب ضخمة مستطيلة وفوق القناطر صفّان من الطاقات، العلوية منها تفتح على الخارج والسفلية على (الأكوار) داخل المسجد. وباطن السقف مكوّن من عوارض كلها من الخشب.

وعدة ما في المسجد من السواري أربعون، وهي ضخمة مربعة الشكل مبنية بالحجارة.

وبأقصى البناء من جهة الجنوب قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة المذهبة، وهي مما رممه صلاح الدين الأيوبي، وذلك في سنة 584 هجرية، كما أنه رمم أكبر جناحي المسجد. والقبة والجناح على الغالب إنما صنعا في خلافة المهدي بعد تهدم المسجد بفعل الزلازل. وهي كقبة الصخرة من خشب مكسوة بصفائح الرصاص من ظاهرها وبالفص المذهب من باطنها. ومجدد هذه التزيينات هو الملك الناصر محمد بن قلاون سنة 728 للهجرة كما يفهم ذلك من الكتابة التي عليها.

وهناك آيات قرآنية كتبت بخط كوفي على جانبي المحراب. والمحراب قائم على أعمدة لطاف من المرمر ويجانبها المنبر وهو من الخشب المرصع بالعاج والأبنوس، أمر بصنعه خصيصاً لبيت المقدس الملك العادل نور الدين الشهيد وهو بحلب سنة 564 هجرية، فلما فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين أمر بإحضاره ونصبه في المكان الموجود به حالاً.

ويقابل المنبر دكة المؤذنين، وهي على عمد من رخام في غاية الحسن.

وبداخل المسجد من جهة الغرب جامع النساء أو الجامع الأبيض، وهو عبارة عن عشر قناطر على تسع سوار في غاية الأحكام بناه الفاطميون. ومن جهة الشرق جامع عمر وهو عقود بالحجر والجير سمي بذلك لأنه بقية من الجامع الذي بناه عمر رضي الله عنه حين الفتح. وغلى جانب هذا البناء إيوان كبير معقود يسمى مقام عزير وبه باب

---

(255) الجملون من اوضاع العامة وهي تعني السقف المحدب

يتوصل منه إلى جامع عمر. ويجوار هذا الإيوان من جهة الشمال إيوان لطيف به يسمى محراب زكريا عليه السلام، وهو بجوار الباب الشرقي.

وفي صحن المسجد الأقصى شمالاً بركة مستديرة من رخام سوّرت بالقضب الحديدية يقال لها الكاس يأتيها الماء بأنابيب خاصة من عيون جارية بالقرب من برك المرجيع المسماة ببرك سليمان أهمها عين عطاب ووادي الآبار وغيرهما. ومنها يتوضأ المصلون.

ومن الآثار المهمة في الحرم الشريف: البناء السفلي المعقود بالحجر والجير المعروف عند الإفرنج باصطبل سليمان عليه السلام وهو عبارة عن مهد عيسى ومحراب مريم والعقود الواسعة التي يقوم عليها المسجد الأقصى. وكذا البراق الشريف وهو في السور الغربي وجامع المغاربة، والمدرسة النحوية (المعظمية). وفيها اليوم دار كتب المسجد الأقصى. وهي من أبنية الملك المعظم (سنة 604هـ) ومنبر القاضي برهان الدين بن جماعة ومحرابة وقبة السلسلة، وهي شرقي قبة الصخرة وعلى شكلها. صنعت في أيام عبد الملك بن مروان. وقبة المعراج (سنة 597هـ) وسبيل قايتباي (سنة 887هـ) وما يحيط بالحرم الشريف من المدارس القديمة كالمدرسة التنكرية وفيها اليوم المحكمة الشرعية والمدرسة المنجكية، وفيها المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى والرباط المنصوري في باب علاء الدين وغير ذلك من الآثار الإسلامية والأماكن التاريخية[256].

الحرم الشريف

وفي سنة 614م. اكتسح الفرس البلاد فخربوا بيت المقدس وقضوا على ما فيها من المعابد والكنائس لكن جيوش المسلمين لم تلبث أن فتحت بيت المقدس سلماً سنة 15 هجرية و637م. بحضور الخليفة الثاني سيدنا عمر ﷺ. فلما دخلا ذهب توأ إلى مكان الحرم الشريف وأزال ما كان فيه من الأقذار.

ولما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان وحيل بيته وبين الحرمين الشريفين لقيام خصمه إذ ذاك عبد الله بن الزبير خليفة في الحجاز ولى وجهه شطر القبلة الأولى فأمر بإنشاء المسجد الأقصى وقبة الصخرة في بيت المقدس ورصد لذلك خراج مصر سبع سنين، ووكل على العمارة أبا المقدم رجاء بن حيوة بن جود الكندي. ويقال إن عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له وهو في بيت المقدس

[256] - كل ما أوردناه من وصف الحرم القدسي مأخوذ من البيان الذي نشره المجلس الإسلامي الأعلى في القدس

القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة (قبة السلسلة) فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها.

وبقيت بعهد الفراغ من عمارة الحرم مئة ألف دينار فأمر بها عبد الملك جائزة لرجاء ويزيد فكتبا إليه: «نحن أولى أن نزيده من حلى نسائنا فضلاً عن أموالنا، فاصرفها في أحب الأشياء إليك». فكتب إليهما بأن تسبك وتفرغ على القبة فسبكت وأفرغت عليها فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب. وهيئا لها جلالاً من لبود توضع من فوقها فإذا كان الشتاء ألبستها لتقيها من الأمطار والرياح والثلوج.

وكان الفراغ من عمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى في سنة 72 من الهجرة، وقد قرن اسم عبد الملك بهذا الأثر الخالد منقوشاً بالفسيفساء عند مدخل الصخرة من الباب الجنوبي بعبارة هذا نصها:

(بنى هذه القبة عبد الملك (عبد الله الإمام المأمون) أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضى عنه آمين).

ويظهر في اختلاف الخط واللون فيما أشرنا إليه بين هلالين أنه من الإضافات التي حدثت بعد ذلك التاريخ.

الحرم الشريف في زمن العباسيين

وفي سنة 130هـ، سقط شرقي المسجد الأقصى وغربيه في الرجفة التي حصلت في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي فخوطب بلزوم عمارته، فأمر بقلع صفائح الذهب والفضة التي كانت على الأبواب فقلعت وضربت دنانير ودراهم وأنفقت عليه حتى فرغ. ثم حصل زلزال سنة 158 هجرية تهدم فيه البناء الذي كان أمر به أبو جعفر. وأخيراً جددت عمارة قبة الصخرة في أيام المأمون (216هـ) كما جاء في الكتابة المذهبة الواقعة على البابين الشرقي والشمالي من الداخل.

الحرم الشريف في زمن الفاطميين

ثم جاءت زلزالة ثالثة سنة 407هـ. تهدمت من جرائها قبة الصخرة وبعض الجدران الواقعة في الشمال الشرقي من الساحة المحيطة بها فقام الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم بأمر الله برفعها وتجديد عمارتها سنة 413هـ. على يد علي بن أحمد كما نقش على الأعمدة الواقعة داخل القبة. ومما زيد فيها في زمن الفاطميين البناء المسمى اليوم بجامع النساء.

الحرم الشريف في دولة بني أيوب

ولما احتل الصليبيون بيت المقدس حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة والمسجد الأقصى إلى منزل لسكنى ملكهم وسموا ما تحت الأقصى من الأبنية باصطبل سليمان وربطوا فيه الخيل فجاء صلاح الدين الأيوبي وهدم ما أحدثوا من الأبنية والسواري وأعاد الحرم الشريف إلى ما كان عليه وذلك سنة 583هـ. وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد أعدّ منبراً عجيب الصنعة برسم القدس صنعه حميد بن ظافر الحلبي وسليمان بن معالي من خشب مرصع بالعاج والأبنوس وعليه تاريخ يرجع إلى سنة 564هـ. وقد أدركته المنية قبل الفتح فأحضره صلاح الدين من حلب وجعله في المسجد الأقصى وهو الموجود في عصرنا هذا.

وأمر بترميم محراب الأقصى وكتب عليه بالفصوص المذهبة ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بتجديد هذا لمحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله إيزاعه شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة».

وفي سنة 634هـ، قام الملك المعظم عيسى بن أخي صلاح الدين بعمارة (واجهة) المسجد الأقصى الشمالية والرواق الموجود في مدخله من تلك الجهة.

وفي سنة 668هـ، اعتنى السلطان الملك الظاهر بيبرس بعمارة المسجد ورمم صدع الصخرة الشريفة وجدد فصوصها التي على الرخام من الظاهر والتي على قبة السلسلة.

وعمر السلطان الملك المنصور قلاون الصالحي سنة 686هـ، سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة مما يلي الغرب. وفي أيام السلطان الملك العادل كتبغا في سنة 665هـ، جدد عمل فصوص الصخرة الشريفة وعمارة لسور الشرقي المطل على مقبرة باب الرحمة. وفي أيام السلطان الملك المنصور لاجين جددت عمارة محراب داود الذي بالسور القبلي عند مهد عيسى عليه السلام بالمسجد الأقصى.

وعني السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إبّان سلطنته الثالثة بعمارة السور القبلي الذي عند محراب داود عليه السلام ورخم صدر المسجد الأقصى وفتح به الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله (731هـ). وجدد تذهيب القبتين قبة المسجد

الأقصى وقبة الصخرة سنة 718هـ. وعمر القناطر على الدرجتين الشماليتين بصحن الصخرة التي إحداهما مقابل باب حطة والأخرى مقابل باب الدويدارية وعمر باب القطانين بالبناء المحكم. وفي أيامه أيضاً عمر الأمير تنكز الناصري نائب الشام البركة الرخامية بين القصة والصخرة والرخام الذي في قبلة المسجد عند المحراب وكذا الجانب الغربي سنة 728هـ.

وفي أيام الملك الأشرف شعبان بن الأمير حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاون عمرت المنارة التي عند باب الأسباط بمباشرة السيفي قطلوبغا ناظر الحرمين الشريفين في سنة 769هـ. وكذا تم تجديد الأبواب الخشب المركبة على الجامع الأقصى والقناطر التي على الدرجة الغربية لصحن الصخرة المقابل لباب الناظر في (778هـ).

وفي سلطنة السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق عمرت دكة المؤذنين التي بالصخرة تجاه المحراب إلى جانب المغارة بمباشرة الناظر نائب القدس الشريف الناصري محمد بن السيفي بهادر الظاهري في 789هـ.

وفي أيام الظاهر أبي سعيد جقمق العلائي الظاهري احترق سقف الصخرة القبلي من جهة الغرب، من جانب القبة فأخمدت النار وعمر السقف بأحسن مما كان.

وفي سنة 877هـ. أمر السلطان الملك الأشرف أبو النصر بعمارة الدرج الموصل إلى صحن الصخرة الشريفة تجاه باب السلسة المجاور لقبة المدرسة النحوية. وفي سنة 884 جدد رصاص قبة الأقصى ولم يكن من حيث الجودة والإتقان كالقديم. وفي سنة 887هـ. أنشئ سبيل قايتباي المقابل لدرج الصخرة الغربي على بئر هناك وكذلك الفسقيتان المجاورتان له.

وقد نمت في الحرم الشريف عمارات متعددة في زمن سلاطين بني عثمان كزجاج شبابيك الصخرة العجيبة فإنه من آثار السلطان سليمان القانوني سنة 945هـ، كما تدل على ذلك الكتابات المرسومة على زجاج الطاقات. وكذلك القاشاني البديع المحيط بقبة الصخرة من الخارج فإنه صنع في زمنه سنة 969هـ. وهذا التاريخ مثبت في صدر محراب قبة السلسلة والنقوش والكتابات النفيسة فإن قسماً كبيراً منها جدد في أيام السلطان محمود سنة 1233 هـ وسنة 1256هـ. وفي أيام السلطان عبد العزيز سنة 1291هـ. جدد رصاص الصخرة الخارجي وتذهيبها. وحصلت عمارات طفيفة في زمن السلطان عبد الحميد كتجديد سبيل قايتباي وباب الصخرة الغربي وغير ذلك.

نظرة في مدينة بيت المقدس الآن

الأماكن المقدسة المسجد الأقصى وعمارته اللجنة الفنية

عناية ملك إنكلترا بالآثار الحالة في المدينة

مهمة المجلس الإسلامي الأعلى

يقصد القدس سنوياً للزيارة والتبرُك بزيارة المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ومزارات الأنبياء والقبر المقدس ومولد المسيح ومولد السيدة مريم والنبي موسى عليهم السلام ومقام إبراهيم عليه السلام في بلد الخليل (حبرون) وزيارة السيدة راحيل في طريق بيت لحم . عدد وافر من مسلمي العالم على اختلافه وعشرا الألوف من المسيحيين وأضعاف ذلك العدد من اليهود. فترى في القدس أجناساً مختلفة وسحناً متباينة من يهود الكرج وعجم همذان ويهود روسيا وبولونيا وإيطاليا والنمسا وألمانيا عدا الأعراب من الكرك والسلط والصحراء. فترى المساكن متجاورة وفي المنحدرات من الأرض. أو في مرتفع يصعد إليها بدرج وبينها كنيسة قديمة مضى عليها أكثر من ألف سنة لا يشعر الإنسان بعظمتها واتساعها وزخرفها إلا إذا اجتاز بابها الضيق ودخل إليها من طريق مرصوف بالحجر الرفيع الذي يشبه الآجر. وكذلك الشوارع فإنها منحدرة مسقوفة وعلى بواكيها منازل السكان وكذلك حارة اليهود فإنها تزدحم بالمنازل على ضيقها، ويجوارها أو فيها مصانع الخمر ومدابغ الجلود . فلا يسع المار إلا سد أنفه. وسراة المدينة يقيمون في منازل جميلة. أشبه بمنازل القاهرة في بيرجوان أو بين السيارج والجمالية وقصر الشوق والجودرية وحارة الروم وسوق السلاح ودرب الجماميز.

والحق يقال إن جميع سكان المدينة يشتغلون في تجارتهم بنشاط. ولا يقل المسلمون عن النصارى ولا هؤلاء عن اليهود في الحرص على مصالحهم ومنافعهم.



مررت من حارة المغاربة بين صعود وهبوط حتى وصلت إلى جدار المسجد الأقصى من الجهة القبلية فوجدت أحباراً من اليهود ونساء منهم يستقبلون الجدار وأيديهم في فجوة صغيرة منه فيقرؤون ويهتزون بحركة مستمرة ونسمع أصوات بكائهم على ملك أورشليم الذي ضاع ويقرؤون الزبور بنغمات غريبة فإذا انتهى أحدهم بعد ساعة قام الثاني مقامه. وهكذا من الشروق إلى ما بعد الغروب. ويقول العامة أن اليهود يسمون هذا الجدار بسور البكاء.

اللجنة الفنية

لا يوجد في القدس الشريف على الرغم من الأماكن الأثرية الموجودة فيه بكثرة لجنة لحفظ الآثار كما هو في مصر بل يوجد بدلها لجنة فنية تضم بعض المهندسين من أبناء فلسطين وتركيا ممن تعلموا في مدارس الأستانة بواسطة الأستاذ كمال الدين بك المعماري المعروف. وبين أعضائها رشدي بك ونهاد بك وهاني بك وغيرهم. وقد رأت هذه اللجنة أن المسجد الأقصى ومسجد الصخرة كلاهما في حاجة إلى الإصلاح فعرضت الأمر على المجلس الإسلامي الأعلى فقام بالدعوة بعد أن وضعت الحرب أوزارها. ووصل الخبر إلى مسامع جلالة ملك إنكلترا فعرض بوساطة حاكم القدس أن يتبرع بمبلغ ألف جنيه للمساعدة الفنية ليس إلا. فشكره المجلس الإسلامي الأعلى بعبارة لطيفة خلاصتها أن هذا الأمر يختص بالمسلمين وحدهم وهم في استعداد للقيام بالتبرع والإصلاح.



يقع الحرم القدسي الشريف على مساحة مربعة يحيط بها سور يتراوح ارتفاعه بين 30 متراً ويبلغ بعض الحجارة فيه نحو 5 أمتار طولاً في أربعة أمتار عرضاً. وللحرم 14 باباً المشروع [المفتوح] منها أحد عشر.

والداخل إلى الحرم من أي باب من أبوابه يرى المباني الفخمة على أشكال وأوضاع متناسبة آخذ بعضها برقاب بعض. ويرى أروقة ممتدة على جوانب الساحة وقباباً عظيمة وأعمدة مختلفة الأشكال والألوان وقد أتينا على وصفه من قبل. ويذكر التاريخ أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خصص لعمارة المسجد الأقصى ومسجد الصخرة خراج مصر لمدة 7 سنين. ولهذا يذكر أهالي القدس مصر بالثناء ويقولون أنها السبب في عمارة المسجد الأقصى قبل 1240 سنة. وهم لأجل ذلك يعتمدون على مصر في المساعدة لإصلاح المسجد والتبرع ببعض أموالهم. ويعتقدون أن الدعوة التي أذيعت في أول هذا العام في مصر ستأتي بالثمرة المقصودة.

مهمة المجلس الإسلامي الأعلى

هذا المجلس أهلي يتولى شؤون الطائفة الإسلامية في فلسطين وقد تشكل منذ نحو سنتين برياسة حضرة السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين فقام بالواجب عليه في

إنقاذ أراضي الأوقاف من واضعي اليد عليها من الذين ادّعوا ملكيتها أو من الحكومة وبلغ مقدار ما استخلصه نحو 10 آلاف فدان، منها أراض كانت غير معروفة في أيام الحكومة العثمانية. فحفظ المساجد والزوايا وأنشأ مدارس لتعليم الأيتام والأطفال وحفظ التكايا بما يدره عليها من الأرزاق ثم أصدر أوامر مشددة نفذتها الحكومة بعدم تبرج النساء أو التهتك أثناء سيرهن في الطرقات وامتنع من القدس ذلك الداء الفتاك داء البغاء المنتشر في مصر وبلادها. وكانت مصر أولى بذلك. ثم استدعى لجنة فنية للكشف على المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وناط رئاستها بالمهندس كمال الدين بك أشهر مهندسي الأستانة فتولى ذلك في أغسطس 1922م. وبعد أن قام بالأعمال الابتدائية سافر في أكتوبر من السنة المذكورة وأمر بالسرعة في العمارة وكلّف نهاد بك أحد أعضاء البعثة بعمل الرسوم الفنية فقام بما عهد إليه. واستمان بما بقي من القاشاني في قبة الصخرة الذي صنع في أيام السلطان سليمان سنة 969 هجرية. وأتمّ في هذا الأسبوع صنع الخرائط الجميلة وقد شاهدتها فوجدتها منطبقة على الأصل تمام الانطباق.

وقد قدر للعمارة مبلغ 150 ألف ج. م ورد منها مبلغ 12500 ج. م، من الحجازيين جمعه جلالة الملك الحجاز وسلمه للوفد الذي ذهب إلى مكة في أيام ذي الحجة. وجمع من أهالي فلسطين بعض مبالغ. وسافر وفد من علماء فلسطين إلى الهند في هذا الشتاء ثم يعود إلى العراق لبث الدعوة في العالم الإسلامي وجمع النقود.

وقدر للعمارة 15 سنة يصرف في كل سنة 10 آلاف جنيه، إلا إذا وفق المجلس الإسلامي الأعلى لجمع هذا المقدار بسرعة فإن العمارة تنتهي في 3 سنوات.

أما المسجد الأقصى فالعمارة فيه لازمة لأن الجزء الجنوبي منه في خطر. وقد تفتت أخشاب السقف فوقعت على الأرض ورأيت بعض قطعها فوجدت أن السوس نخرها. وقد مالت البواكي التي تحمل القبة الشريفة، وهذه القبة لا يوجد مثلها في البلاد.

ويقول الناس في القدس أن صاحب الجلالة ملك مصر لما بلغته الدعوة إلى عمارة المسجد الأقصى وعد بالمساعدة، وأن حكومته ستساعد في نشر الدعوة والاكتتاب.

وهذا قول حق لأن مصر أولى بالسبق لما لهذا المسجد الشريف عليها من حق الجوار، ولما لها فيه من تالد الآثار. فيكتب على الجدران اسم الملك فؤاد بجوار اسمي صلاح الدين والسلطان سليمان.

ولما كان الشيء بالشيء يذكر، فإن مسجد النبي داود يقع في نقطة بعيدة من سور

المدينة على بعد من مباني القدس وهو مسجد صغير بداخله ويجواره منازل آل الدجاني، وبعض التكايا لفقراء المسلمين يصرف عليها من مال أوقاف فلسطين. وبين الأمكنة مكان بناه المغفور له إبراهيم باشا جد ملكنا الحالي وخصصه للفقراء وتلاوة القرآن. ومن الأسف الشديد أن هذا المكان منع منه ذكر اسم الله وخلا من الناس لأن الأوقاف الخصوصية بمصر تركته في زوايا النسيان مع أن 100 من الجنيهات تكفي في كل سنة لإدارته.

وقد كتب خادم المسجد رشدي أفندي الدجاني إلى صاحب السمو الأمير عمر طوسن بالمسألة، فكتب إليه بمراجعة الأوقاف الخصوصية. فعسى أن تهتم الأوقاف الخصوصية لهذه المسألة. لأن لكل الملل في القدس الشريف تكايا ومدارس وملاجئ وعيادات طبية ومستشفيات سيأتي الكلام عنها بعد. وهي تشهد للجمعيات الخيرية المسيحية بالسبق في فعل الخير ومساعدة بني الإنسان.



انتهت مدة إقامتي في القدس بعد أن فرغت من زيارة الأماكن المقدسة والآثار في القدس وبيت لحم والضواحي، وسافرت في القطار إلى حيفا فوصلتها بعد خمس ساعات ونصف. وفي اليوم التالي ركبت سيارة من سيارات شركة مصايف لبنان إلى بيروت.

المصادر والمراجع

- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام.

- الأعلام لخير الدين الزركلي، الطبعة الثانية، مطبعة كوستاتوماس بالقاهرة 1954-1959. والطبعة الثالثة، بيروت 1969.

- القرآن الكريم.

- الكتاب المقدس.

- بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، طبعة دار الطليعة، بيروت عدة أجزاء.

- بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، الدكتور كامل جميل العسلي، عمان 1992.

- جريدة الكرمل، مكتبة الأسد الوطنية، الأعداد من عام 1920 وحتى عام 1930.

- دمشق والقدس في العشرينيات، تأليف خليل مردم بك، شرحه وقدم له عدنان مردم بك، مؤسسة الرسالة دمشق.

- رحلة مصري إلى فلسطين ولبنان وسورية ومناظر المسجد الأقصى وجميع المشاهد الدينية والأثرية والعمرانية، المطبعة السلفية، القاهرة 1924م.

- رسائل صاحب الكرمل، نصوص، إعداد وليد خليف، الناصرة 1992م.

- سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني، قسطنطين بازيلي، دار التقدم موسكو 1989م.

- مار ايت وماسمعت، خير الدين الزركلي، المطبعة العربية ومكتبتها، القاهرة 1923م.

- الأعلام لخير الدين الزركلي، الطبعة الثانية، مطبعة كوستاتوماس بالقاهرة 1954-1959. والطبعة الثالثة، بيروت 1969.

فهرس